

دواء القلوب وتنوير البصائر

من كلام

سيدي وشيخي خليفة الأسلاف

والشارب من منهلهم الصافي

الوالد الحبيب عبدالقادر بن احمد بن عبدالرحمن السقاف

رضي الله عنه ونفعنا الله به آمين

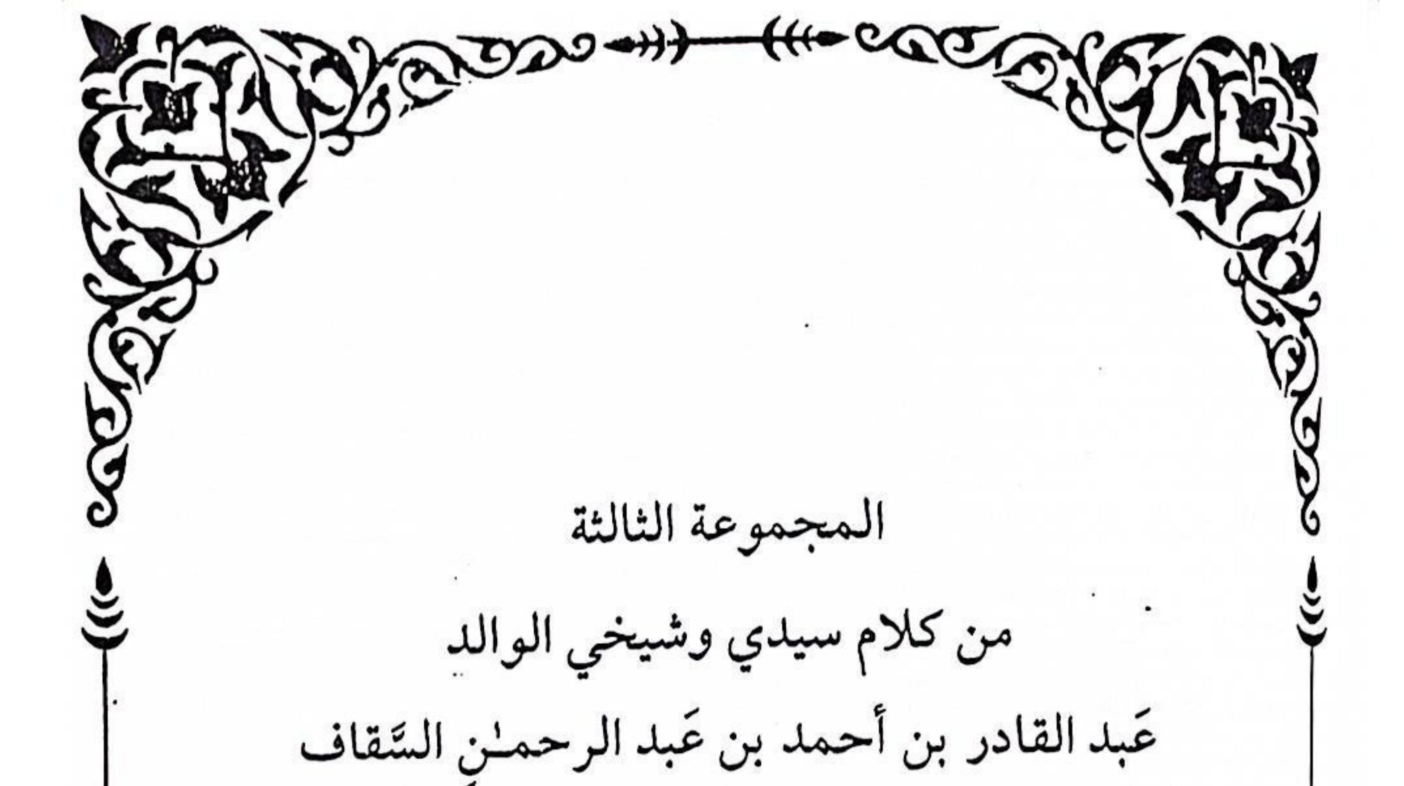
جمع تلميذه الفقير إلى الله

محمد بن عبد القادر بن حسين السقاف

عفا الله عنه

المجلد الثاني

Scanned with CamScanner



المجموعة الثالثة

من كلام سيدي وشيخي الوالد

عَبد القادر بن أحمد بن عَبد الرحمٰنِ السَّقاف

جامعه

محمد عبد القادر حسين السقاف

كاتبه

عبد الله بن علي الجفري

Scanned with CamScanner

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله حمداً يؤهلنا للمزيد من نعمه وإفضاله ، ونصلي ونسلم علىٰ خاتم رسله وأصفيائه ، سيدنا محمد وعلىٰ صحبه الفضلاء وآله .

أما بعد :

(فقد قالوا: الكتاب نعم الأنيس في الوحدة والرفيق في الخلوة).

ويجب علىٰ الإنسان أن يختار الكتاب كما يختار الصديق ؛ لأنك عندما تقرأ في كتاب لشخص ما.. فكأنما هو بجانبك يحدثك وتسمع منه .

وإذا كنا نسعىٰ ونركض الساعات الطويلة وراء غذاء الجسم والاعتناء به.. فإن الروح أعز وأسمىٰ من الجسم ، والروح سلطان الجسم ، وهي الصلة بين الإنسان وخالقه ، أفلا يجب علينا أن نخصص وقتاً لغذائها ؟!

وإذا كان الأطباء يشفون بدوائهم أمراض الأجسام.. فالعلماء أطباء الروح ؛ فالكلام الحسن والموعظة الحسنة تُذهِب عن الروح أسقامها ، وتزيل آلامها ، وتعيد لها صفاءها .

Scanned with CamScanner

إن في الحكمة البليغة للروح غذاءً ، كالطب للأجسام ؛ لذلك بقيت أكلِّف نفسي وأُجهدها ، وأجمع بعضاً من كلام خليفة أسلافنا شيخنا وحبيبنا الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف .

وهٰذه هي المجموعة الثالثة ، أضيفها إلىٰ المجموعتين السابقتين وهٰذا أقل ما يجب علينا لشيوخنا أن لا نُضِيع علومهم ، فإن كانت لا تسعها الصدور . . فلا أقل من حفظها علىٰ السطور .

أسأل الله أن يحيي بهٰذا الكلام قلوبنا ، وينبه به غافلنا ، ويهز به خاملنا . آمين .

محمد بن عبد القادر السقاف

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في جلسة العواد التي عقدت في مقر العم علي بن عبد الله السقاف بـ (المدينة المنورة) يوم الإثنين ، الثاني من أيام شهر شوال ، عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (٢/ ١٠/ ١٣٩٨هـ) الموافق (٤/ ١٠/ ١٩٧٨م) .

وأول الجلسة أنشد العم محمد بن عبد الرحمٰن بن شيخ[1] بقصيدة ، منها هٰذا البيت :

الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويه إلا مدمع الباكي

وبعد كلمة سيدي عبد القادر بن أحمد أنشد سيدي الوالد عبد القادر بن حسين المضرية ، ثم رتبت الفاتحة وانتهت الجلسة .

قال سيدي ـ متع الله بحياته ـ :

تهذيب الجسم والروح يسميه المتأخرون : « علم النفس » .

وأصل القضية : أن الله بعث نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم في هٰذه الصحارىٰ الجرداء المقفرة ليتكون من روح منها غذاء ؛ لأن الدنيا نفسها هي مفسدة لبناء الروح . فلما كانت الدنيا شاغلة . . كانت البعثة بأرض غير ذات دنيا ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ . ولو كان لنا هناك زرع وكانت هناك خلايا من الأعمال والأشغال . . لانشغل

(١) السقاف (المتوفى بسيون ١٩/ ٢/ ١٤١٦ هـ) .

الناس بها وتركوا النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما حكىٰ [الله] في سورة الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ خلّوه يخطب لوحده وخرجوا يخبُّون .

فكانت القضية أن الله سبحانه وتعالىٰ [بعث نبيه في هٰذا الوادي] لأمور :

الأمر الأول : لتظهر المعجزة في إحياء الأرض الميتة .

الأمر الثاني : لأن الأرض التي ليس للناس بها رغبة تقوىٰ الرغبة فيها وتكون عكسية .

الأمر الثالث : أن الله سبحانه وتعالىٰ أراد أن تُذكَر معجزة الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم وقوة أمر الرسالة بمفرده .

فإذا تذكر الإنسان [وفكر] في حياته أنه قام [بدعوته] ، وكانت صناديد قريش ورجالها الزُعَناء الأقوياء الذين تخافهم العرب كلهم كانوا يعارضون النبي - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - وهو واحد بمفرده ، وكان مَن تبعه من الضعفاء ومن الفقراء ومن الناس الأقلين بالمال ، [والمعروفين] بالضعف والمسكنة ، ذلك لتظهر معجزة أخرىٰ أيضاً .

وأمس ذكرنا أنه إذا مر علىٰ آل ياسر وهم يعذَّبون - وآل ياسر من (اليمن) جاؤوا ، لما جاؤوا من (اليمن) استخدمهم أمية بن خلف وكانوا عنده ، ولما ظهرت الدعوة النبوية دخلوا في دين الله فكان أمية بن خلف يعذبهم ، وكان التعذيب ، فيما يذكره أهل

Scanned with CamScanner

السِّيَر أنه : يخرج بهم إلىٰ الرمضاء الحارة الشديدة ، وينزع عنهم ثيابهم ويبطحهم فيها علىٰ بطونهم ، ومع هٰذا يضربهم مع هٰذا التعذيب ، فإذا مر عليهم النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ووجدهم يبكون من شدة العذاب ـ يقول لهم : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » إشارة إلىٰ قوة الرسالة وقوة أمرها . وكان من أمر قوة الرسالة وشأنها أن الله استخدم لها قيصر ، واستخدم لها النجاشي ، واستخدم لها ملك (مصر) المقوقِس .

كان من أمر عمرو بن العاص ـ الداهية القوي المكار ـ أنه سار إلىٰ (الحبشة) لاستعادة سيدنا جعفر بن أبي طالب وجماعته رضي الله عنهم الذين أرسلهم النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ليأمنوا من عذاب قريش . وكان عمرو بن العاص مِن خَبَره أنه : حلو المنطق ، جميل الصورة ، قوي الحجة ، خلاب اللفظ ، وكان النجاشي يحبه كثيرٌ وملقيه صاحبه وأخص أصحابه ، كما يقول هو ، فسار في رحلته الأولىٰ [إلىٰ النجاشي] وقال له : إن هٰؤلاء [أي : سيدنا جعفر ومن معه] قوم مستضعفين وخَدَمٌ لنا ، أساؤوا إلينا ، وسببه : أن واحداً يكذب عليهم برسالة وبغيتك تعيدهم معي .

قال [النجاشي] : أنظر أمرهم . فأرسل إليهم وحضروا ، وكان من أمرهم الخطبة المشهورة التي قالها سيدنا جعفر رضي الله عنه : [أيها الملك كنا أهل جاهلية . .] إلىٰ آخرها . فلما سمع النجاشي الخطبة . . قال له : هذيلا علىٰ حق ، ما عليهم ذنب لكم ، ارجع أنته . فرجع [خائباً] . وسار إليه مرة ثانية بعد غزوة

Scanned with CamScanner

بدر التي انتصر المسلمون فيها وانكسرت شوكة الكفار فيها ، وحصلت غزوة أحد وانتصر المشركون فيها ، فسار عمرو بن العاص وعنده نشوة الانتصار الذي حصل ، فطلب من النجاشي المعونة ليحلّقوا علىٰ (المدينة) كلها .

قال له النجاشي : يا عمرو!

قال : لبيك .

قال له : تريد رأيي ، أو تريد رأيك ؟ .

قال : أريد رأيك ؛

قال له : اسمع كلامي وأسلِم ، هٰذا رسول الله ولا يخذله الله ، وإن سرت [لتحاربه] . فأنت المخذول ، ولا تأتيني بعد اليوم .

قال له : وأنت تقول هٰذا ؟

قال : وأنا أقول هٰذا .

قال : إذن مع قريش مَنْ ؟

قال : معها الشيطان .

سار عمرو بن العاص وهو يسرها في نفسه ، ورجع إلىٰ (مكة) واتصل بأبي سفيان ، وقال له : اليوم حصل ما هو أكبر .

قال : ما الذي حدث ؟

قال له : النجاشي يأمرنا بالدخول في الإسلام! كنت أحسب

Scanned with CamScanner

أنه صاحبي ، وأنه بايعطينا جيوش ، فإذا هو يقول لي : اتبع هٰذا الرجل ..

قال له أبو سفيان : لا تأخذ بقول النجاشي ، هذيلا أحباش وأعاجم لا يدركون الأمور . وكان أبو سفيان أكثر منه قوة .

وكان من الأمر الثاني : أنهم ساروا إلىٰ المقوقِس ملك (مصر) فلما وصلوا إليه .. سألوه وطلبوا منه أن يعينهم علىٰ [قتال] محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

فقال : تسألوني إعانة علىٰ واحد مرسل من عند الله! لا أنتم تقدرون علىٰ مقاومته ، ولا أنا قادر علىٰ مقاومته ، ارجعوا أسلموا ، أو ارجعوا إلىٰ بلدكم ولا تعارضوه ، فإن عارضتموه .. فإنكم ستتعبون ، وقد رأينا من أمر موسىٰ وأخبار بني إسرائيل وهو قائم بمفرده ، وأن الله نصره علىٰ فرعون .

فرجع ، وكان من أمرهم أن الله سبحانه وتعالىٰ أراد أن يظهر المعجزة الكبرىٰ للحبيب ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم بقوة الرسالة . سافر أبو سفيان إلىٰ كسرىٰ في تجارته ، وفي ذلك الوقت أرسل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كتبه إلىٰ ملوك الأرض ، ووصل وفد رسول الله الذي يحمل كتابه إلىٰ هرقل عظيم الروم وأبو سفيان هناك ، فلما وصله الكتاب .. جمع أصحابه ثم استدعىٰ أبا سفيان ومن معه ، وقال لهم - وقال لمترجمه قل له : إني سائلكم عن هٰذا الرجل . وقال لقومه : إن كَذَبَني .. فكذِّبوه .

فقال له : أهو ذو نسب ؟

قال : إنه فينا ذو نسب .

قال : كذلك الرسل تبعث ذَوُو أنساب . قال : هل يتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟

قال : يتبعه ضعفاؤهم .

قال : كذلك أتباع الرسل . قال له : هل سبق أن عاهدتموه ونقض العهد ؟

قال : لا ، وإنما بيننا وبينه الآن عهداً لا ندري ما يفعل به .

[قال أبو سفيان : لم أستطيع أن أنال من محمد شيئاً أعيبه به أمام هرقل إلا في هٰذا السؤال] .

قال له : هل كان أحد من آبائه ملكاً قال : لا .

قال : لو كان أحد من آبائه مَلِكاً . . لقلنا أنه يطالب بملك أبيه .

وخرج أبو سفيان وهو يقول في نفسه : لقد عظم أمر ابن أبي كبشة . وأيقن أن لا قدرة لهم عليه .

وهٰذا كله قبل الحروب القوية . ولما أراد الله أن يُظهره [علىٰ قريش] . . تعاهد الخزاعيون ورسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو أول عهد كُتِب في الإسلام ـ علىٰ أنه إن أصاب الخزاعيين اعتداء . . ينصرهم المسلمون ، وإن أصاب المسلمين اعتداء . . ينصرهم الخزاعيون . وحصل عهد مثله بين بني بكر وبين قريش .

Scanned with CamScanner

فحصل أن الخزاعيين ذهبوا إلىٰ (مكة) معتمرين وهم مرتبطين بالحلف مع النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فاعتدت قريش عليهم وآذتهم ؛ ليغيضوا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ولم يبلغ قريشاً أن كثيراً من أهل البادية ومن الأعراب دخلوا في الإسلام ، وكذلك الأعاجم ، فلما ضربوهم . . أرسل الخزاعيون عمرو بن سالم الخزاعي علىٰ ناقة إلىٰ (المدينة) ووصلها علىٰ سبعة أيام ، وجاء إلى المسجد المبارك وبات فيه ، ولما خرج رسول الله النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وكان من عادته يتهجد آخر الليل في محرابه ، ومع مروره يمر علىٰ علي وفاطمة عليهما السلام ، فإن وجدهم لم ينتبهوا . . نبههم ، وإن انتبهوا . . تركهم ، ويخرج [فيما بعد] إلىٰ المصلى للصلاة فخرج إلىٰ المسجد ـ وعمرو الخزاعي نائم في المسجد مع النائمين أهل الصُّفَّة ومن علىٰ شاكلتهم ، فلما صلىٰ الصبح . . قام الخزاعي خطيباً وقال :

اللهم إني ناشد محمدًا حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

قال : « من القائل » ؟ واهتز النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

قال له : عمرو بن سالم الخزاعي .

Scanned with CamScanner

قال : « نُصِرتَ يا عمرو ، نصرت يا عمرو » وكان منْ عادته عليه الصلاة والسلام أنه ما يغزو غزوة إلا ويورّي عن يوم الخروج ، إذا بايخرج الخميس . . يقول السبت إلا في ذلك اليوم ما وَرَّى عليه الصلاة والسلام ، وطلب من أصحابه أن يتجهزوا .

وجهز الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ قالوا ـ ثلاثة وثلاثين كتيبة لا قِبَل لقريش بشيء منها .

[وأطال سيدي ـ حفظه الله ـ عن فتح (مكة) ومعاملته عليه السلام لأهلها ، وكيف استقبل أبا سفيان وعامله ، مما يدل علىٰ عظيم خلقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما وصفه الله تعالىٰ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ثم تكلم سيدي عن المفاضلة بين (مكة) و(المدينة) ثم تحولت الجلسة إلىٰ شيء من المباسطة ، وروىٰ لهم قصة طلوعه إلىٰ هٰذه الديار وما تخلل تلك الرحلة من متاعب ، فقال سيدي ـ حفظه الله تعالىٰ ـ :

ثم الفوارق ما بين العيد [في (المدينة)] وفي أي بلد آخر كبيرة . وقال لي واحد ـ أظنه عبد الله بن شيخ ـ قال : عَيَّدت في (مكة) الحجة الأولىٰ ، وهٰذه السنة عيدت في (المدينة) فوجدت فرقْ كبيرْ ، ما شي كما (المدينة) قط ، بعد الحكم بأن القبر الشريف موضعه أفضل حتىٰ من العرش والكرسي فما لأرض أفضلية علىٰ (المدينة) مع وجود الحبيب فيها قط . ثم تكرمة له أن علىٰ أبوابها ملائكة يحرسونها ، ولا يدخلها الدجال ،

Scanned with CamScanner

ولا يدخلها طاعون [ونستشعر فيها] بالطمأنينة . وأنتم ، الظاهر أنكم ما تأتون إليها إلا من السنة إلىٰ السنة ، كما يقولون أهل (حضرموت) : في السنة حَسْنة . و(المدينة) تحتاج علىٰ الأقل في كل شهرين زيارة . [وشفوا] الأعاجم أحسن مننا ، وإذا جاؤوا إلىٰ (المدينة) تراهم متأثرين منفعلين .

وسأله أحد الحاضرين : هل الحرم المدني أفضل من الحرم المكي ؟

قال : موضع الخلاف : أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إن إبراهيم حَرَّم مكة ، وإني أحرّم [أي المدينة] ما بين لابتيها » .

فقال العلماء : الفرق ما بين إبراهيم وبين نبينا يكون الفرق ما بين التحريمين .

ومن دعائه أيضاً لها : « اللهم بارك لهم في مدها وصاعها » .

وقال : « اللهم بارك لهم ضعفي ما لمكة » . في كل شيء : في صلاتها ، في عملها ، وفي بركاتها . ومن هنا الإمام مالك يقول : إنها أفضل .

وعندنا الصوفية قائلين : إن البقعة التي فيها النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم لا شيء يعادلها ، وإذا لا شيء يعادلها . . كانت (المدينة) تبعاً لها .

والإنسان حين يدخل (مكة) وحين يدخل (المدينة)

Scanned with CamScanner

يستشعر [بالطمأنينة] أكثر في (المدينة) . ثم إنها كلها أقيمت من أجله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وكلها ترجع إليه .

قال له مولاه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ خاطبه قال له : أن نحن بانجيب لك لي بغيتها أنته .

واليوم كان معنا في المولد الشيخ الكتاني من العلماء ، ومن جملة كلامه الذي أعجبنا ـ وهـٰذا ذكره العلماء إلا أنه هو استحضره وهو حاضر الذهن ـ قال : إن كل ما يقال في النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ويكون فيه . . لا يقال له إطراء ؛ لأنه فوق وصف كل واصف .

وأما قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسى ابن مريم » . قال : إن النصارىٰ لما أطرت عيسىٰ ابن مريم حكىٰ لنا القرآن [إطراءهم] : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ . وقوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ . هـٰذا الإطراء .

وأما الأمة الإسلامية ما أحد منهم يقول : إن الرسول هو ابن الله ، ولا أحد عَبَده .

وكان صلىٰ الله عليه وآله وسلم متواضعْ في سائر أحواله ، لهـٰذا قالوا : إنه ما استخفته يوم من الأيام شيء من الأهواء قط ، بينما هي استخفت غيره من الأنبياء . ثم قد تستخف الأولياء [كما حصل] من بعضهم ، يقول : أنا كذا ، أنا كذا ، يعني : إذا حصلت له حالة تجلي مع الله سبحانه وتعالىٰ وهـٰذا سيد

الأولياء ، ولـٰكنه دائماً متواضع ، قال لأصحابه مرة : « إني أوشك أن ألحق بربي ، لعل منكم أحداً ظلمته ، فأخشىٰ أن آتي ربي يوم القيامة بمظلمة ، فمن ضربته أو سببته . . فليأخذ بحقه مني » . هـٰذا سيد الأولياء ـ قام له واحد ، وقال له : أنا يا رسول الله ضربتني .

قال له : « متىٰ » ؟

قال له : كنت مرة تقيم الصفوف فوكزتني بالعصا في ظهري .

قال له صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « **خذ ظهري** » .

قال له : وكزتني وظهري مكشوف ، اكشف لي ظهرك ـ وأصحابه يعتبون عليه ويرفعون أصواتهم ـ فكشف له ظهره ، فقال له : والله لا أريد أن أوكزك ، ولـٰكنني أردت أن أرىٰ خاتم النبوة في ظهرك . وقَبّل خاتم النبوة في الظهر الشريف .

هـٰذا هو يقول : فلا آتي ربي بمظلمة ، فمن وكزته أو ظلمته أو سببته . . فليأخذ حقه مني . صلىٰ الله عليه وآله وسلم . هـٰذا ليعلم الناس قدر التواضع .

[ثم انتقل حديثه ـ حفظه الله ـ إلىٰ المباسطة والمرح ، وأخذ يروي للحاضرين بعض مما حصل له في رحلة له سابقة[1] وفي عهد عبد العزيز إلىٰ هـذه الديار ، وقال :]

في تلك الحجة طَلَعْنا أُمّة مننا ثلاثة عشر سيارة عن طريق البر ، فإذا وقفت السيارات للراحة وخرجوا . . قامت الهَدِّه ؛

---

(1) أول رحلة له إلى مكة المكرمة على السيارات طريق البر في القعدة ١٣٧٣ .

Scanned with CamScanner

لأنهم ذو طبائع مختلفة ، علوي بن شيخ ملقي طبائع ، والآخرين لهم طبائع أخرىٰ .

الحاصل أنها ما شاء الله عليها [رحلة معاد تحتاج] . ونحن كلنا ثلاثة عشر سيارة طلعنا كلنا فقراء ، لو دخل الجرذ إلىٰ شنطة واحد . . [ما بايحصل له شيء] ، كلهم طلعوا بالدَّين ، ما يملكون من مال الله شيئاً . وحصلت لنا مشكلة في (نجران) [بغوا مننا رسوم] وجاء نحن بن عمرو ، وعزم نحن عند الأمير ، وحضرنا عند الأمير وجلسنا معه وأكرم نحن وأخذ بخاطرنا ، ولكنه قال : أنتوا يا أهل (حضرموت) تعبدون الأوثان .

يكلمنا أنا والروش والشيخ فضل[1] ، وأنا طرحنا الأمير عن يمينه ، وطارح عن يساره واحدْ يمنيْ معه الوفد اليمني . نحن محتاجين للأمير وبغينا شفاعة في الدخول ـ [ويتكلم سيدي وهو يضحك والحاضرون] ـ وبغينا شفاعة حتى في العطاء ، وكنا طامعين ، فإذا به يباغت نحن بهٰذا الكلام . أنا سَكَتّ ، ولٰكن ربنا ابتلىٰ اليمني ، وقال : نعم بن علوان سِيْدي ، أحمد هدم قبة صاحب يبرس ، وخلىٰ الحمير تبول علىٰ القبر .

قلنا : حصلت الفرصة للكلام . ودخلنا علىٰ اليمني ، وقلنا له : حد يقول من العلماء أنه يجوز للحمير تدحِّق فوق القبور وتبول عليها ؟! ونزلت ما معي من حِدَّة علىٰ اليمني . واليمني

---

(١) السيد العلامة عبد القادر بن سالم الروش السقاف وفاته بسيئون ١٤١٥/١٢/٥ والشيخ العلامة فضل بن محمد بافضل وفاته بتريم ١٣٩٦ .

Scanned with CamScanner

غلط غلطة لما قال : خَلّىٰ الحمير تبول عليها . لو قال : هدمها فقط . . لكان كلامه مقبولْ ، ولـٰكنه أراد أن يأخذ بخاطر الأمير . ولما قال : خلى الحمير تبول عليها . . انتدبت ولعاد تركت له ولا أبقيت ، وكان فضل قدّامي ، والأمير معه عصا صغيرة وينكت بها علىٰ الأرض . قال فضل : أنا مساهنها باتقع علىٰ كورك [زاسك] .

[وتخلل المجلس شيء من الضحك والبسط والانشراح ، واستمر سيدي في كلامه وقال :

وبعد رجعت [أكلم] الأمير وقلت له : أنتوا محل العقل ، وولاكم الله أمور الناس ، أتأخذون الكلام بالتسرع ؟ من يقول لكم : إن أهل (حضرموت) يعبدون الأوثان ؟ أهل (حضرموت) عندهم العلم الصحيح . وجبت له قصيدة الحبيب عبد الله الحداد :

ما في الوجود ولا في الكون من أحدِ　　إلا فقير لفضل الواحد الأحد

هل هذيلا عبدة أوثان ؟ وبينما أنا أتكلم ومندفع في الكلام معه إلا ودخلوا [رجلان من] آل عاتق ، أولادهم في (المدينة) من أصحابي ، دخلوا مدججين بالسلاح - وهم من (بيحان) وعرفت وجوههم ؛ لأنهم جلسوا في (سيؤن) في الرباط حق آل الحبشي - جاؤوا من (بيحان) مدججين بالسلاح ، طلبة علم ومسلحين . لما دخلوا وشافونا . . قالوا : سيدي عبد القادر بن أحمد ؟

قلنا لهم : نعم ! فأخذوا يقبّلون من المفرق إلىٰ القدم . تقبيل

Scanned with CamScanner

له [صوت] تسمعه من مسافة ، على عادتهم في البلاد . وأنا سَكَتّ لما أخذوا يكلمونا ، والتفتوا إلى الأمير ، وقالوا له : هاذيلا أهل البيت الطاهر ـ [بلسان حادة والسلاح معهم] ـ هاذيلا أهل العلم ، هاذيلا أهل الفضل ، هاذيلا ما يوجد لهم نظير ، وهاذيلا ، وهاذيلا . . وانطلقوا في الكلام بحرارة أكثر مني حتى قدموا العشاء وتعشينا ، وانبسط الأمير فيما بعد ، وهاذاك اليمني مسكين رجع يعتذر وانكسرت نفسه . وسدينا نحن والأمير ولعاد بالينا باليمني ، [وأحس أنه] ألقى وَخْدَة[1] كبيرة .

وكان الأمير لطيفْ ، قال لي : سِيْدي الشيخ ـ أظن اسمه أحمد بن تركي ، أو تركي بن ماضي ، أو ماضي بن تركي ـ قال لي : أي حاجة ، خدمة ؟

قلنا له : حاجات ما هي إلا وحدة حاجة .

قال لنا : سيروا في سيارة حقنا .

قلنا له : نحن محتاجين من تأشيرة بالدخول ، مننا ثلاثة عشر سيارة هاذيلا ما عندهم فلوس ، بغو إذن منكم [بالإعفاء] . وخرجنا ، وجاء الأمر منه برفع الضمان بعد كَمْ أيام ، وهم عادهم يمهرون [على الجوازات] وعلى المُهر مبلغ .

قلنا : ولا مع الناس للمُهر شيء يا أمير .

قال : أعطوهم السماح . وحق المُهر دفعها من عنده ؛ لأنها لبلديته . ومشينا ووصلنا (الطائف) ووجدنا هادي جواس

(١) وَخْدَة : تعبير حضرمي أي : غلطة .

[بالصدفة] ، لما شاف نحن نسير . . قال : أهلاً! من اين حبيب عبد القادر ؟ قلنا : ماشي من اين ، شف نحن ثلاثة عشر موتر .

قال : فين نزلتوا ؟

قلناله : عاد نحن إلا نسير .

قال : شفوا ، عندي حوش كبير وثنتين مياسم ، إذا بغيتوا عندي . . على الرحب والسعة .

قلنا له : عندك! نروح فين ؟

قال : خلاص ، وحده من المياسم لك ، والحبايب بصرك فيهم . وكان الهواء بارد ، فذهبنا ، وجلست أنا والرُّوِش وواحد ثالث ـ ما أدري من ؟ ـ جلسنا في ميسمة [بعد أن جلسنا ـ كانت] معنا كتب أثرية من عبد القادر بن جعفر ، كان يشتريهن ويرسلهن لعمك عبد الله الجفري بَتّ يسأل عليه الرُّوِش وحصله في (الطائف) لما جئنا . . فرح بنا كثير ، وجاء وقال : تفضلوا عندي .

قلنا له : هل عندك مكان يا عم عبد الله ؟

قال : هـٰذا هو المكان حقي ، محل صغير يجلس فيه ، تحول هو إلىٰ محل النساء . وعطىٰ نحن المكان نجلس فيه ، ويجلس معنا ويحضر الدرس . . إذا غلق الدرس ، علوي بن شيخ وبعضهم يتعالقون علىٰ القهوة ، وكان جمعان بن وليد معنا ، قال لهم : حبايب ، كشفتوا نحن عند الحبيب هـٰذا المسكين .

Scanned with CamScanner

والسيد حاضر معنا يتشوف ويضحك ، أخلاقه عالية هٰذا عمك عبد الله . وبغينا بانسافر ، قالوا : هناك ضمانة أخرىٰ .

[قلنا له : والحل] ؟ قالوا : شفوا الناس ـ تبرق للملك ، أبرقوا للملك . .

قلنا له : أنت أبرق علىٰ لساننا يا أخ عبد الله .

قال : مرحباً . أبرق للملك ، وبعد ثمان جاء الجواب بالسماح ودخولنا إلىٰ (مكة) . وهٰذا كله قبل ظهور الثروة .

لما عزمنا . . أعطىٰ نحن عمك عبد الله مئتين ، وقال : هٰذه استعينوا بها .

جاء علوي بن شيخ ، قال : أنا بغيت قسمي .

قلنا له : خلها توافق نحن في الطريق .

قال : أقول لك : أنا بغيت قسمي ، وعلاق ، وضولة ، وأذية .

جاء وأعطاه ـ أظن خمسة ريال .

قال : أقول : أنا باجيب عشرة . . وضولة فوقها .

قلنا للروش : أعط علوي بن شيخ القسم الكبير ، خَلُّه يأخذ قسم الأسد ، وخلِّص نحن منه . ولا سِلِمْنا من الضولة حقهم والعلاق إلا لما وصلنا (مكة) وكان قائدنا الروش .

ودخلنا (مكة) أول الليل ونزلنا في الرباط بالسوق الصغير ، وكان ذلك الوقت في غاية البهذلة ، ما فيه إلا الماء موجود فيه

بكثرة ، وأنا ضقت وبَيَّتنا في الحرم نِتملّى بالكعبة والقراءة والأدعية والأوراد .

وبعد الفجر قال لي : عبد القادر ، قم للرباط . قمنا ، وكان معنا بُقشة أو صندوق ، معادنا داري! وبَتَّيْنا الرباط ومننا جملة فوجدنا بانتعب به وبايتعبون مننا أهله ، ولا بانسلك فيه ، وغرفة ضيقة ، فجاء نحن الشيخ عمر اليافعي وأخذ بخاطرنا ، وقال : ما يصلح لكم الرباط ، بايجيكم الشيخ عبد الله سرور وانزلوا في ضيافته .

وجاء عبد الله سرور الصبان ، وقال : انزلوا في ضيافتي . نزلنا في ضيافته وأقمنا مدة ، وحجينا معه . وكانت مننا حلقة نقيم درس ، وإذا انتهى الدرس . . قاموا يتعالقون علوي بن شيخ وقومه ، ساعة ماشي شاهي ، وساعة ماشي ماء .

وحضر الدرس حقنا السيد أحمد التِّبِرْ المغربي[1] ، وقال : يمكن أحضر معكم ؟

قلنا له : يمكن . وهو رجل كثير الذكر .

قال : أنا فرحت منكم ، وأعجبتنا [مجالسكم ، أنتم] حضارم؟

قلنا : حضارم .

قال : تحفظون شيء من كلام أهل الله ؟

قلنا له : يمكن حد يحفظ ، وما معنا إلا الرُّوش . والروش

---

(١) الشيخ أحمد التبر بن أبي بكر الإدريسي الحسني ولد بفاس ١٣١١هـ وهاجر إلى المدينة المنورة سنة (١٣٤٠هـ) وسكن بها حتى وفاته بها بعد حج (١٣٧٩). ترجم له في «الدليل المشير» وأيضاً في «تشنيف الأسماع في مشايخ عيسى الفاداني».

Scanned with CamScanner

صوته له العافية ، يحفظ قصيدة حق الحبيب علي ويدحّق فيها :

غنيمة مَن عَشِقْ لُقيا حبيبه

جابها الروش له ودحَّق فيها ، والرجل صالح . وبعد قال لي : أنا بغيتك ، باكلمك . قمت أنا وإياه إلىٰ جنب خيمه فيها نساء .

قال : أنا أحببتكم في الله ، وبغيت بَأتَأخَىٰ أنا وإياك ، وبغيت الإجازة حق العلويين ، وباعطيك إجازة حق المغاربة ، وباعطيك إجازة تحتاج لها إذا ضاقت عليك . . ونحن طُرُوق[1] .

وإذا انتهىٰ الدرس . . قام إلىٰ هٰذه الناحية يسبح ، وقامت المِحْنابَة في الناحية الثانية [بين علوي بن شيخ وجماعته] قال : أنا باعطيك إجازة في علم الحرف .

قلنا : أما علم الحرف . . عندنا السلف ما يميلون له ، وباعطيك الإجازة حق العلويين وبغينا إجازة المغاربة .

وقال لي : إذا جيتوا إلىٰ (المدينة) يكون مجيئكم إلىٰ عندي ، تجدوني مع إشراق الشمس في الحصوة ، وأنا باجيب لكم واحد يزوِّركم في الآثار كلها ، إن شاء الله .

فلما وصلنا (المدينة) وجدناه علىٰ الوصف الذي وصفه لنا . قال : قوموا إلىٰ عندي .

ذهبنا معه إلىٰ داره علىٰ طريق (البقيع) في حارة الأغوات أفطرنا عنده ، وجاب لنا الشاهي المغربي الذي ما يلقيه إلا هم المغاربة ، وذا الحين إذا اشتقنا له . . المنتصر يلقيه لنا . (أي الشاهي الأخضر) .

---

(١) أي لا نملك شيئاً .

وجلسنا ، وقال لنا : بكره تعالوا تغدوا عندي ، وباجيب لكم واحداً يزوِّركم .

جاب لنا السيد أحمد بن ياسين الخياري[1] ـ سيد عظيم ، توفي قريب ـ قال لنا ـ وهـٰذا هو الشاهد الذي جرنا للكلام ، قال لنا ـ : إنه لما دخل القوم هـٰذه البلاد وتولَّوها . . تأخرت أنا عن الصلاة في المسجد النبوي ، ما باصلي قفا مبتدع . قال : لما مرت عَلَي خمسة عشر يوم وأنا أصلي في البيت . . رأيت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول لي : يا أحمد خياري .

قلت له : لبيك!

قال : إن كنت تعتقد أن حَدْ يصلي في محرابي غيري . . لعاد تندر المسجد .

قال : بعدها خرجت أصلي في المسجد .

وهـٰذا الخياري مدني وفي « مجموع الحبيب طـٰه » ينقلون

---

(١) الشيخ العلامة أحمد ياسين أحمد الخياري الحسني (الأزهري المدني) شيخ القراء بالمدينة ، وصاحب مدرسة تحفيظ القرآن ، ولد بالمدينة المنورة سنة (١٣٤١هـ) له مؤلفات حوالي (١٢) كتاب أكثرها في تاريخ المدينة وآثارها ، توفي بالمدينة (١٧) رجب سنة (١٣٨٠ هـ) عرفناه واتصلنا به كثيراً ولنا منه إجازة في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي دعا به في غزوة الأحزاب وقد دعا به الإمام الشافعي وأوله اللهم إني أعوذ بك وبنور قدسك وبركة طهارتك .

وكتبه طه حسن السقاف وقد حضرنا معه مجالس وضيافات وزيارات وبعضها حضرها سادتي الأعلام خالي عبد القادر بن أحمد والحبيب عبد القادر بن سالم السقاف الروش ، والشيخ أحمد التبر (١٣١١ـ ١٣٧٨٩هـ) المغربي والشيخ أحمد عبد الجواد وذلك بالمدينة المنورة وقد تولى رئاسة مدارس تحفيظ القرآن ورئاسة المكتبات بالمدينة .

Scanned with CamScanner

عن آل الخياري [وهم] سادة أشراف . وكانت بـ(المدينة) بهجات وأعياد ولا تزال .

بعد ذلك أنشد سيدي الوالد عبد القادر بن حسين قصيدة المضرية ، ثم جاب لهم مأخذ :

يـا حبيبنـا النبـي شـي لله كـل حـاجـة تنقضـي يـا الله
حـاجـة فـي النفـس يـا رب فـاقضهـا يـا خيـر قـاضـي

إلىٰ آخرها . بعدها رتب سيدي هٰذه الفاتحة :]

الفاتحة بالعيادة في زيادة : أن الله يعيد هٰذا العيد في مزيد من الخيرات والبركات ، ويعطينا ما أعطىٰ أهلنا القادات ، ويتكرم علينا برؤيا الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، والاجتماع به ، والأدب في مقام الأدب مع المراقبة التامة ، والهداية والرعاية ، وحضور القلب ، واستشعار وجوده صلىٰ الله عليه وآله وسلم ما بين ظهرانينا وفي هٰذا البلد الشريف . أن الله يتكرم علينا وعليكم بالمراقبة ، ويتكرم علينا بالأدب معه ، ويتكرم علينا وعليكم بالحضور مع أهل الحضور ، والدخول مع دائرة أهل الحضور ، في أمورنا كلها ، ظاهرها وباطنها .

ويهدينا فيمن هداه ، ويتولانا فيمن تولاه ، ويعيد علينا رمضان في أفراح ، ويعيد علينا هٰذا العيد في مزيد في خيرات .

ويصلح بلادنا ويجمعنا فيها ، ويجعلنا وإياكم مجموعي القلب ، ومجموعي الظاهر ، ومجموعي الباطن في عطاء وفي رضا ، وفي أفراح وفي هناء ، وفي زيادة من الخير الحسي وزيادة من الخير المعنوي .

ويغفر لوالدينا وإخواننا وأولادنا ، في بلادهم وفي غير بلادهم ، ممن قصرت بهم الخُطَا إلىٰ الوصول إلىٰ مثل هٰذه الساحات .

نسأل الله أن يقسم لهم في كل خير وصَلَنا ، أو أعطاه أحداً من زوار الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أو من الحاضرين ، أو من أهل الولايات .

نسأل الله أن يقسم لأولادنا وأهلينا وإخواننا ، ويعطي كل سائل سؤله علىٰ ما يحب الله ورسوله . ومن له حاجة أو له مطلب . . نسأل الله أن يعجل بقضاها في هٰذا اليوم إن شاء الله ، ولا يخرجكم من (المدينة) إلا علىٰ نية العودة إليها ، وإلا وقد قضىٰ حاجاتكم أيضاً ، ويَسَّر لكم أموركم وأعطاكم ما تحبونه وما ترومون .

ونسأله تعالىٰ أن يخلع علينا من لباسات أهلنا ، ومِن خِلَع أهلنا ، ومن أخلاقهم النبوية ، ومن علمهم ، ومن سيرهم ، ومن شمائلهم ، ومن كرمهم ، ومما أعطاهم .

ونسأله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يفيض علىٰ القلب من واردات الجمال ، ومن [واردات] الجلال حتىٰ يتهيأ القلب لنزول الرحمة ، وللدخول في باب الرحمة ، وللورود مع أهل الورود علىٰ المنهل المورود ، والعيش المخضود ، في خير ولطف وعافية .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة بـ(المدينة المنورة) بمنزل أحد محبيه ، وذلك في عام ألف وثلاث مئة وثمانية وتسعين . ولم نتمكن من تسجيل الكلمة بكاملها بسبب انتهاء الشريط .

ومما قاله ـ حفظه الله ـ :

هٰذه مجالس غذاء للروح ، والروح غذاؤه الذكر ، والجسم غذاؤه الطعام ، والقلب غذاؤه التقوِّي علىٰ الطاعة .

فالروح إذا وَجَدَ الذكر ـ قالوا ـ استشعر المذكور ، وإذا استشعر المذكور .. تنزلت السكينة ، وإذا تنزلت السكينة وحَصَلت . . أمطرت السحب الإلـٰهية بالفيض . ومن ذلك الفيض هو ما يتحرك به الإنسان ، ولا يشعر بنفسه عند حركة الذكر ، كأنه نخلة تحركها الرياح ؛ ذاك لأن الروح في حالة استفزازية مع مولاها ، لا في حالة من أحوال الدنيا ، ولا من أحوال العلم الظاهر .

هٰذا إنما هو طريقه من باب العلم اللدُنِّي ، يأخذه القلب شيءْ فشيءْ ، وحالة بعد حالة ، ووقتاً فوقت ، ولا يصلح له حتىٰ كل وقت ؛ لأن الأوقات لا يصلح لها شي ، فالمولىٰ سبحانه وتعالىٰ ـ هو أعلم بخلقه وأعرف بخلقه ـ قال لنبيه في الصلاة وهي أفضل موضوع : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ .

Scanned with CamScanner

فزُلْفة الليل ـ قالوا ـ هي أفضل ما يكون بالنسبة للعبد مع مولاه ، وهي ساعات التجلي .

وقال العلماء : إن من أفضليتها أن كانت ولادة سيد السادات صلى الله عليه وآله وسلم من آخر الليل ، دلالة علىٰ ذلك .

ثم نبهنا القرآن بقوله : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا ـ أو : وِطاءً ـ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ .

قال العلماء ـ عليهم الرحمة ـ : إن القلب مشغول بالجوارح والأعضاء والحواس ، فإذا دخل واحد . . التفت إليه بعينيه ، فشغل القلب وتبعه ، وإذا تكلم واحد . . ألقى السمع نحوه ، فانشغل به السمع وانشغل القلب معه ، فإذا دخل الليل . . هدأت تلك الجوارح ونامت ، وانتبه القلب ، وعند انتباه القلب يحصل التجلي[1] ، ومن التجلي يحصل التملّي ، ومن التملي ـ قالوا ـ تحصل للعبد حالات فيها أطوار ، ربما كان فيها تدلي ، وربما كان فيها ارتقاء ، وربما كان فيها صعود ، وربما كان فيها اتصال ، وربما كان فيها حضور ، وربما كان فيها دخول حالات القلب مع المذكور حتىٰ لا يستشعر شيئاً .

ورب ذاكرٍ مع الله وهو عند الخلق ولا يشعر بهم ، تحركوا أو قاموا أو حضروا ، أو حصل لهم شي ؛ ذاك لأن القلب في تلك

---

(١) هنا وفي مواضع كثيرة قبلها وبعدها . . تتعالىٰ أصوات من بعض الحاضرين بقولهم «الله . . الله» منفعلين ومتأثرين بكلامه متع الله بحياته ونفعنا بكلامه .

اللحظة مع مولاه . وإذا استغرقت القلب أنوار المولىٰ ، ونزلت السكينة وتجلت التعرُّفات الإلـٰهية ، وحصل فيها شيء من التملي والتجلي .

قالوا : أولاً قبل ذلك لابد من الطهارة ، والطهارة في تلك اللحظة يتولاها المذكور ؛ لأن العبد ربما يدخل إلىٰ تلك الحضرة فيدخل وهو ملوَّث بتلويثات الدنيا ، ولـٰكنه إذا كان محبوباً ، إذا ساقته الأقدار إلىٰ سعادة . . كان كما قال لكم نبيكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم : « هم القوم لا يشقى بهم الجليس » .

ومعنىٰ « لا يشقىٰ بهم الجليس » : أنه تغمره تلك الأنوار فتغان له[1] ، ثم تلقىٰ عليه رذائم[2] التجليات ورذائم التمليات ، ورذائم الخيرات ورذائم البركات ، فيصبح من تلك اللحظة وهو يتكلم لا بلسانه ، وينظر لا بعينه ، بل ينظر بعيني قلبه التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ انفتحت وتجلت تلك العينين القلبيتين فأصبح يشاهد ، ومن تلك المشاهدة ـ علىٰ اختلاف أحوالها ـ ما يحصل للأولياء الذين عُنُوا بتصفية القلب ، فأصبح الواحد يتكلم عن سريرة تشاهد ما أمامها كما يشاهد ذو البصر بالبصر .

من ذلك ما يحصل كثير للأولياء الذين عُنُوا بذلك وأخذوا في طريق التزكية والتربية ، وأخذوا في طريق الطهارة القلبية التي

---

(١) إشارة إلى قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : «إنه ليغان على قلبي» .

(٢) رذائم : المطر .

Scanned with CamScanner

أشار إليها القرآن معلّماً لنا ـ والخطاب لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ . كل ما يتعلق بالقلب .

والرجز ـ قالوا العلماء ـ ما معناه الغيبة ، ولا معناه تلوث القلب بالخبائث ، ولٰكن معناه : تعلق القلب بالدنيا ، لأن الدنيا والآخرة ضرّتان لا يجتمعان إلا عند من وفقه الله ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ .

فإذا كان القلب مشغولاً بدنياه . . لم يصلح للحضرة ولا للدخول فيها .

قال الإمام الغزالي ـ عليه الرحمة ـ : إن الناس إنما هم اثنان فقط :

فناس جعلتهم الإرادة الربانية وزراء ؛ وهم الأنبياء ، ونقباء ؛ وهم الأولياء .

والوزير من شأنه أنه يدخل علىٰ الملك بدون استئذان . قال : فيدخل ويتلقاه الملك ويقابله بالتحية ، وإذا دخل وهو فَرِحٌ منه . . خلع عليه مِن خِلَعه ، وقال له : ما أحسنَ هٰذه الخلعة !

قال له : أنت كسوتنيها .

قال له : وسوف أزيدك .

قال ـ أي الإمام الغزالي ـ : والقسم الثاني : الذين شغلتهم الدنيا وغرتهم ، مثالهم مثال من يغسل المراحيض ويتولىٰ خدمة القاذورات والنجاسات ، فإذا جاء مسرعاً وأراد الدخول إلىٰ باب

Scanned with CamScanner

الملك.. قال له الحارس: أين تبغىٰ؟ تريد أن تدخل وأنت بقاذوراتك، وأنت بنجاساتك، وأنت بأوساخك! لا يصلح للحضرة إلا من تطهَّر، لا يصلح للحضرة إلا من تنظف، لا يصلح للحضرة إلا من ألقى الأشياء وراه. رُحْ اغتسل وتطهَّر، فإذا تطهَّرت.. فتعال، وأنا أستئذن لك، فإن أُذِن لك.. فادخل، وإلا.. فعُدْ..

والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ له عنايات وله نفحات.

قال الشيخ عبد الغني النابلسي - شيخكم في هٰذه الطريقة -:

رب شخص تسوقه الأقدارُ ... للمعالي وما لذاك اختيارُ

غافل والسعادة احتضنته ... وهو منها مستوحش نَفَّارُ

يتعاطىٰ القبيح عمداً فيَلْقا ... هُ جميلاً وفِلْسُهُ دينارُ

كلما قارف الذنوب أتته ... توبة طهرته واستغفار

وعليه إن زل عين من اللّٰـ ... ـهِ تقيه، ويستر الستار

فهو بالله دائماً يترقىٰ ... لا به حيث تشرق الأنوار

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

Scanned with CamScanner

خصوصيات كثيرة في الناس والزمان والمكان والفرق بين العالم والعارف ـ والقلب الحي والقلب الميت

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة ، بمنزل أخينا محسن بن علوي ابن عبد الله بـ(جدة) ، بتاريخ الثالث من شهر ذي الحجة ، لعام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (٣/١٢/١٣٩٨هـ) وعَمِل الأخ محسن ضيافة كبيرة تلك الليلة ، دعا إليها كل من قدم للحج من أهل (سيؤن) و(تريم) وغيرها من النواحي ، وحضرها جملة من الآباء والإخوان ، وفي مقدمتهم : سيدي الوالد عبد القادر بن حسين ، وكثير ممن يطول عددهم .

وبُدئت الروحة بنشائد أنشدها العم جيلاني سري[1] ، والمحب سالم بن ندري حسان . وقرأ أحد الحاضرين في كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي .

بعد ذلك تكلم سيدي ، وقال :

[الكلام والنصح لا يؤثر علىٰ السامعين] إلا ما يصدر من قلوب طاهرة نقية . والعلماء يقولون ـ عليهم الرحمة ـ إن الله سبحانه وتعالىٰ كما اختص أقوامْ . . اختص بعض البلاد ، واختص بعض الأوقات واختص بعض الساعات ، واختص الزمان واختص المكان خصوصيات للمولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا يُسأل عنها . وهي تظهر جلية : فقد اختَصَّ هٰذا البيت ،

---

(١) الحبيب عبد القادر (جيلاني) بن حامد بن محمد بن سالم السري (١٣٣٠ـ١٤١٥ هـ) .

Scanned with CamScanner

وهـٰذا البلد الحرام ، واختص (المدينة المنورة) واختص قبل ذا وذاك محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، واختص سائر الأنبياء ، واختص المرسلين ، واختص الأولياء ، واختص العلماء ، واختص العارفين .

وكان الصوفية يقولون : فرق بين العالم والعارف ؛ ذلك أن العالم هو الذي يعلم الشيء حقيقة ويسمع عنه . والعارف هو الذي يقف علىٰ حقيقة الشيء .

كان الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ يمثل بـ(مكة المكرمة) فيقول : كثير من الناس ما وصلوا إلىٰ هـٰذا البلد الأمين ، ولـٰكنهم حقيق يعرفون أن لله بلداً اسمه (مكة) فهـٰؤلاء علماء بـ(مكة) .

والفريق الثاني : هم العارفون ، وهم الذين وصلوا إلىٰ (مكة) ورأوا الحرم وعرفوا (مكة) معرفة حقيقية ، هـٰؤلاء هم العارفون .

وهـٰذا الفرق يتجلّىٰ ، ما أراد به الإمام الغزالي البقاع فقط ؛ لأن للبقاع حكماً آخر ، ولـٰكنه أراد به الناس .

فالفرق هـٰذا يتجلّى فيه فيما بين العالم وفيما بين غير العالم ، وفيما بين العارف .

فالعارف هـٰذا هو الذي يقولون فيه : العارف بالله ، وهو أرفع رتبة ؛ لأن الإنسان إذا عرف ربه .. عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه .. نظر إلىٰ كون نفسه وما في نفسه من ضغائن ، ونظر إلىٰ

ربه وصفاته الكريمة والعظيمة والعطايا التي يفيضها علىٰ الخلق ، ثم نظر إلىٰ الفرق فيما بين الخالق والمخلوق ، فأعطىٰ كل شيء حقه .

والمقصود من هٰذا الكلام هو : أن هٰؤلاء الذين سمعتم كلامهم كما قال الشيخ العارف صاحب « الحِكَم » ابن عطاء ، يقول :

كل كلام يخرج وعليه كسوة من القلب الذي برز منه .

والقلوب تتفاوت : فقلب مشغول بالفكر بالدنيا ، هٰذا ميت .

وقلب مشغول بالله وفي خلق الله ، وفي العبادة وفي الطاعة ، فذاك قلب حي .

هل يستوي هٰذا وهٰذا ؟ لا . ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يتأتىٰ .

فالقلوب التي كان نظرها في عالم الملكوت وفي العبادة ، حيث الأوامر التي جاء بهاالأمين ، وهو نبيكم الذي ما ينطق عن الهوىٰ . . داموا عبيداً خُلَّصْ في جميع الأشياء ، وكان شأنهم شأنْ ، وكان أمرهم أمرْ ، وكان لهم جميع الأحوال ويعطيهم المولىٰ فيها التصرف بما أراد كيف أراد ، ومصداق ذلك : الحديث القدسي الذي أورده الإمام البخاري في قوله عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يحكيه عن ربه :

Scanned with CamScanner

« ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل بعد أداء الفرائض حتىٰ أُحِبَّهُ ، فإذا أحببته . . كنت سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ولسانَه الذي ينطق به . . » إلىٰ آخر الحديث . يقول في آخر الحديث : « وإن سألني . . أعطيته ، وإن استعاذ بي . . أعذته » .

أعطانا صورة علىٰ أن كل ما يصدر عن العارف يقابله المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بالإجابة . ولا يصدر عن العارف إلا ما كان عن علم الحقيقة ومعرفة الحقيقة ؛ لأن العارف دائماً بعيد عن الأهواء النفسية ، وإذا أتته شيء من مثل هـٰذه الأشياء . . أسرعت إليه القدرة الإلـٰهية بالحفظ ؛ لأن الأولياء لهم الرعاية ، ولهم الحفظ ، كما أن الرسل لهم العصمة من الله سبحانه وتعالىٰ .

والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ إذا نظرنا ـ كما ذكرنا ـ في الاختصاصات والخصائص التي جعلها في الأيام ، وجعلها في الليالي ، وجعلها في الرجال ، وجعلها في الأرض ، وجعلها في الأماكن . . نظرنا إلىٰ أن نحن عندنا نصيب وافر ؛ ذلك أَنْ جَعَلَنا من أمة محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم . فتلك خصوصية ، كانت قبلنا أمم سابقة ، يمكن أن يُقَدَّر للواحد منا في الأزل أن تلد به أُمُّه في الأمم السابقة حتىٰ يكون من أتباع موسىٰ ، وعيسىٰ ، وهود ، وصالح ومَن قبلهم ، لـٰكن أراد الله وشاءت القدرة أن نكون من أتباع هـٰذا الرسول ، هـٰذه خصوصية عظيمة .

ثم كان من شأن الخصوصية العظيمة : أن السابقين الذين أثنىٰ

Scanned with CamScanner

عليهم القرآن بالأصطفاء بقوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . كان لهٰذه الأمة نصيبين ، فأهل السَّبْقِ في سبق ، ولٰكن النصيبين الآخرين : جعل الله سبحانه وتعالىٰ بعد الأولياء : جعل لنا هٰذه الليالي وهٰذه الأيام ، جعل لنا رمضان ، وجعل لنا فيه ليلة القدر ، جعل لنا ليلة النصف من شعبان ، جعل لنا هٰذه العشر التي يقسم المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعظيم قسمه في كتابه الكريم ـ [بقوله] : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ أقسم المولىٰ بها لأن لها شأنْ غير شأنْ الليالي الأخرىٰ ، وأمر غير الأمر في الليالي الأخرىٰ ، فأقسَمَ بها لنعرف أنها ذات شأن .

ثم كان الشأن ـ قال العلماء ـ في الأصل في البقاع وفي الليالي وفي الأيام ، ليس شأن الخصوصية لنفسها ، لٰكن الخصوصية لهٰذه الأمة المحمدية : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات » .

هٰذا هو الشأن ، ليس الشأن في الليلة لتسعد الليلة ، وليسَ الشأن في المكان ليسعد المكان فقط ، وليس الشأن في الوقت ليسعد الوقت فقط ، بل لأن الله سبحانه وتعالىٰ خص هٰذه الأمة ، وأراد أن تكون لها سابقة فوق الأمم السابقات ، وأراد أن يكون المقصِّر منها يلحق بالمطيع فجعل له هٰذه الليالي العشر ، وجعل له يوم عرفة ، وجعل له أيام مِنىٰ ، وجعل له هٰذا البيت العتيق ، وجعل له هٰذا الحرم الذي قال فيه : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ .

ليس المثابة بأن يثوب الناس إليه فقط ، ولٰكن لا يثوب إليه

Scanned with CamScanner

واحد إلا وقد دعي ، وأنه سمع الأذان الذي يقول المولىٰ فيه عن إبراهيم نائباً عن نبيكم صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

أَذَّن إبراهيم حيث لا مُسَمِّع ، وحيث لا شيء من هٰذه الأشياء التي تدفع الصوت وتوصله إلىٰ الأماكن البعيدة ، ولٰكن القدرة جاءت لنا في عالم الغيب قبل تكوين الجسم ، وقالت لنا : اسمعوا بآذان لم يكن لها جسم بعد ، ولٰكن كانت في عالم القدرة وفي عالم الملكوت ذات سمع ، فسمعت وجاءت . وإذا سمعت وجاءت ـ سمعت ماذا ؟ سمعت إبراهيم يؤذن في الناس ـ فجاءت بأذان إبراهيم عن الله مدعوةً لضيافة كبيرة بالساحة الكبرىٰ التي لا ساحة أكبر منها ، لا في الأرض ولا في السماء ، تلك هي ساحة البيت العتيق والمكان المعظم الذي سمعتوا الكلام عنه فيما ذكره لكم حبيبنا علي الحبشي رحمه الله عن هٰذا البيت ، وعن هٰذه الأيام ، وعن هٰذا البلد الطاهر ، وعن بلد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ساحة كبرىٰ عظيمة ، صغيرة في الظاهر ولٰكنها في الباطن حيث جعلها المولىٰ ساحة له وجعل البيت بيتاً له هي أكبر ساحات العوالم العلوية والسفلية ، لا شك في ذلك . فإذا جاء إليها الإنسان واستشعر أنه جاء مدعوّاً من الله علىٰ لسان إبراهيم ورسوله محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام . . ماذا ينتظر من هٰذه الدعوة ؟

Scanned with CamScanner

أينتظر منها أن يأكل لقمة ثم يقوم ، أو ينتظر منها أن يطوف بالبيت ثم يرجع ، أو ينتظر منها أن يسعىٰ مع الزحام أو يقف بعرفات ثم يخرج ؟ لا ، ذا ليس المقصود فقط .

المقصود : أن كل واحد جاء بدعوة كبيرة من عند الله سبحانه وتعالىٰ ، تلك الدعوة فيها إصلاحات كثيرة ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ جعل فيها منافع عظيمة . المنافع لا تُقيَّد ولا تحصر ، جمعها المولى سبحانه وتعالىٰ باسم المنافع لا باسم المنفعة ؛ ليعرف الإنسان أن نصيبه منها ربما يكون إصلاح قلبه ، إصلاح ولده ، إصلاح جسمه ، إصلاح دينه ، إصلاح دنياه ، إصلاح أهله ، إصلاح عياله ، إصلاح بلده ، إصلاح حاله ؟ ربما يجعله نائباً عن نبيه محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم في هٰذه المنفعة العظمىٰ ، فيقوم في هٰذا السعي وفي هٰذا الطواف في تلك اللحظة فيعطىٰ وظيفة كبيرة هو لا يدري عنها . جاء ليدعو : يا رب اغفر ذنبي ، فإذا ربه معه له هدية أكبر من غفر الذنب . يا رب أعطني كذا وكذا ، فإذا ربه معه له شيء أكبر من هٰذا .

والرحمة الإلٰهية واسعة ، إذا كان المولىٰ يقول في هٰذا الكتاب : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ فإن الإنسان وطلبه الصغير ، ولو كان الطلب حتىٰ أن يؤتىٰ ـ مثلاً ـ الخلافة الكاملة عن الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم.. هي صغيرة في جنب الرحمة الكبيرة ، يعطيه المولىٰ ويعطيه ما هو أكبر منها . فلا يستحقر الإنسان نفسه في تلك اللحظة ؛ لأنه جاء مدعواً لضيافة .

Scanned with CamScanner

لو كان إنسان ـ مثلاً ـ دعي إلىٰ ضيافة أمير أو ضيافة ملك ، أو ضيافة رئيس أو ضيافة أحد من أهل المظاهر الظاهرة . . لجاء وعليه ثياب عليها من النظافة وعليها من الحشمة ، جاء وعلىٰ وجهه سِمة من النظافة ومن هٰذه الأشياء ، ويصلِّح نفسه ، ويصلِّح رداءه ليظهر .

وإذا كان عاده إلا ممن يطلق لسانه في مثل هٰذه الأشياء ، إذا لقي أحدْ . . قال له : أنا اليوم مدعو عند الأمير . أنا اليوم مدعو عند الملك .

فهٰذه دعوة أكبر ، هٰذه دعوة أشمل ، هٰذه دعوة أعم ، هٰذه دعوة أعلىٰ ، هٰذه دعوة أغلىٰ . يدرك بها الإنسان أشياء واسعة ، يدرك بها الإنسان سعادة كبيرة ، ينال من هٰذه الخصوصيات .

إن الإنسان إذا وصل إلىٰ هٰذا المستوىٰ وإلىٰ هٰذا المحل . . فإن ربه سبحانه وتعالىٰ قد خصه بخصوصية فليحافظ علىٰ تلك الخصوصية . ثم يطلب ما هو الأهم في تلك البقاع وفي تلك اللحظات ؛ فإن الدعوات مقبولة لا شك ؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « من وقف بعرفات فظن أن لن يغفر له . . فقد أبعد من رحمة الله » هٰذا كلام نبيكم وهو الصادق المصدوق . فالمغفرة محققة ، وهي ضمان مؤكد . بعد المغفرة أيسوغ للإنسان ـ وقد وصل إلىٰ دعوة كبيرة ـ أن لا يرعىٰ حقها ؟ أن يهملها ، أن يضيعها ، أن يتركها سدىٰ هٰكذا ؟ لا ، كيف

يكون! إذا وجد له فرصة للتجارة.. ما يتركها الإنسان ، يروح وراء الفرصة ، ويسعىٰ إليها بقدم وراء قدم ، وحال وراء حال ، وفكر وراء فكر حتىٰ يقتنصها . [والآن!] وُجدت الفرصة وحصلت الفرصة ، وتلك الفرصة ليست فرصة ، ولٰكنها اصطفاء جاءكم من عند الله ؛ فبحضوركم إلىٰ هٰذا البلد الطاهر ، وإلىٰ هٰذه البقاع ـ المنورة ، وإلىٰ هٰذه الرحاب الطاهرة ، ثم ما وراء هٰذا! أكبر ، فيها أشياء يخبرنا المولىٰ عنها ، ذكرنا لكم قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ وقلنا : ليس معناه أن الناس يثوبون إليه فقط .

ثم يقول لنا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ليه ذا الأمر ؟ هٰذا أمر منه ، يقول لنا : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ﴾ ليغفر لنا ، لا شك .

فإذا صلىٰ الإنسان في مقام إبراهيم وحول ذلك المقام ، بعد الملاحظة للأمر.. اعتقد جازماً أن الأمر ما أُمر به إلا لأمر عظيم أعطاه الله إياه . فإن كانت الزجاجة صافية.. فلا شك أنه سيدرك ذلك ويرىٰ التنزل ، ويرىٰ الفيضان ، ويرىٰ التعرف الإلٰهي ، ويرىٰ الخيرات ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ما طلب من عبيده أن يجتمعوا حول بيته ، وفي (عرفات) وفي (منىٰ) إلا ليتعرف هو إليهم ، لا ليتعرفوا إليه . كيف يتعرف العبد إلىٰ ربه ، بماذا يتعرف ؟ ليس للعبد تعرُّف وإن صلىٰ وصام ، وإن أحسن وإن أجاد ، وإن قبلت منه . لا يقال لها : تعرُّف .

التعرف هو : الذي يأتي من فوق ، هو الذي يحصل من العالم الأعلىٰ ، هو الذي يأتي من طالع ، من عالم فوقاني .

يتعرف المولىٰ سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عباده في (عرفات) فينزل سبحانه وتعالىٰ ، ومعنى ذلك : أن كبرياءه ، وعلياءه سبحانه وتعالىٰ تأبَىٰ أن تترك الناس بدون رحمة ، أن تترك الناس بدون عطاء ، أن تترك الناس بدون استجداء ؛ ذلك لأن الإنسان لو وقف علىٰ باب كريم ، عرفه أو لم يعرفه ، قدَّره أو لم يقدِّره . . لا شك أنه سيكرمه علىٰ حسب همته . والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ لا شك أنه يعطي علىٰ قَدْره ، لا علىٰ قدر الضعيف الآدمي هٰذا ، ولا علىٰ قدر الطلب حقنا ؛ لأن عطاه لا يقدَّر ولا يكيَّف ، ولا يأتي تحت حسبان ، وعطاه لا [يكون محصوراً] في مال أو عيال .

ولٰكن عطاه أولاً : معرفة الإنسان حقيقة الإسلام ، وحقيقة الدعوة المحمدية ، وحقيقة التوحيد الكامل ، وحقيقة ما وراء ذلك من مقامات الإيمان ، ودائرة الإحسان . إذا وصل الإنسان إلىٰ هٰذه . . فاضت عليه أولاً بعد أن خضع في تلك اللحظة ، وخضوعه علىٰ قَدْر حضوره .

فإذا رفع العبد يده إلىٰ ربه ، أو قال : يا رب ، أو قال : اللهم . . معناه : أنه عرف أنه عبد ، وأن له معبود . أدرك هو ذلك أو لم يدرك ذلك ، وإذا أدرك ذلك وعرف . . عرف كذلك أن

Scanned with CamScanner

العبد الذليل لا يرحمه إلا المولىٰ الكريم ، فيرسل عليه من شآبيب الرحمة في المكان الذي طلبه .

وأين المكان الذي طلبه ؟ طَلَبَنا أن نقف جميعاً في (عرفات) وفي (منى) وحول بيته الحرام . كل طلب ـ قالوا ـ يأتي من المولىٰ لا يأتي إلا مصدَّقاً بالقبول ؛ يعني : عليه طابع القبول .

قالوا : هل لذلك من مثال ؟

قالوا : له أمثلة ، لا مثال واحد : فإن الله سبحانه وتعالىٰ لما أخبرنا أن زكريا طمع في الولد ، وطلب من ربه أن يهبه ولدُ بعد أن أيست زوجه وأيس هو ، فقال له ربه سبحانه وتعالىٰ : تعال اجلس لي في المحراب ، واطلبنا في الصلاة تجدني هناك .

فلما أمره بذلك . . أقبل عليه . حكىٰ لنا المولىٰ وقال : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ . . الآية .

أخبرنا القرآن أنه طلب منه أن يدعوه وهو في صلاته والصلاة هي أعظم عمل من أعمال البر ؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم سئل عنها : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد ، ثم حج مبرور » . وفي رواية تقديم الحج علىٰ الجهاد .

Scanned with CamScanner

روايتين متفقتين في المعنى مختلفتين في اللفظ ، وكلاهما فيهما دلالة على أن الصلاة أعظم مشروع وأعظم مقصود ، وأعظم طلب يطلبه الإنسان ويحضر فيه مع ربه . الحمد لله على هٰذه الخصوصية .

خصنا المولىٰ كما ذكرنا لكم بخصوصيات ، إذا خص الأماكن . . فقد خصنا ، وإذا خص الأولياء . . فقد خصنا ، وإذا خص البقاع . . فقد خصنا .

ثم إن خصوصياته هٰذه أخبرنا كذلك كما ذكرنا ونذكر في المجالس أخبَرَنا عن الخصوصيات أن لها لساناً تنطق وأن لها شأنْ ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم في حديثه : « كنت أمرُّ على حجر كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث »[1] . أو كما قال .

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم وأحمد والترمذي، وعلىٰ لسان هٰذا الحجر قال بعضهم:

أنـا الحجـر المسلِّـم كـل حيـن ... علـى خيـر الـورىٰ فلـيَ البشـارهْ
وتلـك مـزيـة مـن فضـل ربـي ... خُصِصْـت بهـا وإنَّ مـن الحجـارهْ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ .

وقد نظم طه بن حسن السقاف أبيات في الموضوع منها :

فـي مـديـح النبـي تضيـق العبـاره ... فهنيئـاً لمـادحيـة البشـارهْ
أكـرم المـرسليـن خيـر شفيـع ... سَبَّحت في يديه صم الحجارهْ
حجـر فـي رحـاب مكـة حَيَّـا ... سيد الرسل يا لتلك الحجارهْ
كـم مزايـا خصـت بها بعـض أحجا ... رِ وفي الذكر ﴿إنَّ من الحجارهْ﴾

فقوله : « يسلم علي قبل أن أبعث » . فيه دلالة علىٰ النطق ، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق المصدوق . وسمع أصحابه ضجة الجذع الذي حن وبكىٰ وهو يابس ، فأنطقه الله كرامة لهـٰذا الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما كانت تقوم عليه القدمان الشريفتان . سمع [صوته] أهل (المدينة) وفي الرواية الثانية سمعه أهل المسجد ، وفي الرواية الثالثة سمعه أهل الحَرَّة حتىٰ خرج صلىٰ الله عليه وآله وسلم وضمه ، [وخيره بين أن يغرسه ويعود نخلة تثمر ، أو] أن يكون معه في الجنة [فاختار الجنة] دلالة علىٰ أن له حال ، ودلالة علىٰ أن له حُكم .

وكان يقول عن جبل أحد : « هـٰذا جبل يحبنا ونحبه » .

وثبت في الأحاديث في غزال شكا إليه ، وفي بعير شكا إليه ، وفي الذراع الذي أخبره أنه مسموم ، فلا عجب ولا غرابة .

فاحمدوا الله علىٰ هـٰذه الخصوصية وأعطوها حقها ، فإنكم في الليلة الرابعة من هـٰذه الليالي العشر وفي ختامها الليلتين المباركتين : [ليلة عرفة وليلة عيد الأضحىٰ . وتليها] ليالي (منىٰ) التي يقول العلماء عنها بالإجماع : إن ليالي (منىٰ) أسعد ليالي بالنسبة للأمة الإسلامية وأعظمها . وفي (منى) مسجد الخَيف الذي تتراوح فيه الملائكة ، قالوا : بل أرواح الرسل . ولا يُستغرَب ذلك ؛ فإن نبيكم محمداً صلىٰ الله عليه وآله وسلم رآهم في الملأ الأعلىٰ ، ورآهم في المسجد الأقصىٰ ، ورآهم في السمـٰوات العلىٰ ، فلا غرابة . إنما إذا حَجَب الإنسان

Scanned with CamScanner

نفسه بقليل من العلم ، وأخذ يتعنت في العلم ويعاند العلماء ، يشدد علىٰ نفسه ويضيق عليها الخناق . . ضاعت عليه البغية ضاع عليه المقصود ، ولم يدرك من ذلك شيئاً بتاتاً ، وإلا لو كان وَسِعَه شيء مما وَسِع مَن قبله ، ومما ذكره لنا القرآن ومما حكته لنا السنة المطهرة . . لَمَا كان في وُسْعه إلا أن يخمد تحت القدرة ، وتحت ما يأتي من أولي العلم الباطن ومن أولي العلم الظاهر ، فإن الإنسان كما قالوا من طبيعته البشرية أولاً أنها تسرع إلىٰ الإنكار .

لو قيل لنا كما ذكرنا في مجلس عند عمي حسن إن واحد من الأولياء يطير . . بايقول كثير لا يُعقل! حكىٰ الله لنا عن قصة بلقيس وأخبار بلقيس ، يخلِّي عقله خلفه ، ما بايحصِّل شيءْ ؛ ما دام واحد من أصحاب [نبي الله] سليمان فإن أصحاب محمد أعظم حالاً وأعظم مكانةً . ومثله قصة أصحاب الكهف وأخبارهم : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ .

وكم في غريب علم الله سبحانه وتعالىٰ ما يأخذه أهل الأفهام الناصعة ، وأهل العقول السليمة ، وأهل القلوب الطيبة التي تستجلي العلم فتأخذه وتضعه في مجاج قلبها ، فتمصه فيتشرب إلىٰ قلبه حتىٰ تأخذه مثلما يأخذ الإنسان اللبن فيشربه سهل ، فينطق بالحكمة ، وتلك هي ما يقوله لنا المولىٰ : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ .

Scanned with CamScanner

ولا أطيل عليكم في المجلس وفيه إخواني البررة الكرام وشيوخنا وساداتنا .

نرجو الله أن ينفعنا وإياكم بهٰذه الأيام ، وبهٰذه الليالي ، المباركة ، وبهٰذه الساعة الطيبة ، وبما سمعتوه من كلام العلماء ، وبما ستسمعونه من كلام إخواننا الكرام مثل أخينا وحبيبنا أحمد مشهور وبقية الإخوان الذين هم في الصف ، وهم كلهم - ما شاء الله - أفضل وأولىٰ وأكرم وأعلم مني في الكلام ، ولٰكنني استقدرت وتعجلت .

[ثم طلب سيدي من حبيبنا أحمد المشهور الكلام ، وتكلم بكلمة مختصرة أثنىٰ فيها علىٰ كلام سيدي ، وأنها لا تحتاج إلىٰ زيادة ، وإنما المطلوب منا العمل بما سمعنا ، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، آمين] .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي حفظه الله بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة التي تعقد بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه السقاف بـ(جدة) وذلك بتاريخ السابع عشر من شهر ذي الحجة ، من عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٩٨/١٢/١٧هـ) .

وكانت روحة عظيمة ، وهي أول روحة تعقد بعد الحجّ مباشرة . وحضرها كثير ممن أدوا مناسك الحج من أهالي سيؤن و(تريم) وغيرهما من الضواحي .

وفي تلك الليلة أقيم ختم على المرحوم طٰه بن عبد الله بن أحمد السقاف المتوفى بـ(إندونيسيا) قبل أيام .

بعد الختم تكلم سيدي بهٰذه الكلمة القيمة ـ نسأل الله أن ينفعنا بها وينفع كل قارىء وسامع لها ، آمين .

وقال :

هٰذه المجالس هي الدعوة الصحيحة المثمرة التي تتحرك بها القلوب ؛ ذلك لأن الإنسان أولاً ينظر [فيها] إلىٰ وجه مفلح . . فيتأثر بالنظر إليه ، ثم يسمع شيئاً من كلام الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . فيتأثر ، أو بشيء من آيات الذكر الحكيم ، أو يسمع شيئاً من كلام الحكماء الدالين علىٰ الله ، والذين علىٰ كلامهم شيءٌ من النور الذي يمرق إلىٰ القلوب ؛ لأن كل كلام ـ كما قال صاحب الحِكَم ـ : يبرز وعليه كسوة من القلب الذي منه برز .

فمعناه : أن كلام أهل الظُّلمة وأهل الجفاف ، وأهل الغفلة وأهل اللهو عليه كسوة من الجفاف لا تقبله القلوب ، وكلام هٰؤلاء عليه كسوة من الرحمة قبل النور أولاً .

والرحمة هي أنشودة البشر ، ينشدها البشر دائماً ؛ لأنه محتاج لها لجسمه ، ولمعاشه ولمعاده ، ولقلبه ، الطريق عليها دائماً . فكلام هٰؤلاء له تأثير خاص ، وله تأثير علىٰ القلوب ، وله خاصية في جلب القلب وفي اصطياده .

هٰذا بالنسبة لنفس المجلس ، وبالنسبة لأمر آخر وهو : التعارف المنشود الذي أشاد الله به سبحانه وتعالىٰ وجعله أنشودة المسلم حيث ما يكون في قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ثم إن أكثركم تجمعكم رابطة نسب واحد ، ورابطة بلد واحد ، ورابطة مذهب واحد ، ورابطة أخوَّة واحدة . وكل واحد لا يزال يسأل عن أخيه حيثما كان ، يسأل عنه في غربته ، ويسأل عنه في بلده ، ويسأل عنه في مرضه ، ويسأل عنه في عاداته ، ويسأل عنه في دروسه . وقد جمع الله لكم الكثير في مثل هٰذا المجلس .

ثم هٰذه المجالس كما ذكرت لكم أنشودة أهلكم وسلفكم ، ثم هي رغبة الإسلام . النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . كان إذا دعا وجمع الناس علىٰ الدين . . علمهم لا إلٰه إلا الله ، وأول أمر يأمرهم بالصلاة ، والصلاة يأمرهم بها في المساجد حيث يجتمعون فيها . والاجتماع هٰذا لا تخفىٰ علىٰ الإنسان وعلىٰ

Scanned with CamScanner

الناس فوائده ، فالغريب إذا دخل إلىٰ بلد فوجد الناس مجتمعين فيها [أي في المساجد] . . عرف منهم العالِم ، وعرف منهم الكريم ، وعرف منهم الغني ، وعرف منهم الكبير ، وعرف منهم النسيب ، وعرف منهم ذا الرحمة فأخذ في التَّعرف وهم في مجمع واحد . ولو كان لا يجتمعون . . [هل] بايسأل عنهم وبايروح إلىٰ ديارهم ؟ ما تسمح [نفس] الإنسان أن يقرع علىٰ الناس باب ديارهم إذا لم يكن عند [أحدهم] فائدة علم أوفائدة كرم ، أو نسبة من النِّسب الطيبة . ما يستفيد الإنسان ولا تسمح له نفسه [بالذهاب إلىٰ بيوتهم من غير أن يعرفهم] ، ولو كانوا يجتمعون في مسجد . . يجمعهم المسجد ولا يتخلف عنهم أحد [لتعارفوا] .

وكان الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم في حرصه علىٰ اجتماعهم إذا رأىٰ واحدٌ تأخر عن صلاتين كما قال الإمام الغزالي ، وكما قال العامري صاحب « البهجة » ـ سأل عنه ، الصلاة الأولىٰ يتركه ، وفي الصلاة الثانية ـ يقول فلان ما باله ؟ أمريض هو ؟ عودوه ، أو سافر هو ؟ اسألوا عنه ، أو به شيء اسألوا عنه .

وكان شأن الإنسان إذا غاب عن هٰذه الاجتماعات . . يُفتَقَد ويُعرَف . [هٰذه فوائد الاجتماع] بالنسبة لإقامة الظاهر .

وبالنسبة لإقامة الباطن . [عندنا] الشيخ علي بن أبي بكر السكران[1] ، [ذكر] في كتابه « الحدائق » وعَدَّد للاجتماع سبعين

---

(1) المولود بتريم ٨١٨ والمتوفى بها ٨٩٥ .

فائدة يرويها عن الحكيم الترمذي، وقال : واحدة من تلك تكفي.

والواحدة التي أشار إليها ، قال : مثال الجماعة والبركة التي تحصُل فيها والخير الذي ينزل عليها - قال مثال الغزوة التي حصلت للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ونقصت فيها مزاود أصحابه ، فقال لهم : « اجمعوا ما معكم » . فجمعوا من سويق وتمر ودقيق وغير ذلك ، ووضعوه كله أمام الحبيب . رُكمة واحدة ، فبَرَّكَ عليه صلىٰ الله عليه وآله وسلم بيده الشريفة ، ثم قال لهم : « املؤوا مزاودكم » فملؤوا مزاودهم . قال : - وكأن الرُّكمة لم تنقص ولم تُمَس .

قال الشيخ علي بن أبي بكر - يرويها عن الحكيم الترمذي - قال : إن الصلاة حق الجماعة يكون فيه مثل هٰذه البركة . ذَلاً نوع منها ، فكيف إذا كانت في مسجد مأثور ؟ فكيف إذا كانت الصلاة مع رجال من أهل الفضل والصلاح ؟ فكيف إذا كانت الصلاة لها شأن من الشؤون ؛ مثل [البقاع] المعظمة هٰذه ، والمساجد المقدسة أو ما شاكل ذلك ؟

ويؤثرون عن الشيخ السبكي - رحمه الله - أنه ما تيسرت له زيارة الإمام النووي وهو معاصر له ، إلا أن النووي أكبر منه سناً قليل - قالوا : إنه جاء عاني إلىٰ (نوىٰ) وخرج منها إلىٰ (دمشق) وكان يتكبد مع جماعة كثيرين ، وسأل عن مكان الإمام النووي [بعد أن توفي] ، فجاء إلى الغرفة - المكان الذي يجلس فيه الإمام النووي في مسجده وفي زاويته وفي رباطه . . وقالوا له:

Scanned with CamScanner

هٰذا المكان . ولا يزال المكان [معروف] وزرناه والحمد لله .

جاء ووجد المكان حق الإمام النووي ، فكان من شأنه أن تجرد عن ثيابه ، ولما تجرد عن ثيابه وخلفه الجمع ينظرون إليه ، وقال ولد ابن الشيخ السبكي عندما ترجم له ـ قال : لا يقلون عن أربع مئة جاؤوا ورأوه ، وعدد جاؤوا من (الشام) من أتباع الإمام النووي ممن كان يسمع بالسبكي بأنه جاء زائراً لمكان الإمام النووي ـ قال : لما تجرد عن ثيابه . . أخذ يتمرغ ، ثم أخذ يقبل بأنفه وبِحُرِّ وجهه ـ يعني جبهته ـ البقعة التي كان يجلس عليها الشيخ النووي ، وأنشد :

وفي دار الحديث لطيف معنى ... إلىٰ بُسُطٍ لها أصبو وآوي
لعلي أن أمس بحُرِّ وجهي ... مكاناً مسه قدم النواوي

وأنتم وجدتم [مآثر] كل واحد يعرفها من دياره ، ومن بلاده ، ومن أماكنه . ومن مآثر شيوخه أماكن مَسُّوها ، مقبول أن تكون تلك الأماكن معهم في الجنة مثل الجذع الذي قال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أنت معي في الجنة . . أماكن مشرفة ، شُرِّفت بعباده ، شرفت بطاعة ، شرفت بأدب ، شرفت بمراقبة ، شرفت بما لم يُشَرَّف به غيرها من سائر البلدان .

كان عمكم محمد بن هادي السقاف رحمه الله لما سار إلىٰ (القدس) يزور تلك الأماكن ، قال : جلس في مجلس علماء كبار قال : وأول شيء قدموه له صحن التنباك . . هٰذا ما يوجد في (حضرموت)! بلاد مقدسة !! ولا يوجد في البلاد التي تنسب

Scanned with CamScanner

إلىٰ (حضرموت) مثل أندونيسيا وما شاكلها ، يرونه من العيب ، يرونه من خَرْم المروءة ، يرونه من ارتكاب المنهي ، يرونه من الأشياء المستقذرة . كانت التربية فيها بلغت القمة ، بلغت إلىٰ أوج رافع ، [مع أنها] ما وصلتها شيء من الحضارات التي ظهرت في هٰذا الزمان . والتربية لي كانت بـ(حضرموت) كانت في مستوىٰ أرفع وأرفع ، والرجال الذين كانوا بـ(حضرموت) كانوا في مستوىٰ أرفع وأرفع .

ومن العلم حق عمكم محمد لما قدَّموه له ، والعقل الكبير مع العلم ، قال : باقول لهم : حرام ، باجيب لهم كلام سيدنا الشيخ أبي بكر والحسين والإمام الحداد في حرمة التنباك ، ما بايصغون إلي .

قال لهم عمكم محمد إن نحن ما اعتدناه وجاب لهم حديث الضب الذي يقول فيه : « إنه ليس بأرض قومي ، وأَرَىٰ نفسي تعافه» فسكتوا مطمئنين إلىٰ الكلام الذي هو في غاية السداد والحكمة، معاد احتاج إلىٰ مراجعة ، ولا إلىٰ فين النص ، وفي أي كتاب ؟

هٰذا كله من المراقبة والآداب التي كانت عليها بلادكم . وكان الواحد الذي يطلع من تلك البلاد إلىٰ أي مكان ، ولو إلىٰ الحرمين الشريفين ، علىٰ شرفها وقداستها . . يكون هو الزهرة الظاهرة في البلد كلها ، يؤتىٰ إليه من كل مكان ، ويشَرَّف به المكان . وكما ما تسمعون عن الإمام حامد بن عمر ، قالوا : إن كل إمام صلىٰ في مسجد باعلوي . . زان بالمسجد ، إلا حامد بن

عمر ؛ فإنه زاد المسجدَ زيناً إلىٰ زينه .

كل واحد يطلع منهم هاذيلا يكون له شأن كبير ، ويكون له رونق كبير . وقد ذكرت لكم في غير ما مرة أن الإمام الحداد عليه الرحمة لما سافر إلىٰ الحرمين الشريفين ، وهو عاده إلا في مقتبل الكهولة ، وانتشر خبر عزمه . . كتب له كثير ممن يسمع عنه ؛ ليكون له شرف النزول في بيته ؛ لأن العالم إذا نزل في بيت ، وإذا كان عاده من أهل البيت وممن كان علىٰ قدم الاتباع للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم . . يكون نزوله مثل نزول المطر من السماء إلىٰ الأرض كل واحد يتمناه ، ولا يزال العِلم رافعْ ، وأهله مرفوعين أيضاً .

قال كثير من أصحابه وممن يسمع به ، تمنىٰ أن ينزل عندهم الإمام الحداد ، فقال الإمام الحداد : لا ، نحن ضيوف ربنا ، من أخذ بيدنا في المطاف . . نحن بانتزل في بيته . كان الشرف للشيخ حسين بافضل .

وقال صاحب « المَشْرَع » : كثير [كانوا] يترقبون وصول الإمام الحداد ، ودخوله إلىٰ حرم الله ؛ ليتعرّفوا عليه ، ويتمنىٰ كل واحد أن يكون نزوله عنده ، كان الشرف للشيخ حسين بافضل .

حكىٰ صاحب « المشرع » الحكاية برمتها ، وصاحب « المشرع » أسَنْ من الإمام الحداد ، وكان لا يعرفه بالإتفاق ، ولٰكنه يسمع عنه .

وصاحب المشرع كما ذكرنا لكم في سن كبير وفضل كبير ،

Scanned with CamScanner

ولٰكنه لما شاف الإمام الحداد ورأىٰ العلم الكبير . . اعترف له [بالفضل] ، واستجاز منه ، وأخذ عنه ولزمه . حكىٰ هٰذا في نفس « المشرع » .

قال إن السابقة كانت للشيخ حسين بافضل . دخل إلىٰ المطاف فوجد الإمام الحداد يطوف ويقوده [خادمه] عبدون قُطنة ، فسلم عليه وأخذ يده يقبلها .

قال له : من ؟

قال : خادمك حسين بافضل ، ونزولكم عندي .

قال له : عندك . ونزل عنده . حكىٰ صاحب « المشرع » في مشرعه وصف الإمام الحداد ، وذكره أنه : كفيف البصر ، وأن عليه صبغة من النور حق العبادة ، وحق الحفظ من الغفلة وما شاكلها .

قال : ما رأيت أحد وصل إلىٰ هٰذه البلاد . واغتبطت به أهل (مكة) والعلماء الآفاقيون مثل هٰذا الإمام .

ثم قال : كأنَّ دار الشيخ كعبة ، يترددون إليه كرامة للعلم الكبير وللفضل الكبير ، وللاتباع الكامل للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . وما هو الإمام الحداد الذي شرفته مكة فقط ! شرفت الإمام عمر المحضار أيضاً .

وكان الشيخ عبد الله بن أحمد باوزير يحكي في كتابه « التحفة النورانية » قال : طلع [ـ أي : الشيخ عمر المحضار ـ] وهو شاب لحج بيت الله الحرام في حياة والده الشيخ عبد الرحمٰن

السقاف ، ولما وصل . . كانت النوبة في العلم في ذلك الوقت عند الشيخ طاهر التكريتي ، فكان الناس يقصدونه للزيارة ، فكان من جملة قاصديه الشيخ عمر المحضار ، وكان في تلك الأيام في شبابه قال : استجهره [ـ أي : التكريتي ـ] النور الذي علىٰ وجهه ، فكان يسارقه النظر ، ثم سأل : لمن هٰذا الولد ؟

قالوا له : هٰذا ولد الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد ، الملقب بالسقاف .

قال صاحب « التحفة النورانية » : إنه استدعاه ، وجاء إلىٰ عنده ، قال له : أنته ما اسمك ؟

قال له : اسمي عمر .

ابن من ؟

قال له : ابن عبد الرحمٰن السقاف بن محمد مولىٰ الدويلة .

قال له : والدك الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ؟

قال : نعم .

قال : صاحب « التحفة » : إنه أخذ بيده ، وقال : اشهدوا علَيَّ : إن والد هٰذا الفتىٰ ـ يعني الشاب ـ إذا جلس بين الأولياء . . يكون كالأسد ، ويكونون عنده كالضأن .

استجهره النور الذي علىٰ وجه الشيخ عمر المحضار . والنور الذي علىٰ وجه الشيخ عمر المحضار جاء من أين ؟ النور هٰذا لا يوجد مع الإنسان حينما تلده أمه . . يكون مع الإنسان صبغة

Scanned with CamScanner

منه ، ولـٰكـن نـور الأخـلاق المحمـديـة ، والآداب والمـراقبـة الكاملة ، والاتباع الكامل للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم له أثر . الأثر هـٰذا دائماً يظهر ، وما هو بالشيخ عمر المحضار ، كان قبله : علوي ابن الفقيه ، جاء حج وإستجهر أهل البلد ، ورأوا منه العجائب الغريبة في حجه . وكان يُخبِر أنه لما وقف أمام الشباك . . إنه رأى النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

وكان النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يتنزل من علياء كماله ويقول لعلوي : يا علوي ، وين منزلتي أنا عندكم ؟

هـٰذا النبي يقول لعلوي ابن الفقيه ، إشارة إلىٰ أنه بلغ من رتبة الاتباع أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ألقىٰ عليه شيء من المحبوبية التي جعلت له نصيب من الإدلال ، يجيء النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ويتنزل ويقول له هـٰذا الكلام ، والنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم سيد الأكوان كلها ، والسيد الذي خضعت له الأعاجم والعرب ، لـٰكنه مع هـٰؤلاء يكون شأنه شأن المحب ؛ لأنهم كلهم محبوبين عنده عليه الصلاة والسلام .

وما هو بعلوي ابن الفقيه ، هـٰذا علي بن علوي ، جدكم كلكم : بلغ من كمال اتباعه إلىٰ أنه أجمعوا عليه أنه إذا قال في صلاته : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . يسمع الرد من الحضرة النبوية بقوله : وعليك السلام يا شيخ .

كان الحبيب عبد الله يقول : كانت له ثلاث مراتب :

أولاً : رد السلام .

Scanned with CamScanner

ثانياً : سماعه من اللسان المحمدي . . هٰذا شأن كبير .

ثالثاً : أن النبي وصفه بالمشيخة . ما هي من وصف حد من الشيوخ ، ولا نالها بشهادة من أحد ، ـ كما ذا الحين الذين تعطىٰ لهم الشهادات ـ جاءته الشهادة من سيد الأولين والآخرين صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

كانت لهم مناقب كبيرة ، كانت لهم أخبار كبيرة ، وكان ، كما يقول الإمام الحداد في قصيدته لما أراد أن يعرِّف الناس بالمنزلة النبوية ـ ولٰكنها لعبد الله حداد ليست لغيره ، ونحن كلنا في المرتبة بالنسبة للنسب الطاهر نحن والإمام الحداد سواء ، لٰكن الشأن كل الشأن في النسب الثاني ـ كان يقول :

نعـرف البطحـا وتعـرفنـا

هٰذا كلام كبير ، ما يقدر يقوله كل واحد :

نعــرف البطحــا وتعــرفنــا والصفــا والبيــت يــألفنــا

ولنا المعلىٰ وخَيفُ مِنىٰ ـ ما هو لأحد ثاني ـ فاعلمن هٰذا وكُنْ وَكُنِ

ثم أخذ يتبجح بالنسبة الأخرىٰ ، التي هي فيها أشرف الكمال : ولنا خيرُ الأنام أَبُ .

نحن والحداد سواء ، ولٰكنه هو يمكنه يقول ، أما نحن مادام الواحد بينه وبين النبي مرتبة بعدت به حتىٰ من أن يجتمع به مناماً ؛ لأنه لا يصلي عليه ، ولا يصلي جماعة ، ولا يستاك

ولا هو متأدب بالأخلاق التي كان عليها (ـ أي : كان عليها النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم) ـ أنىٰ له أن يراه في المنام ؟

أنىٰ له أن يجتمع [به] .

أنىٰ له أن يقول شيءٌ من الانتصاب الذي يحلو له أن يتكلم به بالنسبة إذا ما حَصَل له شيءٌ من مثل هـٰذا ؟ ما يتأتىٰ .

فنحن ـ كما ذكرنا لكم ـ هـٰذا الاجتماع يعود علينا بخير كبير ، ويعود علينا ببركة كبرىٰ ، ويعود علينا بنفع كثير .

يعود علينا أولاً : بالتذاكر فيما كان عليه مَن قبلكم من الرجال الذين عَرَف الكثيرُ منكم [من عرف] ، وآخر الرجال وخَتْمهم الذين عرفتموهم : عمكم علوي بن شهاب ، وعمكم محمد بن هادي . كل واحد إذا شاف واحد من هـٰؤلاء . . يعرف ويتحقق أنه من الأَهِلَّة ، والأهلة هذيلا بالمعنىٰ الصوفي ، يقول الله فيهم : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ وأدلة . هذيلا هم الأهلة ، ليه أدلة ؟ لأن الأخرىٰ تقول : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ﴾ هـٰؤلاء هم العلامات ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ هو أبوهم . وفي الآية الثالثة : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ .

كان عمكم علوي يحدثكم عما سيقع ، كثير مَن سمع مِن عمكم علوي يقول : بعدي باتشوفون كذا ، بعدي بايقع كذا . يخبر عمكم علوي كأنما يشاهد عِيانْ . والواقع هـٰكذا ، كل من حفظ البصيرة ولا دنسها بشيء . . كانت نافذة البصر قوية . كان يتكلم ، فكان لكلامه وقعْ ، ولكلامه أثر . ثم هو يشاهد عن قرب

Scanned with CamScanner

لكثير من الأشياء التي تحصل له ، كيف يشاهدها ؟ ذلك لأن الأولياء هذيلا لا يحجب بصائرَهم شيء ، والقرآن نبه عن مثل هٰذه الأشياء ، قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ .

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس[1] هٰذا - صاحب الكشف الجلي - له قضية وقعت مع الحبيب عبد الله بن أبي بكر العطاس - والحبيب أبو بكر[2] هٰذا شيخ المتأخرين ، شيخ الحبيب علي والحبيب أحمد ، شيوخ أهل الوادي كلهم - القضية : أن الحبيب عبد الله بن أبي بكر - شُفُوا الكشف كيف ؟ كان هٰذا في (جاوه) ووقع له أن المنية قربت ، وكان يشاهدها بنور البصيرة أنها تأتيه في الأيام القريبة ، وعيَّن لها يوم بمقتضىٰ كشفه ، فكتب لولده حسين في (حريضة) أَمَر واحدْ من أخدامه يكتب له ويخبره بالوفاة ، وكان الحبيب أحمد بن حسن متزوج على بنت الحبيب أبو بكر أخت الحبيب الذي كتب الرسالة يخبر عن وفاته .

وصلت الورقة لولده حسين وأخذها ، وراح إلىٰ الحبيب أحمد يخبره ، ويقول له : حصَّلنا كتاب فيه إشعار بوفاة الوالد.

والحبيب أحمد معروف بالكشف ، قال له : اقرأ الكتاب .
قرأ الكتاب عليه ، والحبيب أحمد عادته إذا شيء كشف معه..

---

(١) المولود بحريضة سنة ١٢٥٧ والمتوفى بها ٦ رجب ١٣٣٤ .

(٢) الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس ١٢١٦/ ١٢٨١ بحريضه .

Scanned with CamScanner

يحرك رأسه حركة خفيفة ، حرك رأسه وقال له : يا ولدي ، أبوك ما مات .

قال له : ما أحد بدا كذب في مثل هـٰذه الأمور!

قال له : أبوك ما مات يا ولدي .

تَمَّىٰ يراجعه الحبيب حسين . قال له : أبوك ما مات .

ما قَبِلْها الحبيب حسين . قال له : يا ولديْ أنت ما باتقبل الكلام مَني [إنما] باتقبله من عمك علي حبشي ، إندُر إلىٰ (سيئون) إلىٰ عمك علي حبشي وأخبره ، والذي يقوله عمك علي حبشي موافق عليه ، إن قال لك : مات أبوك . . مات أبوك ، وإن قال لك : أبوك لا يزال موجودْ . . لا يزال موجودْ .

خرج حسين علىٰ هـٰذه النية ، ولما وصل إلىٰ (سيئون) وجد الحبيب علي في مجالسه العظيمة الكبيرة ، وبهجاته ودعواته إلىٰ الله ، ما قدر يقول له شيء ، أكرموه وأخذوا بخاطره الحبايب آل الحبشي ، وقال لهم الحبيب علي : عَشُّوا حسين ، وخلُّوه يبيِّت ، وخذوا بخاطره .

فأصبح اليوم الثاني إلىٰ عند الحبيب علي ولا قدر يكلم الحبيب علي ، ولـٰكنه في الليل رأىٰ الحبيب علي يقول له : لي قاله لك عمك أحمد واقع .

فأصبح الحبيب علي يقول لحسين : ليه جيت ؟ ما قدر يكلم الحبيب علي ؛ لأنه عليه هيبة .

قل لي يا حسين [ما الخبر] ؟ ما قدر يكلمه .

Scanned with CamScanner

قال له : قل لي بالرؤيا التي حصلت لك البارحة قال له : الرؤيا كذا وكذا .

قال له : ما قاله لك عمك أحمد هي الحقيقة، ارجع إلىٰ (حريضة) .

رجع إلىٰ (حريضة) وقال : أخبرت عمي علي ، وقال لي عمي علي : أبوك لا يزال موجودْ ، [أخبرنا] آه القضية ؟

قال له : عادنا أزيدك علمْ في الكشف .

قال له : آه العلم ؟

قال له : أبوك بايخرج وبايقيم في (حريضة) مدة وباينتقل منها إلىٰ عند عمك علي ، وبا يقيم في سيئون مدة طويلة وباينتقل منها إلى (تريم) وبايبني ، وبايتزوج ، وبايولد له . قال : حياة أخرى طويلة ؟

قال : نعم ، وهي كذلك .

فقدر الله بعد مدة جات مكاتبة من الحبيب ، وقال لهم : استعجلنا الأمر ونحن لا نزال نعيش وخارجين . وخرج وجاء إلىٰ (حريضة) وأقام في (حريضة) مدة ، ثم عزم إلىٰ (سيئون) لحضور ومراقبة مجالس الحبيب علي . فجاء إلى (سيئون) ولزم الحبيب عَلِيْ مدة طويلة ، واستشار الحبيب علي : هل يبقىٰ في (سيئون) أو يذهب إلىٰ (تريم) ؟

قال له : رح إلىٰ (تريم) . وبنىٰ وتزوج وأولد ، ومِن أولاده : سالم بن عبد الله المقيم في (مكة) .

هٰذا إشارة إلىٰ أن الإنسان الذي علىٰ بصيرته نور ، ينظر بذلك النور ، ومقياسه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ هذيلا نظفوا البصائر وحفظوها .

ذا الحين : من مشكلات الناس أن كل واحد يتحكم في كون ربه ، ويتحكم في الناس : واحد بغىٰ بايرفعه ، واحد بغىٰ بايوطيه ، واحد بغىٰ بايتكلم عليه ، واحد بغىٰ بايقذفه وهو ما لُهْ شيء في الكون قط أبداً . وكلها هٰذه عوائق وحُجُب تحول بينه وبين صلاح القلب ، فلا يقدر على تصفية القلب ، ولا على صلاح القلب .

فنحن ـ كما قلنا لكم ـ هٰذا الاجتماع يكون إن شاء الله ـ مثمر . وعمي علوي [بن عبد الله][1] ـ رحمه الله ـ بنىٰ هٰذا الاجتماع علىٰ أساس متين ، علىٰ أساس أن هناك في (سيئون) روحة تعقد [بمسجد طٰه ، فأحب] أن تمشي هٰذه العادة عندكم هنا . وبقيت هٰذه الروحة ، جاؤوا إخواننا وجماعتنا ، ومحمد بن أحمد الشاطري ، والأخ المرحوم سالم بن علوي [خرد] ، ويحيىٰ [العيدروس] بارك الله فيه ، وغيرهم من أصحابنا . هذيلا عقدوا ثاني مجلس ، وثالث مجلس عقدوه آخرين ، وعُقِد مجلس ، وعَقَد باشيخ مجلس .

والمجالس هٰذه فيها انتعاش ، يسمع الإنسان [فيها] من الكلم الطيب ما تنتعش به نفسه ، أو ما تقوىٰ به روحه ، أو

---

(١) العلامة علوي بن عبد الله بن حسين السقاف ولادته بسيئون سنة ١٣١٥ ووفاته بمصر ١٣٩١ .

Scanned with CamScanner

ما يستفيد به علمْ ، ويستفيد به ذهناً ، ويستفيد به حضوراً . أمس كانوا يقرؤون عَلَي في كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس - هٰذا الذي جمع فقهياته الأخ عطاس - حفظه الله - من جملة الكلام الذي ذكرناه : أن الحبيب قال :

إن شيخه أحمد زيني دحلان قال : كان يطلع الحج وهو لابس ، ويقول : أنا ضعيف ، وربي ما هو محتاج لكشف رأسي لأجل يأذينا الهواء . وعَجَبنا أنه خرج ذات مرة ليصلي في الحرم فوقعت رجله علىٰ كلب ، فأدمى رجله وأدمىٰ ثوبه فبقي يفكر :

إن بقي علىٰ مذهب الإمام الشافعي في تلك اللحظة . . باتفوته صلاة الجماعة ، وهو إمام الحرم [في ذلك الوقت] .

وإن أخذ بقول الإمام مالك ؛ أن غسل النجاسة سنة . . بايدرك الجماعة .

قال : رأىٰ أن يقلد الإمام مالك في تلك اللحظة . واستفاد من تقليد مالك أنه صلى بالناس إمام والدم في رجله وثوبه ، ولم تفته صلاة الجماعة . وهٰذا من فوائد العلم . ثم إنه نقلها لكم أحمد بن حسن العطاس ، ما ينقلها لكم واحد من الناس الآخرين الذين ما تستفيدون من علمهم . نقلها لكم واحد من المحققين الذين وصلوا إلىٰ درجة من العلم الظاهر ، والانتفاع بالعلم الباطن نصيب واسع ، أفادوا واستفادوا .

ما هو قليل هٰذا الكلام الذي يستفيده الإنسان [في مثل هٰذه

Scanned with CamScanner

المجالس] . ونحن كم ما استفدنا في الحج هـٰذا ؟ استفدنا من أيام عمي علوي رحمه الله .

كنا نقرأ « أبي شجاع » ونكاد نكون نحفظه ، ولـٰكن ما كان يجول في بال واحد أن القول الثاني للإمام الرافعي أن المبيت [بمنىٰ] وطواف الوداع كلها هـٰذه جعلها الإمام الرافعي علىٰ القول الثاني سنة ، [ما كنا نعلم] قط أبداً حتىٰ جاء عمي علوي وأخبرنا بها في آخر سنة .

[ومثل هـٰذه الأقوال] وافقت الناس . اليوم من معه نساء ، ومن هو ضعيف ولا يقدر علىٰ الإقامة في (منىٰ) ولا علىٰ الدخول في معمعة الحج الواسع ، يطلع يحضر عرفات ، ويخرج علىٰ المشعر الحرام ، ويرمي الجمرة أو لا يرميها ، ويطوف أو يؤخر الطواف . الطواف ماله وقت ينتهي به ، يبقىٰ وقته مستمر عليه . إلا يتجنب النساء فقط ، والباقي مفتوح له الباب فيه . ورمي الجمرة كذلك [يستمر وقتها] أربعة أيام .

ونحن بغينا الفائدة من الاجتماع هـٰذا بعد التعارف ، وطمأنينة القلب علىٰ الفرح بالاجتماع بأهلكم . إن كل واحد يبقىٰ متلبس بآداب بلاده ـ كما ذكرت لكم ـ وآداب البلاد ما هي بعيدة ، ولا هي كبيرة ، ولا هي كثيرة ، [منها] : المحافظة علىٰ الجماعة ـ كما لا أزال أذكر لكم ـ تكفي الإنسان القيام لصلاة الصبح حتىٰ لا تفوته يوم من الأيام فيصليها في غير وقتها .

الصلاة ، مؤكد أنكم تصلون ، لـٰكن [إذا] الواحد يصلي بعد

Scanned with CamScanner

الشرق . . هٰذا فاتته العادة حق بلاده ، هٰذا أيسر ما كان بانقوله فيه ـ ثم من وراء هٰذا أن الإنسان لا يغيّر شيءً كان عليه ونشأ عليه في بلاده ؛ من مثل [شرب] التنباك وما شاكل ذلك . شُوا ، أهلكم كانوا يتجنبونها ويتحاشونها محاشاة كبيرة جم ، وكانت المحاشاة هٰذه أفادتهم [وصيّرتهم] كيان في المستوىٰ بين الناس رافع ، أرفع من كيان الناس ؛ لأن الإنسان كلما تفوّق بأدب . . تفوّق بمظهر ، وإذا تفوّق بالمظهر ـ ولا المظهر المقصود به عند الناس ـ إنما تفوق بمظهر عند الله سبحانه وتعالىٰ ، والمظهر عند الله سبحانه وتعالىٰ أنه يُذكَر في ذلك الملأ ، وإذا ذُكِر في ذلك الملأ . . كان لذكره شأن .

كذلك علىٰ الإنسان القيام بالأعمال ، وعليه أن يكون فتىٰ دين وفتىٰ دنيا ، رجل دين ورجل دنيا ، لا يكون من الناس المائعين هذيلا الضعفاء ، ولا يكون ضعيف الرأي ، [بل يجب] أن يكون الإنسان في نفسه ذو رأي سديد ، ثم يكون مع أهله كذلك في تربيتهم وتربية أولاده علىٰ أحسن نمط ، وعلىٰ أحسن ما يكون .

ليه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم حرص في أمره لنا بتعليم الصبيان الصلاة لسبع سنين ، وضربهم عليها لعشر سنين ، ليه ذا الكلام ؟

النبي بغىٰ إيلام الصغار ؟ لا ، ما المقصود هٰذا .

المقصود من هٰذا : تعوُّد [الطفل علىٰ] الصلاة ؛ حتىٰ تكون

راسخة ، وحتىٰ تكون لهم عادة قبل أن تجب عليه إذا تعودها الإنسان . . [سهلت عليه] ، وإذا استخف بها . . هانت عليه .

ربما في الزمان هٰذا الواحد ينشأ ولده أو البنت ولا يسأله عن صلاته ، فإذا ما سأله عن صلاته . . بايسأله عن آه ؟ معاد بايسأله عن شيء أعظم شعيرة في الإسلام الصلاة ، فإذا لم يسأله عنها . . ففي ماذا يسأل ؟

يسأله عن شغله ، يسأله عن عمله ؟ لبعاده حق عمل .

ثم اهتمام الناس ذا الحين بالتعليم حسن ، ولٰكن ! مع اهتمام الناس بالتعليم يجب أن يكون اهتمام [مقرون] بالدين . يكون الدين والتعليم متلازمين ملازمة الظل للشاخص ؛ لأن التعليم اليوم أكثره تعليم جامعي للمادة ، ما يستفيد منه الولد شيءْ . . يستفيد منه الولد أن يكون تعليمه طريقاً لدخوله إلىٰ معمعمة الحياة الدنيوية ، ما يهذب نفسه حتىٰ ينشأ منها خُلُق ذا سماحة أو ذا فضيلة ، أو حتىٰ تنشأ منها عادة تكون مستجلِبة لشيء من عمل المعروف ومن عمل البر .

أنا شفونا العام عادنا إلا أذكر لكم : كان واحد من أساتذة المدارس هنا قال لي : بغيتك تطلع في السيارة حقي ـ عادُهْ إلا اشتراها .

قلنا له مرحباً . طلعنا في السيارة ، وبعد نظرت مصحف في السيارة ، سألته عنه ، وقلت : بايقع طارحه في السيارة يومه فرحان بها .

Scanned with CamScanner

قال : أنا تخرجت من المدرسة ولبعاد غلَّقت الختمة .
وذاكذه شيخ مدرِّس ، قال : ما غلَّقت عادنا الختمة .

علىٰ أن المدارس هنا جزاهم الله خيرْ في أمور الدين - مهتمة بأمر الديانة ، ولٰكن! حتىٰ [مع هٰذا] الاهتمام بالنسبة للعادات والبرامج فمسائل القرآن والدين يحتاج يكون له عناية أخرىٰ .

وهنا ، جزاهم الله خير . الشيخ القزاز فتح معاهد باسم [تحفيظ] القرآن ، وجمع مبالغ كبيرة . أول أمس يخبرنا عن المبالغ التي جمعوها ، [بلغت] ملايين بايبنون بها معاهد في (جدة) وفي (مكة) وفي (المدينة المنورة) وفي (الرياض) وفي أماكن كثيرة . حَدْ عطاهم أرض ، وحَدْ عطاهم نص مليون ، والفضل للشيخ صالح . ويمكن تسمعون الأولاد في الراديو [يعملون مقابلة معهم] ويسألهم : عمرك كم ؟

قال عمري : اثنى عشر سنة .

قال له : من متىٰ بدأت تحفظ القرآن ؟

قال له : [قبل كذا كذا] .

في أي معهد ؟

قال له : في المسجد الفلاني .

قال له : وتذهب المدرسة ؟

قال : أذهب المدرسة .

Scanned with CamScanner

قال له : وتحفظ كمَّه أجزاء ؟

قال : أحفظ خمسة أجزاء .

هٰذه منقبة ، معاد حد [يتشوف لها] كانت عندنا [في (تريم)] عُلمة أبو مِرَيِّمْ خاصة بالقرآن . كان فيها الإمام محمد بن عمر أبو مريِّم يُعلِّم القرآن .

وفي ترجمته في « المشرع » : أنه يخرج من آخر الليل في ثلث الليل الآخر ، ويجلس يصلي في المسجد ، ولا يخرج من مدرسته لتعليم القرآن إلا بعد أن تضحِي الشمس والذي حفَّظهم القرآن ثمان مئة ، كما يقول الشاطري[1] في أيام أبو مريِّم وكانت (تريم) تحن ، وعندنا كانت (سيئون) تحن بحفظ القرآن ، لٰكن! ذا الحين قراءة القرآن ركدت فضلاً عن الحفظ . والحفظ ما هو بعيد ، بسيط وسهل علىٰ من يسره الله عليه . [عندكم] هذيلا ، أولاد صغار ، من (مكة) ومن (المدينة [المنورة]) وفي (جدة) وفي (الرياض) تسمعهم يقرؤون في الراديو ، وتشوفهم في زاوية القزاز! إذا جاء الواحد يتلو ويرتل القرآن من حفظه ، حتىٰ [إنك] تتأثر من قراءته . أنا أسمعهم في الراديو ، ويعجبنا حين ما أسمعه يقرأ القرآن . نعمة كبيرة .

ذا الحين ، لا أقل أن نحن ندرس من القرآن لو حتىٰ مُقرأ كل يوم . القرآن كتاب الله ، ثم إنه أرسل رسوله إليكم بهٰذا الكتاب

---

(١) يقصد أستاذنا الوالد محمد بن أحمد الشاطري رحمه الله تعالىٰ . . الذي كان موجوداً بجواره .

السماوي ، الذي حاول المستشرقون كلهم ، حاولوا بكل قواهم وحاول الكثير من المتقدمين بكل قواهم . . علىٰ أن يجدوا في القرآن معارضة أو يجدوا فيه شيءْ مخالف ، ما وجدوا شيءْ قط أبداً . كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثم ذا الحين تتلوه أوروبا ، وتترجمه أوروبا ، وأول ما تستفتح به إذاعات أوروبا ، فضلاً عن البلاد الإسلامية هٰذا الكتاب العظيم الخالد .

ثم كم فيه من الأعاجيب ، ولسنا بحاجة إلى ذكر شيء منها ، ولا لكم شيء منها ، ولٰكن علىٰ الإنسان أقل ما كان أنه يتمضمض كل يوم من القرآن بمُقرأ ، بمُقرأين ، ثلاثة ، أربعة مقارىء ، بجزء إن قدر أول ما يستفتح به لسانه ؛ لأجل تكون لسانه وفمه طول النهار طاهر . إذا استفتح بكتاب الله . . بايكون له حلاوة عنده ، وله شيء من الذواق ، وله شيء من النعمة ، وله شيء من الرحمة .

فلا تتركوا القرآن ـ يا إخواني ـ ولا تتركون الجماعة . شُوْنا لا أزال أوصيكم بها ، والسابقين ما كانوا يوصون بالجماعة[1] ؛ لأن المساجد عندهم . كان الواحد ما يصلي إلا في المسجد . ذا الحين

---

(١) لإنهم يعتبرونها أمر هام . . لايفرط فيها إلا شقي . ولهٰذا كانوا يعزون من ترك تكبيرة الإحرام . . ويقولون له : ليس المصاب من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب .

Scanned with CamScanner

رضينا يصلي هو والحرمة جماعة ، يصلي هو وولده ، يصلي هو ومن يقدر عليه ، حيث ما يصلي وتدركه الصلاة يصليها ، ولٰكنه لا يصليها إلا في جماعة . فإذا صلىٰ الإنسان في جماعة . . أدرك في صلاته ثواب الأمر النبوي ، وثواب الأمر النبوي ما له مضاعفة ، وأدرك في صلاته ثواب خمس وعشرين أو سبع وعشرين صلاة ، بايدرك بها ثوابٌ أبديٌ .

ونسأل الله سبحانه وتعالىٰ ببركة هٰذا الحج العظيم ، وببركة هٰذه الاجتماعات ، وببركة الرجال الذين ذكرناهم ، وببركة ـ إن شاء الله ـ آبائنا ورجالنا ، وببركة إخواننا خاصة من الحجيج ونياتهم الصالحة . . أنِ يتكرم علينا بالعودة إلىٰ طريقة من كان قبلنا من خيار الرجال ، وأن يسلك بنا طريق آبائنا ، وأن يصلح وادينا ونادينا وبلادنا ، وأن يردنا إليها علىٰ أهنأ حال وأرغد عيش ، مطمئنين آمنين ، لا ينالنا خوف ولا بؤس ، ولا هضم ولا أذىٰ ولا تعب .

ونسأله أن يكرمنا وإياكم بقبول الحج ، وأن يجعل لنا أدنىٰ المطالب المغفرة ، ويجعل ما فوقها ـ إن شاء الله ـ لنا ولكم من تهيئة الأسباب الدنيوية ، والأسباب الدينية ، وتهيئة الأمور المعنوية ، والرجوع إلىٰ ما كان عليه خيار البرية .

نسأله أن يجعلنا وإياكم ويردنا إلىٰ ما كان عليه هٰؤلاء الرجال ، وأن يعمرنا كما عمرهم ، وأن يوسع علينا كما وسع عليهم ، وأن يتكرم علينا كما تكرم عليهم ، وأن يجعل هٰذا

Scanned with CamScanner

ملتقىٰ فيه نفع ، وهـٰذه الاجتماعات فيها - إن شاء الله - ارتقاء
إنتفاعات ، وأن يجعلنا دائماً وإياكم تحت الرحمة الإلـٰهية .

نسأله ألا يغيِّبنا من الرحمة الإلـٰهية ، يجعلنا دائماً تحتها
وتحت خفي لطفه ، ويجعل مَن ورانا من إخواننا وأصحابنا
وأولادنا تحت خفي الستر ودوام اللطف ، وأن ينعم علينا بالنعم
كلها : نعمة وجود الأرزاق ، ونعمة رغدها ، ونعمة القيام
بحقها ، ونعمة العمل الصالح ، ونعمة الانتساب إلىٰ أهل العمل
الصالح ، ونعمة الرغبة في العمل الصالح ، ونعمة الحياة الطيبة
التي حكاها القرآن : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

الله يحيينا وإياكم حياة طيبة ، ويسعدنا وإياكم سعادة طيبة ،
ويجعلنا من الذين سَعدوا ، ويجعلنا من الذين شَهدوا ، ويجعلنا
من الذين كان لهم من المقاصد العُلْوية ما قصدوه ، ويربطنا بحبل
الآباء وحبل الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ويجعل المطالب
عُلْوية ، ويجعلنا من خيار البرية . وكما أوصلنا إلىٰ هـٰذه المنازل
يعيدنا إليها ، ويوصل مَن وراءنا من أهلنا ، ويجعلهم كلهم في
حيز الرحمة ، وفي حيز القبول ، وفي حيز الخير . ويربطنا
وإياكم بأهل الخير ، ويعاملنا معاملته لأهل الخير ، ويجنبنا أذىٰ
الغير ، ويجعلنا ممن أحسن السلوك والسير في خير . ويغفر
لوالدينا وللمتقدمين وللذين ذكرناهم في هـٰذه الجلسة ، ولأخينا
طـٰه [بن عبد الله] ولمن توفاه الله في القريب .

نسأل الله أن يتغمدهم بالرحمة ، وأن يجعلهم - إن شاء الله -

Scanned with CamScanner

مع نبي الرحمة ، وأن يفسح لهم في قبورهم ، ويتجاوز عن سيئآتهم ، ويجعل ما نقص من أعمارهم زيادة في أعمار أولادهم وأهليهم ، ويجعل الملتقىٰ مع الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم في مستقر الرحمة ودار الكرامة ، في خير وعلىٰ خير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة بمنزل الوالد علي بن عبد الله السقاف بـ(جدة) بتاريخ الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة ، عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٩٨/١٢/٢٤هـ) .

وحضر هٰذا الاجتماع جملة من الآباء والإخوان ممن لا يزالون بـ(جدة) بعد أدائهم مناسك الحج ، وقرأ العم جعفر بن علوي المحضار في كتاب في فضائل الصلاة على الآل . ثم أنشد المنشدون ، وممن أنشد في هٰذه الجلسة : العم محمد بن عبد الرحمٰن بن شيخ . أنشد قصيدة للحبيب عبد الله الحداد .

على ريم وادي الرقمتين سلامي وحسبي به في رحلتي ومقامي

وأقام الوالد علي بن عبد الله ضيافة كبيرة هٰذه الليلة بمناسبة الحجاج[1] .

وبعد المنشدين تكلم سيدي ـ متع الله بحياته ـ بهٰذه الكلمة القيمة ، فقال :

[فرحنا بقدوم] إخواننا ، وبإتمام مناسك الحج على خير ، وفرحنا بقدوم أخينا حسن بن عبد الرحمٰن بن عبيد الله في هٰذه السنة ؛ لأن العهد به طال ، وهو من خواص أصحابنا وخواص الزملاء الذين كنا نتناشد نحن وإياهم الشعر . [وكذلك] الأخ محمد الشاطري ، وكثير غيرهم ، وهم ذيلا يعتبرون كشيوخ لنا

---

(١) وفاته بجدة شهر محرم سنة (١٤٢٣ هـ) ودفن بمكة .

Scanned with CamScanner

في الشعر : الشاطري وحسن . وعساهم يرضون أن نجي علىٰ أثرهم في الشعر .

أجابه أستاذنا الشاطري قائلاً : المسألة بالعكس .

قال سيدي : هٰذا هو الواقع ، كانوا في القمة ، إذا قمنا بقصيدة وقاموا بقصيدة . . كانت قصيدتهم في السماء وقصيدتنا في الماء ، علىٰ كل حال الجمالة واحدة .

قال أستاذنا : هٰذا تواضع منكم .

قال سيدي : هٰكذا الواقع ، شعرك وشعر حسن مصقول وسلس :

وقد سمعتوا من حسن ما سمعتوا في القصيدتين التي ألقاها عليكم [من شعره] ، وذكر لكم شيءْ من التاريخ ومما كان في الأيام الماضية . وبالمناسبة : أنا باذكر لكم ما سمعته ذا الحين في القصيدة التي أنشدها الأخ محمد ، وكل القصائد تحتاج كل واحدة منهن إلىٰ وقت طويل إذا أراد أن يأخذ منهن بيت فقط ، ولٰكن بيت القصيدة التي أريد أن أُسمِعكم شيءْ منه هو قوله :

إلى أن أتىٰ الواديْ المبارَكَ فارتضىٰ ... ومـدَّ بـه أطنـابـه لِخيـامِ

لما ذكر البصرة الخضراء وتكلم عنها ، وكل البقاع هاتيك خضراء ، وأبو الطيب المتنبي له قصيدة يمدح فيها كافور ، وكافور عبدٌ أسود معروف ، يقول فيها لما أراد أن يصف جسمه ويرفعه عن السواد ، قال :

Scanned with CamScanner

إنما الجسم مَلْبَسٌ وابيضاضُ النَّـ ـفْس خير من ابيضاض القَبَاءِ

ومناسبة هٰذا الكلام : أن المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسى[1] جد العلويين وسيد أهل الوادي علىٰ الإطلاق ؛ لأنه جاب لنا الطريقة الطيبة الواضحة بعد أن كان الوادي مظلمْ ، وبعد أن كان في الوادي المبارك ما كان ـ وسماه واديْ مباركْ ، والمناسبة لذكر البركة في هٰذا الوادي ، وذِكْرها يأتي إلىٰ قوله :

إلىٰ أن أتىٰ الواديْ المبارَكَ فارتضىٰ ومَـدَّ بـه أطنـابَـه لخيـامِ

هنا سبب الذكر : أن الإنسان نفسه [يستطيع] يجعل نفسه مبارك ، ويجعل بيته مبارك ، ويجعل ساحته مباركة ، ويجعل جاره مبارك ، ويجعل البركة في ولده وفي أهله ، وهٰذا متيسر لكل واحد .

هٰذا الوادي الذي ذكره لكم الإمام الحداد هو واديكم الذي يحن إليه من اغترب ، ويعرف قدره إذا خرج منه ، ليس للحنين ، ولٰكن للفوارق التي لا توجد في مثل ذلك الوادي ؛ من القيام بالأخلاق النبوية التي يغض الطرف عنها كل واحد إذا رآها من بعيد .

أهل ذلك الوادي أخذوا الأخلاق النبوية كلها يد عن يد ، وجَد عن جَد ، وأب عن أب ، حتى وصلت إليكم ، وحتىٰ رأيتموها في واديكم ، في مساجدكم ، وفي طرقكم ، وفي

---

(١) الإمام أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهرا عليهم السلام المولود بالبصرة سنة ٢٦٠ والمتوفى بحضرموت سنة ٣٤٥ .

Scanned with CamScanner

جيرانكم ، وفي أهلكم ، وفي إخوانكم . من هنا جاءت البركة بواسطة المهاجر ، والبركة هٰذي يشيرون إلىٰ أنها اختصاصات تكون والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ جعل الاختصاصات والاصطفاءات شتىٰ : جعلها في البيت الحرام ، ولم يكن مثله بيت مهما أشاد الإنسان أو زوّق أو طوّل أو جدّد . ذا الحين [انظروا] إلىٰ الموجود عندنا في (مكة المكرمة) إذا نظرنا إلى البيوت التي حول البيت الحرام. . وجدناها بلغت في الجمال والرونق والبهاء ، خسر فيها أصحابها مئات وألوف الملايين ؛ لتزيينها ولرونقها في العين ، لٰكن الإنسان إذا جاء إلىٰ البيت الحرام. . لا يعوّل علىٰ تلك البيوت ، ولا ينظر إلىٰ شيء [منها] قط أبداً ، وهو بالنسبة لها بيت لا يزال لاصق بالأرض ، ولا يزيد [بناؤه عن] حجر ممدَّد وعليه شيء من الإسمنت وعليه الغطاء الأسود ، هٰذه الكسوة والوصائل التي كانت من قديم الزمان . اصطفىٰ الله موضع ذلك البيت ، واصطفىٰ البيت وكان لا يزيد عن حَجَرات معدودة تشاهدونها أمامكم ، [لٰكنه] كان موضع النظر ومحل القلب . اصطفىٰ الله هٰذه البقعة ، واصطفىٰ الله (مكة المكرمة) واصطفىٰ (المدينة المنورة) واصطفىٰ الله أماكن مشرّفة من تلك الأماكن .

ومن جملة الاصطفاءات : كان النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول [علىٰ جبل أحد] : « هٰذا جبل يحبنا ونحبه » اصطفاه الله سبحانه وتعالىٰ وجعل له قيمة عند الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وصلة تكون ذاتها للمحبة التي فيما بينه . كما

Scanned with CamScanner

أن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الاصطفاءات هٰذه من عنده.. جعل للبقاع اصطفاءات من عنده، ولٰكنها بواسطة؛ فالبقاع التي ينزلها العلماء، والبقاع التي يحلها الصلحاء، والمنازل التي يتردد إليها الأولياء.. تكون مختارة، تكون مصطفاة، تكون ذات أثر، تكون ذات جمال، تكون ذات روعة، تكون ذات بهاء، والروح تطمئن إليها إذا دخلتها، تستريح بها إذا نزلت فيها ولا تود أن تخرج منها، لماذا؟ لأن الله اختارها.

وإذا رجعنا إلىٰ قول الإمام الحداد ـ عليه الرحمة ـ في وادينا المبارك، وعرفنا أن هٰذا الوادي ما فيه من البركة بالنسبة لمظهر الدنيا شيء، لا فيه أشجار، ولا فيه أمطار تأتيه في أوقات دون أوقات مثل البقاع التي هي علىٰ خط الاستواء، أو كانت لها جمال آخر. ما في وادينا شيء، ولٰكن وادينا جماله: ما كان فيه من روعة العلم، وروعة العمل بالعلم، وروعة الاتباع للحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم، حتىٰ كان واديْ مباركْ، كان واديْ مقدسْ.

وللسيد أبي بكر بن شهاب[1] ينشد بيتين في (تريم) لم تكن موجودة في «ديوانه»، ولٰكنها بيتين بلغت الروعة:

ونمشي حفاةً في ثراها تأدباً نرىٰ أننا نمشي بواد مقدس

لما ذَكَر (تريم) ولأفضليتها. هٰذه البلد، وهي بلدهم

(١) العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين له ديوان ومؤلفات ولد بتريم سنة ١٢٦٢ وتوفي بالهند سنة ١٣٤١.

كلهم وليست خاصة بسكانها ؛ لأنها بلد العلويين كلهم والمنتسبين إلىٰ العلويين . ولأفضليتها كان الكثير منهم يتأدبون فيها ويمشون فيها حفاة ، كما قال عمكم بو بكر بن شهاب . لاه يمشون فيها حفاه؟ لأنها مشى فيها رجال أمثال الفقيه المقدم .

وليس الفقيه بولي فقط! الفقيه درس العلم دراسة [تامة] حتىٰ قال له شيخه بامروان : كنت أؤمل أن تكون مثل ابن فورك وابن سينا ، هذيلا الفلاسفة الكبار . درس دراسة عميقة في العلم ، ثم بعد أن استكمل الدراسة فيه صار إلىٰ طريقة التصوف ، وطريقة التصوف ما يفهمها الكثير من الناس ، يعتقدونها أنها طريقة بعيدة عن الحياة ، وهي [في الحقيقة] تمشي مع الحياة الصحيحة ، يأتي فيها قوله تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

فالصوفية هم الذين أخذوا طريقته صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإن الإسم جاء متأخر ، ولٰكنهم حرصوا علىٰ أن يتأثروا بسنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، فوضعوا قدمهم حيث يضع الحبيب قدمه ، وأخذوا بألسنتهم حيث كانت لسان الحبيب ، وبأيديهم حيث كانت يد الحبيب ، وبمجالسهم حيث كان مجلس الحبيب ، وبصلاتهم حيث كانت صلاة الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . أخذوا بهٰذا كله ، وأخذوا لُباب الشيء ، أخذوا لُباب العلم وهو المقصود ، وأخذوا لُباب الطريقة وهي

المقصودة . ومن العلم دخلوا علىٰ الحقيقة ؛ لأن العلم إنما هو طريق يوصل الإنسان إلىٰ حقيقة .

والحقيقة ذات لونين :

اللون الأول : هو ما أخبر عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم من المعاد وما بعد المعاد ، هٰذا كله مغيَّب عنا ، لٰكن الإنسان إذا وصل إلىٰ أول منزل من تلك المنازل وحشرجت النفس عنده . . ابتدأت تظهر له الحقائق مكشوفة ، فإذا مات . . تكشفت له كل الحقائق ، فصار يرىٰ كل ما أخبر به الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم . ولا طريق إلىٰ معرفة هٰذه الحقائق إلا بالعلم ، إذا أراد الإنسان أن يعرفها هٰذه الطريقة الأولىٰ لِلَّون الأول .

واللون الثاني : هو أن كل شيء ظاهر لابد وله باطن ، وباطن العلم أخبرنا عنه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بالقرآن ، أخبرنا بماذا ؟

أخبرنا قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ .

أخبرنا أن هناك علم يأتي من ثمرة التقوىٰ ، وقال : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ يفرق به الإنسان بين الحق والباطل ، فلا يُشْكل عليه شيء قط أبداً .

هٰذا صاحب التقوىٰ معاد يحتاج يأخذ رأي ، أو يبحث أو يَنْصَب ، أو يقول : أنا تعبت في كذا ، أو يسير إلىٰ عند هٰذا ، اللهم إلا إن كان لزيادة استكشاف الحقيقة واستيضاحها من ذي بصيرة نيرة يروح إليه .

Scanned with CamScanner

ومثال ذلك الدليل الواضح الذي عرفه الناس حقيقة ، والذي يضع الإنسان أصبعه عليه . . حبيبكم علوي بن شهاب ، الذي عرفه أكثر [الحاضرين] . هو كان بعيدْ عن الدنيا ؛ لأنه كان ما بين رباطه ومسجده ، ومجاملة الناس ، ومراعاتهم في جنائزهم وأفراحهم وولائمهم ، وما شاكل ذلك ، وباقي [وقته] جالس في بيته . لـٰكن الله سبحانه وتعالىٰ أعطاه بواسطة التقوىٰ رأي ينكشف له به الحقيقة .

كان الكثير من الناس في أول الأيام التي حدثت بعدها [الأيام] الهوجاء في الأخير ، يسألونه عن أموالهم في (سنغفورة) ويسألونه عن أموالهم في غير (سنغفورة) وهو لا صلة له بهـٰذه الأشياء ، ولـٰكن الصلة الروحانية التي حصلت له بواسطة التقوىٰ ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ كانوا إذا جاؤوا يستشيرونه في نقل المال من (سنغفورة) إلىٰ (عدن) أو إلىٰ غير (عدن) . . يقول لهم : لا ، أنا أرى ـ وهـٰذا يعطيكم صورة عن هـٰذه الآية ـ أنا أرى أن (سنغفورة) باتبقىٰ وغيرها بايتحول أمرها .

فكان كثير يقولون : ذا عمي علوي ما يعرف هـٰذه الأمور ولا يدركها .

والبعض الآخر لهم قوة ارتباط بالحبيب ، ويعرفون أن عنده فرقان من قوله تعالىٰ : ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ .

وقسم آخر لم يأخذوا لكلامه اعتبارْ ؛ لأنهم يرون أن الحبيب

Scanned with CamScanner

بركة فقط . لٰكن من لهم قوة ارتباط ويرون أن مع البركة فرقان . . يهتدي به لمعرفة الأمر .

فكثير تصرفوا في أموالهم ونقلوها ، وكثير أخذوا بكلام الحبيب علوي وأبقوا الأموال ، فظهرت الحقيقة واضحة جلية لا غبار عليها .

وكان يحدث في مجالس العامة عن وقائع الأحوال التي [سوف] تحدث ، ويقول : شونا شوف ، ربما يؤخذ الإنسان من بيته أو من تحت بيته ربما يكون كذا ، وبايكون كذا .

ويقول لهم : شونا أشوف الأشياء .

من أين له هٰذا الشوف ؟ معه عينين كعيني الواحد مننا ، لٰكن! عنده بصيرة نافذة جاته من قوله [تعالىٰ] : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ وهٰذا من ثمرة العلم ، وهو اللون الثاني الذي ذكرته لكم أن للعلم لونين . وما هو بهٰذا السيد فقط ، كثير منهم هذيلا الذين كانوا علىٰ منهجه ، ممن اتقىٰ الله وأعطىٰ القرآن حقه وأعطىٰ السيرة حقها .

ثم يجد الإنسان دافعٌ يدفعه قويٌ لأن يزور ذلك السيد في بيته ، لا يدخل داخل إلىٰ هٰذه البلدة المشرفة إلا ويقصد فيها هٰذا السيد الكبير . والدافع القوي دفعة روحانية يقول فيها : إن حاجاتي كلها مرتبطة بزيارة هٰذا السيد . فإذا زاره . . خرج وهو قرير العين ، مطمئن كل الطمأنينة .

Scanned with CamScanner

وذلك ثمرة العلم الذي ذكرته لكم ، وكثير من الناس ما يدرك الثمرة ، يعتقد أن الثمرة هو : إذا اتسع . . أخذ يناقش في العلم ، وأخذ يفتح الأبواب في العلم ، وأخذ يراجع ليبطل القول هٰذا ، ويصحح القول الآخَر ، ولينبه هٰذا علىٰ غفلته ، ويذكِّر هٰذا ، وهٰذا نوع [من الثمرة] . والمقصود من العلم هٰذه الثمرة التي ذكرتها لكم ، والتي يقول فيها المولىٰ : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

لنرجع إلىٰ كلام الإمام الحداد في قوله :

إلىٰ أن أتىٰ الواديْ المبارَكَ

ذكرنا لكم الاختصاصات ، وقلنا لكم : إن بعض الاختصاصات يختصها الله سبحانه وتعالىٰ ، ولٰكن يجعل لها واسطة . فالأولياء والعلماء الذين نزلوا البلاد وأحسنوا فيها القيام ، وأعطوا مولاهم فيها حقه ، والعبادة حقها ، والعلم حقه ، والقرآن حقه . . صارت البلاد والبقاع [التي هم فيها] لها شأن ، ولها مقصد آخرْ ، ولها روحانية آخرْ ، ولها نور آخر . يقول الشاعر :

وإذا نظرتَ إلىٰ البقاع وجدتَها تَشقىٰ كما يَشقىٰ الرجال وتَسعدُ

كثير من البقاع التي تكثر فيها الغفلة ويكثر فيها العصيان ، نبهنا الله سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ . هٰذا بالنسبة للقرآن .

وبالنسبة للسنة النبوية : النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان

Scanned with CamScanner

في إحدىٰ غزواته راجع منها ، فمروا بـ(المدائن)[1] ، فقال : « لا تمروا بها إلا وأنتم باكين » .

ثم قال لهم في حديث ثاني ، يشير إلىٰ أنه ينبغي للإنسان إذا مر . . .أن لا يلتفت إلىٰ دُور الظَّلَمة ، وإلىٰ أماكن الظلمة ، وإلىٰ منازل الظلمة ، وإلىٰ أحوال الظلمة . وقد كان أهلكم هٰؤلاء ما يرضىٰ الواحد منهم ولا تتركه نفسه إلىٰ أن يقف في ظِلال بيت من بيوت الظلمة بتاتاً ، أو يدخل إليه .

كنت ذات مرة بمعية والدي ـ رحمه الله ـ وكان بالمعية : عمكم حسن بن عبد الرحمٰن[2] ـ يعرفه بعض الإخوان ـ وكان بالمعية : عمكم محمد[3] ، وكان بالمعية يمكن عمكم عبد القادر بن حسين ؛ لأنه كان من أهل المعية . وكان بالمعية : عبيِّد خادمنا ـ هٰذا ولده سالم ـ خرجنا بانتغدَّىٰ في بستان عمكم عبد الله بن عقيل ، يعرفونه أهل (سيئون) وغيرهم . وخرجنا بعد الظهر ، هو راكب علىٰ دابة ونحن نمشي خلفه ، فلما وصلنا إلىٰ أطراف ظلال عز الدين مكان السلطان علي بن منصور . . فأخذنا نستظل بذلك الظل ، فقال لنا : لا ، الشمس أبرد لكم من هٰذا الظل امشوا في الشمس وخلوا هذا الظل . هٰذا إشارة إلىٰ محافظتهم علىٰ كمال الاتباع لنبيهم صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

---

(١) المدائن : مدائن صالح والعلا في شمال المملكة بين تبوك والمدينة المنورة .

(٢) الحبيب حسن بن عبد الرحمٰن بن محمد السقاف لازم خاله الحبيب أحمد بن عبد الرحمٰن وأخذ عنه وتربىٰ على يديه وكان أكثر القراء قراءة عليه ولد بسيئون سنة ١٣٠٣ وتوفي بها ٢٧/ ١٢/ ١٣٧٠ .

(٣) ابن الحبيب أحمد بن عبد الرحمٰن .

Scanned with CamScanner

ودُورهم ـ أي : السلاطين ـ ما يعرف الواحد منهم الدخول فيها بتاتاً . وكان توفي ذات مرة أحد السلاطين ـ السلطان محسن ، أخو السلطان منصور ـ وكان من عادتهم أنهم لا يطلعون إلىٰ ديارهم ولا إلىٰ حصونهم ولا إلىٰ منازلهم ، خرجوا يستقبلونه إلىٰ جنب الحصن حقهم ، فلما خرجوا . . قال لهم السلطان منصور : لا إلـٰه إلا الله! يا حبايب أنتم سادة البلاد ما تتكرمون علينا بالدخول ، لو مات أحمد باكثير . . لكان هرعتوا إلىٰ داره ، وديارنا نحن ما بغيتوا تدخلونها .

فهم ما تسمح لهم نفوسهم في أن يدخل الواحد منهم [بيوتهم] ، اتباعاً لنبيهم عليه الصلاة والسلام . بهـٰذا شُرِّفت البقاع ، بهـٰذا شرفت المنازل ، بهـٰذا كانت الملائكة والروحانيين تدور علىٰ المنازل ، بهـٰذا كانت قوة بالمنازل يستظل بنورها كل نازل ، بهـٰذا ظهرت فيها قناديل نور ، وقناديل خير ، بهـٰذا يطمئن الروح إذا نزل في شيء من هـٰذه المنازل ؛ لأن الروح من ذلك العالِم الذي يأتي منه الطاعة ، والتي يستمد الطاعة من ذلك العالِم وروحانيته وقوته وعبادته وأَخْذه . . هـٰذا هو المقصود بتلك البلاد . و(حضرموت) كما ذكرت لكم : بلاد قاحلة كل ما يأتي إليها منقول ، أنه الثوب الذي نلبسه يأتينا من الخارج ، وأنه السكر الذي نستعمله أو الحلويات التي نأكلها تأتينا من الخارج ، وأنه البن [للقهوة] التي تعيننا علىٰ النشاط يأتينا من الخارج ، وأنه الشاهي يأتينا من الخارج ، اللهم إلا الملح وشيء من الضروريات

Scanned with CamScanner

القليلة ؛ مثل : البر ، ومثل الذرة وما شاكل ذلك ، وهي قليل لا تكفي لأهل (حضرموت) كلهم. . بالنسبة لحراثتهم ، ولٰكن الباقي يأتينا من الخارج . لٰكن تلك البلدة شُرِّفت بالمهاجر أولاً ، أقام فيها خمسة وعشرين سنة يدعو إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال ربكم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ لأهل الحكمة .

إذا وَجَد الواعظ ناسٌ من أهل العلم وأهل الفضل. . . يحتاجون إلىٰ تنبيه ، وإلىٰ دعوة وإلىٰ تذكير. . لابد وأن تكون الحكمة في الدعوة هي المقصودة ، واللسان لابد أن تكون لسان الحكمة [وهذه هي] أول طريق .

ثم النوع الثاني : الموعظة الحسنة لأهل الغفلة ، وهم الكثيرون . وفرق بين الحكمة والموعظة :

فأحاديث الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم هي حكمة ، آيات الكتاب العزيز هي حكمة ، أخبار السابقين هي حكمة .

أما الموعظة الحسنة : تكون ما بين التخويف وما بين الرجاء ، تأخذ جانبٍ من هٰذا وجانب من ذاك حتىٰ يخاف المدعو ويتأثر ، ثم يأتيه الرجاء فيحفّزه للعمل الصالح .

والطريق الثالث : بعد الحكمة والموعظة الحسنة : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فإذا وجدت من يحتاج إلىٰ المجادلة. . فلابد وأن يكون بلسان مبسَّطة ، بلسان ما فيها حمق ، بلسان ما فيها شدة ، بلسان ما فيها شيء من التلوِّي ،

لسان تكون دائماً ليّنة ؛ لأن القرآن عندما يخاطب المشركين ويجادل المشركين ، ويقول للنبي ، وهو أقواهم لَسَنْ عليه الصلاة والسلام ، وأقدرُهم علىٰ الحجة وأَقْيَسُهم لإقامتها ، لـٰكنه مع هـٰذا يقول له : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

فمن أراد أن يفيد ويأخذ بالألباب . . فليكن قوله دائماً ليِّنْ ، ولتكن دعوته دائماً لينة ، وليعط الآية هـٰذه [حقها] ويأخذ له طريق ، ويأخذ له هداية ، ويأخذ له مشعل يسير به منها .

ومن شرط الداعي أن يتلمح الناس ويعرف نفوسهم ، فيعطي كل ذي وصف ما يقابله وما يستحقه .

وإذا داعي ما عنده شيء من الحكمة ، قصرت به الحكمة . . ربما تقصر دعوته وتقف في أولها .

والدعوة هـٰذه هي طريقة الخلافة النبوية ، والحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما أعطىٰ هـٰذه الدعوة حقها . . جاؤوا أهلكم علىٰ هـٰذا الغرار .

كنت أنا أذكر قبل البارحة لما سرنا إلىٰ (النجف الأشرف) كانوا معنا ستة [نفر] ، منهم :

الأخ محمد الهدار ، هـٰذا طالب علم وواسع الاطلاع .

ومعنا : المطوف محمد المحضار ، طالب علم كذلك وذكي .

ومعنا : أحمد الجنيدي . وما أدري معنا مَن ، كنا علىٰ هـٰذا النمط ؟

Scanned with CamScanner

فلما وصلنا إلىٰ (النجف الأشرف)[1] .. اتفقنا بالعلماء بطبيعة الحال ، وجئنا إلىٰ كبيرهم السيد الخوئي ، وهو موجود هنا في الحرمين الشريفين الأيام هٰذه ، كبير في السن ، ثم هو بارع في العلم ، ولٰكن نحن نختلف نحن وإياهم . نتفق في النسب ، ونتفق في مبادىء العلم ، ونختلف نحن وإياهم في الطريقة .

عرضنا أنفسنا علىٰ السيد، وقلنا : نحن من آل جعفر الصادق .

قال : أنتو مِن مَن ؟ من آل جعفر الصادق !

قلنا له : نحن عَلَىٰ عَلِي العريضي ، أصغر أولاد الإمام الصادق .

وبحث في كتاب المؤرخ ابن عنبة ، فعرف نحن ، وبعد قال : أنتو من (حضرموت) ؟

قلنا : نعم .

قال : أنتو يا أشراف (حضرموت) ويا سادة (حضرموت) مقصرين في الدعوة إذا أنتم تنتسبون إلىٰ الصادق ، الصادق له مذهب ، الصادق له طريقة ، أهلكم لهم طريقة .

وكان الأخ محمد الهدار جالس عن يميني وكأنه يحضِّر الجواب ، أخذت بيده وقلنا له : بايجيء الجواب .

وبعد أن تكلم .. قلنا له : الذي نعتقده وندين الله به ـ يا مولانا ـ أن أهلنا هم الذين عرفوا السنة وساروا علىٰ منهجها ؛

---

(١) زيارته العراق سنة ١٣٩٧هـ.

Scanned with CamScanner

لأنهم لما قرؤوا سيرته صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ومعاملته للأعداء الألداء ـ الذين عاملوه بكل قسوة وحاولوا قتله ، ولٰكن الله عصمه منهم وحفظه عليه الصلاة والسلام ـ لما أمكنه الله عليهم وفي مقدمتهم أبا سفيان قال : نعم في مقدمتهم أبو سفيان .

ـ قلنا له : النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قَبِله مباشرة لما قدَّمه له العباس .

قال : نعم .

قلنا له : ثم أكرمه لما جاءت كلمة نابية من سعد وهي تمر به الخيل ، قال : « **من دخل دار أبيَ سفيان. . فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه. . فهو آمن** » .

وكان مقتضىٰ الحركة التي يقوم بها الكثير : أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم لما أراد هٰؤلاء محو الدين بتاتاً . . [كان المفروض] أن يمحوهم هم ، لٰكن كان شأنه الحكمة ؛ لأنه داعي ، ولأنه يقرِّب الناس ، ولأنه يستجلب الناس . وأخذت أُعدِّد له الكثير ، إلىٰ أن وصلت إلىٰ كعب بن زهير ، وإلىٰ بُجَيْر ، وإلىٰ عدد ممن أهدر دماءهم ثم قبلهم وعَفا عنهم . ثم قلت له : إن سيرته التي قرأناها ـ وربما شيء ما وصل إلينا ـ ما سمعنا في يوم من الأيام أنها خرجت منه كلمة نابية أبداً ، إلا في يوم ـ قالوا ـ خرج يصلح بين يهود وأطالوا عليه الكلام ليُلْقوا عليه الحجر ويقتلوه عليه الصلاة والسلام ، تعب من مخاطبتهم ومن كثرة

كلامهم ، فقال لهم : « يا إخوان القردة » . فلما قال لهم هـٰذه الكلمة . . جاء واحد من اليهود ، وقال له : يا محمد ، ما عهدناك سبَّاب !

قالوا : خجل وتصبب عرقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ وكان ما قال إلا حقاً ؛ لأن القرآن حكىٰ هـٰذا ، ولـٰكن ما كان من عادته صلىٰ الله عليه وآله وسلم أن ينفِّر أو يعمل شيئاً من مثل هـٰذه الأشياء . وضربتُ له أمثلة علىٰ هـٰذا ، وقلنا له : إنهم كانوا دعاة ، [أي : أشراف (حضرموت)] هدىٰ الله بهم أهل (أندونيسيا) شرقها وغربها ، وهي تزيد علىٰ مئة وثلاثين مليون ، وهدىٰ الله بهم أهل (الهند) وفيها ما يزيد علىٰ ثلاثين ألف من السادة العلويين فضلاً عن المسلمين . وهدىٰ الله بهم أهل (جزائر واق واق ، ووصلوا إلىٰ (مانيلا) وإلىٰ ، وإلىٰ . . ثم دخلوا (الشام) ودخلوا إلىٰ (مصر) ودخلوا إلىٰ الحرمين ، وكانوا فيها منارٌ يهتدىٰ [بهم] ؛ لأنهم كانوا دائماً دعاة بالحكمة والموعظة الحسنة .

أَعجَب الشريف الخوئي الكلام ، وقال : هـٰذا الكلام صحيح يا شريف .

قلنا له : نحن علىٰ هـٰذا المنوال لـٰكن كثير من الغوغاء [يشوِّهون الحقائق] وهـٰذا الذي نشكوه ، وإن قدرتوا أن تأخذون علىٰ أيدي الغوغاء وتلجمونهم . . فالناس لا يزالون بخير ، والناس ينفرون من كلام الغوغاء ، بلغ بهم أنهم تهجموا علىٰ

Scanned with CamScanner

الرسالة وعلىٰ النبوة ، وعلىٰ الإمام الغالب[1] وعلىٰ مَن بعده ؛ لأنهم غوغاء .

قال لي : صحيح هٰذا الكلام . وحضر ذلك الاجتماع كثير من أتباعه ، وحضروا آل كاشف الغطاء ، وحضر - فيما أحسب - محمد القزويني من (العراق) ففرح بالكلام ، وأعجبه الكلام . والدعوة بالحكمة هي التي أنارت البلاد وأنارت السبيل ؛ فالوادي هٰذا صيَّروه الشيوخ الذين يأخذ الإنسان كلامهم بقوة إيمان .

يقول لكم الحداد - وهو الحجة - يقول في ذكر (تريم) والبقاع التي خرج الناس منها من (تريم) :

وهي بعد المساجد الثلاثة لمن خيـ ـــر بـلاد الله فـي جنـوب وشـام

إشارة إلىٰ أنهم زينوها هٰؤلاء الرجال .

وموضع الكلام الذي أُحب أن أرجع إليه هو : أن الإنسان ينبغي له أن يزيِّن بيته ، وأن يزين أهله ، وأن يزين نفسه ، وأن يزين الساحة التي هو ساكن بها . كثير - شوهم ممن له جيران ، إذا سمعوا القرآن بالليل . . تحركوا وتأثروا بالقرآن ، وإذا شافوا نور بالمنزل أضيء ، وشافوا صاحب المنزل مع الله في عبادة ودعوات صالحة . . تحركوا وتحركت قلوبهم ، وانتفعوا بهٰذه الحركة .

ونحن المقصود ، يا إخواني : دائماً نحرضكم ، وهٰذه مجالس تُغبطون عليها . . هٰذه مجالس محمد صلى الله عليه وآله وسلم . . هٰذه مجالس أنتم مشكورون عليها كل الشكر ، ولٰكن

---

(١) سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه .

ـ يا إخواني ـ اجعلوها طريقْ للثمرة ، كما ذكرنا لكم . ثم خذوا عن الشيوخ ، وانظروا إلىٰ الشيوخ الذين أخذوا ، والذين نظروا .

كثير ما أذكر لكم الشيخ عيديد ، كان والده أخذه إلىٰ عند الشيخ أبي بكر بن سالم وهو صغير ، وعاش وهو أمي ؛ لأنه مجذوب ، ولما أخذه إليه . . قال له : يا ولدي ، أنا ما أبغاك تستمع إلىٰ القراءة ، بغيتك تتشوف للشيخ أبو بكر ، وبعد أنا باسألك عن الشيخ أبي بكر .

لما رجع إلىٰ تريم . . قال له : شفت الشيخ بو بكر ؟

قال له : نعم ، شفت الشيخ أبو بكر .

قال : ليه بغيتك تشوفه ؛ لأنه يقول : ناظري ، وناظر ناظر ناظري في الجنة معي . وهـٰذي ما يقولونها الأولياء فقط ، كان يقولها قدامهم [أي : قبلهم] أبوكم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم صاحب الشفاعة الكبرىٰ : « من رآني . . فقد رآني حقاً » والرواية الأخرىٰ : « من رآني . . وجبت له شفاعتي » يعني الجنة هـٰذه هي الإشارة إليها ، هـٰذه إلا في رؤيا .

والشيابة حقنا يتكلمون عن النظر إلىٰ أشخاصهم ، وهـٰذا السيد عيديد لما كبر . . نظرة الشيخ أبي بكر حلَّت فيه وصيرته ولي من الأولياء وهو لا يزال أمي . وكان ممن يتردد إليه الإمام الحداد كبير الشأن ، وكان إذا جاء هو وأصحابه ـ ومن أصحابه : الحبيب أحمد بن عمر الهندوان ، والحبيب علي بن عبد الله العيدروس من أقرانه ، والحبيب أحمد بن هاشم الحبشي ـ إذا جاء . .

قال له : اطلع فوق السرير يا شيخ الجماعة .

يطلعه الإمام الحداد فوق السرير ، ويقول لهم : أنا لا تقرؤون عندي ؛ لأنا أنا ما قريت ، ولٰكنكم تشوَّفوا لي . شُونا شفت الإمام الشيخ أبو بكر بن سالم .

وهٰذه النظرات ، يقولون لنا عنها العلماء : إن العاين صاحب عين السوء إذا نظر إلىٰ واحد . . أمرضه بعينه ، فإذا كان العاين يمرض بالعين الشيطانية ، فهل ترون أن الولي ما تؤثر عينه بالأولوية ؟ لابد وأن تؤثر عينه تأثير فعال .

ومن ذلك التأثير : كان واحد ممن أدركوا الشيخ أبو بكر بن سالم ، اسمه محمد بن عبد الرحمٰن مديحج ، قال : إني حضرت مجلس الشيخ أبي بكر وأنا صغير ، وكان الشيخ أبو بكر يتلفت إلىٰ الناس ـ قال ـ فشفته وقعت عيناه عَلَيْ . قال : بعد أربعين سنة شعرت بأثر العينين والنظرة التي وقعت لي من الشيخ أبي بكر بن سالم ، أدركت ثمرتها وسرها بعد أربعين سنة .

والناس لا يزالون بخير مادام فيهم التعلق بأهل الخير . وهٰؤلاء الإخوان الذين تشوفونهم أنتم ـ كما عمكم محمد الشاطري ، وكما عمكم سالم خرد ـ رحمه الله ـ لما أنكم تحرصون وتحبونهم ، وتفرحون بكلامهم ، ويعجبكم طيب كلامهم . كلامهم ما هو للأدب الذي أدركوه ، ولا للعلم الذي حصَّلوه ، ولا للسياسة في الكلام ، كلامهم [زين] ؛ لأنهم أخذوا عن رجال . . شافوا بعيونهم رجال .

Scanned with CamScanner

الشاطري ذا أنا شفته عند عمكم عبد الله بن عيدروس ، كان يحضر [مجالسه] ، وكان والده وأمه يرسلوه إلىٰ عند عمكم عبد الله بن عيدروس ، هٰذه النظرات التي حلت فيه . وكماه عمكم حسن ، وكماه عمكم شيخ ، وكماه عمكم علي بن عيسىٰ ، وكما عمكم عبد الله بن حامد ، وكما لي تشوفونهم هاذيلا ، كل من أدرك حد من أهل الرعاية . . صارت الرعاية تمشي معه وبقيت متصلة ، ثم كان العلم حقها هو الذي يؤدي ؛ لأن العلم بعضه يؤدي وبعضه لا يؤدي .

فعلم لا تقبله القلوب بتاتاً ، ولا تنفتح له الأسماع ، وهٰذا العلم أشار إليه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، إشارة القرآن لَمَّا نزل قوله تعالىٰ : ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ . . قال : « اللهم اجعلها أذن علي بن أبي طالب » . فلو كانت الأذن إلا تسمع وكفىٰ فقط . . لما دعا النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ولما أكدها القرآن بأنها أذن واعية ؛ لأن الأذن من شأنها أن تعي ، ووظيفتها أنها تسمع وتعي ، ولٰكنها إذا لم يكن الوعي ذا نفوذ ويمرق إلىٰ القلب . . فلا خير في ذلك الوعي، ثم تذهب الثمرة كما ما ذهب [الصوت] .

ولعاد نطيل عليكم ، نسأل الله أن يجعل الآذان واعية ، والقلوب مستمعه ، ويجعل المجالس نافعة ، ويجعل الدعوات فيها رافعة ، والقلوب فيها مجموعة وجامعة .

وختمها بالفاتحة .

* * *

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة بمنزل أحد محبيه بـ(المدينة المنورة) في الثالث من شوال ، عام ثمانية وتسعين وثلاث مئة وألف للهجرة (٣/ ١٠/ ١٣٩٨هـ) .

وقرىء في ذلك الاجتماع قصة المولد النبوي . وبعد الجلوس من المقام تكلم سيدي بهٰذه الكلمة القيمة ، نفعنا الله بها ونفع بها الجميع ، ومتع الله بحياة سيدي ، آمين .

قال ـ حفظه الله ـ :

[لا زالت] تتوالىٰ علينا البركة ، ذلك كله بأن جعل الله سبحانه وتعالىٰ رسوله سيد الأولين والآخِرين علىٰ مثل هٰذا النوع الإنساني ، وإن كانت بشريته غير بشريتهم ، وأحواله غير أحوالهم ، لٰكنها من النعم التي لا يُقْدَر قدرُها ولا يَقْدِر أحد علىٰ تعداد فضلها ؛ أن جاء النوع الإنساني جاء علىٰ صورة سيد ولد عدنان صلوات الله وسلامه عليه . وتلك نعمة ، جاءنا بهٰذا الشكل فانجذبت القلوب إليه بواسطة هٰذا الخلق .

وقد حكىٰ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ عنه أنه لو كان من نوع الملائكة أو كان من نوع المخلوقات الأخرى ـ قالوا ـ لكان أمره غير هٰذا الأمر ، ولٰكن الله سبحانه وتعالىٰ اختار لنا اختياراً كبيراً عظيماً ؛ لأجل نميل إلىٰ تلك الذات ، ولأجل نكون معها ؛ لأنه

لو جاءنا مَلَك . . لكان شأنه غير شأننا ، ولو جاءنا علىٰ صورة أخرى . . لكان أمره غير أمرنا ، ولو جاءنا علىٰ حالة أخرىٰ . . لكان له حال غير حالنا ، لـٰكن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لما خلقنا وأرادنا نربح عليه ، وقدَّر لنا السعادة في سابق علمه وفي سابق أجله ، وقدر لنا الأخيرية والأفضلية . . أولاً اختارنا لنبي هو محمد ، واختارنا لدين هو الإسلام ، واختارنا لبلاد هي بلاده ، [بلاد حبيبه] عليه الصلاة والسلام ؛ لأن بلاده لها شأن ، ودينه أعظم الأديان ، وهو ـ صلوات الله وسلامه عليه أكرم كل إنسان .

وقالوا : لو كانت الحياة والرسالة التي أعطيها هو عليه الصلاة والسلام ، وإن كانت باللسان العربي ، لـٰكنها لو جاءت بحالة أخرى ـ قالوا ـ لما اهتدىٰ الكثير من هـٰذه الأمة إليها ؛ لأن الأمة لا تتناسب إلا إلىٰ شكلها ، وشِبْهُ الشيءِ منجذب إليهِ .

فنحن لما جاءنا بهـٰذه الصورة . . انجذبنا إليه ، فإذا ذُكِر عليه الصلاة والسلام تسابقت الألسن بمسابقة القلب بالصلاة عليه . ثم ـ كما ذكرنا قبيل في مجلس الشيخ حسين ـ إن السلف رضوان الله تعالىٰ عليهم كانوا إذا أرادوا عقد جلسات يحضرها الكثير من الخلق . . قدَّموها بقراءة سيرة محمد بن عبد الله . فإذا قالوا : إنه مولد يعقد في مكان . . تسارع الناس إليه علىٰ اختلاف طبقاتهم ، وعلىٰ اختلاف أحوالهم ، وعلىٰ اختلاف هيئاتهم ، حُبّاً في محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

ومن ذلك الحب ـ قالوا ـ تَصْدُر الدعوة المحمدية ، وإذا

Scanned with CamScanner

صدرت الدعوة المحمدية بعد ذلك الحب. . كان نصيب الداعي حَسَنْ ، ونصيب المدعو حسن ، ونصيب الحاضرين كلهم في تلك الجلسة حسن ؛ لأنهم أتوا باسم نبيهم ، وجاؤوا لدعوة نبيهم ، ووصلوا في تلك الحضرة إلىٰ حضرة ربهم ؛ فإن حضرة الحبيب صلوات الله وسلامه عليه مفتاح للحضرة الأحدية .

وللحبيب علي بن محمد الحبشي صلاة عظيمة ، نفتتح بها دائماً في مجالسنا ، أو في كلامنا أو في دعواتنا . ـ وكان الحبيب أحمد بن حسن يقول له : يا علي ، صلاتك هـٰذه تجمعنا بالنبي ـ وهي :

اللهم صل وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد مفتاح باب رحمة الله عدد ما في علم الله ، صلاةً وسلاماً دائمين بدوام ملك الله .

فإذا أعطاك الله المفتاح بالصلاة [عليه] ودخلت إلى الحضرة. . فمعناه أنك وصلت ، وإذا وصل الإنسان. . فمعناه أنه سَعِد سعادة لا شقاوة بعدها .

ومن حق الواصل ـ قالوا ـ أن يفتح عين بصيرته حتىٰ يشاهد التعرف عند ما ينزل ، واللطائف حينما تهمي ، والتجليات حينما تفيض ، والخيرات حينما تترادف ، والعطايا حينما تفيض ، والبركات حينما تأتي ؛ لأنها كلها هـٰذه لا تُشاهَد إلا بعين البصيرة .

وللبصر ـ قالوا ـ دلالة تأتيه من القلب ، إذا اطمأن القلب

وسكن وبرد ، واستشعر أنه مطمئن كمال الطمأنينة في المجلس . . فتلك السكينة نزلت ولا تتنزل السكينة إلا وتتنزل معها اللطائف الربانية والعوارف المحمدية ، تأتي فوجاً بعد فوج ، وتُرسَل ساعة بعد أخرىٰ ، وتأتي الناس علىٰ قدر استعدادهم :

فمن كان استعداده أتم . . شربها قلبه .

ومَن كان استعداده قاصر ـ قالوا ـ حَصَل له نصيب ، وبقي له بقية ذلك النصيب مخبوءاً حتىٰ يكمل له الاستعداد فيعود له حقه ، فيأخذ قسمه .

قالوا : إنه كان واحد من كبار العلويين له شأن عظيم عند مولاه ، والشأن العظيم جابه من كمال الاتباع والاستقامة للسيد الكبير صلوات الله وسلامه عليه . قالوا : هذا اسمه الحبيب حامد بن عمر[1] ، إمام مسجد باعلوي ، مسجد العلويين كلهم .

قالوا : قام في الصلاة إمام في المحراب ، فلما سجد . . انخرقت له الحجب وانهَتكت السواتر ، وأصبح يشاهد ، ومِن بركة مشاهدته شاهد مَن وراءه ، ومِن بركة مشاهدة مَن وراءه شاهد مَن علىٰ يمينه ، ومِن بركة مشاهدة مَن علىٰ يمينه ، شاهد مَن علىٰ يساره ، وأصبح الناس في السجود يتسابقون نصيبهم من اللطائف حتىٰ وصلت إلىٰ آخر مصل في المسجد ، فلما انتهوا من الصلاة وسلم الإمام . . كل واحد كان يقول لمن بجنبه : أنا وقع

---

(١) الإمام حامد بن عمر بن حامد علوي المنفر ولد بتريم سنة (١١٢٥هـ) وتوفي بها في شعبان سنة (١٢٠٩هـ) وهو شيخ الحبيب عمر بن سقاف .

Scanned with CamScanner

لي اليوم في السجود كذا وكذا ، قال له : وأنا وقع لي ، قال له : وأنا وقع لي ، قال الآخر : وأنا وقع لي.. وهٰكذا ، أخذوا يخبرون عن الواقع ، والواقع حصل لصاحب الاستعداد الكامل ، وهو السيد حامد بن عمر ذاك الإمام الكبير .

وهٰكذا تفيض الواردات واللطائف ، ويستشعرها القلب ، ويدركها الجسم باستشعار القلب إذا حصلت الطمأنينة ، ولذلك قال المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لنا في الصلاة : ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وبغير طمأنينة لا يحصل تعرف من الله سبحانه وتعالىٰ . واحد يصلي وقلبه مشغول ، وآخر يصلي وقلبه في عالم آخر ، وواحد يصلي وقلبه في سوقه ، وواحد يصلي وإذا جاء واحد يكلمه ويقول له : هيا شفنا قدامك . . [ينصت للكلام] [ويترك القراءة] ، وبعد يرجع لفاتحته! فينه ذا من الحضور ، فينه ذا مع الصلاة ؟ ما هو في صلاة هٰذا الإنسان ، هٰذا لا يزال في شغله . المولىٰ يقول : ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ والسكينة ما تتنزل إلا علىٰ أهل الطمأنينة الكاملة ، وعلىٰ أهل الحضور الكامل ، واللطائف لا تظهر إلا لهم ، والتعرفات ما تأتي متواصلة إلا لهم .

قالوا : كان هٰذا الحبيب حامد بن عمر ـ الذي ذكرناه لكم ـ جاء حاجٌّ وذهب إلىٰ (المدينة المنورة) زائراً لجده المصطفى صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ومَن كان جده محمد وقرب إليه بالاستعداد الكامل . . يصلح له أن يتكلم ؛ لأن الحضرة تفيض عليه ما لا تفيض علىٰ غيره ، وتأتيه بوارِدِها ما لا يَرِد إلىٰ غيره ،

Scanned with CamScanner

هٰذا يأتيه وارد الدار إلىٰ الدار ، ومن القلب إلىٰ القلب .

قالوا : إنه جاء إلىٰ (المدينة المنورة) ودخل في عداد الزائرين والمسَلِّمين علىٰ سيد الأولين والآخِرين ، فوجد المسجد غاصٌّ بالزائرين والمسلِّمين ، فوقف بأخريات المسجد متأدباً ، فإذا واحد يقوم من جانب الشباك ويتخطىٰ الناس ويسألهم : أفيكم حامد بن عمر ؟ أفيكم حامد بن عمر ؟ أفيكم حامد بن عمر ؟ حتىٰ أتىٰ علىٰ آخر المسجد .

قال له : لبيك ، أنا حامد بن عمر ، ما شأنك ؟

قال له : جدك رسول الله يقول لك : ادخل إلىٰ عند الشباك ، أنت أحق بالقرب ؛ لأنك قريب حقيقة .

فقام وتخطىٰ الناس حتىٰ وصل . وتلك كرامة فيها خطبته جاءت من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وطلبه النبي صلىٰ الله عليه وسلم ودعاه .

كان شيخنا الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب إذا ذكر هٰذه الحكاية . . ذكر معها حكاية الشيخ أحمد الرفاعي ، الشيخ أحمد الرفاعي لما وصل إلىٰ الحضرة . . أنشد يقول :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الترب عني وهي نائبتي
وهٰذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظىٰ بها شفتي

ظهرت اليد الشريفة وقبلها الشيخ الرفاعي على ملأ من الناس . تلك حالة قرب أخرىٰ ، تلك حالة محبوبية . وفرق

ما بين واحد يحبونه وواحد يحبهم ، وواحد عنده المحبوبية خُلِعت عليه وواحد عنده نصيب من المحبة ، وواحد وصل من درجة المحبوبية إلىٰ درجة القربية . وواحد عاده إلا يُدَّوِّر ويسعىٰ .

فرق ما بَينْ من يُخطَبْ ومَن كانْ خاطبْ .

مقامات عظيمة وطرق عظيمة . وهـٰذه كلها جاء بها كمال الاستعداد للسيد الكبير .

ودليل الطمأنينة ـ كما ذكرنا لكم ـ هي دليل السكينة ، إذا نزلت السكينة علىٰ مجلس من المجالس. . فاعلموا أن في المجلس من هو قريب من الله سبحانه وتعالىٰ ، وتعرَّف الله إليه في تلك اللحظة ، ومن تعرف الله إليه في تلك اللحظة. . يحصل للحاضرين نصيب من التعرف ، كل من سكن قلبه. . وصله نصيب ، وكل من حضر قلبه. . وصله نصيب ، وكل من تحرك قلبه. . وصله نصيب .

الله يجعل لنا ولكم نصيبْ من ذلك التعرف .

وهـٰذه ـ شفوها ـ أيام تعرُّف كلها ، ليالي رمضان وأيام رمضان المشرَّفة الزاهية أيام تعرُّض وأيام خير وبركة .

قالوا : ما من ساعة تمر في رمضان إلا ولله فيها ـ علىٰ اختلاف الأحوال ـ له فيها عتقاء يعتقهم ، وله فيها واصلون يوصلهم ، وله فيها مقربون يقربهم . وما من ساعة إلا والماطر

يمطر ، ويمطر فين ؟ يمطر علىٰ القلوب ، فإذا وجد القلب مفتوحْ.. نزل المطر ووصله . ما يمطر علىٰ الأرض ؛ لأن الأرض شأن غير شأن القلوب ، ولـٰكن هـٰذه مواطر الرحمة [محلها] إلا القلوب ، تتنزل علىٰ القلوب ؛ لأن القلوب غذاها هـٰذا وحياتها إلا بهـٰذا ، كما أن الأرض حياتها بالرحمة الظاهرة ، فالأمطار الظاهرة تخضّر وتكثر فيها أشجارها ، كذلك القلوب تخضّر .

قال الشيخ عمر بامخرمة في قصيدة يقول فيها :

مِن نَداها تَرُدُّ القاع بالدَّحْق خضراء

يعني : إذا دحق واحد من الأولياء في مَجْدَبة . . رَدَّها خضراء بدحقته من رجله . هذيلا لما كان الواحد منهم مكسي بكسوة ، وآه هي الكسوة ؟

قال العلماء ـ عليهم الرَحمة ـ : إن الولي هـٰذا يدرك معرفته القلب ، فيميل إليه ويتبعه ، ويستمد منه ، ويتقرب إليه ، ويتحبب إليه بدون أن يعرف ما هي الولاية ، ولا ما هو شأنها ، ولـٰكنها لها سبب . قالوا : السبب هو أن الولي هـٰذا يكون مثاله مثال الدودة التي تحيا وتنشأ في الشجرة الخضراء ، تكون هي والشجرة سَواء ، عليها كسوة من خضرة الشجرة . والولي عليه كسوة من نور مولاه سبحانه وتعالىٰ ، يقبس من ذلك النور ، ويستمد من ذلك النور ، ويُلهَم من ذلك النور .

Scanned with CamScanner

الله يجعل لنا ولكم نصيبٌ من هٰذا النور ، ونصيبٌ ـ إن شاء الله ـ من بركات هٰذه الليالي ، ونصيب من بركات رمضان ، ونصيب من بركات الاجتماعات هٰذي ، ونصيب من بركات هٰذه البلدة المطهرة ، ونصيب من بركات المسجد المقدس ، ونصيب من بركات القبر ، ونصيب من بركات الحجرة ، ونصيب كبير تستعد به القلوب من الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم [الذي قال] : « **إنما أنا قاسم والله يعطي** » .

نسأل الله أن يعطينا من يد الحبيب .

اللهم أعطنا قسمنا من يد نبيك وحبيبك محمد ، أفض علينا بواسطة قلبه ، ما تفيضه علىٰ الكامل ، وما تعطيه المحبوبين ، وما تعطيه المخطوبين ، وما تخبِّئُه للموهوبين . اجعل لنا ـ يا رب ـ قسماً من ذلك ؛ فإنا عبادك ، نسألك ذلك ، ونسألك كل شيء من أمر الدنيا ، وكل شيء من أمر الآخرة فيه صلاح لنا ، وصلاح لأولادنا ، وصلاح لإخواننا ، وصلاح لتلاميذنا ، وصلاح لمحبينا ، وصلاح لآبائنا . لا تحرمنا ذلك ؛ فإنك كريم لا ترد من رفع يده إليك ، ولا من بكىٰ وشكا عندك .

أنت ـ يا رب ـ تقبل من جاء علىٰ أي حال ، تقبل العاصي ولا يقبله إلا أنت ، وتقبل المخلِّط ولا يقبله إلا أنت . . وتقبل الغافل ولا يقبله إلا أنت فارحمنا في غفلتنا ، وارحمنا يا رب في جهلنا ، وارحمنا يا رب في عصياننا . وكما جعلت نبيك محمداً نبينا فأكرمنا بالقرب منه ، وإذا أكرمتنا بالقرب منه . . فأكرمنا

Scanned with CamScanner

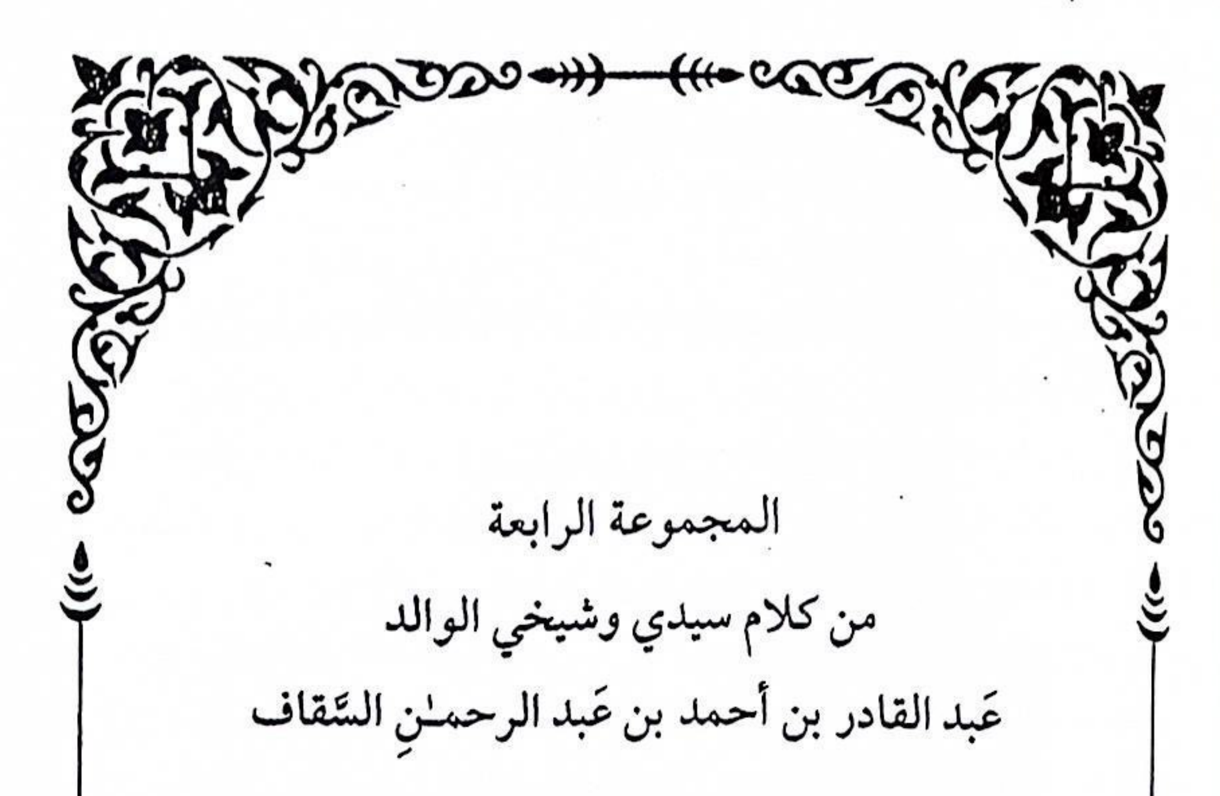
بالجلوس معه والنظر إليه ، وأحينا متمتعين بحبه وبذكره وبالصلاة عليه ، واملأ قلوبنا بمحبتك ومحبته حتىٰ يخرج منها كل شيء ، فلا يشغلها شاغل عنك ولا عن نبيك محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

اللهم لا ترد لنا دعوة . . اللهم لا ترد لنا دعوة . . اللهم لا ترد لنا دعوة . . بجاه خاتم النبوة ، وبجاه صاحب أهل الفتوَّة ، وببركة آبائنا رجال الأبوَّة ، ارحم البنوَّة يا كريم .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

Scanned with CamScanner



المجموعة الرابعة

من كلام سيدي وشيخي الوالد

عَبد القادر بن أحمد بن عَبد الرحمـٰنِ السَّقاف

جامعه

محمد عبد القادر حسين السقاف

كاتبه

عبد الله بن علي الجفري

Scanned with CamScanner

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ، ومنه نستمد العون والسداد . والصلاة والسلام علىٰ الهادي إلىٰ سبيل الرشاد ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الأمجاد .

موائد الخير مبسوطة لمن بايرد .

لا زال فضل الله متواتر علينا ، وعين الله ناظرة إلينا ؛ فالمجالس والرَّوْحَ انعقادها مستمر ، ولا نزال نقطف من ثمارها الدانية أحلىٰ الثمار ، وشيوخنا باذلون أوقاتهم لنا في الليل والنهار :

ما انقطعْ فضلْ ربي يا عمرْ عن عَبيدِهْ غيرْ كُلِّين غارقْ في عطياتْ سِيْدِهْ

إلا أن الصراع بيننا وبين الكسل والإهمال قوي ، أحياناً يغلبني وأحياناً أغلبه ، وبقيت أجمع في وقت نشاطي ما أتمكن من جمعه من كلمات سيدي وشيخي الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمـٰن السقاف . وكلما عاودني الكسل والإهمال . . تذكرت قول القائل :

إن عمر الإنسان ولو طال كزيارة ضيف أو سحابة صيف .

وقول الشاعر :

مـاذا يضـرُّكَ لـو بـادرتَ مغتنمـاً وقتَ التلاقي وحبلُ العمر موصولُ

فيعود نشاطي وأغتنمه ؛ لأن الماضي لا يُرَد ، والمستقبل ليس في اليد .

وهاأنا أقدم لمحبي سيدي وعشاق كلامه هٰذه المجموعة الرابعة من كلماته القيمة ، وأملي في الله أن يجعلها حلية لنا ، وكنزاً لأولادنا من بعدنا :

وليس على المجد والمكرمات إذا جئتَهـا حـاجـبٌ يحجبُـكْ

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يوفقنا لحفظ أوقات فراغنا أن لا تمر علينا بلا فائدة ، وأن يوفقنا لاغتنام الخمس قبل الخمس التي حثنا الرسول صلّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ علىٰ اغتنامها ، وأن يمتع سيدي بالصحة والعافية ، ويطيل في عمره وفي البقية الباقية من الآباء والشيوخ ، آمين .

محمد بن عبد القادر بن حسين السقاف

Scanned with CamScanner

قصيدة الأستاذ المساوىٰ في الحبيب عبد القادر

هٰذه قصيدة تحية وإعجاب مهداة إلىٰ حبيبنا الوالد عبد القادر بن أحمد السقاف ، مقدمة من أستاذنا ومربينا الوالد المرحوم محمد بن شيخ المساوىٰ ، أنشدت في (١٤) رجب الحرام عام (١٤٠٣هـ) .

قف على مربع الرضا والأمانِ ... وتَـردَّدْ إلـى ريـاض الجِنـانِ
تَلْقَ ما رمتَه من الأنس والبهـ ... ـجة فيها والرَّوْح والريحان
وتنـل خيـرَ مـا يـؤمِّـل راج ... مـن كنـوز العلـوم والعـرفـان
يا لها من مجالسٍ تشرح الصد ... رَ وتُـرْسِـي قـواعـد الإيمـان
وتقود النفوس للبرِّ والحسنى ... وتَهـدي لطـاعـة الـرحمٰـن
فالزموها يا إخوة الصدق وادعوا ... مَـن لقيتـم لهـا مـن الإخـوان
إن فيها عرائسَ المجد زُفَّت ... والعلا . . لا خرائداً أو غواني
إن فيهـا السعـادةَ فـي الـدنـ ... ـيا ويـوم الحسـاب والميـزان
كيف لا تُكسِبُ الفضائلَ والمجـ ... ـدَ ويعسـوبهـا وحيـد الـزمـان
وارثُ المصطفى وأسلافِهِ الغُـ ... ـرِّ الكـرام الأمـاثـل الأعيـان
أنفقَ العمرَ في إكتساب المعالي ... حين مِلْنا إلى الحطام الفاني
وتـربـى علـى شيـوخ كـرام ... كُـلٌّ أخـلاقهـم مـن القـرآن
كان مِقْدامَهم أبوه العظيم الـ ... ـفذُّ فيهـم والعـالـم الربـانـي
حاز أسرارهم ونال عُلاهم ... وسمـا بعـدهـم علـى الأقـران

وغَدَا ناشراً تعاليمَ خير الـ ـرُّسْلِ في كل نازح أو داني
قد نَعِمْنا به زماناً طويلاً حين كنا هناك في الأوطان
ورشفنا من نبعه كل صاف فيه رَوْح للرُّوح والأبدان
وفقدناه حين هاجر عنا وخسرناه غاية الخسران
ثم زرناه فإذا الخير فيما اخـ ـتاره الله خالقُ الأكوان
فهُنا عَمَّ نفعه وسَرَتْ دعـوته في القرى وفي البلدان
وهنا كان مرجعاً وملاذاً وغياثاً للحائر اللهفان
ومناراً للعلم والحلم والأخـ ـلاق والدين كل وقت وآن
ورجانا من فضلك الجمِّ أن تذ كُرَنا في الخفاءِ والإعلان
فلك الفضل عند ربك لاشكَّ بما قد قَدَّمتَ من إحسان
فجميع الورى تدين وتشدو وتُغَنِّي به بكل لسان
أنت شمس تضيء للناس طُرّاً أينما قد حَلَلْتَ أيَّ مكان
وسَفِينٌ للحائرين على نهـج التقى والمعالي والعرفان
وكفاك الإله شر أعاديـ ـك وما أضمروا من الأضغان
دُمتَ في صحة وعمر مديد رافلاً في بُرود عيشٍ هاني
وصلاة الإله تغشى نبيّاً قد هدانا لأفضل الأديان
وعلى آله كرام السجايا ونجوم الهدى لكل زمان
وعلى صحبه الأُلَىٰ نصروا الديـ ـنَ فأضحى مُشَيَّدَ البنيان

محمد بن شيخ المساوىٰ

* * *

ورتب سيدي عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمـن السقاف . هـٰذه الفاتحة في نهاية الروحة بمنزل أخينا طـٰه بن محمد بن طـٰه ، وبعد الانتهاء من القراءة في الفقه ، وذلك مساء الجمعة غرة محرم الحرام ، من عام أربعة وأربع مئة وألف للهجرة علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام . جدة ١/١/ ١٤٠٤

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

الفاتحة أنّ الله يجعل دخول هـٰذا العام ـ علينا وعليكم ـ دخول رحمة ، ودخول بركة ، ودخول رضاء ، ودخول عطاء . وإن شاء الله دخول فتح ومنح . يُهدي لنا فيه ـ إن شاء الله ـ من الخير الكثير ، ويرفع عنا البلاء ـ إن شاء الله ـ ويجعل بلادنا مصَفَّاة من جميع الأدناس ، يصفيها ويرفع ما حل بها وببلاد الإسلام أجمع ، ويجعل الغلبة للإسلام وأهل الإسلام ، ويجعل مناره عاليْ ، وكعبه عاليْ علىٰ كل مخالف ومعتدي وقالي .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يرحمنا وإياكم رحمة من عنده تصلح بها أمورنا الظاهرة وأمورنا الباطنة ، وتصلح بها قلوبنا ، وتحيا بها أرواحنا ، وتنتعش بها أجسامنا ، ويكثر بها خيرنا ، ويزدهر بها نعيمنا ، ونكون ـ إن شاء الله ـ فيها في صفاء عام ، صفاء دائماً علىٰ كل الأحيان ، ظاهراً وباطناً .

Scanned with CamScanner

ونسأله المغفرة لوالدينا ، وللمتقدمين من أمواتنا وأموات أهل : « لا إلـٰه إلا الله » أجمعين .

اللهم اجعل أرواحهم في أعلىٰ عليين ، مع نبيك الأمين ، محمد سيد المرسلين ، وآله الطيبين . واغفر اللهم لنا ولهم ، وارحمنا وارحمهم . وبارك لنا في هـٰذه المجالس واعمرها برجالها ، واجعل أرواح أهلها حائمة عليهم - إن شاء الله - وحَلِّهم بحلية العلم ، وحلهم بزينة العلم ، وحلهم بخلعة العلم ، وحلهم ببهجة العلم ، وانشر رايته عليهم من راية نبيهم ومولاهم وسيدهم ، كما نشرتها علىٰ آبائهم وأجدادهم ، واجعلهم ظاهرين بها ، عالمين بها ، وعاملين بها ، ظاهراً وباطناً ، في خير وعلىٰ خير :

وكَثِّــرِ الــداعيــن والأَدِلَّــهْ والمـرشـديـن لطـريـق المِلَّـهْ

في خيرات ومسرات . وإلىٰ حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وبعد قراءة الفاتحة رفع الدعاء ، وقال - حفظه الله - :

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آل سيدنا محمد ، حبيبك الذي شرَّفتَه ورفعت قدره وشرحت صدره ، وأعطيتَه ما لَم تعطي غيره .

أسألك اللهم به إلاَّ ما جعلت لنا من ذلك الشرح لصدورنا

Scanned with CamScanner

شرحاً ، ومن ذلك النور لقلوبنا نوراً ، ومن تلك الهداية لأجسامنا نوراً ، ولنا نوراً ، ولأهلنا نوراً ، ولإخواننا نوراً نلتمس به الهدىٰ وسبل الخير .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

دوائر الإسلام ودوائر الإيمان والملائكة الموكلون وشعب الإيمان وأعمال البر

ونكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة، بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه بـ(جدة) فبعد الانتهاء من القراءة في الفقه قرأ الأخ محسن بن غلوي بن عبد الله في كتاب : « تعريف الخلف بسيرة السلف » .

ثم أنشد العم جيلاني سري قصيدة للحبيب علي الحبشي التي مطلعها :

رويدك أخبرني بما قد وقع   ومـا جـرىٰ فـي وقتنـا المـار

ثم انشدوا أخدام السقاف[1] ، وبعد ذلك تكلم حبيبنا بهٰذه الكلمة ، ومدتها عشرين دقيقة ، والتاريخ : اثنين وعشرين محرم (١٤٠٤هـ) عام أربعة وأربع مئة وألف هجرية . الموافق ثمانية وعشرين أكتوبر عام (١٩٨٣م) .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أحسنتم وأحسن الله إليكم . كل ما سمعتوه من القصيدتين :

الأولىٰ للحبيب علي الحبشي .

والثانية للحبيب عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران .

والثالثة سمعتوا منها رجزها للشيخ الشواف .

---

(١) أخدام السقاف : قبيلة معروفة بتريم (آل با مصري) . . يؤدون إنشاد حضرة السقاف والمناسبات . . ثم انضم إليهم غيرهم . .

كلهن يعرِّفنكم المقصود ، والمقصود من الإنسان : أن يكون خليفة عن الله سبحانه وتعالىٰ في أرضه . كلها الدعوة التي جاءتكم بواسطة الرسالة المحمدية ، والكتب التي تقرؤونها ، والسَّمَاعات التي تسمعونها . . كلها تحدوكم إلىٰ الوصول إلىٰ المقصود .

والمقصود هو : أن يخرج الإنسان خليفة كاملْ عن مستخلِفِه ، والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ هو الذي استخلف أباكم آدم ، واستخلفكم من بعد آدم .

ومعناه : أن كل عمل من أعمال البر ومن أعمال الإسلام التي يأخذ بها الإنسان توصله إلىٰ مرتبة من مراتب القرب :

فإماطة الأذىٰ عن الطريق . . تعطي صورة عن أن الرجل أسلم نفسه لله ، وعرف كيف يرحم عباد الله .

ورعاية المريض والعاجز ، والشيخ والفقير ، وذي الحاجة ومن علىٰ شاكلتهم تعطي صورة أخرىٰ عن أن العبد عنده نصيب من الرحمة التي أشار إليها النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ بقوله : « الراحمون يرحمهم الرحمـٰن » .

وزيارته لأخ أو لقريب ، أو لصديق أو لحبيب ، ومثله مجلس علم ، ومثله حفظ وقت ـ كذلك ـ لتلاوة شيء من كتاب الله ، أو الأذكار سمعها . . كلها هـٰذه تجلو عن القلب الصدأ ، وإذا انجلىٰ عن القلب الصدأ ـ قالوا ـ أسلم نفسه ووجهه لله سبحانه وتعالىٰ ، وإذا أسلم وجهه لله سبحانه وتعالىٰ . . كان محقوقاً أن تظهر له

Scanned with CamScanner

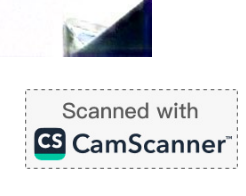
درجات الإيمان التي يشير إليها الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ كما ورد في الحديث : « **الإيمان بضع وسبعون شعبةً ، أدناها : إماطة الأذىٰ عن الطريق** » .

درجات يرتفع بها الإنسان ، ومراقي يرقىٰ فيها الإنسان حتىٰ يصل إلىٰ الغاية . والغاية المنشودة والمقصودة هو : أن يستشعر الإنسان وجود الله . هـٰذا الإيمان الأول للعبد ؛ الإيمان بالله .

ومعنى الإيمان بالله : أن يستشعر وجود الله سبحانه وتعالىٰ معه في كل لحظة وفي كل نَفَس ، حتىٰ لا ينصرف يمنة ولا يسرة إلا في رضاه ، وإلا في محابِّهِ ، وإلا في رغبات دعاه إليها سبحانه وتعالىٰ .

الدرجة الأولىٰ : الإيمان بالله ، وبملائكة الله . يستشعر كذلك الملائكة علىٰ اختلاف طبقاتهم : فملائكة موكلون به عن يمينه وعن شماله ، وملائكة موكلون بحفظه ، وملائكة موكلون برزقه ، وملائكة موكلون بصحته، وملائكة موكلون كذلك بذكره وصلاته ؛ أو بلهوه وسهوه ، يصعدون وينزلون . إذا استشعر وجودهم. . عز عليه أن يغفل أو أن يعصي ، ووصل إلىٰ درجة أخرىٰ من درجات الإيمان ، وهـٰذه الدرجة يستشعر ـ كما ذكرنا ـ فيها المرتبة هـٰذه ، وعند استشعاره المرتبة. . ربما تظهر له الملائكة .

كان عمران بن حصين رضي الله عنهما من خواص رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، كان مبسوراً ـ أي : عنده مرض الباسور ـ ولما أُتِيَ له بطبيب ليعالجه. . قال لهم : دعوني إلىٰ اليوم الثاني حتىٰ أرتئي أمري وأفكِّر . فجاء في اليوم الثاني إليه



Scanned with CamScanner

الطبيب ، قال لهم : لا ، أنا فكرت ، وجدت أن الملائكة تسلم عليَّ وتصافحني ، فربما إذا عالجتموني وحصل لي اللطف . . لا تظهر عليَّ الملائكة . إشارة إلىٰ درجة إيمانه .

نحن لسنا بصدد القصة لأجل الرتبة التي وصلها ، إنما الصدد لأجل تعرفون أن الإيمان ـ كما ذكرنا ـ بضع وسبعون شعبة ، درجات يرتقي بها الإنسان .

ومن تلك الدرجات كذلك : اتصاله بعد بالعالم الغيبي . يدرك من العالم الغيبي بإيمانه الكامل ما يعطيه صورة عن الاتصال بمن ؟ عن الاتصال بالله الذي يفتح له كوة ، أو نافذة كبيرة ، أو يجعل قلبه نيِّرْ يخرق الحجب بمجرد النظر إليه . تلك مرتبة وصلها هـٰؤلاء الرجال الذين سمعتوهم .

يا عمر بن سعيد ـ يقول الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي يخاطبه ، ويذكر له ـ إن الشيخ عبد الرحمـٰن [السقاف] ، سيدك وسيدي وسيد الأولياء ، بماذا وصل ؟ أربع ختمات بالليل ، وأربع ختمات بالنهاروبالعلم . وفوق العلم أنه أقام جانب الدنيا ، ما غفل عن جانب الدنيا ، أقام له كثير من المحارث الكبيرة ، ومن النخيل الكثيرة حتىٰ أصبح يعطي . . لا يأخذ ، ليس محتاجاً لشيء قط أبداً . والنخل حقه كان يقرأ عند الخلعة حقه والمغرس الواحد « ياسين »[1] تارة ، وربما الختمة تارة

---

(١) ياسين : أي سورة يس ؛ والخلعة : غرس النخل الصغير .

ثانيه . منه نخل اسمه : باحيشي . قالوا : إنه وقفه مع الأعمال الكبيرة والعمل العظيم الكبير والذيوع والشهرة، وقف النخل هٰذا علىٰ أولاده ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، علىٰ أن يذكر الله الواحد منهم ، ويسبح الله ، ويصلي علىٰ النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ بعتاقة يلقيها لوالده الشيخ عبد الرحمـٰن . والبنت نصف الولد .

ويعطىٰ مثلها مع الفضل العظيم . هٰذا الذي وصل إليه ، والدرجة الكبيرة ، والإجماع علىٰ جلالة قدره وعلىٰ عظم ولايته ، وعلىٰ أنه هو الشيخ الكبير في عصره والناس كلهم منطوين . كثير ما أذكر لكم أن الشيخ عمر المحضار لما سافر للحج إلىٰ (مكة) وحضر مجلس الشيخ طاهر التكريتي ، وكان الشيخ طاهر هو المتصدر والمتزعم في ذلك الوقت في (مكة) فجاء إليه الشيخ عمر المحضار ، ولما رآه الشيخ طاهر . . أبهره النور الذي علىٰ المحضار في شبابه . قال : بقي يسارقه النظر حتىٰ طال عليه الأمر ، فسأل وقال : لمن هٰذا الولد ينتسب ؟

قالوا له : هٰذا لعبد الرحمـٰن السقاف بن محمد مولىٰ الدويلة .

استدعاه ، وجاء إليه ، قال له : والدك الشيخ عبد الرحمـٰن ؟

قال له : نعم ! والدي الشيخ عبد الرحمـٰن .

قال : اشهدوا عليَّ ، إن الشيخ إذا حضر مجلس من مجالس الولاية . . يكون كالأسد بين الأولياء ، والأولياء كلهم مثل الضأن عنده . إشارة إلىٰ الرتبة هٰذه للشيخ عبد الرحمـٰن . ومع الرتبة

Scanned with CamScanner

ما ترك - كما ذكرنا لكم - العتاقة ، ولا ترك الصدقة . وأما العمل الصالح كما تسمعون كفاية : أربع خِتَم للقرآن بالليل ، وأربع ختم بالنهار ، مع عبادة طويلة ، مع قيام طويل ، مع ذكر طويل ، مع تلاوة طويلة ، مع حفظ كتب الفقه . حفظ كتب السير ، حفظ كتب الحديث ، كما رواه صاحب « المشرع » ورواه غيره ممن يروي عن أخبارهم وسيرهم .

هٰؤلاء وصلوا إلىٰ الدرجة العليا من درجات الإيمان ، وهي المقصودة لكل واحد . فكتب الفقه هٰذه طريق موصلة إليها ، وكتب الرقائق هٰذه طريق موصلة إليها ، والإنشاد والأشعار التي يقولها سلفنا ورجالنا في دعوتهم طريق موصلة إليها .

والإنسان ينبغي له أن لا يقف عند حده ، يسمع القصيدة فلا يلتفت إلىٰ المقصود منها ، أو يسمع المقطوعة أو الجملة من كلام السلف فلا يلتفت إلىٰ المقصود منها ، أو يسمع كلام الفقهاء وعبارات الفقهاء في الفقه ؛ حتىٰ يكون الرجل بعيد عن المحظور ؛ لأجل يدخل في الدرجة الأولىٰ من درجات الإيمان . ومن لم يعرف شيءْ من دروس الفقه ولم يعرف شيءْ من دروس الحياة . . وقع في المحظور ، والنبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ قد بيَّن لنا في الحديث الذي يُقرأ . . في « اتق الشبهات » ومعنى الحديث : الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن اتقىٰ الشبهات . . فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات . . وقع في الحرام ؛ كالراعي

Scanned with CamScanner

يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه .

إذا لم يأخذ له الإنسان هٰذه الدروس.. من أين بايعرف صلاته ، من أين بايعرف وضوءه ؟ من أين بايعرف يعلِّم زوجته .

من أين بايعرف يعلِّم ولده ، من أين بايعرف يعلم ابنته ، من أين بايعرف يعلم جاره ؟

من أين بايعرف حق الجار ، أو حق الرحم ، أو حق القريب ، أو الصلة والمواصلة ؟ ماشي طريق للمعرفة إلا هٰذه .

وهٰذه الكتب الفقهية هي أساس « لا إلٰه إلا الله » عليها تدور دوائرها كلها ، وإليها يرجع أمرها كلها ، ومنها يتمخض الخير حتىٰ يدخل الإنسان في الزبدة . المقصود ـ كما ذكرنا لكم ـ وهو : الدخول من دائرة الإسلام إلىٰ دائرة الإيمان . والإيمان ـ كما ذكرناه لكم ـ : الإيمان بالله . قد ذكرنا لكم عن ما معنىٰ الإيمان بالله ؛ الإيمان بالملائكة .

ذكرنا لكم طَرَفْ عن ما معنىٰ الإيمان بالملائكة .

الإيمان بالرسل : يستشعر المسلم أن الرسول المبلِّغ والداعية الذي دعانا هو حاضر معه ، وإذا ما استشعر حضوره ـ قالوا ـ وقع كذلك في العصيان ، ووقع في الغفلة ، ووقع في انتهاك المحارم . وإذا استشعر أنه حاضر معه . . عز عليه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، وإذا عزَّ عليه أن يلتفت يمنة أو يسرة كان أمامه رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ في كل شيء .

Scanned with CamScanner

فإن أحرم بالصلاة . . لم يشعر بالإمام ، وإنما هو يشعر بالإمام الكبير صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

وإذا حضر في مجلس . . يستشعر أن المتكلم أو العالِم أو المدرِّس كلهم نواب عن الحبيب ، وأن اللسان هي لسانه ، والمجلس مجلسه ، والدعوة دعوته ، والأمر أمره ، وإليه ومنه ، وعنده كلها الأشياء ، ويبقىٰ علىٰ هـٰذا الحال في استشعاره حتىٰ تنجلي له الحقيقة فتظهر له الصورة ، أو يظهر له الخيال ، أو تظهر له الروح ، أو تظهر له اللطيفة . فيشاهد بماذا ؟ لا بالعيون هـٰذه المُبصِرة ، ولـٰكنه يشاهد بعين القلب الذي لا أزال أذكر لكم دليله من القرآن : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ .

وهـٰذا الإمام الحداد الذي يقول : إذا أشكل عليَّ الحديث . . أخذته عن الرسول صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . وصل إلىٰ هـٰذه الرتبة .

والحبيب عمر العطاس لما سئل : هل لكم اجتماع واتصال برسول الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ؟

قال : كيف يغيب عنا وهو أصل وجودنا! ما يتأتىٰ أنه يغيب عنا وهو أصل الوجود .

وهـٰذا الحبيب علي ، شيخنا في المتأخرين ، يقول : بهٖ عَرَفنا وصَلَّينا معه في مصلاه .

Scanned with CamScanner

وصلوا إلىٰ هـٰذه الدرجة المقصودة ، وهي درجة الإيمان بالرسل ، أوصلتهم ، عمكم عبد الله بن علوي الحبشي - والد الأخ عطاس - يحكي حكاية يَعرِف منها الإنسان أن الكون هـٰذا كله ، إذا وصل العارف إلىٰ درجة الإسلام الكامل والإيمان الكامل . . يصير الكون عنده لا شيء ، ترتفع له الحجب عنه ، وتنزوي له الأرض ؛ كما قال لكم نبيكم صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ : « **زُوِيَت لي الأرض كلها فأُرِيت مشارقها ومغاربها** » .

الحبيب عبد الله حبشي هـٰذا حج ولما وصل إلىٰ (المدينة المنورة) لقيه واحد من الأغوات - وهم خدام الحجرة الشريفة - فسلم عليه ، وقال له : يبدوا لي أنك حضرمي .

قال له : نعم .

قال له : من السادة العلويين ؟

قال له : نعم .

قال له : تعرف السيد علي بن محمد الحبشي ؟

قال له : ذاك شيخي ! وأنت من أين تعرفه ؟

قال له : أتسألنا عنه ؟ هـٰذا كل يوم يصلي الفجر في الحجرة ، في جنب الحجرة أنا وإياه نصلي سواء ، ما هناك حجب .

انظروا إلىٰ أين أوصلته هـٰذه الدرجة ؟

وبعد ، الحبيب عبد الله خرج إلىٰ (سيئون) ولما وصل ولما ذهب إلىٰ (تريم) ورجع ، ورجع إلىٰ (سيئون) لزيارة شيخه

Scanned with CamScanner

الحبيب علي.. جاء وسلم عليه ، وفرح به الحبيب علي ، وصادف وجود الحبيب الكبير الثاني أحمد بن حسن العطاس موجود عند الحبيب علي ، سأله عن حجه وعن زيارته لـ(المدينة) .

وبعد ، لما كان الحبيب علي قده مُطَّلِع ـ كما قلنا لكم ـ وصل إلىٰ درجة الإيمان بالرسل الدرجة الكاملة ، قال له : يا عبد الله ، عساك اتفقت بصاحبنا ؟

عمكم عبد الله ما هو من الناس البسطاء ، قال له : ومن هو صاحبك يا حبيب ؟

قال له : صاحبنا هٰذا الذي كلمك وأخبرك . وأتىٰ له بالقصة كاملةً .

قال له : نعم ، اتصلت به .

قال له : قل للإخوان ، خلهم يسمعون .

حكىٰ لهم القصة كلها الحبيب عبد الله بن علوي ، والحبايب يسمعون . قال الحبيب أحمد بن حسن : هٰذا شي قليل لعلي حبشي ، ما هو كثير ولا هو كبير ، والقصيدة التالية يشير فيها :

يا عين قِرِّي بَرْقْ أهلي لَمَعْ

والمقصود كله من هٰذا : أن يستشعر الإنسان أنها ليست صلاة فقط ، وليست قراءة فقط ، وليس صيام فقط ، وليست زكاة فقط ، وليست شيء من المعاملات.. هٰذه كلها ـ كما ذكرنا

Scanned with CamScanner

ـ ينبغي للإنسان أن يجعلها طريقٌ للمقصود ، والمولىٰ ما أوجبها إلا ليدخل فيها العبد إلىٰ مسألة الخلافة التي ذكرتها لكم ، وهي المقصودة ، ومنها يجلس متربعاً علىٰ كرسي نبيه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

فكل واحد منكم يستشعر إذا جاء حضر درس ـ كما ذكرنا لكم ـ يستشعر أن الداعي للدرس واللسان التي تتكلم في الدرس إنما هي نائبة عن الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ وهي لسانه ، والمجلس إذا جاء قَصَده إنما هو مجلس الحبيب ، والداعي إليه هو الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، وكل شيء يعمله ينبغي له أن يستشعره ؛ لأنهم قالوا : إن كلَ مسلم جميع حركاته الإسلامية التي يثاب عليها أو التي يعقد عليها الخنصر أو يعقد عليها النية . . كلها تكتب في حسنات الحبيب وفي ديوان الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ؛ لأنه هو الذي عَلَّم ؛ والتعليم هـٰذا جاء منه وإليه . كما أنه يُكتب في ديوان والده كذلك صحائف بره وأعماله ، كما أنه يُكتب كذلك في صحائف شيخه الذي دعاه وهداه ورباه ؛ لأنه خليفة الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . كما أنه يُكتب في صحائف آبائه وأجداده كلهم سلسلة يكون بهم باراً ، يكون بهم من أهل الرعاية ، ويكون بهم من أهل العناية .

فالمقصود ـ يا إخواني ـ أن لا يدخل الإنسان إلا وهو مستشعر هـٰذه الأمور ، وأن لا يخرج إلا وهو قابض علىٰ أنه حضر مجلس الحبيب ، وأن الروح موجودة ، وأن البركة مشهودة ، وأن

Scanned with CamScanner

الرحمة مقصودة ، وأن التنزل حاصل ، وأن الخير حاصل .

أسأل الله أن يكرمني وإياكم بتصحيح العقيدة والنية ، ويكرمنا وإياكم بإصلاح المقاصد والمشاهد ، ويكرمنا وإياكم بالقرب من الحبيب ، ويكرمنا وإياكم بالدخول إلىٰ دائرة الإيمان الحقيقي حتىٰ تفيض علينا دائرة الإحسان بعطائها بالرحمات .

وأسأله أن يكرمنا وإياكم بالاجتماع والنظر إلىٰ الوجه الصبيح ، وبالحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، وأن يجعلنا من خاصته وحزبه وأهل ملته ، والداعين إلىٰ دعوته ، والمبلغين عنه دعوته صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

وأسأله أن يغفر لوالدينا والمتقدمين ، وأسأله الشفاء لمرضانا ، وأسأله قضاء حاجة ذوي الحاجات ، وأسأله بلوغ آمال ذوي الآمال ، وأسأله صلاح الأحوال كلها .

وأسأله أن يكرمنا وإياكم بما أكرم به آباءنا الكُمَّل ، وأن يكتبنا في الديوان الكبير ، وأن يجعلنا وإياكم ممن إليه الأصابع تشير ، حقيقة لا مظهراً من هـٰذه المظاهر ، ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

الميراث النبوي العلم ومنه يكون صفاء القلب
والحث على تفنيد المسائل والفوائد وحفظها

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة ، والتي يحثنا فيها علىٰ ألا نجعل الفوائد التي نجنيها من هٰذه المدارس تذهب علينا مع الرياح ، بل يجب أن تُقيَّد في كراريس ، وتُحفظ ـ الشاردة من المسائل التي تمر علينا في المدرس . وهو كعادته حفظه الله يتناول الموضوع بأسلوب مشوِّق ، ويُرْوِينا من نهره العذب ، ويغذينا ويغذي أرواحنا من غذائه الروحي .

وحرصاً منا ألا نجعل هٰذا الجهد الذي يبذله يضيع . . فقد سجلنا هٰذه الكلمة علىٰ الشريط رقم واحد لعام (١٤٠٤هـ) وكتبناه علىٰ هٰذه الوريقات لتعم الفائدة .

وقد تكلم بهٰذه الكلمة مساء الجمعة ؛ السابع من صفر ، عام أربعة وأربع مئة وألف هجرية (١٤٠٤هـ) الموافق الحادي عشر من نوفمبر ، عام ثلاثة وثمانين وتسع مئة وألف ميلادية (١٩٨٣م) .

وذلك بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه . وبعد الانتهاء من القراءة في الفقه في « باب الإيمان » أنشد العم علوي بن شيخ الحبشي قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي :

أيقنتُ أنك محسنٌ وهابُ   فقرعت بابك وَهْوَ نعمَ البابُ

ثم أعقبه الأخ محمد بن سالم خرد[1] ، وأنشد للحبيب علي أيضاً : مَن لا سَلَكْ في طريقْ أهلِهْ تَهَيَّمْ وضاعْ .

بعدها تكلم حبيبنا عبد القادر بن أحمد السقاف ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة ، فقال :

---

(١) توفي رحمه الله بجده ودفن بمكة سنة ١٤٢٤ .

Scanned with CamScanner

أحسنت يا محمد ، بارك الله فيك . هٰذه مجالس يُغزىٰ لها ، هي مجالس الخلافة النبوية ؛ لأن النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ الميراث الذي تركه هو العلم ، هٰذا ميراثه .

وميراث العلم : صفاء القلب ، وميراث صفاء القلب هو : أن يتصل القلب بالأفق الأعلىٰ .

لنرجع ليمين الذي قال : والله سأصعد السماء :

هٰؤلاء لو حلفوا بأنهم سيصعدون إلىٰ السماء . . لم يكن الواحد منهم يحنث في يمينه . أوَ السبب في ذلك أن السماء نفسها هي : العلو بالأخلاق ، والمكارم والصفات ، والاتباع للحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

هٰذه المجالس في سابق العهد ما وَجَدت (جدة) مثلها ولا قريباً منها ، ولا نصفها ولا ربعها ، ولا عشرها . والأرض إنما تحيا بالعلم :

وإذا نظرتَ إلىٰ البلاد . . وجدتَها   تشقى كما تشقى الرجال وتَسْعَدُ

فالبلدان الخربة إذا جاء إليها العالم . . أحياها . والبلدان العامرة بالعلم إذا جاء إليها عالم . . زادها كذلك رعاية وزادها عناية . كما قلنا : إنما الميراث النبوي هو العلم ، وميراث العلم هو صفاء القلب ، فإذا لم يصفو قلب الإنسان بالعلم . . فعلمه ما استفاد منه شيءٌ ؛ لأن العلم يحفظ الإنسان من أن يجره إلىٰ

ما لا يُرضِي ربه ، ومن أن يأخذ به إلىٰ مهاوي التلف ، ومن أن يأخذ به إلىٰ ما يخل بمروءته ، وإلىٰ ما يخل بكرامته . . كله هٰذا مرجعه للعلم .

والعلم هٰذا نفسه هو الذي يأخذ بالإنسان ، مهما كان الإنسان لابد ما يعود علىٰ الإنسان بخيره ؛ لأن رتبة العلم هي أعظم الرتب بعد رتبة الرسالة . النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ كان يسمي نفسه ، يقول : « **إنما بعثت معلماً** » . و« **إنما بعثت داعياً** » . أو ما معناه ، وفيه روايات تختلف لكثرة من يرويها عنه صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

والعلم هٰذا دائماً ينبغي للإنسان أن يُعنىٰ به ، وأن يُعنىٰ بشواذِّه . فإذا أدرك الإنسان فضيلة العلم . . أدرك العناية به ، وأدرك العناية بشواذِّه .

كان مَن قبلنا ، ومَن قبلنا ، ومن قبلنا . . ممن يتشرف الإنسان بنسبته إليهم ، سوى كان بلديِّهم[1] ، أو كان نسيبهم ، أو كان من أولادهم ، أو كان ممن يقرب إليهم . . شَرَفُه بشرف الانتماء إليهم ، مثل ما تتشرفون أنتم بالنسبة إلىٰ (حضرموت) أو إلىٰ (تريم) أو إلىٰ غيرها من البلدان المباركة المكرمة التي شُرِّفت بالعلم .

العلم هٰذا ينبغي أن يُقيَّد حتىٰ لا يضيع ؛ لأن شوارده ما توجد في أبوابه ، ولا توجد فيَ الكتب ، ثم لا يقدر علىٰ

---

(١) بلديهم : أي من أهل البلد .

استخراجها المرء بنفسه ، وإنما يأخذها من فهم شيخ ، أو من فهم أخ ، أو من فهم أحد العلماء ، أو سابقة سبقت له ، أو من لائحة لاحت له . وكانت الشوارد هٰذه التي تقيَّد تعطي صورة عن الإنسان إذا درج إلىٰ رحمة الله أو ضعفت به أيامه ولا قدر أن يكتب أو يحضِّر ، يأخذ الإنسان منه صورة ، إذا رأىٰ التقييدات . . عرف الرجلَ أنه من العلماء .

كنا نتذاكر نحن وعمنا علوي بن عبد الله السقاف ـ رحمه الله ـ وبعد ، كان عندنا من المجاميع التي جمعها الحبيب عبد الرحمٰن بن علي ثمانية مجاميع ، لا تقل عن ثمانين أو عن مئة كراس ، والكراس عشر ورق ، عن عشرين صفحة ما تقل عنها ، عندي مجموعة منها أربع ، كل واحد كما هٰذا ضخم ، وعند الأخ سالم بن عمر مجموعة منها ثنتين أو ثلاث ، وكانت عند عمنا جعفر[1] العدد الأكبر وعند أولاده منها عدد كثير .

كانت مسألة حصل فيها اختلاف أيام الدرس مع عمي علوي ـ رحمة الله عليه ـ كلٌّ أَخذ بطَرَف من الحلول علىٰ مقتضىٰ فهمه ، ولا وقفوا علىٰ حقيقة ، وكان معنا سالم بن عمر ـ هٰذا الموجود ـ حاضر في الدرس ؛ لأنها كانت دروس عامرة أيام عمكم علوي ـ رحمه الله ـ أحيا بها ميت العلم في ذلك الزمان . بعد موت

---

(١) الحبيب جعفر بن عبد الرحمن بن علي السقاف (١٢٧٣/ ١٣٣٧) بسيئون ووالده الحبيب عبد الرحمٰن ١٢٢٦/ ١٢٩٢هـ بسيئون والمجالس المذكورة كانت بسيئون قبل سفر الحبيب .

Scanned with CamScanner

الشيبان والشيوخ هٰؤلاء . وبعد ، قال الأخ سالم بن عمر لعمي علوي : هٰذه المسألة موجودة في مجاميع الحبيب عبد الرحمٰن بن علي .

قال له : ائتني بها للنظر فيها .

فأصبح بها الأخ سالم ، فلما أصبح بها . . وجد الحل الكامل الكافي الوافي في هٰذه المسألة ، ووقفوا كلهم علىٰ الكلام الذي نقله الحبيب عبد الرحمٰن من كتب المتقدمين ، لا من عنده .

فقال عمي علوي ـ رحمه الله ـ : أنا ما كنت أحسب أن الشيوخ الذين هم في الدرجة من التصوف وصلوا في درجة العلم أيضاً إلىٰ هٰذا الحد ، ولٰكن عرفت منها في « المجموع » هٰذا . إشارة إلىٰ أنه ينبغي القيد .

ذا الحين كثير من المسائل قد مرت علينا من قبل أربعين سنة أو ثلاثين سنة أيام الطلب . وذهبت علينا ، فذكرنا منها ما ذكرنا وفاتنا تقييدها أو كانت مقيدة ، ولٰكننا بَعُدْنا عن التقييد ، فالذي أُحِبُّه وقدمت له هٰذه المقدمة : أن يحمل كل واحد منكم قلمه الرصاص ـ أو قلمه الآخر ـ حتىٰ إذا خرج من المجلس . . يتذكر فيقيد ، ويجعل للشوارد تقييدات خفيفة ثم يجمعها . ربما ذكرت لكم أن الحبيب أحمد بن زين ، الإمام الكبير ، له عشرين مجلد ، ويقول الحبيب أحمد بن موسىٰ : إنها أربعة وعشرين مجلد ضخمة ، إذا رأىٰ الواحد مجلد من المجلدات هٰذه ، يزيد المجلد عن عشرين كراسة وأكثر من عشرين كراسة ، كلها حصيلة بحثه ودراسته .

Scanned with CamScanner

وبعد ، في آخر وقته اغتبط بها هو الحبيب أحمد ـ رحمه الله ـ نكتب لها خطبة وديباجة ، ومقدمة عظيمة تدل علىٰ الغَوْر البعيد في سعة العلم ، والعارضة ، والمقدرة علىٰ الكتابة . ولا مقدرة علىٰ الكتابة إلا من العلم ، فإذا فقد الإنسان العلم . . فقد المقدرة التي يريدها هو .

أربع وعشرين مجلد ضخم ، كل واحد يزيد عن عشرين كراس أو عن أربعة وعشرين كراس ، منها ـ كما أذكر لكم دائماً ـ عند آل بن موسىٰ أربعة أو خمسة ، ومنها عند عمكم عبد القادر بن سالم هـٰذا العدد ، وربما في ديار الحبايب آل أحمد بن زين منها ؛ لأن آباءهم كانوا حريصين عليها . أعداد كبيرة ، هـٰذه حصيلة .

وعمكم محمد بن هادي ، كثير ما أذكر لكم أنا أن له حصيلة جمع منها فوائد علىٰ اختلاف شتىٰ . وكانوا الإخوان ـ منهم مُساوىٰ والجماعة هـٰؤلاء ـ ينقلونها من قلمه النوير . القلم ضعيف ، ولـٰكن! عليه نور . والشيابة حقنا كلهم ، أنا أدركت مجموعة من مجاميع والدي التي كان يجمعها ، كلها حصيلة دراسة .

كانت مجاميع مع الحبيب علي الحبشي بقلم الحبيب علي ، نقلها والدي ، معاد تحتاج إلىٰ شيء ، إنما نقلها هو وقال : هـٰذه مسائل منقولة عن شيخنا الإمام الكبير علي بن محمد الحبشي ، نقلتها من قلمه بيده . وأخذ يَسْبَح فيها وينقلها ، وهي مجموعة عندنا في (حضرموت) .

وكما ذكرت لكم الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي ، وكما ذكرت السادة هـٰؤلاء المتقدمين من آبائنا وشيوخنا ورجالنا .

حصيلة العلم : أن يكتب الإنسان البحوث ، خصوصاً البحوث هـٰذه التي تكون نادرة ، تندر في المدارس ، أو تكون في غير موضعها ، أو يأتي بها واحد من فهمه يقابل بها فهم المتقدمين الكبار من العلماء ومن كان علىٰ طريقتهم أو علىٰ شاكلتهم .

فينبغي لنا دائماً ـ يا إخواني ـ المغانمة ، هـٰذه مجالس غنيمة . ثم كون هـٰذه المجالس غنيمة جمع الله لنا فيها ما جمع ، جمع لنا أولاً إخواننا من (تريم) ومن (عينات) ومن (قسم) ومن (سيئون) ومن (الحوطة) ومن (شبام) ومن كثير من بلدان (حضرموت) ومن (دوعن) . . كلهم اجتمعوا في هـٰذه البلدة وفي غيرها من البلدان ، فجمعتهم الغربة . والغريب ـ كما يقولون ـ للغريب نسيب ، وبمقدار النسابة نسابة العلم أكبر وأعظم ، وأفضل وأشرف ، وأجل وأرفع . جمعت لكم هـٰذه المجالس ، فكنتم أنتم الذين تديرونها .

ومن نعم الله عليكم : هـٰذه المجالس العلمية ، فأعطوا النعمة حقها بالقيد ، حتىٰ إذا رجع الإنسان إلىٰ السن الكبير ، أو رجع إلىٰ الذاكرة ، أو رجع إلىٰ مشكلة حصل فيها شيء من الكلام . . ليرجع إلىٰ رسالته وسفينته التي قيَّد فيها ما قيد ، فيجد حل المشكل موجود فيها .

Scanned with CamScanner

وكانوا المتقدمين ـ كما ذكرت لكم ـ كانوا لهم في مثل هٰذه الأشياء مقدمات ومتممات يجمعون فيها ، وكانوا لا يقتصرون على فن الفقه ، أو على فن النحو والقواعد ، أو على شيء من الفنون ، بل يكتب الواحد في الأخلاق ما يراه ، وينبغي أن يكتب الواحد في العقيدة ما يراه ، وينبغي أن يكتب الواحد في السيرة ما يراه ، وينبغي أن يكتب الواحد في الفقه ما يراه ، ينبغي أن يكتب الواحد ـ مثلاً ـ في القواعد الأخرىٰ وفي الأصول ما يراه . ينبغي أن يكتب حتىٰ إذا استجمع وكتب الشيء الكثير . . فإن قدر علىٰ أن يقسمه فيجعل كل سفينة من السفن رسالة قائمة بنفسها فيما اشتبه ، أو فيما اختلف ، أو فيما ندر ، أو فيما يكون من مثل هٰذه الأشياء . . فحبذا ، بهٰذا سيكون قد ترك ميراث للأمة المحمدية ؛ لأن ميراثه المالي إن كان قليلاً أو كثيراً سيوزع علىٰ أولاده ، والميراث العلمي سيوزع علىٰ الناس عموماً ، كل من حَصَّل منه نصيب سيوزعه بدوره إلىٰ آخرين . فنحن ـ مثلاً ـ ما ورثنا مال من الحبيب أحمد بن زين ، ولٰكن ورثنا كتبٌ كثيرة ، نحن ورثناها وأخذناها عنه ، وتناوبت من آبائنا وشيوخنا حتىٰ وصلت إلىٰ اليد . ومثله ما وصلكم من الحبيب أحمد الشاطري ، والد الأخ محمد الشاطري هٰذا ، ومنه ما وصلكم من الشيخ ابن حجر ، ومنه ما وصلكم من إمام المذهب الشيخ النووي ، والإمام الرافعي ـ رحمهما الله ـ وغيرهم من المتقدمين ، من الرملي والخطيب ، وغيرهم من رجال العلم ورجال الفضل ورجال الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ . كلهم

Scanned with CamScanner

أوسَعوا لكم المائدة ، فخذوا من المائدة ، وأَوْسِعوها لمن بعدكم وافتحوها لمن بعدكم تُذكَرون في ديوان العلماء ، وتذكرون في بركة العلماء ، ويعود عليكم نفعه ؛ لأنها من الأمور التي قال العلماء فيها - استناداً علىٰ الحديث النبوي الوارد عنه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ : ما يتركه الإنسان من الميراث النبوي يعود عليه بالفضل .

قال الشيخ ابن حجر - رحمه الله - في « فتاواه الحديثية » حول هـٰذا الحديث الذي يقول فيه من جملتها : « إذا مات ابن ادم . . انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به هـٰذا الموضع - أو ولد صالح يدعو له » . قال الشيخ ابن حجر في « الفتاوَىٰ الحديثية » - إذا كان أحد عنده « الفتاوَىٰ الحديثية » - قال : حتىٰ ولو لم يُنتفع به قد قدمها صاحبها ، فالانتفاع إنما هو مزية[1] بركة ، مزية خير ، مزية وراثة ، مزية رحمة ، وكثير من الكتب ربما ما وصلت إلىٰ الأيدي ، وربما كانت بعيدة ، وربما كانت نادرة ، وربما كانت شاردة ، إذا كتبها الإنسان وفيها من الفوائد ما ينبغي أن يُعلَّق عليها أو تحفظ ولا وصلت إلىٰ الأيدي - قال - بقي له فضلها ، يتلوه فضل ، ويتتابع عليه الفضل ، ويدر عليه وهو في برزخه وإن لم يُقرأ ؛ لأنه قد كتب ، ولأنه قد حصل ، ولأنه قد نفع ، ولأنه قد ترك للنفع شيء .

وكل واحد ينبغي له أن يكتب ، وما من واحد من المتقدمين

---

(١) المناسب للسياق كونها بالذال مذيد بركة الخ .

من شيوخنا الذين أدركناهم نحن هٰؤلاء إلا وكتب ، وعمكم أحمد الشاطري هٰذا من صغره كانت له تعليقات ـ هي موجودة ـ يقول لي الأخ محمد : تعليقات علىٰ « فتاوي مشهور » من أجمل التعليقات وأفيدها ، فيها تقييدات وفيها تنبيهات ، وفيها شوارد ، وربما فيها بعض استفهامات لبعض المسائل . فربما يأتي فهم واحد مننا ، أو من غيرنا من الذين استفهمهم أو ترك لهم الاستفهام الحبيب أحمد بن عمر الشاطري فيجد في المسألة له دليل أو تعليق أو ما شاكل ذلك ، فإذا وجده . . كان الاستفهام التقريري أو الإنكاري ، أو الاستفهام علىٰ ذاته وجد له الجواب الكافي ودخل في البركة هٰذه .

وهٰذه ـ كما ذكرت لكم ـ هي ثمرة العلم وحصيلة العلم الذي ينبغي للإنسان أن يعلّق عليه . إذا خرج الإنسان من المجلس ومعه رؤوس الأقلام حقه . . يقيدها ويحفظها وينتبه منها حتىٰ يرجع إليها في وقت ما ، وحتىٰ يتركها لغيره لوقت ما أيضاً .

أسأل الله سبحانه أن ينفع بهٰذه المجالس ، وينفع بهٰؤلاء الإخوان ، وينفع بالعلم ، ويجعل العلم ملازمٌ لنا وقرينٌ لنا حتىٰ برازخنا إن شاء الله .

وأسأله ـ إن شاء الله ـ أن يجعلنا من ورثة نبيه القائمين بالدعوة ، والمبلغين عنه علمه وقراءته ، وأحاديثه وقرآنه ، وسيرته وأخلاقه ، وما كان عليه . . عليه الصلاة والسلام .

وأسأل الله أن يزيد منها ، ويزيد في بركة العمر ، ويزيد ـ إن

Scanned with CamScanner

شاء الله - في الصحة ويزيد في العافية لهٰؤلاء الإخوان والشيوخ حتىٰ يزيد انتفاعكم ، ويزيد حرصكم ، ويزيد إقبالكم ، وتزيد البركة الحسية والمعنوية .

وأسأل الله أن يكتبنا في الديوان معهم ، ويجعلنا من أهل الإحسان معهم ، ويجعلنا وإياكم - إن شاء الله - ممن دخل الدائرة ، فكتب واستفاد وأخذ منها ، في خير وعلىٰ خير . وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

* * *

المجالس العلمية والدينية الداعي لها محمد والراعي لها محمد صلَّى ٱللهُ عليه وآله وسلَّم

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة بمنزل الشيخ حسين باسندوه بـ(جدة) وذلك مساء الخميس الثالث عشر من شهر صفر ، عام أربعة وأربع مئة وألف (١٤٠٤هـ) الموافق السابع عشر من شهر نوفمبر ، عام ثلاثة وثمانين وتسع مئة وألف ميلادية . نفعنا الله بهٰذه الكلمة ، ونفع كل قارىء وسامع لها ، آمين . (١٣/٢/١٤٠٤)

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

سمعتم كلام هٰؤلاء الأعيان ، نثروا عليكم من نثار الحكمة ، ومن نثار الرضا ، ومن نثار الفتح ، ومن نثار المدد الرباني ما سمعتموه . وكله كلام نقلوه لكم عمن قبلكم ممن أخذوا عنهم ؛ لأن الإمام الحداد يقول في هٰؤلاء وفي أمثالهم :

وبالحق فلنأخذْ طريقَ علومهم يـداً بيـدٍ حتـىٰ مقـامَ النبـوَّةِ

أخذ مسلسل . العلم الذي سمعتموه منهم مسلسل .

ثم هٰذا المجلس في أوله نثر عليكم في نفس المجلس ، نثر عليكم الشيخ المُلقي للكلام ، ونثر عليكم مولاكم من الرحمة ؛ لأنه مجلس منعقد للحبيب صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، منعقد لعلمه صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، منعقد للتلاوة ، منعقد للخير الكبير .

Scanned with CamScanner

وكل مجلس ينعقد ، مهما كان المجلس ، ومهما كان الشيخ فيه ، ومهما كان الحاضرون فيه . . إنما يعقد بمحمد صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، ويقام بمحمد ، ويحضر فيه محمد ؛ لأنه راعِيْه . وإذا لم يكن للمجلس راعي قوي يرعىٰ المجلس . . لا تقوم قائمة المجلس ، ولا تنفتح الصدور لسماع علم ، ولا تنفتح الصدور لسماع حديث ، ولا تتهيأ الأسباب ، ولا يبرد القلب ، ولا يستريح الجسم إلا إذا حضر هـٰذا الحبيب صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ وجاءت الإمدادات السامية منه صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ؛ لأن الشيوخ ـ رحمهم الله ـ : يقولون ما من ذرة في جسم الإنسان إلا وهي محتاجة إلىٰ التلقي ، بما فيها من شعورها ومن لحمها ، ومن عروقها ، ومن أوصالها ، ومن أوشاجها ، محتاجة للتلقي حتىٰ تطمئن إلىٰ دائرة الرحمة . والعين كذلك ، واللسان كذلك ، والأذن كذلك ، والفم كذلك ، والجسم كله كذلك ، ما يبرد إلا إذا حصلت الرحمة وتنزلت ، وجاء فيها مصداق الحديث : « ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا نزلت عليهم الرحمة ، وغشيتهم السكينة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » أو كما قال صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ .

والمجالس الأخرىٰ التي لا تقوم علىٰ النيات الصادقة ، ولا علىٰ الرجال ، قد يصيب الجالسَ المللُ . ما كل مجلس يكون مثل المجالس الأخرىٰ ، تختلف المجالس ، المجالس بأهليها والمَحالّ براعيها ، والأمور كلها بمواتيها . تقام وتعقد

Scanned with CamScanner

مجالس أخرىٰ ، ولـٰكن! ربما إذا حضر الإنسان . . أصابه القلق ، وسببه : أنها بعدت عنه الرحمة التي تأتي بواسطة المدد والسيف المحمدي ، إذا ما جاءت ، إذا ما حضرت ، إذا ما نزلت ، إذا ما سُرَّت القلوب لها ، دليل إلىٰ أنها محتاجة إلىٰ راعي ، فلينتبه منها صاحبها حتىٰ يجد لها راعيٍ يرعاها . يرعاه محمد . وهـٰذه مجالس ـ كما ذكرنا ـ كان الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ إذا خطب ، وكان شأنه الجلوس في مسجده ، وشأنه الجلوس في محال أصحابه ، وشأنه تتبع أصحابه ، فإذا خطب فيهم . . قال : « يبلِّغ الشاهدُ الغائبَ فرب مبلِّغ أوعىٰ من سامع » .

وصل إليكم البلاغ ، ووصل إليكم التبليغ ، ووصلت إليكم الأمور ، فعليكم أن تستشعروا أن القائل إذا سمعتم منه الحديث الذي يقوله إنما هي لسانه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ؛ لأن الحديث حديثه ، ولأن القول قوله ، ولأن الأمر أمره ، ولأن العلم علمه ، والتعليم هو أتىٰ به صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

وكان الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ إذا قصد بابه أو قرعه أحد . . قال : اسألوه جاء للحديث ، أو جاء للزيارة ليزورني ؟

فإذا قالوا له : جاء للحديث . . قال لهم : دعوه ينتظر وقام ، ودخل إلىٰ مغتسله واغتسل ، ولبس ثيابه النظيفة وتطيَّب ، وقابل ذلك الرجل ، وجلس إليه وهو يتلو من أحاديث الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، وأحكام الحديث ، وأوامر الحديث ، ونواهي الحديث كأنما هو محمد . .

وتأدبه هٰذا للحديث . . تأدبه لمحمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . وكان من شأنه ـ كما تسمعون تربيته ـ : أنه كان يمشي في (المدينة) ولا يركب ، وكان لا يلبس النعل . لماذا يمشي في (المدينة) ولا يركب ولا يلبس النعل ؟ إكراماً للسيد الكبير! تمنته الملائكة والأفق الأعلىٰ ، والعرش والكرسي ، فكان من قسم الأرض ، وقسم أهل (المدينة) منه أكثر ، تأدبٌ فما ركب ولا مشىٰ منتعلاً فيها ، إكراماً للقدم النبوي الذي كان يمشي في تلك الأرض .

وكان ممن عرفنا وفي من يذكره لنا التاريخ : جدنا الحبيب سقاف بن محمد السقاف ـ رحمه الله ـ ، قالوا : إنه إذا جاء إلىٰ (تريم) . . يخلع النعل ، وذات يوم جاء في الأيام الصائفة الشديدة ، أشفق عليه تلاميذه وأولاده وهو يمشي في حر الرمضاء ، قالوا له : البس النعال بايرضىٰ عنك الفقيه ورجاله .

قال لهم : أنا ما باأرضىٰ عن نفسي أمشي في أرض مشىٰ فيها هٰؤلاء الرجال ، أمشي فيها علىٰ النعل .

وفي المتأخرين : شيخ المتأخرين الحبيب علوي بن شهاب يمشي في أزقة (تريم) وحوالي (تريم) وفي ساحات (تريم) ولا يركب قط ، تأدباً لمن قبله . وثمرة التأدب أنه : دائماً يستشعر هٰؤلاء الرجال الذين وصلوا إلى هٰذه الرتبة . وهٰؤلاء الرجال الذين وصلوا إلى الرتبة ما استكفوا بالعلم ، العلم هٰذا إنما هو دليل يدخل منه الإنسان إلىٰ الطريق حتىٰ يصل إلىٰ

Scanned with CamScanner

الفريق ، ما يكفي وحده ، إذا لم يربطه الإنسان بأخذ ، وفوق الأخذ كذلك أدب يرتبط بالعلم . . كان العلم حجة ، وضاع عليه الدليل ، وما اهتدى إليه .

كان الشيخ ابن حجر - رحمه الله - يذكر عن الشيخ البقاعي في « فتاويه » أنه من أهل العلم الواسع ، وكان ينتقد علىٰ الصوفية . وقال الشيخ ابن حجر : إن له تفسيرٌ ما صُنِّف مثله - فيما قرأه الشيخ ابن حجر - ولكن لم ينتفع به أحد ؛ لتعرضه للأولياء .

ومعناه : أنه فقد الأدب ، ضاع عليه الأدب فقط ، ولما ضاع عليه الأدب . . ضاع عليه الانتفاع بالعلم ، وضاع عليه الاهتداء إلى العلم ، وضاع عليه الطريق إلى العلم . والعلم - كما ذكرنا لكم - إذا رُبط بأدب كامل . . ظهر سره .

ومعنىٰ ظهر سره - كما ذكر لكم : الحبيب أحمد مشهور الحداد والحبيب حامد الجيلاني - ارتفع الحجاب من صاحبه حتىٰ يشاهد ، وإذا أصبح الواحد يشاهد . . أصبح حجته بيده ، يتكلم عنها ، كما كان يقول بامخرمة :

يحدثني قلبي وذا عن مقلّبي   يحدثني والجار يُنبي عَن الجارِ

وكما قرأتم ، وقرأ لكم الحبيب حامد الجيلاني[١] في الحديث العظيم النبوي الرباني الذي يقول فيه الحبيب صلّىٰ ٱلله

---

(١) وفاة الحبيب حامد عبد الهادي الجيلاني في حضرموت سنة ١٤١٤ . وقد حج وهو صغير مع والده عام (١٣٤٢) وسافرا إلى جاوه وحج العام الماضي ١٤٠٣ وحج بعده أيضاً .

Scanned with CamScanner

عليهِ وآلِه وسلَّمَ فيما يحكيه عن ربه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل بعد أداء الفرائض حتىٰ أحبه ، فإذا أحببتُه . . كنتُ سمعَه . . وبصره . . » إلى آخر الحديث « سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي عليها » وبعد قال لكم في الرواية التي رواها : « ولئن سألني . . لأعطينه ، ولئن استعاذ بي . . لأعيذنه » إشارة إلىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ أعطاه من الأمر ما يطمئن إلىٰ أن كل شيء بيده ، بأمر المولى سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ . كلها من عنده ، ولـٰكن المقرَّب مشرَّف .

وذكر لكم الحبيب حامد كلام العلماء ، وأنا أريد أن أذكر لكم شيءْ عن أحد الصوفية تستفيدونه وتضمونه إلىٰ كلام الجيلاني عن السيد العظيم . ذكر لكم كلام أهل الحديث : « كنت سمعه . . » عن الإمام النووي وكلام غيره فيما ذكره . وكان أحد الصوفية اسمه أحمد غانم المقدسي ، له كتاب سماه « حل الرموز » في هـٰذه الإشكالات جعل لها مفاتيح ، قال : إن هـٰذه الأحاديث وهـٰذه التي أوردها الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ كثير منها لا يُفهَم إلا بمثال ، والمثال الذي يُفهم به في مثل هـٰذا الحديث - قال - مثال هـٰذا الحديث بالقُرْبة التي وصل إليها العبد حتىٰ وصل إلىٰ درجة الطاعة والسمع ، وما شاكل ذلك مما سمعتوه - قال - مثالـه مثـال المـاء : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ قال : مثاله : مثال الماء ، فالماء في ذاته وفي

Scanned with CamScanner

حد نفسه هو ماء ، ما له تأثير من حيث التأثير الذي يأتي بالمجاورة ـ قال ـ فإذا جاورته النار . . فعل فعل النار . كذلك العبد إذا وصل إلىٰ حد التقرب والمجاورة . . أعطاه الله الفعل ، كفعل ما تفعل النار في الماء ، ويفعل الماء فعل النار .

وكذلك قال : إن الأولياء هـٰؤلاء يعرفهم الإنسان ولا يقدر أن يتكلم ، ومثال الولي الذي يعرفه الناس ولا يقدرون علىٰ الكلام معه ـ قال ـ مثاله مثال الدودة التي تعيش في شجرة خضراء ، تكون كلها خضراء ، الدودة والبقلة ، فلا يميز الإنسان بين دودة وبين بقلة ، لقربه من مولاه سبحانه وتعالىٰ ، خلع عليه مِن خِلَع الرضا .

وهـٰذه المجالس ـ كما ذكرنا لكم ـ هي مجالس الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، فإذا حضرها الإنسان . . فليغتنم ، فإن سمع حديثاً . . فإنما سمعه من محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، وإن سمع آية . . فإنما تلتها لسان محمد ، وإن سمع شيءً من كلام العلماء . . فإنما اقتبسه العلماء من محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ . والعلماء الذين سبقوا إلى رحمة الله تركوا لهم وُرّاث ، والوُرّاث تركوا لهم وراث ، والوراث تركوا لهم وراث ، وهـٰؤلاء وُرّاثهم لا يبعد الواحد يقول : أين أنا من فلان ؟ أين أنا من فلان ؟ اين أنا من فلان ؟ لا يبعد ، هم موجودون ، ما علىٰ الإنسان إلا أن يستعد . والمجالس هـٰذه ، كما كنا نتذكر مجالس الحبيب علي ، ومجالس الحبيب أحمد بن حسن ، ومَن قبلهم

Scanned with CamScanner

ومَن بعدهم من الشيوخ ونقرأ كلامهم ، هـٰذه المجالس التي تعقد ونحضرها هنا سيذكرها مَن بعدنا ممن لهم ميل إلىٰ تلقي هـٰذا العلم وإلىٰ الترقي بواسطته وإلى الأخذ عن رجاله ، وهـٰكذا ؛ لأن العلم بضاعته صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ وسوق نفائسه هي هـٰذه المجالس ، لا يوجد للإنسان إذا انزوىٰ في بيته منه شيء ، ولا يوجد للإنسان إذا جلس مع أصحابه ولم يجلس علىٰ مذاكرة علم ومدارسته شيء ، ولا يوجد للإنسان إذا جلس مع أهله وأولاده منه شيء ، ما يوجد إلا في هـٰذه المجالس وفي هـٰذه الأماكن التي تغشاها الرحمة ، ولا تتنزل الرحمة إلاَّ بعد ـ كما تشاهدون ـ السحب التي تطلع مبادىء الرحمة ، تزجيها الرياح وتقربها الرياح ثم يتندَّىٰ بها الرياح ، ثم يتحرك لها الجو ، ثم يتحرك لها الرعد ، وهـٰكذا حتىٰ تمطر . هـٰذه هي أسواقها ، هـٰذه هي مواقعها ، هـٰذه هي مَبارِكُها ، هـٰذه هي محلاتها . . وهـٰكذا ـ كما ذكرنا لكم ـ العلم هـٰذا بركة من محمد ، يبقىٰ فيمن يريد أن يأخذ نصيبه يتوارثه واحد فواحد ، واحد فواحد ، حتىٰ يأخذ التركة ، وتبقىٰ التركة موجودة .

ولِتأخُّر الزمان تأخَّرَ الناس عن العلم ، ولـٰكن ـ بحمد الله ـ في هـٰذا الوقت ما كنا نحسب أننا سنجد متلقين ، ولا أننا سنجد سامعين ، ولا أننا سنجد من يسعىٰ لحضور المجالس في هـٰذه البلدة المغمورة بالتجارة وبالحِرَف مع ذلك تعقد فيها مثل هـٰذه المجالس ، هـٰذه نعمة سيقت إليكم ، وساقت إليكم الأرض

أفلاذ كبدها ، جاؤوكم من شرقها ومن غربها وحطوا ركابهم وألقوا أنفسهم إلىٰ هـٰذه البقاع . احمدوا الله واشكروه ، واغتنموا هـٰذه السعادة ، واغتنموا هـٰذه الأمور .

هُوْمِن بايجيب لكم هـٰؤلاء ؟ يجيء لكم أحمد مشهور من بلاد بعيدة ، ويجيء لكم حامد الجيلاني من أسفل (حضرموت) وأعلاها ، ويجيء لكم شيخ بن أحمد ، ويجيء لكم الأخ محمد الشاطري ينثر عليكم من غرائب علمه ويلقيه ـ كما قالوا ـ في محمد بن علوي صاحب العمائم . كان فقهه ـ يقولون ـ يكاد يفقّه الحمير ! !

ذا الحين ، من نعم الله عليكم والحفظ الكبير إذا حضرنا . . ذكرنا أشياء كثيرة مرت علينا وذهبت عنا ، وما نحن إلا من أهل البرازخ وأهل الآخرة ، فنذكرها في مثل هـٰذه المجالس هي نعمة كبيرة سيقت ، نعمة كبيرة ما تحصل .

والعلم إلىٰ انقراض ، فكونوا أنتم من حماته ومن رجاله ومن رجال دولته ؛ حتىٰ يبقىٰ فيكم وتظهر فيكم رائحة محمد ، وتظهر فيكم بركة محمد ، ويظهر فيكم نور محمد ، ويظهر فيكم سر محمد ، وتظهر الخلافة بأكملها . اللهم حققها لنا في هـٰؤلاء .

جاءكم كذلك عمنا شيخ ، وجاءكم حبيبنا محمد المساوىٰ ، وجاءكم أخونا وصفوتنا عبد القادر بن سالم الروش ، دُمِج الفقه بين جنبيه ولحمه ودمه . من نعم الله عليكم ، الحمد لله .

الله ـ إن شاء الله ـ يجعل لنا حلية من حلية التقوىٰ ، ويخلع

Scanned with CamScanner

علينا من خلع العلم خلعة - إن شاء الله - يظهر نورها على الظاهر ، ويظهر نورها على الباطن ، فيهتدي بها الناس ، وينتفع بها الناس .

وأسأله سبحانه [و] تعالىٰ أن يجعل المجالس مثل المجالس السابقة ، وأن يجعل الراعي الذي رعىٰ الأول يرعىٰ الآخِر ، وأن يجعل الحماة الذين حَمَوْنا يحمونا الآن ، وأن يجعل الشيوخ الذين حضرنا عندهم وانتفعنا بهم يحضرون هٰذه المجالس ، وتحصل لكم - إن شاء الله - الانتفاع والبركة ، وأن يقوي الرابطة ، وأن يجعل العلم بدلاً عن الدنيا ، ويجعل العلم محله القلب والاهتمام به ، ويجعل لكم من الرزق ما تكتفون به يملأ أيديكم ، ويجعله طريق لرضاء ربكم ، وللبر ، وللسعادة ، وللبركة وللخير ، وللحماية الظاهرة والباطنة ، ويمدنا بهؤلاء وينفعنا بهم ، ويمتعنا بهم مِتعة ظاهرة وباطنة ، ويرزقنا كمال الأدب وكمال القرب ، وكمال المحبة ، وكمال الأخذ والاستمداد منهم ومن رجالنا وشيوخنا ومن كل ذي بركة ، ومن كل ذي سر ، ومن كل ذي مدد ، ومن كل ذي رعاية ، ومن كل ذي خير ، ومن كل ذي ولاية .

أسأل الله أن لا يحرمنا منهم ، ولا من بركة وقت ، ولا من بركة ساعة ، ولا من بركة حديث ، ولا من بركة علم ، ولا من بركة فقه ، ولا من بركة باب ، ولا فصل من أبوابه ، ولا من بركة تتنزل .

اللهم اقسم لنا وإن كنا غائبين ، ولا تُخَلِّينا منها يا مولانا يا أرحم الراحمين ، واغفر اللهم لوالدينا ولآبائنا ، واجعل برازخهم نورْ ، واجعلها واسعة تتنزل عليهم فيها الرحمة ، ومتعنا بهؤلاء ، ومتعنا بالشيخ حسين باسندوة وبرجالنا كلهم ، واجعلها مستمرة هٰذه المجالس فينا وفيهم وفي عقبنا وعقبهم ، واجعلنا قائمين بنشر الدعوة المحمدية بالإذن والتلقي فيها ، ظاهراً وباطناً ، في خير ولطف وعافية .

وختمها حبيبنا أحمد مشهور الحداد بقوله :

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

الناس نوعان نوع مع الله ونوع مع الدنيا

ونكلم سيدي وشيخي الوالد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف بهٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة ، الثامن والعشرين من شهر صفر ، عام أربعة وأربع مئة وألف هجرية ، الموافق الثاني من ديسمبر ، عام ثلاثة وثمانين وتسع مئة وألف ميلادية . وذلك بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه بـ(جدة) بعد قراءة في الفقه ، وبعد أن أنشد أخونا محمد سالم خرد قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

نَعَمْ عالَمُ الأرواح خير من الجسمِ   وأعلىٰ ولا يخفىٰ على كل ذي علمِ

بعد ذلك قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أحسنتَ وأحسن الله إليك . الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ ذكر أن هٰؤلاء الاثنان يتنازعان : الروح تُنازِع ، والجسم وبشريته ينازع .

فإذا تغلب الجسم وبشريته لمنازعته للإنسان . . أخذ به إلىٰ السُّفْل والانحطاط ، وهوىٰ به إلىٰ أسفل السافلين .

وإذا أخذ مع الروح . . رفعه إلىٰ أعلىٰ عليين ، وأخذ به إلىٰ نعيم مؤبد ، وإلىٰ سرمد ، وإلىٰ حياة عز ، وإلىٰ حياة مجد ، وإلىٰ حياة شهرة ، وإلىٰ حياة مظهر عظيم .

والإنسان عرضة لهٰذين ، وكان ينبغي له أن يدرك ، وإدراكه إذا كان حضر مع رجال العلم ، ومع رجال الصلاح ، ومع رجال

Scanned with CamScanner

الولاية ، ومع رجال الهداية . . تغلبت الروح ، تغلبت إلىٰ عالمها . وإذا انحط إلىٰ الفريق الثاني ، فكان دائماً ملازم الشهوات ، يمني نفسه الأماني والأباطيل ، واللعب والحضور مع أهل الغفلة . . هبطت به شهوته وبشريته إلىٰ الدَّرَك وضاع ، ولم يُدرِك من حياته السعادة الأبدية ؛ لأن الحياة سعادتها لا تدرك إلا بأشياء ، الأشياء منها : أن يستشعر الإنسان أنه عبد لا يملك من أمره شيءْ ، وأن الأمر كله لله ، فإذا استشعر ذلك . . أدرك أنه محتاج إلىٰ الله ، وإذا أدرك أنه محتاج إلىٰ الله . . سار في الطريق الذي يرضاه الله ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ما بايسبل عليه النعمة المقصودة . ليست هي نعمة الأكل ، ولا هي نعمة الصحة ، ولا هي نعمة الشراب ، ولا هي نعمة الذواق ، ولـٰكنها نعمة التغذية بالعالم الأعلىٰ ، وما يتنزل من ذلك العالم من أشياء لا توصف ولا تقدَّر ، ولا تأتي علىٰ خيال ولا تأتي علىٰ عقل ، ولا يدركها الإنسان إلا بذوقه ، إذا دخل مع أهل الذوق .

وهـٰذه ، كما ذكرنا ، قال المفسرون في قوله تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . أو ﴿سُبُلنا﴾ ما هو سبيل واحد ، سبل متعددة واسعة ، وأعظم السبل هو : الاتباع للحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ حتىٰ يرقىٰ به الاتباع إلىٰ مجالسة الحبيب .

كثيراً ما أذكر لكم أن واحد من المتقدمين عندنا ـ مشهور من

الأولياء ، اسمه الحبيب عبد القادر بن أحمد بن قطبان[1] ، سيد عظيم ـ كان محافظ على مجالس الحبيب علي بن محمد الحبشي، وإذا رجع من قراءة ذكر المولد الشريف.. قالوا له : من أين جئت ؟ قال : جئت من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّمَ .

معاد يحتاج ، جلس في مجلس فيه النبي ، فيه أوصاف النبي ، فيه أخبار النبي ، فيه شمائل النبي ، فيه ذكر النبي ، ماهو اسم المجلس هذا ؟

واحد على العكس ، يقال له : جئت من أين ؟

قال : جئت من السوق . ما هو الذي بايحصله في السوق هذا الإنسان إذا لم يطلع لقضاء حاجته ؟ أما إذا سار لقضاء حاجته ، وقضاها.. فما مثال السوق ، وما مثال الجلوس مع أهل الدنيا إلا مثال حاجة الإنسان للحمام ، إذا دخل لحمامه.. قضى حاجته ورجع .

هؤلاء منعَّمون ، هؤلاء مُكْرَمون ، هؤلاء أضياف الله سبحانه وتعالى .

بالأمس ذكرنا كلام الغزالي ـ والإمام الغزالي هو المثل الأعلى في ضرب الأمثال حتى تُدرَك . لأن الله قال : ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ ـ قال : الناس نوعان :

---

(١) من آل السقاف من كبار الأولياء الصالحين صاحب مجاهدات وكرامات ١٢٥٥/١٣٣١هـ .

نوع منهم هٰؤلاء الذين مع الله في عبادة وتلاوة وذكر ، وصفاء سريرة ، وحفظ سريرة وقالب وما شاكل ذلك .

قال : هٰؤلاء هم الذين أنزلهم في روضته ، وجعلهم مختصين بمسامرته ومجالس قدسه .

وناس انشغلوا بالدنيا ، فكانت الدنيا شغلهم وكانت معبودهم ، نسوا الله .

قال : هٰؤلاء مثالهم مثال من يغسل المراحيض والمزابل وما على شاكلتها ، دائماً وهو في نجاسة وهو في أوساخ ، فإذا طلع وأراد أن يدخل إلىٰ حضرة المَلِك . . يرده البواب ، يقول له : أين تريد ؟! لماذا أنت مستعجل ، لماذا هٰذا الجري ؟

إذا قال : أنا أريد الدخول علىٰ الملك . . يقال له : أتدخل وأنت في الثوب هٰذا النجس!! والجسم النجس والأوساخ التي عليه ؟ هٰذا ما يدخلك ، ومجلسك ما يناسب مجلس الملك . اخرج اغتسل وتطيب ، والبس لك ثيابٌ نظيفة ، وقلباً طاهرْ ، واطلع وقف علىٰ الباب حتىٰ يؤذَن لك ، فإذا أُذن لك . . فادخل .

وهٰؤلاء المتقدمون جعلوا لنا هٰذه الأمثلة ليأخذ الإنسان فيما يرقىٰ به إلىٰ العالم الأعلىٰ . والعالم الأعلىٰ رُقِيُّه من أين ؟ بمجالس العلماء ومَن علىٰ شاكلتهم .

كان مغربي خرج إلىٰ (حضرموت) يسير فيها حتىٰ وصل إلىٰ

Scanned with CamScanner

حوطة الحبيب أحمد بن زين ، ووجد الحبيب في ذكر وعلم ـ وقته كله مشغول ، ما أحد يسأل عن الدنيا في مجلسه ، ولا فيها كلام ، ولا فيها شيء قط أبداً ـ أقام عند الحبيب مدة ثم رجع ، وبعد قالوا له : أين أقمت ؟

قال : وجدت قبرْ من القبور حيٌّ يتكلم فأقمت عنده .

ما هو هٰذا القبر الذي حصَّلته ؟!

قال لهم : حصلت الحبيب أحمد بن زين ، ما تُذكَر الدنيا في مجلسه بتاتاً ، علم وعمل ، وقرب من الله ، ودعوة وكتابة ، ومثل هٰذه الأشياء .

وهٰؤلاء هم الواصلون ، وهٰؤلاء هم الذين يشير إليهم أهل الإرادة ؛ لأنهم وصلوا بواسطة السعادة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، ووصولهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بالارتباط .

هٰذا الحبيب أحمد بن زين لما ارتبط بشيخه الإمام الحداد ، كان يقول ـ من كلامه ـ : لو قال لي قائل : إن الإمام الحداد وقف علىٰ أهل مقبرة من المقابر وناداهم ، فقاموا . . لصَدَّقت .

وذلك لأنه بَعَث العلم وبعث الحياة العلمية في الناس كلهم ، أما الحياة الجسمية . . فهي أقرب مِن بَعْث العلم ، وبعث العلم هٰذا ـ كما ذكرنا لكم ـ هو هٰذا السبيل ، أدركه بواسطة شيخه الإمام الحداد ، وبواسطة اتصاله بالإمام الحداد ، وبواسطة انطراحه علىٰ الإمام الحداد . وكان انطراحه علىٰ الإمام الحداد هو الذي أورثه الصديقية الكبرىٰ .

Scanned with CamScanner

كان يكتب له الإمام الحداد : إلىٰ الحبيب العلامة أو العالم الكبير الصوفي . شهادة من عبد الله حداد ، شهادة من شيخه ، ما هي شهادة من واحد ثاني ، شهد له لأنه جرَّبه وعرفه ومارسه .

وبعد ، جاؤوا ناس بعده ولزموا الطريق مثل ما لزمها هو الحبيب أحمد ، واتصلوا مثل ما اتصل الحبيب أحمد ، وسَعَوا ووصلوا .

نحن عرفنا من بقية شيوخنا المتأخرين : الحبيب محمد بن هادي السقاف وجهه فلقة قمر ، إذا شافه الإنسان ، ندخل إلىٰ عنده بعد ما انقطع عن الدروس جالس في بيته ، ندخل إلىٰ عنده في الأسبوع مرة أو مرتين ، يسأل ويقول : من ؟

قالوا له : فلان ابن فلان .

يكرر من ؟

قالوا له : فلان ابن فلان .

فين الدروس ذا الحين .

أي : تقرؤن في أي كتاب ؟ ووصلتوا إلىٰ أين ؟

ما هناك أسئلة مثل :

جئتم من أين ؟

ولا كيف حالكم ؟

ولا : ما هي الأخبار ؟ لا يوجد شيء من هٰذا كله قط أبداً ، وذلك علىٰ منوال الحبيب أحمد بن زين .

Scanned with CamScanner

وإذا جلس يفتح في مسألة ـ وعمره تسعين سنة ـ يبدأ في هٰذه المسألة ويفذلكها ، وكلام فلان فيها ، وفلان قال كذا ، وكتبت كذا ، ووقع فيها كذا . . وذلك في أي مسألة يفتحها الحبيب .

هٰذا كان من بقية الشيوخ الذين أدركناهم ، وكان الشيوخ علىٰ هٰذا المنوال . ولا يصل الإنسان بالعلم وحده ولا بالعمل وحده ، ما شيء طريق إلىٰ الوصول إلا بواسطة الشيخ ، قال الإمام الحداد ـ رحمه الله ـ :

ولابد من شيخ تسير بسيره   إلىٰ الله من أهل القلوب المنيرة

وقال الحبيب علي في قصيدته الأخرىٰ :

مَن لا صَحِبْ في حياتِهْ شيخْ عارفْ مَكينْ
مَرَّتْ حياتُـهْ وهُـوْ معـدودْ فـي المُفْلِسيـنْ

وهو الحبيب علي في قصائده يعدد : شيوخي في (تريم) شيوخي في (سيئون) وختمهم بشيخه الكبير أبو بكر العطاس ، ثم تملقه لهٰذا الشيخ وانطراحه علىٰ هٰذا الشيخ ، ولعاد ينظر إلىٰ أحد غيره من الشيوخ . إذا وصل إلىٰ عند الحبيب أبي بكر . . يطرح نفسه عليه انطراحْ كُلِّيْ ، معاد يدرَىٰ بشيء قط أبداً .

لماذا هٰذا كله ؟ لأنه أخذ بيده الحبيب أبو بكر فأوصله ، ولا يوصل ـ كما ذكرنا لكم ـ إلا الشيخ . فكل واحد ينبغي له أن يرتبط بشيخ ، فأهلكم ما تركوا لكم إلا الخير ، ولا تركوا لكم إلا السعادة الكبرىٰ .

Scanned with CamScanner

أنا بعد ما كان . . ذا الحين نذكرهم ، قلنا : الحمد لله ، من أيام العيدروس ، من أيام الإمام الحداد ، من أيام الشيخ أبي بكر بن سالم ، من أيام الشيخ المحضار ، من أيام السقاف ، من أيام الفقيه وممن كان قبل الفقيه ، إلىٰ المتأخرين ، إلى شيوخنا الذين عرفناهم . . لا يخلوا زمان من شيوخ ، كل واحد منهم يوصل إلىٰ الله في لحظة ، وفي ساعة ، وأقل من هٰذا . ما ماتوا ولا يزالون موجودين .

الشيخ محمد بن حسين البجلي قال : رأيت رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ فسألته ، فقلت له : يا رسول الله ، ما الذي يوصل في هٰذا الزمان ؟

قال : ثلاثة أشياء . ثم ذكر منها : وقوفك بين يدي ولي لله كشج بيضة أو كحلب شاة خير لك من أن تتقطع في العبادة إرباً إرباً أو إرب إرب ـ حياً أو ميتاً ؛ لأنهم أحياء : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

كان الشيخ أبو بكر بن سالم جاء إلىٰ عنده واحد من (شبام) يزوره ، وأراد أن يفرحه بالسلام عليه من شيخه الشيخ معروف ، قال له : يسلم عليكم الشيخ معروف .

قال له : شفه إلىٰ جنبي ، والله إنه إلىٰ جنبي . وأخذ الشيخ يردد الكلام : هو إلىٰ جنبي ، هو إلىٰ جنبي .

هٰؤلاء ما يغيبون ، ثم إذا قوي الاتصال الروحي . . انطوت طرق البعيدة هٰذه والمسافات ، معاد شيء مسافة . والمسافة

Scanned with CamScanner

تأتي إذا يبعُد العبد بينه وبين نفسه بالخطايا وبالغفلة وبما شاكل ذلك ، وإلا . . ما هناك مسافة قط . إذا واحد بغىٰ يتتلمذ للفقيه ـ من أيسر ما يكون ـ يربط نفسه بسَيْر الفقيه ، أو يتتلمذ للسقاف . . يربط نفسه بسَيْره ، أو بالشيخ أبو بكر ، أو بالعيدورس ، أو بمن بعدهم . . يربط نفسه بهم .

وبحمد الله ، الطريق لا تزال مدحوقة[1] ، هٰؤلاء تركوا لنا شيوخْ ، والشيوخ تركوا لنا شيوخْ ، والشيوخ تركوا شيوخْ ، والشيوخ تركوا شيوخْ . . لا يزال الزمان يلد ، وإنما الإنسان إذا فَتَح عين البصيرة . . شاهَد ، وإذا أقام الميزان قائلاً : هٰذا الشيخ ذَلاً[2] يلقىٰ كذا ، ذَلاً معه كذا ، ذَلاً يعمل كذا ، هٰذا إلا يبغي كذا ، وهٰكذا كما هٰذه الأشياء تكون . . كأنه وضع الحجاب فيما بينه وبين الناس ؛ لأن الميزان هو الحجاب ، ساتر وضعه فيما بينه وبين الناس . فلا ينبغي للإنسان إلا أن يوسِّع المشهد ، ويحسِّن المقصد ، ويجعل حسن الظن دليلْ للإدراك الكبير .

كان واحد من أخوال عمكم شيخ بن أحمد[3] هٰذا ، اسمه الحبيب محمد بن سقاف ، جده لأمه ، متصل بالحبيب علي بن

---

(١) مدحوقة : أي مطروقة .

(٢) ذلاً : أي لإنه .

(٣) من ال الشيخ أبي بكر بن سالم والحبيب شيخ بن أحمد بن سالم عم المنصب تعمر في طاعة الله صاحب كرم كبير وأخلاق عالية وله باع طويل في الإصلاح وله أعمال جليلة كبيرة توفي بعينات ١٤١٨ وميلاده ١٣٢٠ .

سالم الأدعج . وجاء يوم من حوطة النور حقه ، وقاصدْ الحبيب علي بن سالم ، فقال له : نعم ، لماذا جيت ؟

قال له : بغيتك تروينا القطب .

قال له : ما يوافقك الاتصال بالقطب .

قال له : بغيتك تروينا القطب .

وبقي يلح عليه ، وهو يحبه ، قال له : هيا ، إذا صليت العصر معنا في الزاهر.. بانخرج بك وباتشوف القطب إن شاء الله ، وباأشير عليه . فإذا النوبة عند واحد من مجاذيب آل الشيخ الذين لا يدركون الأشياء ، لما وصل - وذلك عاده إلا بعيد - بدأ يقول له : يا علي .

قال له : مرحباً .

قال له : لا تكشف حالي .

بقي يكرر عليه : لا تكشف حالي.. في الأخيرة قال له : لا تكشف حالي ، بايكشف حالك ربي .

انصرف الحبيب علي بن سالم ورجع ، قال : محمد!

قال : مرحباً .

قال له : شفه هٰذا صاحب النوبة .

قال له : هو هٰذا ؟

قال له : نعم ، هو هٰذا .

عَرَّفَنا بذلك الحبيب علي بن محمد الحبشي في مكاتباته هٰذه الغراء ، التي ينبغي أن يأخذ منها الإنسان شيءْ ، قال فيها : إنه

Scanned with CamScanner

يدرك الإنسان أن صاحب صفاء السريرة هو الذي تتنزل عليه ألوية التعارف والتعرف ، واللطائف والخير .

قال : وعِلْم السر حَمَلَه رجال - مِن عِيْنَتهم : أهل صفاء السرائر هٰؤلاء الجم - وعِلْم السر حَمَلَه رجال وأَدّاه رجال ، وبين الحاملين والمؤدين ارتباط ما عنه انفكاك . ما هم داريين الناس عنهم ، يشوفون واحد كثير الكلام أو كثير الهذرمة ، أو كثير القيام أو كثير العمل ، والمرتبة مع ذاك وهٰذا قائم عنه . وهٰكذا ، فصفاء السريرة ينبغي لكل واحد منكم دائماً المحافظة عليه ؛ لأن صفاء السريرة لا يقتضي العطاء ولا يقتضي المنع ، المقصود : أن الإنسان لا يحمل الميزان . ما هو شرط أنك تعطي هٰذا لكثرة طلباته أو ما تعطيه لكثرة أذياته ، المهم أنك تصفي سريرتك ، وإن وفقك الله للعطاء له وللمعونة له وللصدقة عليه . . فبها ونعمت ، وإذا ما وفقك الله . . لعاد تباعد فيما بينك وبينه بسوء الظن ، والعياذ بالله ، خل حسن الظن بابه مفتوحْ لك حتىٰ تدرك ، فكم من واحد منهم هٰؤلاء حامل السر .والناس ما هم داريين ، ولا يدري عنه الإنسان أبداً .

كان الشيخ عِمر بَرَّبيعة - ربما تسمعون به ، عادنا عزفته ، والإخوان عرفوه - تاجر من تجار (شبام) وكان يراسل ويطلب الحاجات ، وتجيه الحاجات في أول أمره بواسطة (الهند) وغيرها ، وكان يأتيه منهم هٰؤلاء الذين هم ما يقيمون أنفسهم ، ويعبر عنده ويعطيه شيء من الدراهم القليلة .

Scanned with CamScanner

جاء ذات مرة من المرات ، وقال له : عمر! عمر!!

قال له : لبيك .

قال له : اليوم ريالين .

قال له : لا ، لا ـ هو عادة يأخذ شيءْ من الأشياء البسيطة من العانات أو كماها .

قال له : ريالين اليوم .

قال له : لا ، لا ، باعطيك أربع عانات . وأخذ هٰكذا يساومه من عانة إلىٰ عانة ، إلىٰ وقت ، إلىٰ شيء ، إلى شيء . . إلىٰ أن اتفق على أن يعطيه ريال . أعطاه الريال بعد مماكسة وبعد مشادة هو وإياه ، بعد ما أعطاه الريال . . خرج هٰذا المجذوب وهو يقول : مسكين عمر بَرَّبِيعة! حقه في البحر نص غرق .

ناداه ، ورجع يقول له : تعال تعال! والمجذوب يقول : حقه في البحر نص غرق ، مسكين عمر بَرَّبِيعة! وهٰذا يناديه من خلفه ويقول له : تعال ، تعال! وذاك يقول : حقه في البحر نص غرق .

بَعْد كَمْ أيام قالوا له : إحدىٰ السواعي ـ أي : السفن الشراعية غرقت والثانية وصلت .

قال : سببه المماكسة مع الرجَّال .

فالإنسان دائماً يحسن الظن ، ويخلي قلبه مفتوحْ ، لا يشغله بشيء قط أبداً .

Scanned with CamScanner

كان سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم ، وقبله الشيخ العيدروس ، يقولون : حسن الظن إكسير غالي .

وفيما ورد يقولون : خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله .

والشيخ أبي بكر يقول : صاحب حسن الظن ما يخسر وإن أخطأ ، ما يخسر وإن أخطأ ، ما يخسر وإن أخطأ .

الذي عَطَّل علىٰ الناس ذا الحين أنهم ما انفتحت بصائرهم للاطلاع علىٰ شيء من علم الغيب الذي يشير إليه القرآن بقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ .

سوء الظن ـ والعياذ بالله ـ خطير .

أسأل الله ـ إن شاء الله ـ أن يجعل السريرة دائماً واسعة ، ويجعلها نظيفة ، ويجعلها طاهرة ، ويجعل فيها الخير ، ويجعل فيها حسن الظن ، ويجعلنا وإياكم من المُلازمين للشيوخ ، والملازمين لكتبهم ولأورادهم ولأذكارهم ، ولعاداتهم ولِمَا كانوا عليه ، ظاهراً وباطناً ، ويرحمنا ويرحمهم ، ويتغشاهم بالرحمة ، ويمدنا من إمداداتهم ، ويعمر قلوبنا بما عمر به قلوبهم ، ولا يخلِّيهم عنا ولا يخلِّينا عنهم طرفة عين ، لا في العمل ولا في المتابعة لهم في خير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

جدة ما عرفت مثل هذا العصر وآباؤنا وأجدادنا نشروا الإسلام بالدعوة وبالأخلاق والعلامة أحمد بن عمر الشاطري وكتابه الياقوت النفيس (١٣١٢/ ١٣٦٠هـ)

وتكلم سيدي - حفظه الله - بهٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الأول، عام أربعة وأربع مئة وألف هجرية. الموافق الثلاثين من شهر ديسمبر، عام ثلاثة وثمانين وتسع مئة وألف. بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه السقاف بـ(جدة). وهٰذه الليلة جمعت لنا احتفالين عظيمين:

الاحتفال الأول: هو ختمنا لكتاب «الياقوت النفيس» من تقرير أستاذنا الوالد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري.

والاحتفال الثاني: هو الاحتفال لقراءة قصة المولد النبوي للحبيب علي بن محمد الحبشي.

وهو الاحتفال الذي يعتاد أخونا طٰه بن محمد إقامته في مثل هٰذه الليلة من كل عام، ويعمل له ضيافة عظيمة. وكان احتفالاً عظيماً، غشي الجميعَ فيه الخشيةُ والسكينة. وسرىٰ سر الاحتفال الذي يقام في نفس هٰذه الليلة بمسجد جدنا الحبيب طٰه بن عمر بـ(سيئون) سرىٰ سره في هٰذا الاحتفال.

وبعد الجلوس من المقام ألقىٰ أخونا الأديب عبد القادر بن سالم خرد قصيدة رائعة بمناسبة ختم كتاب «الياقوت النفيس» مطلعها:

عَجِبتُ وما من ذلك الحفل أعجبُ ... ولا من جموع الناس تأتي وتذهبُ

إلى أن قال:

ولٰكن من النيات يظهر سرها ... نُثْمِر فينا بعد حين وتخصب

Scanned with CamScanner

بعده أنشد الأخ عبد القادر حسين الحبشي قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي :

لكم بشرىٰ الإجابة والقبول   من المولىٰ بواسطة الرسول

بعده أنشد الوالد محمد بن عبد الرحمن بن شيخ السقاف[1] قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

على ريم وادي الرُّقَيْمَتَيْن سلامي   وحسبي به في رحلتي ومُقامي

أنشدها بطلب وقصد من حبيبنا الوالد عبد القادر ؛ لما تحتويه هٰذه القصيدة من ذكر الشيوخ والأسلاف وما كانوا عليه .

بعد ذلك تكلم حبيبنا بهٰذه الكلمة التي استمر فيها اثنتين وأربعين دقيقة . نسأل الله أن يجعل لهٰذه الكلمة أثر في قلوبنا وفي قلب كل قارىء وسامع لها ، آمين .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أحسنتم وأحسن الله إليكم ، جزاكم الله خيرٌ . جزىٰ الله الولد عبد القادر بن سالم ، ومحمد أخيه علىٰ إنشاده بقصيدته الغراء ، وعبد القادر بن حسين علىٰ إنشاده بقصيدة شيخنا الحبيب علي ، وأخينا محمد بن عبد الرحمٰن بإنشاده بقصيدة الإمام الحداد ، وكلهن غُرر .

والمقصود من إنشاد القصيدة الأخيرة : أن أذكركم بأنكم في هجرة ، وأنكم تعرفون بلدكم ، وتعرفون أصلكم ، وتعرفون ماصرتم إليه وما كان في أول أمركم ، وتعرفون ما الذي حَوَّلكم

---

(١) توفي بسيون تاريخ ١٩/٢/١٤١٦هـ.

Scanned with CamScanner

إلىٰ هٰذه البلد وأوصلكم إليها . ثم لتذكروا أن القصيدة هٰذه . . ذكر الإمام الحداد فيها هجرة أبيكم المتقدم الإمام أحمد بن عيسىٰ ، وذَكَر مَن بعد الإمام أحمد بن عيسىٰ[1] من الرجال الذين أعقبوه في الولاية ، وأعقبوه في العلم ، وأعقبوه في الدعوة ، وأعقبوه في الخلافة النبوية ، وهي المقصودة الحقيقية .

نحن خرجنا من بلادنا كما لا يخفىٰ ، معروف السبب الذي أخرجكم ، والإمام المهاجر خرج من بلاده ، ومعروف السبب الذي أخرجه ، ذكره العلماء رحمهم الله . وقال الإمام الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ـ رحمه الله ـ في كتاب « عقد اليواقيت » ـ ذكره الحبيب عيدروس بن عمر في ترجمة الحبيب عبد الله ـ قال : السبب الذي خرج من أجله المهاجر من (البصرة) ـ كما تسمعونها في القصيدة هٰذه ـ البلد العجيب ، العظيم الكبير الواسع ، الطيب الهواء ، الطيب البساتين ، الطيب النخيل ، البلد المشهور ـ قال ـ قال فيها الإمام الحداد :

من البصرة الخضراءِ يخترق القرى ويُلحِقُ أغواراً لها بأكامِ
إلى أن أتىٰ الواديْ المبارَكَ فارتضىٰ ومَدَّ به أطنابه بخيام
فأصبح فيه ثاوياً متمكناً بذريةٍ مزمومةٍ بزمام

ثم ذكر الزمام ، وهو البر والتقوىٰ :

من البر والتقوىٰ وحُسْنِ شمائلٍ كرامِ السجايا أَرْدَفَتْ بكرام

---

(١) الإمام المهاجر أحمد بن عيسى (٢٦٠ ـ ٣٤٥هـ) .

والمقصود من هٰذه الأبيات والمهم ـ كما ذكرنا ـ ذكرنا الهجرتين . أما جدكم المهاجر ـ رحمه الله ـ فقد ذكر أهل التاريخ أن هجرته أثمرت وأعقبت ، ولا تزال تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . خرج من (البصرة) إلىٰ (المدينة المنورة) بلاد رسول الله صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ التي شُرِّفت به عليه الصلاة والسلام ، ثم جاء إلى (مكة المكرمة) من العام الثاني ، وأقام بـ(مكة) مدة الحج وبعد الحج ، ثم خرج منها في طريقه راغباً في بلدة يقيم بها ؛ ليدعو ويعلِّم ويذكر الله ، ويحفظ ذريته المباركة . وكلما مر علىٰ قرية أو بلدة ، أو إقليم من الأقاليم ، أو ناحية من النواحي.. ما أعجبه المقام بها ، وكان معه ولده عُبَيْدُ الله ـ واسمه الحقيقي : عبد الله ، ولٰكنه يعجبه تصغير اسمه فصار يسمىٰ عُبَيْدَ الله ـ وكان معه مملوكيه : شَوِيع ، والثاني : مختار . ومعه أيضاً من حاشيته عدد كثير ، وخرج بشيء من المال الكثير ، كما ذكره أهل التواريخ وأهل السير .

وكلما مر بناحية من النواحي.. ما أعجبته ، حتىٰ وصل إلىٰ (حضرموت) لماذا وصل إلىٰ (حضرموت) ؟ ليقيم فيها دولة العلم ، ليقيم فيها دولة الدعوة ، ليقيم فيها الأخلاق الكريمة ، ليقيم فيها موازين البر ، ليقيم فيها فضائل الأعمال ، ليقيم فيها ما كان عليه جده صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، وخرج . وكانت (حضرموت) كما لا يخفىٰ عليكم وكما تسمعونها ، كان الإباضية موجودين فيها ومستولين عليها ، والأمر والنهي لهم ،

Scanned with CamScanner

لٰكن الأمر والنهي ليس بكاف ، إنما الكافية أخلاق محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ، وشريعة محمد ، وسيرة محمد ، واللطف الذي أخذه محمد عن ربه . فكان لطيفاً في أخلاقه ، أخذ يعاشرهم بهٰذه الطريقة ، ويدعوهم إلىٰ الله بالتي هي أحسن سِتٌّ وعشرين سنة ، حتىٰ فاجأه الحمام في وقته ، فقام بعده ولده عبيد الله المتوفى ٣٨٣ ، وقام بعد عبيد الله : بصري ، وجديد ، وعلوي . وقام بعد علوي : محمد بن علوي (٣٩٠،٤٤٦) ، وقام بعد محمد بن علوي : علوي بن محمد توفى ٥١٢ ، وقام بعد علوي : علي خالع قسم ت ٥٢٩ . . وهٰكذا تسلسلت . وكل واحد له مآثر كبيرة مما تسمعونه منهم هٰؤلاء ، من الإعطاء الجم ، ومن العبادة الجم ، ومن العلم الجم ، ومن الأخلاق الجم ، ومن الفضائل الجم ، ومن كل شيء جم مرت علينا في صاحب مرباط .

يأتي بعد علي خالع قسم هو ولد علي خالع قسم ، واسمه : محمد بن علي صاحب مرباط المتوفى ٥٥١ .

قالوا : إذا انتهت السنة وأرادوا أن يكنسوا مستودعاته . . يجدون فيها أكثر من الأربعين القهاول[1] والخمسين القهاول من الطعام باقية ، هٰذا إلا بقايا الذي معادهم محتاجين إليها .

وكان من خبره : أنه كثير الصدقة ، كثير الأيادي ، كثير البر . وهو الذي بنىٰ مسجد والده : (مسجد بني أحمد) بعد الإمام علي بن

---

(١) القهاول : وحدة كيل للطعام .

علوي ، وهو أول من بنىٰ (مسجد باعلوي) . وأول من دخل (تريم) وأقام فيها : الإمام علي بن علوي خالع قسم ، وجاء محمد بن علي وجدد المسجد في وقت قريب بعد والده ـ لتعلموا أن هـٰؤلاء ما استكفوا بالعمل الدنيوي ، ولـٰكنهم أضافوا إلىٰ العمل الدنيوي العمل الأخروي ـ حتىٰ وصلت النوبة بعد إلىٰ الفقيه . ويكفي عن ذكر الفقيه اسمه فقط ، إذا قيل : الفقيه المقدم[1] . . كفىٰ . ثم زوجته زينب ، قالوا : ما قصَّرت في شيء ، كان يسألها الشيخ عبد الله باعباد ويقول لها : كيف حالكم بعد شيخنا الفقيه ؟

قالت له : حالنا ذلك ، إلا أن جبريل كان يأتينا كل ليلة فصار يأتينا ليلة بعد ليلة .

ولا غرابة ـ فربما يستغرب الواحد ـ فإن الملائكة لا تزال تزور، هـٰذا عمران بن حصين رضي الله عنهما، في الحديث الوارد قالوا : إنه كان مبسورٌ ، وكان من أثر البواسير أتوا له بطبيب ليعالجه ، فقال لهم : دعوني إلىٰ اليوم الثاني . فجاؤوه في اليوم الثاني ، فقال : فكرت فوجدت أن الملائكة كل يوم تسلم علي ـ ورواية : وتصافحني ـ فربما إذا عالجتموني . . لا تحضر عندي الملائكة . إشارة إلىٰ أن الملائكة تحضر وتتردد ، ولها تردد ، وفي مجلسنا هـٰذا ملائكة ، وفي المجالس كلها ملائكة ، وحول الدور ملائكة ، وفي الأسواق ملائكة ، إلا أن الناس يختلفون في معرفتهم وفي الاطلاع عليهم ، وفي إدراكهم وفي أحاسيسهم ،

---

(١) الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي (٥٧٤هـ ـ ٦٥٣هـ) .

Scanned with CamScanner

وفي القرب منهم ، وفي البعد عنهم ، أما هم . . فموجودون ، والله يقول لكم : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ اثنين كتبة قاعدين مع كل إنسان : واحد باليمين ، وواحد باليسار . فلا غرابة ولا بُعْد في شيء من مثل هـٰذا .

هـٰذه زينب تقول ـ وهي امرأة ، وتقول كما يقول الشاطري ـ إنه يأتيها بأخبار السماء .

وموضع الشاهد : أن هـٰؤلاء أقاموا جانب العلم وجانب الدعوة الكاملة الظاهرة .

ثم بالإجماع قالوا : إن هجرة المهاجر هـٰذه هي الهجرة التي رأىٰ النبي صلوات الله وسلامه عليه فيها أنه يهاجر إلىٰ أرض ذات نخل ، فسَّرَ الأولىٰ صلوات الله وسلامه عليه بـ(يثرب) وهي (المدينة المنورة) ولما حصلت له الرؤيا الثانية . . فَسَّرَها بـ(اليمامة) أو بـ(حضرموت) .

قال العلماء : ورؤياه حق صلى الله عليه وآله وسلم ، ورؤياه وحي . وولدُهُ[1] وَارِثُهُ صلوات الله وسلامه عليه ، فكانت الهجرة الثانية هـٰذه التي بقيت علىٰ مر الزمن تدور حتىٰ قدر الله أن تكون لأحمد بن عيسىٰ ، فيخرج من (البصرة) ذات الخير الكثير والمال الكثير ، والبركة الكثيرة والأرزاق الكثيرة ، ويكتفي بـ(حضرموت) البلد البعيد النائي ، التي ليست بذات نخل كثير ولا يكفي نخلها ، وليست بذات زراعة كثيرة ولا تكفي زراعتها ،

---

(١) يقصد الإمام المهاجر .

وليست بذات أنهار ، ولا فيها إلا ماء السواني ـ كما تعرفونها ـ ولٰكنه اختارها لأمر .

فكان من ثمرات تلك الهجرة : أنهم سافروا من أحفاد أحفاد أحفاد المهاجر ، فأقاموا الدعوة في (الهند) وفُتِحت (الهند) بالإسلام ، بواسطتهم . ومنها إلىٰ ناحية (بورمه) وبلاد (سيلان) ومنها إلىٰ (الصين) ومنها إلىٰ (ماليزيا) ومنها كذلك إلىٰ (سينغافورة) قطعة من (ماليزيا) ومنها إلىٰ (أندونيسيا) ومنها إلىٰ (مانيلاً) و(الفلبين) .

ما هو السيف الذي كان معهم ، وكم الحاشية التي تتبعهم ؟

أما حاشية أصحاب محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . . فكانوا يخرجون جيوش عديدة ، وهٰؤلاء خرجوا بماذا ؟ خرجوا بدين محمد ، خرجوا بأخلاق محمد ، خرجوا بسيرة محمد ، خرجوا بهدي محمد ، خرجوا بما كان عليه محمد ، وما كان عليه محمد ، وما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه من صفات حميدة تتعشقه الأرواح .

ولا نزال نحن كذلك ، إذا وجدنا واحد محافظ علىٰ سمته الحسن ، محافظ علىٰ هديه . . مالت إليه القلوب وحنت ، وأحبته . هٰؤلاء كانوا علىٰ مثل هٰذا الحال ، وكلما دخلوا بلاداً . . وجدوا مِن سَمْتِهم الحسن وهديهم الطيب ما يدعوا إلىٰ أن يتمسكوا بمثل ما كان عليه ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً .

Scanned with CamScanner

وكم يكونون هٰؤلاء في (جاوه) ؟ كانوا يقولون لنا : إن عددهم مئة وأربعون مليون ، كلها كانت مسلمة . بواسطة من ؟

بواسطة هٰؤلاء أولاد علوي بن محمد ، عم الفقيه المقدم . بواسطة هٰؤلاء انتشر الإسلام ، وأصبحت كلها هٰذه (جاوه) ومن نواحيها والجهة الشرقية و(أفريقيا) .

قال لكم حبيبنا أحمد مشهور الحداد : دخلها الإسلام كلها بواسطة هٰؤلاء فعَدُّوا هجرة المهاجر هجرة ؛ لأن الحبيب صَلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ كان محصوراً في (مكة المكرمة) من أذىٰ قريش ، ومن مضايقة قريش ، ومن أعوان قريش ، ومن جيران (مكة) ومن أهل (مكة) حتىٰ إذا أُذِن له بالهجرة وخرج ، ووصل إلىٰ (المدينة المنورة). . انطلقت الدعوة بجميع أنواعها ، فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، وكان الناس كذلك يهاجرون مع الحبيب . وكان الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ يدعو بالسِّنان واللسان ، ويدعو إلىٰ الدين حتىٰ انتشر الدين الإسلامي وصار في أيامه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ رايته منشورة في كل مكان .

ويَرْوُون لنا أهل السيرة أنه لما أراد أن يحج حجة الوداع ـ وسميت حجة الوداع لأنه ودع الناس صلوات الله وسلامه عليه ـ بلغت أعدادهم إلىٰ مئة وخمسين ألف ، أو مئة وثلاثين ألف ، أو مئة ألف ، أو تسعين ألف ـ علىٰ روايات تأتي مختلفة يرويها لنا أهل السِّيَر ـ في مدىٰ مدة قليلة . جاؤوا بالدعوة هٰذه .

Scanned with CamScanner

وما هي الدعوة ؟

كانت دعوته صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ مبنية علىٰ الأخلاق الفاضلة : جاء إليه أعرابي وطلب منه العطاء . قال له : خذ ما بين الجبلين هـٰذا من الغنم . قطيع كامل فيما بين الجبلين .

فسار الأعرابي أشبه بمجنون ـ ماعرف مثل هـٰذا ـ وسار إلىٰ قومه ، دعاهم وقال يا قوم : أطيعوني وأسلموا ؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر . فجاء إليه قومه . وكان عطاؤه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ علىٰ مثل هـٰذا الحال ، وهي من الأخلاق .

وكانت أخلاقه ـ قالوا العلماء ـ هي الدعوة العظيمة التي استجلبت عوام الناس ، وبادية الناس ، وقبائل البلدان ، وأهل هـٰذه الأصقاع وما وراءها . انتشر الإسلام بهـٰذا ، وانتشر الإسلام ـ كما قلنا لكم ـ بذرية المهاجر انتشاراً واسعاً وطويلاً .

رجعنا نحن إلىٰ هجرتنا : خرجنا ـ كما قلنا في أول الأمر أن نحن مهاجرين ـ والأسباب لا تخفىٰ ، وجئنا إلىٰ هذا البلد ووجدناها مفتوحة ، ووجدناها ترحب ، ووجدنا أهلها يقبلون ، ووجدنا حكومتها باسطة ذراعيها لكل من يدخل إلىٰ بلدهم ويخدم فيها ، أو يعمل أو يعلِّم ، أو ما شاكل ذلك . واستقبلنا البلد بجميع أنواع أخلاقها وأخلاق أهلها . لـٰكن ماذا عملنا ؟ كل واحد يفكر في الهجرتين فقط ، ماذا عملنا ؟

نحن دخلنا في حقول التجارة ، ودخلنا في حقول العمل ، وما أحسنها وما أفضلها ؛ حتىٰ لا يبسط الرجل الحر يده لحر

Scanned with CamScanner

مثله ، أو لذي ضيقة لا يقدر أن يتجاوب معه ، أو لذي أخلاق سيئة ، أو لذي ضائقة لا يقدر ، أو ما شاكل ذلك .

الحمد لله علىٰ هٰذه النعمة ، ولٰكن ليست هي المقصودة ممن أراد الله أن يستخلفه ، ممن أراد الله أن يقيمه ، ممن أراد الله أن يكرمه ، ممن أراد الله أن يجعله نائباً عن الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ممن عهد إليه والداه وأشياخه ، وعهدت إليه بلده ، وعهد إليه عهده ، وكان ما مر من أيام أبيه وجده وعمه وخاله شبيهاً بالأيام التي ذكرتها لكم عن المهاجر والفقيه ورجاله ومَن بعدهم ، فجاءت النوبة عندنا .

فالمهم ـ يا إخواني ـ أن كل واحد يرجع إلىٰ حسابه . العمل هٰذا مطلوب ومحبوب ، ومثاب عليه صاحبه إذا نوىٰ نيات فيه ، أو لم ينو فيه نيات صالحة وكان كما قال الأول : حفظ به نفسه ، وحفظ به حريته ، وحفظ به كرامته ، وحفظ به مجده ، وحفظ به ولده ، وحفظ به زوجته ، وحفظ به أهله . ولٰكن! ليس هو بكافٍ ، ما هو الكافي ؟

الكافي كما ذكرنا ، وكما قال الشاعر :

يتبع المرء في انتساب أباه .

يلحق الرجل بأبيه ، ويسأل عن أبيه وعن حال أبيه :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عَوَّدَه أبوهُ

لابد من أن يجعل الإنسان نُصْبَ عينيه أن عليه مسؤوليات : مسؤوليات في الدعوة ، مسؤوليات في الرعاية ، مسؤوليات في

Scanned with CamScanner

حق الجار ، مسؤوليات في سيره في الطريق وفي حق الطريق ، مسؤوليات نحو صلاته ورعايته ، مسؤوليات نحو دينه وأخلاقه ، مسؤوليات نحو المجتمع كله .

ومن نعم الله عليكم أنكم جئتوا من بلد طاهرة مقدسة كريمة ، ما فيها شيء من الأدران التي يشكيها الناس في بلدانهم الأخرىٰ . جئتوا من بلاد ما تعرف شيء ، ما تعرف قطع اليد ، ولا تعرف الرجم ، الحمد لله . ولـٰكنها ببركة مَن هـٰذه ؟ ببركة منابر الدعوة التي قامت بها (تريم) وقامت بها (سيئون) وقامت بها حوطة الحبيب أحمد بن زين ، وقامت بها (شبام) وقامت بها (دوعن) وقامت بها (عينات) وقام بها الوادي المطهر ، كما سمعتوه في قصيدة الإمام الحداد التي اخترتها الليلة ؛ لترجعوا إلىٰ العهد ، ولترجعوا إلىٰ الذكريات .

وأرجو ـ إن شاء الله ـ أن يكونوا شيوخنا ورجالنا مُحَوِّمين في المجلس ، وأن يكون الفقيه ورجاله كلهم معنا حاضرين كلهم بأرواحهم ؛ لأن لهم حنان وعطف علينا بنسبة الولادة ، ما هي ببسيطة ، نسبة الولادة كبيرة ، نسبة الولادة كريمة . مهما قصَّر الولد ، ومهما أساء الولد ، ومهما خسر الولد ، ومهما أضاع نفسه الولد . . لا يزالون يَحُومون عليه ويَرعَوْنه حتىٰ يَرُد عليه رشده ويفيء إليه عقله ، فيرجع ، فيجدهم أمامه ، فيجدهم عنده ، فيجدهم قدامه ، فيجد نورهم يهديه ، فيجد رشدهم يرشده ، فيجد عادتهم تدله ، فيجد أخلاقهم تكون له ، ومتمسك

Scanned with CamScanner

بها يأخذ بها إلىٰ الطريق الأقوم .

هٰذا الذي نحبه ، وهٰذا المولد إنما هو مولدهم - أي : ذكرىٰ مولده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ - يقام عندنا مولد في مسجد طٰه في مثل هٰذه الليلة ، تزدحم عليه الوفود . وفي مثل البارحة يقام مولده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ للحبيب الكبير الحبيب علي بن محمد الحبشي ، شيخ الكل ، جمع الله له من العلم الكثير ، ومن اللسان الداعية الكبيرة ، ومن الكرم الكثير ، ومن الأخلاق الكثيرة ، ومن الخلافة عن حبيبه صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ما هو معروف للجميع ، فصار الناس يتبعونه ، ويميلون إلىٰ مجالسه وإلىٰ دعوته ، وإلىٰ ديوانه وإلىٰ كلامه ، خلافة له عن جده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ . وما هو ببعيد أن يُعطاها أي واحد منا إذا سألها وصدق ؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ لا يرد دعوة من دعاه ، ولا يخلف من ناداه ، يجيبهم كلهم ، وهو الذي يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ ﴾ .

ما يرد حد سبحانه وتعالىٰ . لٰكن الرد إنما هو سببه جفاء العبد . إن ذَكَر بلا حضور . . فمعناه أنه ما ذكر ، وإن صلى بلا قلب حاضر . . فمعناه أنه ما صلىٰ ؛ لأن النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ رأىٰ واحد يصلي عنده في المسجد ، فقال لأحد أصحابه :

Scanned with CamScanner

قم للمصلي هـٰذا فقل له : صَلِّ فإنك لم تصلي ـ هـٰذا كل واحد إذاً يجب أن يلاحظ نفسه في صلاته ـ فقام إلىٰ عنده ، قال له : النبي يقول : صَلِّ فإنك لم تصلي .

فقام وأعاد الصلاة ، فلما انتهىٰ منها . . قال النبي : قم قل له : صَلِّ فإنك لم تصلي .

كل يرجع إلىٰ حسابه بنفسه ، ويرجع إلىٰ صلاته ، ويرجع إلىٰ عبادته ، ويرجع إلىٰ ذكره ، ويرجع إلىٰ الأشياء التي كان الله سبحانه وتعالىٰ جعلها طريقْ للدخول إلىٰ حضرته ، للدخول عليه لاستجابة الدعوات ، للحفظ ، للرعاية . . كل شيء له شيء من الأشياء جعل لنا أذكارْ نُحفَظ بها من الشيطان ، جعل لنا أورادْ ، وهي في هـٰذا الكتاب العزيز ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ موجودة هـٰذه الأوراد ، جعلها لنُحفَظ من الجن ، لنحفظ من الأعداء هـٰؤلاء ، لنحفظ من المردة ، لنحفظ من شر الناس ، لنحفظ من الحيات ، لنحفظ من العقارب ، لنحفظ من مثل هـٰذه الأشياء .

ثم يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

. فليدرك معنىٰ هـٰذه الآية إذا غفل حتىٰ يستشعر بالمقصود من هـٰذه الآية ، إذا لَهَا أَحَد يستشعر المطلوب من نفسه ، إذا قام يصلي لنفسه ، والمولىٰ يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ أو إذا أراد أن يلهو ، أو يكذب ، أو يروح عند ناس ما يصلحون له أو ما يناسبونه . . يستشعر شيءْ من هـٰذا ، يعتقدها أنها لَهْو

وباطل وضحك ، ومَدّ رِجل ورَفْع رِجل ، ومَدّ يد ورَفْع يد ، وهٰكذا وخلاص وبايعبر ، ما يعبر! لكن الناس ـ كما ذكرنا ـ أكثر الناس : من قرأ . . قرأ ولا هو داري ، ومن لم يقرأ . . تارك القرآن والمصحف الشريف .

هٰؤلاء الذين ذكرتهم لكم ، كان في بالي أنني أذكر لكم من أخبارهم ومن تراجمهم ومن سِيَرهم ، ولكني رأيت أن الوقت بايضيق ولا بايتسع ، وإلا لو بيتنا الليلة وأصبحنا ، وبيتنا الليلة الثانية وأصبحنا ، وأخذنا في دروس لمثل أخبارهم ـ كل واحد منهم أخباره تملأ كتب ودفاتر ودواوين كبيرة جم ـ لا تنتهي ولا تقف .

كان واحد من المتقدمين أراد أن يترجم لهم ، يترجم للسادة هٰؤلاء الذين هاجروا إلىٰ هٰذه البلدان التي ذكرتها لكم والأقاليم وفتحوها ، قال : هٰؤلاء لو لم يكن عندهم قرآن . . لكانت أخلاقهم للناس قرآن .

معاد يحتاج ، كثيراً ما أذكر لكم عمي علوي بن عبد الله السقاف ـ رحمه الله ـ شيخنا في المتأخرين ، يذكر لنا الحبيب أحمد بن حسن العطاس الأكبر ممن عرفهم ـ صحبناه وألفناه ، وجعل الله فيما بيننا وبينه أخوّة انتفعنا بها ، وأرجو أن يكون قد انتفع بذِكْرنا ورَبَطَنا مع أهلنا السابقين ومعه ـ قال : إنه أقام في (الصولو) خمسة وعشرين سنة ، ولما خرج بايسافر إلىٰ (حضرموت) وخرج وودعوه ـ قال ـ بعد يومين عبر واحد من

Scanned with CamScanner

الصينيين الذي كان بابه مقابل باب السيد ـ قال ـ فلما شاف الباب معاد أحد يفتحه حق السيد هٰذا . . سأل واحد من المارين من العرب ، قال له : فين هٰذا صاحب هٰذا البيت ؟

قال له : هٰذا خرج (حضرموت) .

قال : شفونا ، أنا عرفت هٰذا السيد بمجاورتي له خمس وعشرين سنة ، ما شفته يوم من الأيام نظر إلىٰ الباب حقي .

هٰذه الأخلاق وهٰذه السيرة ، بشير إليها شوقي ـ وكان بن عبيد الله يقول : لو قالها شوقي في أهل البيت ـ لكان أحسن ، وهو قالها في الأمويين ـ قال :

لفتيةٍ لا تنال الأرضَ أدمعُهم ولا مَفارقُهم إلا مُصَلِّينا

لو لم يَسُودوا بدين فيه مَنْبَهَةٌ للناس كانت لنا أخلاقُهم دِينا

والمقصود : أن كل واحد ينبغي له أن يتمسك بالخلق ، ويلحظ أن المهاجر هاجر ، وأنه هو هاجر ، وأن هٰؤلاء آل عم الفقيه هاجروا ، وأنه هو هاجر ، فماذا عمله في هجرته ؟

هل أدخل أحداً إلىٰ خلق من الأخلاق ؟ أو اتسعت دائرة العلم معه ، ودائرة الصبر ودائرة الدعوة ، حتى أدخل واحداً إلىٰ الإسلام ؛ لأجل ينسب إليهم بالمعنىٰ ؟ أما الانتساب الصوري . . موجود . ثم إذا لم يتيسر . . فلا أقل من أن يكون قدوة ، ثم إذا لم

Scanned with CamScanner

يتيسر له أن يكون قدوة في المجتمع . . فلا أقل من أن تكون أخلاقه أخلاق أهله .

وأخلاق البلاد التي طلعتم منها ـ سمعتونا أقول لكم ـ بلاد ما عُرِف فيها قطع اليد ، بالتربية التي رَبَّوْا بها هٰؤلاء الرجال العامة .

كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس جاء من (مصر) قال : لو خَيَّرونا . . لاخترت الخُوْن . كلكم تعرفون الخون ، بادية ما فيها شيء ، لٰكن منها يدخلون إلىٰ (قسم) وربما يدخلون إلىٰ (تريم) فيرون أخلاق (تريم) وأخلاق (قسم) فتؤثر عليهم بالخوف من الله والرعاية الكاملة ، فلا يلتفت منهم أحد يمنة أو يسرة ، ومن التفت في خَفَاء ومن سار في خَفَاء . . حَسْبه الله ونفسه ، ما علىٰ الناس منه . لٰكن هٰذه البلاد ـ كما ذكرنا ـ جزاهم الله خيرْ ، إنما نريدأن نكون نواة صالحة . هٰذه المجالس نواة صالحة ، وربما قلنا لكم في بعض المجالس أن (جدة) ما عرفت مثل هٰذا العصر ، ولا عرفت مثل هٰذه الأيام ، ولا عرفت شيءْ منها قط .

كان محمد المالكي يقول لي : يا عم عبد القادر ، عندنا في (مكة) ما هي موجودة الاجتماعات هٰذه ، ما هي موجودة الحالة التي أنتم فيها وتديرونها للإخوان وفيما بينكم وبينهم . وهو كذلك ، لٰكن ما تكفي هٰذه ، المطلوب : أن يأخذ الإنسان بالعلم ويربطه بعمل ؛ حتىٰ يرتبط شمل العلم مع العمل ، حتىٰ

يتفق العلم مع العمل ، حتىٰ نكون قدوة لهـٰؤلاء ، ونكون أسوة لهـٰؤلاء ، ونكون مقتدين مرتبطين بالجبال الرواسي هـٰؤلاء التي رست علىٰ الأرض وألقاهم الله سبحانه وتعالىٰ رواسي في كل البلاد ، تأخذ بأيديكم إلىٰ ظلها ، إلىٰ الاستظلال إلىٰ ما كانوا عليه . ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تلك البلاد حقنا ، وفي البلاد الثانية كثير منهم ، لـٰكن نحن عرفنا بلادنا ـ وإن عرفنا شيءٌ من البلدان الثانية ؛ فقد أتاحت لنا الهجرة دخول كثير من العواصم ـ وكثير من العواصم وكثير من الأقاليم زرناها ولـٰكنها ما اكتحلت العين بحد من الشيوخ الذين عرفناهم نحن والذين عرفوهم ، ولا وقعت عليهم ولا علىٰ نورهم ولا علىٰ سمتهم ، ولا علىٰ هديهم ، ولا علىٰ ما كانوا عليه .

كان الأخ علي بن عبد الله السقاف البارحة معي في السيارة ، خرجنا وإياه من عند الأخ مصطفىٰ ـ الله يمتع به ـ ومعنا واحد سوداني ، سمعته يقول لعلي أنه درس في الأزهر الشريف سبع سنين ـ وكفانا فخرٌ ، الأزهر الشريف يخرِّج أفواجٌ ولـٰكنه قال : ما رأيت مثل المجلس الذي وقع البارحة ، ولا سمعت شيءٌ مثل التذكير الذي يحصل فيؤثر ويتأثر . هـٰكذا سمعته يقول لعلي ، نعم ما رأيت شيءٌ كماه .

وأخذ يسأله : أين باتجلسون ، ومتىٰ باتجلسون المرة المقبلة ؟

هـٰذا من بركة تلك البلاد ، هـٰذا من ثمرة تلك البلاد . وما ذكره عبد القادر خرد ـ بارك الله فيه ـ صحيح ، إن كان

Scanned with CamScanner

عندي ، أو كان عند الأخ محمد ، أو كان عند عمنا وشيخنا علوي بن عبد الله السقاف ـ رحمه الله ـ ، أو كان عند أخينا عبد القادر الروش ، أو كان عند حبيبنا حامد الجيلاني ، أو كان عندكم كلكم ما أحد بريء من مثل هٰذه الأشياء ، كله من تركة (حضرموت) كله من تركة (تريم) كله من تلك البلد المطهر المقدسة التي يقول فيها حبيبنا وشيخنا عمي بو بكر بن شهاب :

إذا نحن زرناها شَمَمْنا بتُرْبها عبيرَ شَذًا كالعنبر المتنفِّسِ
ونمشي حفاةً في ثراها تأدُّباً نَرىٰ أننا نمشي بوادٍ مقدسِ

وهي كذلك بلد مطهرة ـ حتىٰ المقابر رأيناها وفيها الكثير من الرجال ، لٰكن إذا قابل الواحد بشّار[1] . . يشاهد الأنوار ، سواء كان أكمه أو كان ذا عين ، أو كان ذا عينين ، أو لم يكن عنده شيء ، أو كان أصم ، هٰذه الأنوار ما تخفىٰ قط أبداً ، وهل يخفىٰ القمر ؟! ما يخفىٰ القمر ، ما يخفىٰ قط .

هٰذه المقبرة الأم ، ومن وراء هٰذه المقبرة مقابر منبثة في الوادي كله ، هٰؤلاء الرجال ، قال ماذا عمكم أحمد بن عبد الله ابن محسن السقاف[2] :

وادٍ شبيهٌ بالمجرة كُلُّه نورٌ يشع وكلُّ جزء كوكبُ

كله بسبب هٰذه الدعوة التي ذكرتها لكم والتي ملأت السهل ،

---

(١) بشار مقابر تريم الثلاثة زبنل ـ الفريط ـ أكدر .

(٢) توفي في البحر (١٢٩٩هـ ـ ١٣٦٩هـ) .

Scanned with CamScanner

وملأت البقاع ، وملأت جميع المعمورة وانتشرت ، ونحمد الله علىٰ أن كنا من أهلها ، وعلىٰ أن كنا انتسبنا إليهم .

وفي هٰذا المجلس كلكم سلوا الله أن يعطيكم هٰذه الأخلاق ، لا أحد يقصِّر ؛ فإن الدعاء مستجاب والسماء بابها مفتوح ، والمولىٰ كريم لا يَرُد ، ثم هٰذه العطايا وهٰذه الخلع وهٰذه المواهب لا يريدها الله للملائكة التي عنده ، لا!! ولا للذين ما هم عنده ، ولا يريدها للروحانيين الآخرين ، ما يريدها إلا لهٰذه الأمة ، هي لهٰؤلاء ، هي للناس ، من سعىٰ لها . . وجدها ، ومن طلبها . . أُعطِيها ، ومن دار في طريقها . . جاءته ونازلته . فسلوا الله سبحانه وتعالىٰ أن يغمركم بها ، وسلوه أن يمنحكم إياها ، وسلوه أن لا يردكم خائبين ، وسلوه أن يجعل للمجلس هٰذا أثر يظهر نور شمائله صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ علىٰ قلوبكم ، فتأخذون من تلك الأخلاق نصيبٌ ، وتأخذون من تلك السيرة نصيباً ، وتأخذون من ذلك الهدىٰ نصيبٌ ، وتأخذون من ذلك الاستمداد نصيبٌ .

ثم لا أزال أحثكم ـ يا إخواني ـ علىٰ نشر الدعوة ، كل علىٰ قدر ما عنده . هٰذا الكتاب النفيس الذي قرأتوه حق عمكم أحمد . كثير منكم عرف عمكم أحمد بن عمر الشاطري ، في غاية التواضع وفي غاية الذبول ، إذا جلس في مجلس . . يحسبه الإنسان أنه ما يعرف شيء قط أبداً ، وإذا سئل . . تفجر عن علم .

ثم هٰذا الكتاب القيم « الياقوت النفيس » الذي عباراته موجزة

ومفيدة ، ما ترك فيها شيءٌ قط ، مختصر يمكن للإنسان أن يقرأ أبواب الفقه فيه في يوم واحد ويدرك أكثر معانيها ، جمعه لكم لتعرفوا أخذهم عن رجالهم ، ولتعرفوا مستندهم إلىٰ رجالهم .

كان عمكم محمد الشاطري يقول لي : إن عمكم عبد الله بن محمد بن حامد السقاف جاء إليه مرة من المرات وأراد أن يأخذ له صورة ليضعها في كتابه : « تاريخ حضرموت » وكان عمكم أحمد متشبث بالعلم كما كان متشبث به مَن قبله ، اعتذر له .

فقال له عمكم عبد الله بن حامد : أنت يا الشاطري ، عادك باتكون أحسن من عمكم أحمد بن عبد الرحمـٰن! عمك أحمد صَوَّرته أنا أي : أخذ له صورة بالكمرا .

قال له : إذا صَوَّرته . . هات لي صورته .

فروَّاه صورته ، قال له : مرحباً! وخلاص صَوَّره ، وانتهى العلم تواضعاً واقتداء بالحبيب أحمد بن عبد الرحمـٰن .

هـٰذه هي البركة . وله كتيب ـ أنا بغيت باطبعه مرة ثانية . ولـٰكنني دائماً أنساه ـ اسمه : « نيل الرجاء في شرح سفينة النجا » كتاب في غاية الإفادة ، يحتاج كل من عنده ولد يدرِّسه فيه . وهـٰذه النسخة نحن نريد طبعها ، وطبع رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي ؛ لأجل سلفكم مجمعين علىٰ الإنسان إذا أراد بركة لأولاده في العلم . . فليقرِّيهم أولاً « الرسالة » يستفتحهم بها ؛ لأن الحبيب بعدما أورد الحديث في مقدمتها الذي يقول الحبيب الأعظم فيه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ : « من سلك طريقاً يلتمس

فيها علماً . . سهل الله أو سلك الله به طريقاً إلىٰ الجنة » دَعَا بعدها الحبيب بالدعوة المباركة ، أهلنا كلهم يحرصون علىٰ الدعوة هـٰذه أن تشمل أولادهم ، فاحرصوا عليها ، الدعوة هي :

أسأل الله أن ينفع بها من قرأها ، وأن يكون من أهل العلم ظاهراً وباطناً .

وهي دعوة مقبولة إن شاء الله ، لأنها من أحمد بن زين الإمام الكبير ، لا يفوِّتها الإنسان . ونحن ـ إن شاء الله ـ إذا أحد أتىٰ لنا بنسخة . . نعطيها أهل المطبعة يطبعون منها عددْ كثيرْ ، وعلىٰ أحد من أهل الخير يتولىٰ تفرقتها وتوزيعها كلها وتدريسها .

هـٰذا الذي أطلبهْ منكم يا إخواني ، واعقدوا عليه الخنصر ؛ فإن هـٰذه الأمور كلها التي ذكرناها لكم إنما هي من (حضرموت) و(حضرموت) كما قال لكم حبيبكم علي :

حضرموت التي سكانها خيرْ سكانْ   وَدّْ عيسى ومِن نَسلِهْ شِيابهْ وشُبَّانْ

إلىٰ آخر مَن ذَكَرهم في هـٰذه القصيدة العظيمة . واسأل الله سبحانه وتعالىٰ التوفيق .

وكتاب « الياقوت النفيس » تذاكرنا نحن والأخ محمد علىٰ أن يعاد تدريسه ؛ حتىٰ يثبت وضعه في النفوس وتنتفعون به مرة ثانية ، ويعود عليكم بسعة أكثر من السعة الأولىٰ . تكون القراءة فيه ـ إن شاء الله من الأسبوع القادم ـ .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكرمنا ويكرمكم بنور العلم ،

Scanned with CamScanner

وأن يجعل لهٰذه الجلسة أثرٌ من النور يظهر علىٰ القلوب ، ويظهر علىٰ الأرواح ، ويظهر علىٰ الظاهر ، ويظهر علىٰ الباطن ، ويظهر علينا فنقوم من المجلس بصورة غير الصورة التي نعتادها ، نرشد أولادنا إلىٰ راتب الحداد ، إلىٰ أعمال الصلاة في جماعة ، إلىٰ الراتبة ، إلىٰ الأذكار ، إلىٰ الأوراد ، إلىٰ عدم الكسل والنوم ، إلىٰ ما ينبغي أن يقول الواحد : أنا فلان ابن فلان .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يرضىٰ عن والدينا ومشايخنا ، ويرضيهم عنا ، ويبلغهم من أخبارنا ما يسرهم ، ولا يحملهم من أوزارنا ما ينوءُهم ، ويجعلهم في مستقر الرحمة ودار الكرامة ، مع أهل السلامة الذين سلموا من آفات الدنيا وآفات البرزخ . وأسأل الله لنا ولهم ولكم الفوز ، وأسأل الله لنا ولهم ولكم النجاح ، وأسأل الله لنا ولكم البركة في هٰذا المجلس .

وأسأل الله سبحانه أن يحرك عزائمكم ويقويها .

وأنا أرجو منكم ـ يا إخواني ـ كلكم ، كبيركم وصغيركم ، بأن يأتي الأسبوع القادم بالكتاب هٰذا ويحضر الدرس . بغيناها تزدحم ، وبغينا ـ إن شاء الله ـ منازل أوسع ، وبغينا مظهرٌ يُعرف به الحضارم .

ومن نعم الله أن الحضارم مرغوبين ذا الحين في الخدمة مع الناس ، بغيناكم مرغوبين في الخدمة مع الله سبحانه وتعالىٰ . اربطوا أنفسكم ، ما هو بعيد ، ما شيء بعيد هناك ، لا يستبعد الإنسان شيء يطلبه من الله ، عليه أن يجدَّ قليلْ والله يأخذ باليد ويعين .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلها ساعة مباركة حَضَرتها روحانية الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، وأسأله أن يمدنا ويمدكم فيها - إن شاء الله - بمدد يصلح به الوالد ويصلح به الولد ، ويصلح به الأهل ، ويصلح به القريب ، ويصلح به البعيد ، ويصلح هٰذه البلاد - بغينا لها صلاح كذلك زايد - ويصلح به الحرمين الشريفين ، ويصلح به أهل بلداننا ووادينا ، ويصلح به - إن شاء الله - العالم الإسلامي أجمع ، ويصلح العالم كله . ما شيء بعيد عند ربكم قط ، ما شيء بعيد ، لا يستبعد الإنسان شيءً قط ؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ لا يهوله شيء ولا يرده شيء ، ولا يخيِّب أمل ذي أمل .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ لنا ولكم التوفيق في جميع الأمور ، وأن تعود علينا وعليكم هٰذه المجالس بعائدة وببركة ، وبخير وبرعاية ، وبثمرة وبهداية ، وبكمال الاتباع وكمال الانتفاع الحسي والمعنوي . .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يخلع علينا وعليكم خلعة ، كل واحد يخرج بخلعة من خلع الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ فيها الصلاح وفيها الاستقامة ، وفيها نوره صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

وأسأل الله الرضى ، وأسأله التوبة ، وأسأله المغفرة ، وأسأله أن يمتعنا بشيوخنا هٰؤلاء ورجالنا كلهم هٰؤلاء ، سادتنا وشيوخنا في هٰذا الصف كله الذي تشوفونهم من جوانبه إلىٰ جوانبه ، كلهم هٰؤلاء سادة ، شافوا وجوه سعيدة فسعدوا بها ، وحضروا

مع رجال فانتفعوا بهم ، وحضروا مع ناس من كرام الأُسْرَه فظهرت فيهم الأنوار . وأسأل الله تعالىٰ أن يمدنا منهم ويمدنا من سلفنا ، ويمدنا ـ إن شاء الله بحسن الظن التام الكامل ، في خير وعلىٰ خير ، وحسي ومعنوي .

والعفو منكم .

وبعد هٰذه الكلمة القيمة قرأ دعاء المولد ، وأقيمت الصلاة .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

حقوق الزوجة والتحذير من عادات الزواج والإسراف وذكر السادة عمر بن عبد الرحمٰن وعلي بن حسن آل العطاس

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة بمنزل الأخ سالم بن علوي العطاس بـ(جدة) بتاريخ العاشر من ربيع الثاني من عام أربعة وأربع مئة وألف (١٠/ ٤/ ١٤٠٤هـ) الموافق الثالث عشر من يناير ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف (١٣/ ١/ ١٩٨٤م) .

وعقد هٰذا الاجتماع بمناسبة ختم كتاب « رياض الصالحين » في الروحة التي يعقدونها آل العطاس مساء كل جمعة . وقد عمل الأخ سالم العطاس ضيافة عظيمة بهٰذه المناسبة تكرمة للعلم .

وفي أول الجلسة قرىء المولد النبوي للحبيب علي بن محمد الحبشي . وبعد الجلوس من المقام ختموا الكتاب ، وتكلم سيدي بهٰذه الكلمة والتي استمر في إلقائها ثلاثاً وأربعين دقيقة . نفعنا الله بها وبه ، ونفع كل قارىء ومستمع لها ، آمين .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

الحمد لله علىٰ هٰذا المجلس ، وعلىٰ هٰذا العطاء ، وعلىٰ هٰذا الخير ، وعلىٰ الميراث التي يناله أهل هٰذا المجلس بواسطة هٰذا المجلس .

وهٰذا مجلس من مجالس الجنة ، كان الحبيب أحمد المشهور يقول لي لما دخلت ـ قال ـ : شف ، هٰذه وجوه بيض ، كلها من آل بني علوي حضروا للمجلس وامتلأت الزوايا هٰذه كلها . وهٰذه نعمه كبيرة ساقكم إليها الحبيب الكريم ، والنسب

Scanned with CamScanner

العظيم ، والأصل الذي إليه ترجعون . كل شيء يرجع إلىٰ أصله .

الحمد لله علىٰ هٰذا العطاء بعد ما ينادىٰ علينا بهٰذا المجلس يقول يعقوب عندما يقول لأولاده : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ . وهٰذا يحسس أرواح أهلكم ، هو جَمَعكم في هٰذا المجلس ، وجَمَعكم في مجالس تتوالىٰ أسبوعياً ، وجمعكم حتىٰ تتعارفوا ، وحتىٰ تقرؤوا سنة نبيكم وهو أبوكم صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ، لستم بغرباء عنه وليس بغريب عنكم . وجَمَعكم كذلك في هٰذا المجلس ـ كما ذكرنا ـ العلم ، والعلم تركته ـ عليه الصلاة والسلام . كان الأخ علي بن عبد الله السقاف بالأمس يذكر لي من كتاب الحبيب علي بن حسين العطاس « تاج الأعراس » قال لي : إني وقفت فيه علىٰ ترجمة الحبيب علي بن محمد الحبشي حينما ابتدأ في عقد المولد الكبير ـ لتعلموا أن كل واحد منكم مخاطب بنصيبه من تركة محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ وزادُهُ منها وأخذُهُ لها ، وهو مسؤول عنها أسئلة كثيرة : مسؤول عن عمله فيها ، مسؤول عن علمه بها ، مسؤول عن دعوة محمد ، مسؤول عن النسبة الكريمة واللباس الذي لبستموه بالانتساب إليه صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ـ ذكر الأخ علي وهو ينقل عن الحبيب علي بن حسين العطاس في ترجمة الحبيب علي بن محمد الحبشي ، وهو كتاب من أعجب الكتب وأحسن الكتب ، جمع مصنفه تراجم كثير من المتقدمين والمتأخرين ، وأكثرهم من

Scanned with CamScanner

أهلكم من العلويين ، قال : وفي سنة تسع وتسعين بعد المئتين والألف أقام الشاب ـ أو عزم الشاب ـ الأديب الناهض الحبيب الكريم علي بن محمد الحبشي مولداً ، أول ذكر الرباط قال : إنه في شبابه بنىٰ رباطاً ـ ثم ليس هو الحبيب علي وحده ، خذوا تراجم وسِيَر كثير منهم هـٰؤلاء . . قال : ثم قام الشاب الناهض ، الحبيب الكريم الكبير ، علي بن محمد الحبشي وبنىٰ رباطاً ، ثم في السنة الثانية أقام المولد ودعا له الأعيان ، ودَعَا له الجماعات . ودعا له الخلق ، وأخذ ـ قال ـ يفرق علىٰ الديار من الأكل : الرز واللحم وما شاكل ذلك للضيوف الذين جاؤوا من أجل دعوته ، وهم ضيوف محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ .

وفي الواقع أنه أخذ نصيبه من دعوة محمد جده صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ، كما ذكرنا لكم كل واحد مسؤول .

والذي أعجبت علي بن عبد الله في الترجمة قوله : الشاب ؛ لأنه في ذلك الوقت كان الحبيب علي في الأربعين من عمره ، في الشباب مر علينا هـٰذا السن بكثير . وذكرت أنا أن علي بن حسن العطاس ـ الإمام الكبير ، الداعي العظيم ، الذي جمع الناس ـ جاء إلىٰ المشهد في الستة والثلاثين من عمره ، وابتدأ في عمارة المشهد وأخذ يعمر المشهد ، ثم بعد أن انتهىٰ وتعب من البئر هـٰذه لعدم وجود الماء ـ ثم يفكر الواحد : من أين المال هـٰذا الذي يصرفه علىٰ العمال وما شاكلهم ؟ لـٰكنه رأىٰ أن عليه وظيفة نبوية من إرثه من جده صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ قام بها ، فأقام

Scanned with CamScanner

المشهد وبناه وشيده ، وحفر البئر بعد أن أيأسه الكثير منهم - صاحبه الذي يغني له باشيبة ، لما ظهرت الصفاة والحجر فيها . .
قال له : لعاد تتعب نفسك يا حبيب علي ، ما بايظهر الماء ، دوِّر لك حفرة ثانية وبئر ثانية . ما أخذه اليأس من هٰذا ، لما ظهر الماء حققها . . نظم القصيدة المشهورة يخاطب باشيبة :

مَظْهَرْ عمرْ قل لباشيبهْ ثَبَتْ مَجْمَعَهْ ماهت عطيَّهْ[1] هنيَّهْ وَصَلْ في مَقْطَعَهْ
ضقنا عليها وصرنا بعدها في سعَهْ نستغفـر الله نستحفظـه نستـودعَـهْ
نِعْم الربيع الذي من لاذ به رَفَّعه الله معنـا ولا يَقْصُـرْ مَـن الله مَعَـهْ

إلىٰ آخر القصيدة العظيمة .

هٰذا عمره ذكرته لكم ، وأعماله فيه ابتداه بالتعب ، وكلكم تعرفون أن (حضرموت) قَفْر في قفر في قفر ، لٰكن بالنيات القوية هي التي تهد الجبال ، والعزمات الصادقة هي التي تنخرق لها الآيات وتظهر لها البينات ، قام وبنىٰ المشهد ، وعَمَّر وعَمَّر وعمر ، وصار المشهد كما تعرفونه ، والاجتماعات الحافلة التي تعقد فيه ، لماذا عملها ؟ عملها ـ كما قلنا ـ لأخذ نصيبه من إرث نبيه صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ .

ثم لنرجع للإمام الكبير ، جدكم الذي تفتخرون به : عمر بن عبد الرحمٰن العطاس[2] . نبغ في السن المبكر ، أرسله الحسين بن

---

(١) ماهت عطية يعني ماء البير وعطية اسم بير في المشهد .

(٢) وفاته بحريضه ١٠٧٢هـ وعليه قبّه .

الشيخ أبي بكر بن سالم قبل الأربعين من عمره . مذكور في « القرطاس » سِنُّه لما سار ولما وصل ، وحالته ، وأخباره كلها موجودة ، ما ترك علي بن حسن شيءً - رضي الله تعالىٰ عنه - من أخبار جده عمر بن عبد الرحمـٰن ، ولا من أخبار ولده الحسين وأولاده الآخرين ، أتىٰ عليهم وترجم لهم بما قدر عليه . ثم ترجم لشيوخ الحبيب عمر ، ثم ترجم لتلاميذ الحبيب عمر ، ثم ترجم كذلك لأقران الحبيب عمر ، وما ترك شيءً قط أبداً .

والنوبة - كما ذكرنا - وصلت إلىٰ عندنا . في هـٰذه القصة التي يرويها لي الأخ علي عن الحبيب علي بن محمد الحبشي ، قال : في السنة الثالثة - فيما أذكره أنا - أنها جاءت الوفود من شتىٰ البلاد وصَلَّوا المغرب في الجهة البحرية من (سيئون) ولا وسعتهم المساجد ؛ لأن أول سنة استأذن في إقامة مولده في مسجد طـٰه وأقامه فيه ، والسنة الثانية ازدحم مسجد طـٰه فاستأذن في إقامته في مسجد الجامع بـ(سيئون) وأقامه فيه ، والسنة الثالثة - قال - جاءت الوفود من شتىٰ البلاد وصلىٰ بهم المغرب . أقام الحبيب أحمد بن حسن العطاس في السن المبكر كذلك ؛ لأنهم يرون أن النيابة واجبة عليهم بعده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، فقاموا بها أحسن قيام ، وظهرت فيهم أسرارها واستنارت بهم أنوارها ، ولهجت الركبان بأخبارهم ، وسارت في الآفاق أخبارهم ، سارت مسير الشمس ومسير الفضاء في الجو ، انتشرت أخبارهم ، ولا نزال نتبرك بذكراهم .

Scanned with CamScanner

وهٰذه المجالس ، تعتقدون أن روحانيتهم ما تحضر ! ؟ ما دعتكم إلا هٰذه ، ولا حَرَّكتكم إلا هٰذه ، ولا دعاكم إلىٰ حضور مثل هٰذا المجلس وحَرَّككم إلىٰ القيام بهٰذا المجلس إلا نسبتكم إلىٰ هٰؤلاء الرجال الذين قاموا بهٰذه الدعوة ، وهٰذا خير كبير وأمر عظيم جم ، يغتبط به سيد الوجود صلَّىٰ ٱللَّه عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ويغتبط به أولاده المباركون ، ويغتبط به أصحابه الذين قاموا بدعوته بعده صلَّىٰ ٱللَّه عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ويغتبط به سلفكم ، وتغتبط البقاع به :

وإذا نظرتَ إلىٰ البقاع وجدتَها　　تشقىٰ كما تشقىٰ الرجال وتَسعَدُ

هٰذه البقعة ذي ، وهٰذه (جدة) التي ما عرفت شيْءْ فيما قبل عشرين سنة ، ولا قبل خمسة عشر سنة ، ولا هي دارِيَة : هل توجد هٰذه العلوم ، هل تنشر هٰذه العلوم ؟ هل يوجد فيها هٰذا النسب الكبير الكريم ؟

جاءت وجاء الأوان ، وجاء الوقت وظهر النسب الكريم والمحفل العظيم، وظهرت المدارس ، وظهرت المجالس ، وظهرت الأمور ، وقامت الدعوة على أنصابها ، وجئتم ـ إن شاء الله ـ لقيامها .

نعم ، ينبغي لكل واحد بعد أن يفرح ، كما قال لكم ربكم : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ فليعط الفرح حقه ، وأن يعطي فضل الله حقه ، وأن يعطي الرحمة الإلٰهية حقها ؛ بأن يربط علىٰ نفسه ويرىٰ كأنه مسؤول عن حضور المجلس هٰذا والمجالس التي تعقد أسبوعياً ، ويأتيها بفرح ، ويترك ما وراه من عمل أو من عادة ، أو من الأمور

الأخرىٰ . ينبغي له أن يربط علىٰ المجلس بنية صادقة ، ثم يربط علىٰ العمل النبوي ؛ فإن العمل النبوي هو الأصل في كل شيء .

كثيرٌ ما أذكر لكم أن كل واحد منكم مسؤول ، وأهل البيت مسؤولون أسئلة جم ؛ لأن جبريل ـ كما ذكرنا لكم ـ ما تردد إلا في بيت أبيكم ، ومحمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ هو أبوكم وبيته بيتكم ، وتراثه تراثكم ، وإرثه إرثكم ، وما خلَّفه إنما هو لكم قبل أن يكون للغير : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ .

قال العلماء : إن النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ لما كان مشغول بنشر الدين وبالدعوة المحمدية وبالقيام في هٰذا . . ربما تَوَهَّم بعض الأعراب ، أو تَوَهَّم بعض الناس أنه صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ يريد أن يقيم لأهله ولأولاده مجدٌ وتراثٌ ، وما تراثه إلا العلم ، وما تراثه إلا الدين ، وما تراثه إلا الأخلاق ، وما تراثه إلا السنة ، وما تراثه إلا الصراط المستقيم ، وما تراثه إلا المشي علىٰ الهدي القويم . ما ترك شيءْ عليه الصلاة والسلام ، ولا آثر أحداً بشيء ، لٰكن الله سبحانه وتعالىٰ جازاه بأن جعل البركة ، وبأن جعل الدين ، وبأن جعل الدعوة مستمرة. والحمد لله ، نارت سبلها وظهرت ، وبورك فيها وانتشرت ، وجاء الزمان وعرف الناس أن فيه ، كما ذكرنا وكما نذكر ، أن البيت الطاهر الذي كان بـ(حضرموت) وكان أبوهم المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ الذي ترك (البصرة) الخضراء وجاء من أجل الدعوة المحمدية ، من أجل نشر الدين ، من أجل حفظ الذرية المباركة . وكان له الحق علىٰ ذريته ، وله الحق علىٰ الدعوة.

Scanned with CamScanner

وكذلك كانت الرؤيا في منام الحبيب صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ مرتين ، كانت الثانية لولده أحمد بن عيسىٰ ، كانت الأولىٰ له ، فهاجر إلى (المدينة المباركة) وهاجر إليها وكانت مأواه وكانت بيته ، وشُرِّفت به صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

وورد عنه صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ أري في منامه الهجرة مرتين ، فسَّر الأولىٰ بـ(المدينة) وكانت ، وفسَّر الثانية بـ(اليمامة) أو بـ(حضرموت) وبقيت سارية ومتعلقة ، ورؤياه وحي ، ورؤياه حق عليه الصلاة والسلام . فجاء لها المهاجر هٰذا الإمام العظيم أحمد بن عيسىٰ سنة ثلاث مئة وسبعة عشر وخرج من (البصرة) نظمها لنا الإمام الحداد في أبيات عَارِبه[1] ، في أبيات عظيمة ، في أبيات حلوة ، أبيات ينبغي لكل واحد أن يحتفظ بالقصيدة هٰذه ويجعلها زاده ، ويجعلها من أوراده . لما ذكر المهاجر قال :

من (البصرة) الخضراءِ يخترق القرىٰ ويُلحِقُ أغواراً لها بـأَكامِ

ليه ذا خرج من البصرة الخضراء ؟ وَصَلْنا إليها[2] وجدناها كلها خضراء معشبة ، وكلها أنهار ، وكلها مياه ، وكلها نخيل ،

---

(١) أي مضبوطة مُعربة .

(٢) سافر رضي الله عنه إلى العراق في سنة (١٣٩٧هـ) وكان برفقته فيها السادة الكرام محمد عبد الله الهدار ـ محمد بن صالح المحضار ـ أبو بكر عبد الله المحضار ـ أحمد بن حسين الجنيدي واجتمع بعدد من علمائها وأعيانها وزار مقام سيدنا الإمام علي بن أبي طالب ومقام الإمام الجيلاني وشاهد الآثار والمحفوظات هناك . وقد حصل له فيها مظهر عظيم وذكرو مقام ينبىء عن حاله وجاهه عند الله وعند خلقه .

=

Scanned with CamScanner

وكلها أشجار علىٰ اختلاف أنواعها ، ما رضيها أبوكم ولا رضي القرار بها ، ولا اختارها مسكناً له ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ما اختار لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ، إلا (مكة المكرمة) جعلها محل ولادته ومحل نسبه الشريف ، وجعل فيها البيت المعظم كما تقرؤونه في القرآن : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ .

جاء المهاجر أبوكم وخرج من (البصرة) العظيمة ذات المياه والأرزاق والخيرات والبركات ، في وقت أقبل الناس فيه علىٰ أهل البيت الطاهر ، وكان فيما قبله من الأوقات شديد الوطأة عليهم ، أوذوا فيه أذى شديداً ، لٰكنها خفت المحنة في ذلك الوقت ، فرأىٰ المهاجر أنها لا تصلح هٰذه البلاد لذريته ؛ أسوة بجده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، وجاء إلىٰ (المدينة المنورة) واستأذن جده صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ وأراد الحج ، فقيل له : إن القرامطة اشتدت وطأتهم وحروبهم بـ(مكة) ولا يستطيع يصل إليها أحد . فبقي منتظراً إلىٰ العام الثاني ، حتىٰ إذا هدأت الثائرة . . سار إلىٰ (مكة المكرمة) بعد الإذن من الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ . هٰذا الإذن لكم أنتم ؛ لأنكم تمشون أنتم في صلبه وفي صلب ذويه ، وفي صلب أتباعه ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ فخرج من (مكة المكرمة) يريد أن يستأنس بالبلاد ، وأن يُدرِك له بلاداً يطيب له فيها المعاش ، وتنتظم له فيها

Scanned with CamScanner

الدعوة ، وينتشر له فيها العلم ، مع نية صادقة بورك له فيها وظهرت ثمرته . وخرج إلىٰ (اليمن) فلم تُرْضِه (اليمن) فجلسا فيها أبناء عميه وأقاما بـ(اليمن) والمهاجر خرج منها كما سمعتوا الأبيات العظيمة التي أنشدها لكم الإمام الحداد :

من البصرة الخضراء يخترق القرىٰ ويلحق أغواراً لها بـأكـام
إلى أن أتىٰ الواديْ المبارك فارتضىٰ ومَـدَّ بـه أطنـابـه بخيـام
فأصبح فيه ثاوياً متمكناً

بماذا كان هـٰذا التمكن ؟ أشار إليه

بذرية مزمومة بزمام

أين هـٰذا الزمام ؟

من البر والتقوىٰ وحسن شمائلٍ كـرام السجـايـا أَرْدَفَـت بكـرام

خرج هـٰذا الإمام العظيم حتىٰ وصل إلىٰ أعلىٰ (حضرموت) في (دوعن) وجلس بالجبيل ، وولد له بها ولد وتوفي ، وخرج منها إلىٰ (الهجرين) واشترىٰ وبنىٰ ، وتركَ ، وخرج منها إلىٰ بطن (حضرموت) تركه لخادمه شويع حتىٰ طاب له المقام . وفي تلك البلاد كانت الإباضية لهم الصولة وكانت لهم الجولة ، وكانت لهم الدولة وكان لهم النفوذ ، كان من أمر المهاجر أن دعا إلىٰ الله علىٰ ما عَلَّمه مولاه . بواسطة نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

أخذ يدعوهم وأخذ يقرِّبهم ، وأخذ يلين لهم بالقول ، وأخذ

Scanned with CamScanner

يبيِّن لهم الحقائق حتىٰ انجلت عنهم الشبهات . وبقي مقيماً بـ(حضرموت) ستة وعشرين سنة ، وبعده جاء ولده عبد الله ، فدعا إلىٰ الله علىٰ بصيرة . وبعد عبد الله جاؤوا الأولاد الثلاثة : علوي بن عبيد الله ، وبصري ، وجديد . فانتشر الدين .

وما كفىٰ أن أصلح (حضرموت) وانتشر الدين بها ، بل سافر بنو جديد آل عبد الملك ونشروا الدين حتىٰ وصلوا به إلىٰ أقاصي المعمورة ، إلىٰ (الهند) إلىٰ (الصين) إلىٰ ما وراءها ، إلىٰ (الفلبين) إلىٰ ما وراءها . بأي شيء نشروا الدين ؟

هل أخذوا معهم سيوف ورماح ؟ لا ، بل معهم الدعوة المحمدية ، والأخلاق المحمدية ، والسيرة المرضية .

قال فيهم حسان :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوف من الطراز الأوَّلِ

جاؤوا أولاً بجَمَال بَشَري ناهزوا به البشر ، ثم جاؤوا بعده بأخلاق مرضية بأخلاق محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ثم سيرة نبوية ، سيرة أبيهم ـ ما هي بمستغربة وما هو بمستغرب منهم ـ فمشوا علىٰ هـٰذا النمط ورأوه واجباً عليهم .

ثم جاؤوا مَن بعدهم ـ كما تسمعون وتقرؤون ونذكره لكم ـ جاؤوا مَن بعدهم من أولاد عمومتهم أولاد الفقيه ، جاء جدكم عمر العطاس ، هـٰذا كفيف البصر ضعيف البنية ، رأىٰ عليه واجبٌ في الدعوة المحمدية ـ وواجب علينا كلنا وليس عليه هو

Scanned with CamScanner

فقط ـ فدعا الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم جدكم عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس إلىٰ أن يرحل إلىٰ (حريضة) ؛ لأنه شيخه ، علىٰ أن يجعل (حريضة) مقره ، والأودية المباركة يرحل إليها ويقيم فيها للدعوة . جاء الحبيب علي بن حسن العطاس ، وذكر في « القرطاس » أنه معه دابة ضعيفة ، ومعهم خادم ضعيف ، وهو ضعيف البنية ، يمشون في طريقهم حتىٰ وصلوا إلىٰ (حريضة) فطلع بعد المغرب إلىٰ المسجد وجلس يعلم .

أولاً قابلتهم امرأة فنزلوا بجوارها ، فقالت لهم : بغيتوا إلىٰ أين ؟

قالوا : بغينا (حريضة) .

قالت لهم : هي هـٰذا الوادي ، ما عندكم ؟

قالوا لها : معلِّمين وداعيين إلىٰ الخير .

قالت لهم : تَعَشُّوا الليلة عندي .

قالوا لها : رضينا . . العشاء عندك . وقال لخادمه : اطلع بي إلىٰ المسجد ، وارجع جهز الدابَّة حقنا ، ثم ارجع إليَّ بعد ذلك إلىٰ المسجد .

من حين ما وضع رجله طلع إلىٰ المسجد ، مسجد قديم منسوب إلىٰ أحد تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وعن الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن ، من حين ما جلس أخذ يعلِّم الفاتحة والصلاة كلما حس حد ؛ لأنه كفيف البصر ولـٰكن القلب

Scanned with CamScanner

بصير . وانتشرت دعوته حتىٰ صار الوادي هـٰذا المبارك وادي عُمَر كله، وصل به إلىٰ (دوعن) ووصل به من وادي إلىٰ وادي .

قالوا : إنه بنىٰ مساجد متعددة ، كنت أحفظها ولـٰكن الآن ما أذكرها ، لـٰكنها في « القرطاس » مذكورة .

وكان مع كفاف بصره ما يخرج من البلد إلا بعد أن يقيم المسجد ، ويقول : خلونا أنا الكفيف بأخدم في شيء ، ضعوني أمام الأحجار . ويقوم بتقديم الأحجار لهم . وهـٰكذا هـٰذه أخلاقهم وهـٰذه سيرتهم ، وهـٰذه واجباتهم ، ما هي ببعيد . .

ونحن ـ كنا ذكرنا لكم ـ ظهرت شيء من الأمور التي هي واجبة علينا وقمنا بها حسب المستطاع ، لـٰكن كل واحد ـ شفوه ـ مسؤول في عدة أسئلة :

مسؤول عن العمل ، وإن كان له والد . . فهو مسؤول عن عمله معه ، وإن كانت له والدة . . فهو مسؤول عن عمله معها ، وإن كان له أخوة . . فهو مسؤول عن عمله معهم ، وإن كانت له زوجة . . فما هي بخادمة له : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ كثير من الناس يعتقدها خادمة ، حتىٰ إذا جئت تسأله مَنْ عندك ؟ قال : الله يعزك ، ذَلاًّ الحرمة المذلول[1] .

حرام عليه! كيف الله يعزك ؟ الله أعزها هي كذلك بـ« لا إلـٰه إلا الله » وأعزها الله بما أعزك به ، غير أن الله سبحانه وتعالىٰ

---

(١) أي الذليلة .

جعل السلطة والتخويل لك عليها . أمَّا هي . . فلها حقوق ، ولك عليها حقوق ، وهي عزيزة كذلك ما هي بذليلة ، الحرمة شريكتك في الحياة . هٰذا كله نتيجة الجهل وكلام البدو ومَن شاكلهم .

علىٰ الإنسان إذا كان عنده زوجة أن يعرف أن عليه حقوقْ وعليها حقوق . . والحقوق المهمة ـ بعد أن يعرف لقمتها وكسوتها وخَدَّامتها وما شاكل ذلك ـ يعلمها الأخلاق إذا جاء من الدرس ، وهو واجب عليه يقول : الليلة سمعنا حديث من « رياض الصالحين » للإمام النووي ـ يحكيه ـ قال النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ كذا وكذا ، ويعلمها إياه . هي ما خلقت لأجل تُنكَح ولأجل تَخْدُم ، خلقت لأجل تشارك الرجل في سعادته وفي شقاوته ، والعياذ بالله . والمطلوب : السعادة لا الشقاوة ، ما دُعِينا إلا لها .

فنحن بحمد الله ـ كما ذكرنا ـ حصل لنا شيء من هٰذه الاجتماعات ، لٰكن المسؤولية التي ذكرتها لكم ينبغي لكل واحد أن يعرفها .

بعد هٰذا عليه مسؤولية للجار يوصي به المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . وبعد عليه مسؤولية للأولاد وللبنات في تربيتهم وفي حراستهم ، وفي حفظهم وفي أخلاقهم ، وفي تعليمهم ، حتىٰ ينشأ الولد بعد أن يأخذ الإدراك صحيحْ . . بعقل من عقول المتقدمين ، وأخلاق من أخلاق المتقدمين ، ورياضة من رياضات المتقدمين . هٰذا الذي فاتنا نحن في الوقت الحاضر ، أدركنا بحمد الله هٰذه

Scanned with CamScanner

المجالس ونعمت هي ، لٰكن ليست بمقصودة .

فإذا هذب الإنسان ولده وعلمه كتاب الله ، ودَرَّسه العلم ، ودرسه الأخلاق ، ودرسه السيرة النبوية ، ودرسه العادات الإسلامية ، ودرسه طريقة مَن قبله من آبائه الرجال . . كان رَسَخ في ذهنه ولابد أن يرسخ ، وأدىٰ واجبه نحو ولده .

ما هو تأدية الواجب إذا علَّم ولده وخرج كاتبْ أو محاسبْ ووضعه في وظيفة ، وقال : ما شاء الله ، الولد قده يعمل وبايتزوج وبايجيب له شقة ، لا ! قبل هٰذا كله يجب أن يعرف الولد الحقوق الواجبة والمترتبة عليه . والحقوق أولاً هي : حقوق العلم ، وحقوق الله سبحانه وتعالىٰ ، وحقوق رسوله صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، وحقوق الآباء ؛ لأن العقوق قال العلماء : يتواصل ويصل من واحد إلىٰ واحد ، فإذا تعدىٰ الولد بعقوق أو تعدىٰ بمعصية ـ قالوا ـ تسري أذاها إلىٰ الأب والأم ، ثم إلىٰ الجد والجدة حتىٰ تصل إلىٰ رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، فلا يكن نصيبكم إيذاء جدكم صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، ولا يكن نصيبكم أن تتركوا أولادكم هَمَل هٰكذا ، يكفيكم أن الواحد يجعل لولده سيارة أو شقة ، أو مفخرة ، أو زواج من الزواجات هٰذه المُسْرِفة ، شفوها ، تؤلمنا كثيرْ ، زواجات كلها ما بورك فيها .

إذا جاء الواحد زوج ولده ، وخلط الرجال بالنساء ، انتهت الغَيْرة ، معاد فيه غَيْرَة!

إذا جاء الزوج ، والاَّ أبو الزوج ، والاَّ أم الزوج . . جاء أكمه لا يرىٰ القمر ، انتهت الغَيْرة! الغَيَّار يأتي منكم ، اعقدوا عزمكم كلكم مرة واحدة جماعياً علىٰ أنكم إذا سمعتوا أنه بايختلط الرجال بالنساء ، وبايدخلون لهم بالكميرات بايصورنهم ، كل واحد يعزم علىٰ زوجته وأخته وبنته أن لا تحضر ، هٰذا واجبكم أنتم ، وإذا تركتموهن . . فكأنما أرسلتوهن للهمجية أنتم ، أرسلتوهن أنتم إلىٰ هٰذا الذي لا ينبغي من اللعب ومثله .

ثم بعد هٰذا يحرص الرجل في زواج ولده ، في زواج بنته ، في زواج أخيه ، زواج قريبه ، أن يأخذ له نصيبٌ من هٰذا ، عادات أهلكم لا تتركونها ـ يا إخواني ـ لا تتركون عادات أهلكم فتضيع عليكم العقيدة ، وتضيع عليكم العادة ، وتندمجوا مع ناس لا تعرفونهم ولا يعرفونكم .

إذا جاء . . قال : جابوا لهم مُطرِبة .

بكم المُطرِبة ؟

قالوا بأربعة عشر ألف في أربع ساعات وإلا في ثلاث ساعات .

ما هٰذا السفه هٰذا ؟ كلكم طلعتوا من (حضرموت) فقراء ، يصيح الفقر . . من فقر (حضرموت) ومما حل بها ، ولما وجدتوا الأشغال ، ولما وجدتوا الغنىٰ ، ولما وجدتوا الخير . . أسرفتوا علىٰ أنفسكم ، وتركتوا الأمور تمشي هَمَل ، ورجعتوا إلىٰ عاداتكم السيئة ، لا! ما ينبغي ، عادات آل (حضرموت) من أحسن العادات ، لا يجتمعون إلا والنساء وحدهن ، ثم

Scanned with CamScanner

لا يجتمعون إلا في أوقات في غير وقت الليل ، ثم يجتمعون في أفراح ، ويرقصون لأنفسهم ويجيبون طبولهم لأنفسهم ، ولا أحد يخالطهم أجنبي ولا مطربة ولا مطرب ، ولا كراسي في حوش ، ولا شيء منها الألاعيب هـٰذه التي لا يرضاها لكم جدكم الفقيه .

أنا أذكر لكم قضية ذكرتها للأخ حامد المحضار بمناسبة وجوده ذا الحين . كان بنْ عبيد الله في (اليمن) عند إمام (اليمن) وكان في بيت الضيافة ، قال له الإمام يحيىٰ : يا عبد الرحمـٰن .

قال له : لبيك .

قال له : الليلة انتظر بانرسل لك خادم يأخذك ؛ لأن عندنا زواج .

قال مرحبا . فجلس تلك الليلة في البيت ومتوقع بن عبيد الله أنه زواج ، وأن البلد كله بايبات في طرب وفي خبر وعلم ، والضارب يضرب بفرح الزفاف .

قال : أرسل لي الإمام خادم حامل عصا ، وقال لي : سيدي الإمام بغاك تجيء .

قلت له : مرحبا . وخرجت أنا وإياه ، فإذا في دار الإمام أشوف سراج في الغرفة حق الإمام ، وطلع بي وحصّلت الإمام والزوج وأبو الزوج وكم نفر لي حضروا ، فقلت للإمام : ومتىٰ بايجون الجماعة ؟

Scanned with CamScanner

قال : هٰذا الزوج وهٰذا أبوه ، إيش بغيت ؟ ذا الحين بانعقد ، بغينا بركة العقد إن شاء الله ، وبعدها كل واحد يأخذ طريقه .

قال : عقد لهم بحضرة هٰؤلاء الذين أتوا ثم قاموا ، وبعد قالوا له ـ وأنا جالس عنده أمزح مع الإمام ولا قَبِل المزح ؛ لأنه ما أراد أن يغيِّر عادة ـ قال : قاموا واستدعوا الإمام من عند الباب ، وقالوا له : أم العروس تقول : إن العروس بايزفون بها إلىٰ عند زوجها .

قال : قام الإمام ومعه أربع مئة ريال ومصحف شريف ، بَرَّك علىٰ رأس بنته العروسة وأعطاها المصحف ، وقال لها : انظري إلىٰ هٰذه الآية : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

هٰذا إمام (اليمن) كلها (اليمن) باترقص له لو أراد ، لٰكن العقل قبل المظهر وقبل الرقص .

ونحن ـ يا إخواني ـ نحب أن نتآلف ، هٰذه مجالس جمعتنا بمجالس كلها مفرحة ، مجالس يرضاها لكم جدكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّمَ ، مجالس يرضاها لكم دينكم ، مجالس يرضاها لكم أهلكم ، لٰكن ـ كما قلت لكم ـ المسؤوليات التي عليكم كل واحد يحرص عليها ، ثم كل واحد كما قال لكم ربكم : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ .

Scanned with CamScanner

إذا كانت زوجته لها سلطان عليه ، أو أهله لهم سلطان عليه . . يجمع كم نفر من إخوانه ويكلمهم ليكلموا المرأة أو الأهل ، ويشوف الرأي السديد الذي باتنتفع به المرأة ، باترجع به عن عادتها أو عن غيها ، والنساء أضعف ، والنساء أميل ، والنساء ألين ، والنساء أَقْبَل للحق .

وأما المجالس التي لا تنفع يا إخواني . . اتركوها ، وزواجات يزوج الواحد ولده يخسر عليه مئة ألف ، والا يخسر عليه ثمانين ألفاً ، والا يزوج بنته ويخسر عليها منها الأشياء هٰذه ، أما إذا جاء لها بذهب ، أو جاء لها بشيء الذي بايبقىٰ لها وباينفعها . . لابأس ؛ لأن الدنيا متاع ، ثم الدنيا ذات تقلب :

ألا إنمـا الأيـام أبنـاءُ واحـدٍ وهٰذي الليالي كلها أخواتُ

تتقلب بالناس من ساعة إلى ساعة ، ومن كَرَّة إلىٰ كَرَّة ، اليوم المَظْهَر لهٰذا ، وغُدْوَة[1] المَظْهَر لهٰذا ، والعام القابل المظهر لهٰذا ، والعام الذي بعده المظهر لهٰذا . وهٰذا ما منه مظهر ، ما منه إلا سوء التدبير ، وعاد نحن كما قالت العرب : من أين نحن معنا ؟ كل واحد إذا كان له راتب . . يرتبه ، إذا كان له ترتيب عاد ، والراتب هٰذا غاده بايلقيه بالحَشَف وسوء الكيل ، لا! ما ينبغي .

ينبغي لكل واحد وكل إنسان يعقد علىٰ خنصره ، وأن يجعل

---

(١) غذوة ـ اليوم التالي .

المجلس هٰذا طريق للتزوُّد منه إلى السعادة الأبدية ، وإلىٰ المفاخر ، وإلىٰ المظاهر المرضية . ما هو بهٰذا البَذخ فازوا أهلكم ، ولا بهٰذا ظهر رجالكم ، ولا بهٰذا كانت الطائلة لهم ، ما كانت الطائلة إلا أن كل واحد يعمل علىٰ قدر المستطاع .

ما أدري ؟ أمس كنا في مجلس ـ نحن والأخ محمد الشاطري ، والحبيب أحمد مشهور ، والأخ عبد القادر الروش ـ ذكروا لنا اللباس للعروس حق آل (حضرموت) في الأول ، يمكن حتىٰ أن هٰؤلاء أدركوه ، نحن عاد نحن شفناه وإن كُنَّ لم يلبسنه نساءنا . ذكروه ، خِلْعَة من عنده شيء . . يشتريها ، قيمتها عشرة ريال ـ والعشرة كبيرة ـ والذي ما عنده شيء . . يستعيرها لعروسِهِ لمدة يومين أو يوم ويردونها إلىٰ عند أهلها . وعَبَروا الناس في سعادة ، أوْلَدوا وأكلوا وتمتعوا ، وعمروا وبنوا وشيدوا ، وظهروا وما افتقروا ، ونحن أشياؤنا وتصرفاتنا تُفقِر ، هٰذه أشياء تُغيِّر .

أسأل الله أن يجعل للمسؤوليات أكفاء في الإدراك وفي العقول ؛ حتىٰ يكون المجلس هٰذا ـ إن شاء الله ـ مع فرحنا به وفرح النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ به له تأثير عقلي ، وله تأثير قلبي ، وله تأثير روحي ، وله سريان ـ إن شاء الله ـ يسري في الجسم ، آمين .

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

ورتب سيدي ـ حفظه الله ـ هٰذه الفاتحة والحبيب عبد القادر بـ(جدة) بمناسبة وضع حجر الأساس لإعادة تعمير مسجد السلطان ؛ فقد أعلَمَنا الأخ حسين بن عبد القادر بن حسين بكتاب مسبق بأنه وجه الدعوة لبعض الآباء والإخوان بتشريفهم حضور وضع أول مدرة في إعادة تعمير هٰذا المسجد ، وذلك صباح يوم الخميس الثامن عشر من شهر جمادىٰ الأولىٰ ، عام ثلاثة وأربع مئة وألف للهجرة ، وبعد الانتهاء من مدرس الحبيب علي بن عبد الله السقاف بـ(سيئون) وتوجهوا إلىٰ المكان ، وبدورنا نحن توجهنا إلىٰ منزل سيدي عبد القادر بن أحمد بـ(جدة) في نفس اليوم وأعلمناه بالمهمة التي جئنا إليه من أجلها ، وطلبنا الفاتحة منه لذلك ، فرتب ـ حفظه الله ـ هٰذه الفاتحة العظيمة :

الفاتحة أن الله يجعل له أساس من التقوىٰ كما بُني من قبل ـ إن شاء الله ـ علىٰ أساس من التقوىٰ . يعمره الله بالمصلين ، ويعمره بالصالحين ، ويعمره بالقارئين ، ويعمره بالذاكرين الله سبحانه وتعالىٰ ، ويجعلها بناية إن شاء الله ـ علىٰ أساس من التقوىٰ ، وأسست علىٰ التقوىٰ وعلىٰ نيات صالحة ، مربوطة بالسلف ، مربوطة ـ إن شاء الله ـ بمن قبلكم ، مربوطة بعمارة ، مربوطة بالمصلين فيه ، مربوطة ببانيه ، مربوطة بمن أقام فيه ، مربوطة بمن عمره .

إن شاء الله يجعل فيه عمران لقلبك وقلوب إخوانك ـ إن شاء الله ـ وعمران قلوبنا .

Scanned with CamScanner

إن شاء الله يعمرها بالذكر ، ويعمرها بالقرآن ويعمرها بالطاعة ، ويعمرها بالخير ، ويجعلنا من أهل الخير ، ويعاملنا معاملته لأهل الخير ، وييسر أمور هٰذا المسجد ، وييسر مؤذنه ، وييسر قُرَّاءَه ، وييسر المصلين فيه ، ويجعله - إن شاء الله - معموراً بالدين إلىٰ يوم الدين ، مؤسَّس علىٰ تقوىٰ ورضوان من الله بواسطة سيد المرسلين صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ويجعل الروح الطاهرة تمر عليه وتتردد عليه وتستشعر ذلك أنت ، وإن كنت غائباً عنه ، ويستشعرونه جيرانه والمصلين فيه وإن كانوا - إن شاء الله - حاضرين أو لم يحضروا فيه ، ويستشعرون الروحانية ويشمون نسيمها ، ويشمون عطرها ويشمون عبيرها ، ويجعل لهم منها مددٌ ، ويجعل لهم منها رعاية ، ويجعل لهم منها خيرٌ ، ويجعل لهم منها بركة ، ويكون ثواب ذلك إلىٰ روح والدك وإلىٰ روح جدك وإلىٰ روح أهلك ، وبنية البر لهم ، وبنية - إن شاء الله - وصول الخير لهم .

٦

وأسأل الله لهم أن يعمرك ظاهرٌ وباطنٌ ، وأن يقيمك ظاهرٌ وباطنٌ ، ويحفظنا ظاهرٌ وباطنٌ ، ويجعلنا مغمورين بأنوار أهلنا ، مسرورين بطريقهم وعملهم ، وسرهم وهدايتهم ، ورعايتهم الظاهرة والباطنة . ويجعلها ساعات مباركة ، وحضرات مباركة . . وأوقات مباركة ، تشرق أنوارها علىٰ القلب

Scanned with CamScanner

فتحييه ، وعلىٰ الروح فتُذْكيه ، وعلىٰ الظاهر والباطن فتقيمه في مقام العمل الصالح وفي محراب العمل الصالح ، محفوظين من الأدناس والأرجاس والشياطين ، وكل ذي ضار ، وكل ذي ضر حسي ومعنوي .

وأسأله أن ييسر أموركم ، ويصلح بلادكم ونخرج إليها كلنا ـ إن شاء الله ـ محفوظين في الأرواح ، محفوظين في أمان ، محفوظين في الأديان ، محفوظين في الأبدان ، محفوظين في الأرواح ، محفوظين في الأموال ، نقيمها كما أقامها مَن قبلنا ، ويعيننا المولىٰ سبحانه عليها ، علىٰ عادات أهلنا ، وعلىٰ عادات رجالنا ، وعلىٰ عادات شيوخنا وعلىٰ ما كانوا عليه ، وتتردد علينا الروحانيات الكبيرة التي ترددت عليهم ، والسكينة التي تنزلت عليهم ، والحماية التي كانت لهم ، والإمدادات التي كانت فيهم ومنهم .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل ساحات القلوب واسعة قابلة للتجلي ، قابلة للتعرف ، قابلة للفيض ، قابلة لِلَّطائف ، قابلة للرحمة ، قابلة للمدد الحسي والمعنوي ، الظاهر والباطن ، والسري والجهري ، في خير وعلىٰ خير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

« ثم رفع سيدي يديه وجمع الدعاء ، وقال :

يا معيد الأيام . أعدها علينا في أعياد وفي إمداد ، وفي صفا وفي فرح ، وفي خير وفي بركة ، وفي نور كما جعلتها لهم

وأعطيتها إياهم اجعل قلوبنا متجهة إلىٰ ذلك السناء الأسنىٰ ، وإلىٰ ذلك النور الباهر ، وإلىٰ ذلك المدد المتواتر في خير ، اجعلها قابلة له ، واجعلها تعرف ذلك - إن شاء الله - في خير .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

وبعد أن اكتملت عمارة المسجد ـ بعون الله وتوفيقه ـ وذلك في منتصف شهر جمادىٰ الأولىٰ ، من عام أربعة وأربع مئة وألف . . توجهنا إلىٰ منزل سيدي بـ(جدة) وأخبرناه باكتمال عمارة المسجد ، فحمد الله ، ودعا لنا بدعوات ، نسأل الله أن يعجل بالإجابة .

ثم بعد ذلك طلبنا منه الفاتحة ، فرتبها وقال :

الفاتحة أن الله كما يَسَّر لكم عمارة هـٰذا المسجد يعمر القلوب ـ إن شاء الله ـ بالذكر وبالإيمان وبالطاعة ، ويعمر هـٰذا المسجد بالمصلين الطاهرين الصالحين الأولياء ، يجعلها عمارة أبدية ـ إن شاء الله ـ لا تتجدد ، تبقىٰ دائماً مستمرة جديدة علىٰ حالها ، ويبقىٰ ـ إن شاء الله ـ ثمرها يعود عليكم بالنفع ، وعلىٰ والدك وعلىٰ أهلك وعلىٰ أسلافك في برازخهم كلهم ، يصلهم خيرها ونورها ، ويصلهم بركتها ، ويدخل عليهم في قبورهم بها الرَّوح والريحان ، والبشارة والأمان ، والفسحة والرضوان . ويعمرك أنت ـ إن شاء الله ـ بالعلم ، ويعمرك بالطاعة ، ويعمرك بالخلافة التامة إن شاء الله .

ويبارك في حسين وأهله وأولاده ، وأولادك أجمعين ، والقائمين معك ، والساعين والنافعين . يجعلكم ـ إن شاء الله ـ

Scanned with CamScanner

مغمورين بالأنوار النبوية والبركات السلفية .

ويجعل لكم - إن شاء الله - صلة تأتيكم وتمر عليكم وتهب عليكم رياحها - إن شاء الله - من أهلكم وسلفكم وأهلِ (بشار) وأهل (سيئون) ومن نبيكم صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ومن عُمَّار المسجد المتقدمين ، من والدك ومن جدك حسين ، وممن قبله - الحبيب علي الجفري - وممن قبله ، وممن قبله ، وممن قبله ، وممن قبله : الحبيب محمد بن عبد الله بن قطبان[1] ، وعبد القادر بن قطبان[2] ، ومحمد بن علي السقاف[3] ، وممن قبلهم ممن عمر هـٰذا المسجد ، ونظر إلىٰ هـٰذا المسجد ، وصلىٰ في هـٰذا المسجد ، وقام في هـٰذا المسجد .

تعود البركة - إن شاء الله - عليكم ببركتهم ، منهم - إن شاء الله - ومن غيرهم من الصالحين ومن غيرهم من الأولياء .

ويرضىٰ عنك ربك - إن شاء الله - ويرضىٰ عنك نبيك ، ويرضىٰ عنك والدك ، ويرضىٰ عنك شيوخك ، ويرضىٰ عنك سلفك ، ويُرضيهم عنك كلهم - إن شاء الله - وتكونون كلكم مغمورين في دائرة الرضىٰ ، وفي دائرة الفرح ، وفي دائرة العطاء ، وفي دائرة الكرامة . وفي دائرة الإكرام ، وفي دائرة

---

(١) وفاته بسيون (١٢٥٠) وشيخه الحبيب عمر بن سقاف .

(٢) ميلاده (١٢٥٥) ووفاته بسيون ١٢ صفر ١٣٣١ .

(٣) ميلاده بسيون (١٢٢٥) ووفاته بتريم (١٣٠١) .

الخير ، وفي دائرة البركة ، وفي دائرة الهدىٰ ، وفي دائرة النور .

تبقىٰ سلسلة الهدىٰ ـ إن شاء الله ـ في أولادك مستمرة إلىٰ يوم الدين ، وسلسلة محبة الخير وعمارة المساجد ، والقيام بالمساجد ، وذكر المساجد ، وتعاليم المساجد ، وقرآن المساجد ، وما يكون في المساجد .

أسأل الله أن يجعل أولادك والمتعلقين بك وذريتك وسلسلتك أيضاً مع البركة في حسين ، مع البركة في الأوقات ، مع البركة في الأعمار . ويفتح لك باب الرزق الواسع ـ إن شاء الله ـ وتخرج إلىٰ (سيئون) وتعمر هٰذا المسجد بنفسك وأولادك وذراريك ، تقومون فيه وتعمرونه ، وتصلُّون وتدرِّسون القرآن ، وتتدارسون العلم فيه أبداً ما بقيتم وما بقيت الدنيا .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلها خالصة لوجه الله الكريم ، لا يشوبها رياء ، ولا يشوبها نقص ، ولا يشوبها شيء من مظاهر الدنيا ، ولا من افتراءات الدنيا ، ولا من تزاييد الدنيا ، ولا من تقاليد الدنيا ، ولا مما يحبه أهل الدنيا في الدنيا .

وأساله سبحانه وتعالىٰ أن يباعد فيما بينك وبين الشرك ، وفيما بينك وبين الهوىٰ ، وفيما بينك وبين الرياء ، وفيما بينك وبين محبة النفس ، وفيما بينك وبين الظهور ، ومن محبة الدنيا وفتن الدنيا .

وأساله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلها خالصة تمر عليك فيها البركة ، وتأتي علىٰ أولادك وعلىٰ بناتك ، وعلىٰ أهلك وعلىٰ

Scanned with CamScanner

ذراريك ، وعلىٰ جميع - إن شاء الله - من لك بهم صلة .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن ينور قلبك كما نورت المسجد ، وينور قلوب أولادك المتقدمين والمتأخرين ، ويجعلك - إن شاء الله - مكتوبٌ من عمار المساجد ؛ مثل الحبيب أحمد بن زين ، والحبيب عبد الله الحداد ، ومن كان يعمر المساجد ويهتم بالمساجد ويقوم بالمساجد .

وأسأل الله ثوابها ، - إن شاء الله - يكون ممتدْ ، ويعود بركته - إن شاء الله - علىٰ أولادك ، ويعودبركته علىٰ أهلك ، وعلىٰ أقاربك ، وعلىٰ المتقدمين ، ظاهرهم وباطنهم ، ويجعل لنا منها نصيبْ .

وأساله سبحانه وتعالىٰ أن يبقىٰ هـٰذا المسجد قائمْ بالعمارة والصلاة دائماً إلىٰ يوم الدين ، في خيرات ومسرات ، حسية ومعنوية .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه السقاف بـ(جدة) الثالث من شهر شعبان ، من عام أربعة وأربع مئة وألف للهجرة (١٤٠٤/٨/٣) الموافق الرابع من مايو ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (١٩٨٤/٥/٤م) .

وبُدئت الروحة ـ كالعادة ـ بقراءة في الفقه في أركان الصلاة ، ثم أنشد الأخ محمد بن سالم خرد قصيدة مطلعها :

إلاَمَ التجافي يا سعاد ولا ذَنْبُ

ثم أعقبه أستاذنا الوالد محمد بن شيخ المساوىٰ ، وأنشد عدة أبيات من القصيدة الطويلة التي مطلعها للشاعر ابن الوردي :

اعتـزل ذكـر الغـوانـي والغَـزَلْ وقل الفَصْلَ وجانِبْ مَن هَزَلْ

بعدها تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ فقال :

هٰذه القصيدة ، المتقدمون يأمرونا بحفظها ، والظاهر أنه باقي من يحفظها هناك ، وهم أفراد قليلين ؛ منهم : شيخنا محمد المساوىٰ .

وهي ملآنة بالحِكَم ، وأحسن ما فيها مما سمعته الآن وذكرني قوله :

لا تقـل قـد ذَهبَـتْ أربـابـه كل من سار على الدرب وَصَلْ

كثير من الناس يَخمُل ويقول : مات العلم! لا يزال العلم موجودٌ وأهل العلم موجودين .

أو يقولون : مات الفضل ، أو ماتت الولاية ، أو ماتت الرعاية! لا يزالون موجودين ، إنما الإنسان إذا خَمَل . . مات هو في نفسه قبل أن يميتها .

كان الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري[1] يقول : كنت أدرس في (تريم) وكنت في مجاهدة شديدة في الليل : مطالعات ، وقيام ، ودروس وصلاة . . وبالنهار صيام ، فجاءني واحد من السادة ـ وسماه ـ وقال لي : لا تتعب نفسك يا حسن ، أهل الطريق هٰؤلاء ماتوا كلهم وأنت باتسير وباتتعب نفسك .

قال : هٰذا ما زادني إلا نهوضٌ في الهمة ، وزيادة في العمل وقوة . وشكوت لأحد شيوخي عن هٰذا المقال ، فقال لي : لا! . . موجودين .

ووصل الحبيب حسن إلىٰ درجة ، كلكم تسمعون عن علمه وعن عمله ، وعن قوّته وعن مجاهداته ، وعن نشاطه وعن دعوته ، وعن مبلغ الولاية التي وصل إليها . وجاؤوا ناس كثير من المتأخرين بعده هٰكذا ، قبل قليل ذكروا الحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب أحمد بن حسن العطاس .

كان يقول الحبيب علي بن محمد الحبشي للحبيب أحمد بن

---

(١) ولادته بالحوطه (١١٩١) ووفاته بذي اهبح (١٢٧٣) .

حسن ـ كان ذَكَره لكم الأستاذ الشاطري ـ : إنك عندما تقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية . . أنا أستكفي بها . أخذاً بقول بعض العلماء عندنا من الشافعية يقولون به . وسمعتم الأستاذ قرر لكم أن الإمام أبو حنيفة يقول بحرمة قراءة الفاتحة للمأموم في الجهرية ، وفي السرية بخلاف ؛ لأن الإمام ضامن .

ومعناه هٰذا كله : أن الله سبحانه وتعالىٰ قد فتح للناس باب الطريق وفضله ما انحصر .

وكان الحبيب أحمد بن زين الحبشي ـ رحمه الله ـ قال : إنه ما يعجبنا كلام الإمام الشعراني لما قال : نفضوا محملة الأولياء وليس فيها شيء قط أبداً في القرن العاشر . والقرن العاشر مزدهر بالأولياء والعلماء ، ولٰكنه قال : تعجبنا خطبة الإرشاد :

[الحمد لله الذي لا تُحصَر له مِنَن ، ولا تختص بزمن دون زمن ، موجود خيره في كل زمان] .

ونحن شهدنا من الشيوخ هٰؤلاء أهل العلم : فيهم من يحفظ « التحفة » وفيهم من يحفظ « البخاري » وفيهم من له عبادة لا تقل عن مثل العبادة الكبرىٰ .

الكرامات هٰذه أشياء أخرىٰ ، لٰكن المعوَّل علىٰ العلم ، العماد الأول هو العلم ، فترىٰ الواحد منهم إذا سألته عن مسألة . . تَفَتَّحَ عن علوم واسعة بعيدة المدىٰ ، وإذا نظرت إليه في مجلس من المجالس . . تراه ساكتْ ، حتىٰ إذا سئل . . تفجَّر عن علوم ، وإلا . . يعطي المجلس حقه من الأدب ، ومن الحرمة ومن اللياقة .

وكانوا يؤثرون عن الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه الإمام الكبير هـٰذا أنه في طريقه إلىٰ الحرمين للحج ، وصادف أن دخل إلىٰ (زبيد) وزبيد مشهورة بالعلماء ، وهي بلاد العلماء وأهل العلم والفضل ، فلما دخلها . . سأل عما يناسبه ـ ومناسبة الحبيب عبد الرحمـٰن مجالس العلم ـ فقيل له : إن يحيىٰ مقبول الأهدل له درس يعمله في مسجده .

فسار إلىٰ المسجد وحضر الدرس ، وصادف في تلك الليلة أن جلس وهو أشعث أغبر حاج في أخريات المجلس ، فسأل الحبيب يحيى تلاميذه عن مسألة ـ وكانت المسألة من عويصات المسائل ـ سكتوا كلهم عنها وما اهتدوا لجوابها ، ولـٰكن الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله كان في آخر المجلس ، قال لواحد من العامة الموجودين في آخر المجلس : قل للشيخ الجواب كذا وكذا .

فرفع أصبعه وقال للشيخ : الجواب عن المسألة كذا وكذا . انبَهَتَ يحيىٰ مقبول هـٰذا ، وقال له : من أين لك هـٰذا الجواب ؟ ما وجدوه أهل العلم فإذا بك تجيب عنه وأنت في عامة الناس من أهل المجلس !

قال له : قال لي عنه هـٰذا الدرويش .

سألوا عن الدرويش ، فقال لهم : أنا عبد الرحمـٰن بلفقيه ـ كفىٰ الشهرة ـ فانعكست المسألة وصار بالمجلس الصدر حيث يجلس الصدر ، كلهم ارتَوَوْا ، وأخذوا الحبيب إلىٰ مقدمة

Scanned with CamScanner

المجلس واستقبلوه استقبالٌ حسنٌ ، ومنهم شيخ المجلس الإمام يحيىٰ مقبول عمر الأهدل ، وأعطوا الزمام للحبيب عبد الرحمـٰن ابن عبد الله ، فأخذ يتكلم عن : بسم الله الرحمن الرحيم . وهي المناسِبة له ؛ لأن كل من يجلس في مجلس أول ما يستفتح مجلسه بالبسملة ، فأخذ يتفجر عن علوم واسعة بعيدة المدىٰ قريبة المأخذ ، واتسع فيها من أول المجلس حتىٰ انتهىٰ المجلس وما انتهىٰ الكلام ، وعقدوا له جلسات متوالية وصار يحضر فيها ، وأخذوه إلىٰ الدار واستجازوه ، ونزل في دار الحبيب يحيىٰ مقبول الأهدل واستجازوه وأجازهم ، وطلب منهم الإجازة فأجازوه كذلك .

وكانت في تلك الأيام غرة في بني الأهدل جلوس الحبيب هـٰذا الإمام الكبير نقلها لنا الحبيب عبد الرحمـٰن بن سليمان الأهدل[1] في كتاب له سماه : « النَّفَس اليماني » .

والكتاب هـٰذا سببه : أن الشيخ محمد بن علي الشوكاني له أولاد ثلاثة طلبة علم جاؤوا من (صنعاء) إلىٰ (زبيد) يستجيزون الحبيب عبد الرحمـٰن بن سليمان الأهدل ، وَلَد سليمان الأهدل ، فأجازهم ، ونقل الإجازة . ونقل الكلام الذي حصل وزيارة الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه للسادة الأهادلة في زبيدهم هـٰذه ، ونقل كل ما يقال عنه ، ونقل أن الحبيب يحيىٰ نظم مديحة في الحبيب عبد الرحمـٰن من غرر المدائح ، وطلبوا من الحبيب عبد الرحمـٰن الإجازة ، فنظم الإجازة بقصيدة لامية

---

(١) ولد عام (١١٧٩) وتوفي بزبيد عام (١٢٥٠) .

من غرر القصائد ذَكَرَهن الحبيب عبد الرحمن بن سليمان .
وبمناسبة ذكره لهن ذكر اتصاله بالعلويين الكبار ، هؤلاء الذين كان مُبْتَدَأُ الذكر فيهم ، وفي أن العلم كان موجودٌ في ذلك الوقت فيهم وفي المشايخ آل الخطيب وفي المشايخ آل بافضل ؛ لأن الشيخ سالم هو الذي أتىٰ من (العراق) ـ سالم بن فضل جاء من (العراق) بعد أربعين سنة قضاها في (العراق) وفي طلب العلمْ ، وخرج له بقافلة كبيرة من الكتب يحملها ظنها أهل (تريم) أنها هدايا لهم من الأقمشة ومن غيرها ، فلما فتحوها . . فإذا هي كتب كبيرة نقلها لهم الشيخ سالم رحمه الله ـ وهو ممن أخذ عنه الشيخ الفقيه المقدم ، شيخ الطائفة علىٰ الإطلاق ، وأخذوا عنه الكثير ، وكان كثير منهم المشايخ الخطباء ومن آل بني فضل وغيرهم من مشايخ (تريم) في ذلك الوقت يزخرون بالعلم . وكان العلم هو زاد المسلم السائر في الطريق ، وهو التركة التي تركها رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ لهٰذه الأمة كما تقرؤون حديثه الذي يرويه البخاري في « صحيحه » بسنده ومسلم في « صحيحه » بسنده إلىٰ أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال : « **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة ، إنما ميراثنا العلم** » .

وفي رواية : « **ميراثنا العلم** » بدل : « إنما » للحصر .

ميراثنا العلم ، هٰذا ميراثه صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، وبعيد أن يكون ميراثه انتهىٰ في العصور الأُوَل وأهل العصور المتأخرة

Scanned with CamScanner

ما يتحصلون علىٰ شيء ، إنما مَن كَسِل . . فحَسْبه كسله ، ومن تأخر . . فحسبه تأخره ، ومن أبطأ به السير . . فحسبه إبطاؤه بالسير ، وإلا . . العلم لا يزال موجودْ، والمعطي لا يزال يمنح . فالمتأخرون ـ الذين رأيناهم وشاهدناهم وقرأنا عنهم وعرفنا عنهم ـ زَوَّدهم الله بعلوم واسعة ، ربما كانت أكثر ممن قبلهم من بعض المتقدمين ، وبعضهم عندهم علوم واسعة كبيرة .

كان الحبيب عبد الله الحداد ـ قالوا ـ لما كان يبكي في قصائده :

وآهٍ علىٰ ما مَرَّ من هدي سادةٍ   إلخ

وآهٍ وآهٍ . . وفي « العينية » المشهورة هـٰذه التي ينبغي للإنسان أن يحفظ أوائلها ، هي قصيدة مشهورة :

يا سائلي عن عبرتي ومدامعي   وتَنَهُّدٍ ترتج منه أضالعي

كل واحد ينبغي له أن يبكي علىٰ هـٰذا الماضي .

إلىٰ أن قال :

يكفيك مسألتي شهودُك ما ترى   من شاهدي في وحدتي ومَجَامعي
وظواهر الأحوال تغني ذا الحجا   والفهم عن نطق اللسان الذائع
لكن لَعَلَّك أو لَعَلَّك تبتغي   بالشرح إعلام البعيد الشاسع
هـٰذا ولي في شرح بعض الحال ما   يُسْلِيْ فؤاد المستهام النازع
فاسمع أُخَيَّ ولا تكن لي عاذلا   عن جيرة بين العُذَيْبِ ولَعْلَعِ
قد طال ما طَوَّفْتُ حول خيامهم   لأرى وأسمَعَ ما يروق لمسمعي

فرأيت لكن ما يُذَوِّبُ مهجتي وسمعت لكن ما يُفيض مدامعي

إلىٰ آخر القصيدة العظيمة التي جمعت وأوعت ، وما قال مثلها شاعر من المتقدمين أو من المتأخرين . كان يبكي ، وكان والدي ـ رحمه الله ـ كان يقول : أنا أتعجب من بكاء الإمام الحداد وهو قد أدرك من العلم ؛ لأن من قرأ كتب الحداد ووصاياه ومصنفاته . . عرف أن هٰذا يكيل من بحر واسع من العلم الظاهر والعلم الباطن .

قال : حتىٰ وصلتنا « معارج الهداية » وكانت نُسَخُها غير متوفرة وقليلة . كان يقول : إن الحبيب علي بن محمد الحبشي أمرني بقراءة نسخة جاءت للحبيب علي بعد مدىً طويل يتطلبها حتىٰ أتت إليه النسخة ، قال : فقال لي : اقرأ يا أحمد عَلَيَّ « المعارج » .

قال : فقرأت عليه « المعارج » هٰذي وامتلأ بها الحبيب ، وقال : أعدها لي .

وأعدتها له ، قال : وامتلأ بها الحبيب كثيرْ ، ولٰكنها ذهبت أنا من خاطري ، كنت إذا سمعت الحبيب عبد الله الحداد . . قلت : علىٰ آه تَأَسُّفُه وبكاه ؟ حتىٰ جاءت وطبعت « معارج الهداية » فقرأناها ، ورأينا أولاً من العلم الظاهر الذي في أولها ، والفلسفة العلمية التي توجد بها في كل فصل ـ فصل ، فصل ، فصل ـ ما عرفنا بأن المتقدمين درسوا علومْ واسعة من علم الظاهر . ولما جئنا إلىٰ القسم الأخير من حدائقها ـ الحديقة

Scanned with CamScanner

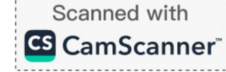
الأولىٰ ، الحديقة الثانية ، الحديقة الثالثة ، الحديقة الرابعة ـ وجدنا أن هـٰذه علوم كأنما هي عبارة عن رعد نسمع منه أصوات بعيدة ونحسه رعداً ، ولـٰكن نحن لا ندركه ولا نفهم فيها شيءْ ، فعرفت أن الإمام الحداد يبكي علىٰ مثل هـٰذه العلوم . ثم من تَطَلَّبها . . وجدها ، ومن سأل عنها . . أدركها ، ومن أراد أن يأخذها عن أهليها . . يدركها موجودة . ثم الإنسان نفسه إذا تعلق بهـٰذه الكتب وصدقت همته ونيته بالتعلق . . فتح الله عليه ، والفتح هـٰذا لا يزال موجودْ ، ويشير إليه القرآن بقوله : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ويشير إليه بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ والهدىٰ هو العلم والرعاية .

وفي أهل الكهف قال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ .

موجود هـٰذا ما هو بعيد علىٰ الإنسان . كان عمكم محمد بن هادي السقاف يذكر لنا حكاية ، قال :

كان والدي يأمرنا بحضور الروحة في مسجد طـٰه بعد العصر ، وصادف أن كان يقرأ في كتاب للشيخ الشعراني اسمه : « تنبيه المغترين » وهـٰذا الشيخ الشعراني يتكلم عن أحوال الصوفية ، حتىٰ وصل إلىٰ أن الاجتماع بالنبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ لا يحصل للإنسان إلا بعد أن يرتقي مئة ألف مقام وتسعة وأربعين أو خمسين ألف مقام . قال الحبيب محمد بن هادي إن الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن كان موجودْ في الروحة فعاتبنا ،





وقال لي : يا ولدي ، تقرأ لنا في الكتب البعيدة ذي! هت لنا شيء من الكتب القريبة لي بغينا نفهمها ويفهمها الحاضرين ويسمعونها .

قال : ثم لما انتهت الروحة . . قال : يا ولدي ارجع اقرأ لنا في الكتاب ، دعنا نعرف تقصيرنا ونقصنا وعدم اهتمامنا بالأمور هٰذه ، وأن هٰذه مراتب ينبغي للإنسان أن يتطلبها .

قال : وكان والدي إذا رجعت من الدرس الذي أحضره . . يسألني : ماذا قالوا لك ، وماذا قلت لهم ؟

وماذا وقع ؟

وما قيل ، وماذا قالوا ؟ قال : فقلت له : إن الحبيب علوي قال كذا ، وقال كذا ، وقال كذا .

فقال: عمك علوي استبعد ما ليس ببعيد، كلها هٰذه المقامات تندرج في قوله تعالىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ .

انتهىٰ القول ، والأمر كذلك ، فالأمر ليس ببعيد من مثل هٰذه الأشياء ، والذي دعا إلىٰ مثل هٰذا الكلام :

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

فالحمد لله ، واسأل الله أن يأخذ بنا وبكم إلىٰ الدرب حتىٰ نسير فنَصِل ، وحتىٰ نمشي ونعمل ، وحتىٰ ندرك ما وصل إليه هٰؤلاء الذين ذكرناهم والذين تكلمنا عنهم ، أو يذكرهم الذاكر أو يشرح شيء من علومهم ؛ فهي أعظم وأعظم وأعظم .

Scanned with CamScanner

كانوا يذكرون لنا أن الشيخ عمر المحضار ـ تسمعون عنه ، هـٰذا مايحتاج إلىٰ تعريف ـ يذكرون لنا أنه جاء واحد سائح إلىٰ (حضرموت) من أهل العلم ، ودخل يزور (تريم) وكان شيخها والنقيب الموجود فيها : الشيخ عمر المحضار .

فاتفق بالشيخ عمر المحضار ، وجلس مع الشيخ عمر المحضار وكأنه عنده شيء من علوم القوم هـٰذا السائح ، فقال له : معي مسألة أريد أن أسأل .

قال له : اسأل ؟

قال له : لم سمي الفؤاد فؤادْ ؟

قال له : لأن فيه ألف واد ، وفي كل واد ألف واد . وأخذ يتكلم علىٰ العلوم هـٰذه أغرق هـٰذا السائل ، فتحير السائل وانتهىٰ كل ما معه وهو يحسب أن الشيخ عمر ما عنده جواب في مثل هـٰذه الأشياء ، وأن علمه الباطن الذي يهبه الله ويمده به ما هو موجود . وهـٰذا العلم الباطن داخل تحت الآية هـٰذه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أغرقه بهـٰذا . والإنسان إذا أراد أن يعرف منظومة ـ أنا أذكرها لكم ، دائماً أتكلم عليها في علم الحرف للشيخ عمر المحضار ـ يقرأها الإنسان ولا يعرف عنها شيءْ ؛ ليعرف أن المتقدمين اتسعوا في العلوم ، هـٰذه المنظومة موجودة عندنا في (حضرموت) وإن شاء الله يهتدي إليها محمد الشاطري ونحضرها إلىٰ هنا بـ(جدة) ؛ لأجل نصور منها عدد ؛ لأجل تعرفون علم المتقدمين . ولما كانت بعيدة المدىٰ في فهم

معناها . . جاء الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ـ تلميذه وولد أخيه ، وزَوْج بنته ـ شَرَحها ، فأفاد بعض المفاد ، وبعضها دخل بنا في أشياء بعيدة المدىٰ كما كان عمه علىٰ هٰذا ، وما استفدنا منها شيءْ ، إنما بعض الأطراف يفهمها الإنسان ؛ ليعرف أن الله سبحانه وتعالىٰ مع الجد والاجتهاد وهبهم علومْ لا تكيَّف ولا تُدرَك ، ولا يأتي عليها الإنسان إلا باختصاص الرحمة التي أشار إليها ، فسلوها ربكم ؛ فإنه يعطي ، هٰؤلاء بشر مثلنا .

أسألك اللهم إلا ما أكرمتنا ففتحت صدورنا لهٰذا العلم ، ونظفتها من العوائق والشواغل ، وجعلتها محلاً لتعرفاتك ؛ حتىٰ يتنزل عليها إلهامك ، ويأتي بها بيانك ، وتظهر حدائقها في مدروجات علمك القديم الأزلي .

يا أزلي ، يا أبدي ، يا قديم ، يا حي ، يا محيي ، يا معطي . . أسألك أن تجعل قلوبنا محلاً لمفيضات هٰذه العلوم ، وتأخذ بنا ـ يا حي يا قيوم ـ إلىٰ ما كان عليه مَن قبلنا من خيار الرجال الذين وهبتهم هٰذه .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

المقامات والأحوال
وفي ذكر الاستخلاف في الأرض وفي فضل العلم

وتكلم سيدي حفظه الله بهٰذه الكلمة القيمة في الاجتماع والاحتفال لقراءة قصة المولد النبوي والذي عقده العم محمد بن صالح المحضار في منزل ـ فيلا ـ عبد الرحمٰن بخش في أحد الليالي من ليالي رجب ، عام أربعة وأربع مئة وألف هجرية (١٤٠٤هـ) .

فبعد الجلوس من المقام تكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة ، فقال :

كل ما سمعته في هٰذه الحفلة المباركة فيما أنشده المنشدون من محبي الرسول ـ بارك الله فيهم ـ وأعجبني مما سمعته بيت من أبيات قصيدة للإمام البرعي ، الذي بذل شعره كله للحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ وأجاد ، وجزاؤه من الحبيب ، وكلنا نطلب الجزاء من الحبيب . يقول في ذلك البيت :

بشرىٰ ذوات القوافي أنها ظفرت بسيد الخلق عرباها وعجماها

وكما كانت القوافي لها البشرىٰ فنحن لنا البشرىٰ ، حضرنا من أجله وجئنا من أجله . ثم البشارة هٰذه يبشركم ربكم بها ، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في محكم تنزيله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ وبعدها : ﴿ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

كثير من العلماء يقول : هٰذه البشارة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، ولٰكنها في حكم المضمون للعاملين بالعمل الصالح .

Scanned with CamScanner

هـٰذا المجلس من مجالس البركة ، هـٰذا المجلس من مجالس السماء ، هـٰذا المجلس مما تمطر السماء فيه علىٰ أهل الأرض ، هـذا المجلس مما يرحم الله به أهل الأرض ، هـٰذا المجلس مما تنعقد به البركات وتُدْفَع به الرزايا وتُدفَع به الأذايا ؛ لأنها بذكره عليه الصلاة والسلام تنزل الرحمة ، وبذكره تدفع الآفة ، وبذكره يَستشفع العبد إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ، فيشفع ؛ لأنه أقرب شفيع وأعظم حبيب وأكرم مقصود يُلجأ إليه بعد المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

لمن يلجأ الناس يوم القيامة ؟

لمن يأتي الناس يموجون في موقف الحشر ؟

أما يموجون حتىٰ يصلوا إلىٰ باب محمد ؟ فإذا وصلوا إلىٰ ذلك الباب الواسع . . سألوه الشفاعة ، وقال : « **أنا لها ولا فخر** » حينما يعتذر منها كل مرسل وكل نبي ، وكل مقرب وكل حبيب ، ولا يبقىٰ إلا الحبيب العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، فيقول : « **أنا لها** » بوجه طلق في الموقف ، كأنه لا يشهد هـول المـوقـف ، ولا يشهـد ألـم المـوقـف ، ولا يشهـد شـدة الموقف ، لا تزال آثار الرحمة منصبة عليه في الموقف الذي يظهر المولىٰ فيه باسم المنتقم ، لـٰكنه عليه الصلاة والسلام علىٰ تلك الدائرة العظيمة التي أعدها للرحمة ـ لا تزال الرحمة ـ يقول : « **أنا لها ولا فخر** » .

فيأتي إلىٰ ذلك الموقف ، فإذا وصل حول العرش . . سجد

Scanned with CamScanner

السجدة الطويلة التي تسمعون عنها ، يشفق عليه مولاه سبحانه وتعالىٰ من تلك السجدة الطويلة العظيمة ، وفيها يلهم المحامد ؛ لأنه اندرج فيه العلم الأول ، واندرج فيه العلم الآخِر ، واندرجت فيه أشياء لم تندرج في غيره ولم تكن قابليتها صالحة لغيره ، كانت القابلية له صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، سواء كان في موقف أو كان في هول ـ ولم يعرض علىٰ هول ، ولم يدركه هول ـ أو كان في حشر أو كان في خيمته يلهم تلك الدعوات ، فيشفق عليه المولىٰ ، فيقول له : « يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .

هـٰذا السؤال وهـٰذا الجواب ، يسمعه صلوات الله وسلامه عليه من المولىٰ فيكون عليه برداً وسلاماً ، ولأمته وللأمم ، والبشرية أتعبها الضعف وأضنتها الشمس ، وسلك بها العرق سبيله ، وأخذتها الأهوال العظيمة ، فلا تقدر أن تتكلم ولا تقدر أن تتحرك ؛ لأنها في ضيق وفي كرب ، فإذا جاءها صلوات الله وسلامه عليه بالشفاعة الأولىٰ ، ثم بالشفاعة الثانية ، ثم بالشفاعة الثالثة ، ثم بالشفاعة الرابعة ـ كما في حديث مسلم ـ كان ذلك الهول منفرجاً به وكأن لم يكن هول ، وكأن لم تكن شدة ، وكأن لم تكن تلك الشدائد التي مرت بها البشرية في ذلك الموقف الصعب .

وهـٰذا هو معنىٰ الرحمة التي يشير إليها الحديث ، وتشير إليها الآية بقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

أما الرحمة في الدنيا . فقد عرفها الناس بدعوته ، وقد عرفها

Scanned with CamScanner

الناس برحمته وشفقته . جاء لقريش بعد ما أوذي واشتد الأذىٰ به ، وأُخرِج من بلده وطردوه ، ورجموه وخنقوه ، وأرادوا قتله فعصمه الله منهم ، فلما استولىٰ . . قال لهم : « يا معشر قريش ، ما تروني فاعلاً بكم ؟ »

قالوا : إن تعذب فقد أسأنا ، وإن تغفر . . فخير أخ .

قال لهم : « لا أقول لكم إلا كما قال العبد الصالح : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ » عَرَقه من جسمه كان يتبجس بالرحمة ، فضلاً عن غيره .

ماذا كان موقف قريش في ذلك الوقت ؟ ثم هـٰذه الأعراب التي انقادت لقريش والتي أُخرِجت مع قريش في غزواته صلوات الله وسلامه عليه تعتقد أنها ستغلب محمد ولن يَغلِب قَدَرَ الله شيء ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ كلهم رجعوا بالخلف ولما رجعوا بالخلف . . فتح لهم صدره الشريف صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، فكان يَقْبلهم أفراداً ويقبلهم أفواجاً ، وتأتي إليه كثرة وتأتي إليه قلة ، ولا يرد أحداً صلوات الله وسلامه عليه . دعاهم إلىٰ الإسلام وطلبهم أن يقولوا : لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . ثم اكتفىٰ بها ، وأخذ يعلمهم شيئاً فشيئاً حتىٰ دخلوا في دين الله أفواجاً .

هـٰذه الرحمة لا تزال فينا ، لا تزال هـٰذه الاجتماعات ، ثم لا تزال هـٰذه البركات ، ثم لا تزال هـٰذه الخيرات . يعتقد الواحد أن السماء ما تشاهد هـٰذا الاجتماع ، أو ما تشاهده الملائكة ، أو

Scanned with CamScanner

رب العزة سبحانه وتعالىٰ يغفل عن هـٰذا الاجتماع ، أو لا يقال فيه : إن روحانيته صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ تستشعر ، وهو يبلغه السلام صلوات الله وسلامه عليه في قبره من أي مسلم كان ، من أي جهة كان ، في أي موضع كان . وإذا نظر المولىٰ إليكم ، وسمع بكم الرسول وبلغه ذلك المجلس . . ألا يرضىٰ ، وهو الذي يرضيه من هـٰذه الأمة أدنىٰ شيء صلوات الله وسلامه عليه ؟

ألا يرضىٰ المولىٰ عليكم ؟ بلىٰ ، إنه ليرضىٰ . لـٰكن ينبغي لنا أن نستشعر وأن ندرك أن هـٰذه الحضرة تحتاج منا إلىٰ أدب ، وتحتاج منا إلىٰ تلقي ، وتحتاج منا إلىٰ إذعان ، وتحتاج منا إلىٰ استشعار ؛ حتىٰ ندرك المواهب والتعرفات التي يتعرض بها إلينا المولىٰ واللطائف التي ينزلها .

كلكم ـ يكاد الواحد منكم ـ يحفظ الحديث أو الأحاديث الواردة في مثل هـٰذه المجالس : « ما جلس قوم يذكرون الله إلا نزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الرحمة ، وذكرتهم الملائكة ـ أو وغشيتهم الملائكة ـ وذكرهم الله فيمن عنده » .

فنحن علىٰ يقين أن هـٰذا الحديث صدر من لسان رسول الله ، وهو الصادق في قوله والصادق في فعله . ثم نحن علىٰ يقين آخر أن هـٰذا المجلس حفته الرحمة وغشيته السكينة ، ونزلت عليه وحضرته الملائكة ، وإذا حضرت الملائكة في مجلس . . ألا ينبغي لنا أن ندرك ما ينبغي إدراكه ؟

Scanned with CamScanner

إذا جاورنا الملائكة . . أنبقىٰ هـٰكذا ؟

يحضر الإنسان في مجلس جاور فيه الملائكة ، وربما جاور فيه أشياء أعظم وأعظم ، جاور فيه مثلاً الروح المحمدية ، جاور فيه الرحمة التي تتنزل ، جاور فيه الخير . . ماذا ينبغي له ؟

أيبقىٰ كما حصاة الدوفي[1] ـ كما يقال ـ ؟

ما هي الحضرة ؟ يقول الواحد : حضرنا المجلس عند آل فلان ، مجلس ما شاء الله ! ماذا بعد ما شاء الله ، أيكفي ذلك ؟ لا ، ما يكفي .

بعد ما شاء الله : أن يعقد عليها الإنسان ، أن يرتب ما تستحقه ما شاء الله ، وأن يعمل ما ينبغي له ؛ فإنه حضر مجلس خلىٰ به عن رعونات نفسه وعن بشريته إلىٰ حضرة قدسية تناسب روحه :

يا أيها الروح هل ترضىٰ مجاورةً ... على الدوام لهـٰذا المظلم الكَدِرِ
وأين كنت ولا جسمٌ تساكنه ... ألستَ في حضرات القدس فاذَّكِرِ

قدس ، وهـٰذه التي ساقها المولىٰ لكم . ثم يقول الإمام الحداد في هـٰذه القصيدة :

لله بارقة في القلب قد لمعت ... من عالَمِ الأمر لا من عالَمِ الصور
أنستك إياك والأكوانَ أجمَعَها ... وأوقفتك على المطلوب والوطر

إلىٰ آخر القصيدة .

الله الله ـ يا إخواني ـ بأن لا تفوتكم هـٰذه المجالس فلا تخرجون منها

---

(١) حصاة الدوفي : حصاة ملساء يصب فيها الماء ويخرج منها ولا يبقى شيء .

Scanned with CamScanner

إلا بنصيب تعقدون عليه الخنصر ، تستكفون بالبركة العامة ؛ فالفائز من اغتنمها وخرج بفائدة عقد عليها الخنصر ، تلك الفائدة أنه : إذا استشعر أن المجلس هـٰذا فيه أهل لا إلـٰه إلا الله ، تدار فيه لا إلـٰه إلا الله ، وتدار فيه عادات لا إلـٰه إلا الله ، ويدار فيه ما يترتب علىٰ لا إلـٰه إلا الله ، وتدار فيه اللطائف التي دعانا ودعتنا إليها لا إلـٰه إلا الله ، ينبغي لنا أن ندركها ، ثم ينبغي لنا كذلك أن نقوم من هـٰذه المجالس ـ كما قلنا ـ نعقد عليها ، ونستشعر ـ كما ذكرنا ـ أنها مجالس الخير ومجالس البركة ومجالس الرحمة . ثم هي حضرات معطرة ، حضرات مقدسة ، حضرات مكرمة ، حضرات مشهودة ، لا يشهدها إلا من ألقىٰ السمع وهو شهيد ، ولا يدركها إلا كما قال المولىٰ سبحانه وتعالىٰ : ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ في هـٰذا الدار وفي هـٰذه المجالس . يدركها ويستشفها . ومن لم يكن له شيء مثل هـٰذه . . يستكفي بالرحمة العامة .

وإنما جعلت هـٰذه المجالس ـ كما قلنا ـ بقايا من الرحمة المحمدية ، وموائد تبسط لأهل لا إلـٰه إلا الله ، يجلس عليها الإنسان كما يتمتع الجسم بالأكل الشهي تتمتع الروح بالمدد النبوي في مثل هـٰذه المجالس ، نجده فيها يقوم فيها من حضرة شريفة يدرك فيها الروحانية بنفسه ، يدرك فيها الخير بنفسه ، يدرك فيها الأشياء بحسه ، وإذا أدركها وإذا عقد علىٰ هـٰذا . . لابد وأن ترتبط تلك بروحه ، وإذا ارتبطت بروحه . . لابد وأن تفرّخ ،

Scanned with CamScanner

وإذا فرّخت . . لابد وأن تظهر بذورها فتلد ، وتلد بماذا ؟ تلد ببنت ، أو تلد بولد ؟ أم تلد بماذا ؟

تلد بأنوار ، تلك الأنوار سمَّاها العلماء : مقامات وأحوال . يدخل الإنسان من المقام إلىٰ الحال .

فالمقامات يعبِّرون عنها بالأخلاق النبوية التي دعت إليها السنة المحمدية ، منها : التوبة أولاً . فإذا تاب الإنسان وعقد علىٰ التوبة ـ قالوا ـ دخل أول مقام في مقام الصلاح ، وهو مقام التوبة ، ولذلك المقام حال ؛ إذ يظهر أثره علىٰ القلب ليزج به إلىٰ المقام الثاني ، وإذا زج به إلىٰ المقام الثاني ، مقام الصدق . . ظهر عليه أثر الصدق ، وهو نور آخر يستشعره في القلب حتىٰ يصل إلىٰ مقام الرضا عن الله سبحانه وتعالىٰ ، ويسميه العلماء من المقامات : مقامات البقاء ، ومقامات الفناء . وله نور ، وما يزال النور يرد إلىٰ القلب :

هل سيأخذ به إلىٰ طريق الغفلة ، وهل سيأخذ به إلىٰ طريق المعصية ؟

هل بسيأخذ به إلىٰ طريق الاستهتار ؟ لا !

بل سيصرفه عن هـٰذه الطرق جميعها الصوارف التي تصرف .

قالوا : كثير من الصوارف تعوق المؤمن الذي عليه شيء من النور ، وتأخذ به إلىٰ العالم فتزج به إلىٰ مثل هـٰذه المجالس وتحرسه حراسها ؛ لأن كل مجلس له حراس ورعاة ، وله هداة ،

Scanned with CamScanner

وله ناس يقومون به ، ويقومون مع ذلك المجلس وعلىٰ ذلك المجلس ، من هم هٰؤلاء ؟

هٰؤلاء الذين وعدهم الله بالنصرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ .

قالوا : هٰذه الآية جمعت أربعين مقاماً ، لمن هي ؟ لكل واحد يبحث . كثير من مثل هٰذه الأشياء لا تأتي مباشرة يدركها الإنسان ، تحتاج إلىٰ كلام علماء ، تحتاج إلىٰ شيوخ ، تحتاج إلىٰ شرَّاح ، تحتاج إلىٰ مُسَلِّكين ، ما تُدرَك مباشرة ، ولٰكنها إذا دخل الإنسان معهم.. بورك له في ذلك المجمع : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ إلىٰ آخر الآيات .

والسلطان ـ كثير من العلماء قالوا ـ هو سلطان العلم . وسلطان العلم هٰذا هو مما اختصت به هٰذه الأمة المحمدية ، وهي الحكمة والرحمة التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ .

وقالوا : في معناها أو في ما يقرب : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ .

وهل هم يستوون ؟ لا! ما يستوون . الله سبحانه وتعالىٰ ذكر

لنا في قضايا العلماء : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وذكر لنا في قضايا الفساق : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ ما يتأتىٰ . مثل هٰذا الذكر لنا ، كثير من مثل هٰذه الأشياء :

قال تعالىٰ : ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ .

وبعد قال : ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لا ، ما يتأتىٰ أنهم يستوون ، بيّن لنا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . ومن كان يجلس مع العلماء كما من لا يجلس معهم ؟ يُدرِك مثل ما يدركه هٰذا ؟ لا يدرك .

هٰذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جيء به إلىٰ الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، فدعا له النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ببركة مجيئه ، دعا له بالعلم ، ودعا له بالحكمة ، وكان الحبرَ الكبير . وظهرت ينابيع الحكمة علىٰ لسانه وتفجرت من قلبه ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بسبب الدعوة النبوية . وهل يستوون الناس ؟ الناس ما يُدرِكون .

ففي مثل هٰذه المجالس تأتي رحمات وبركات يستفيدها الإنسان ويأخذ منها ، ولٰكنه ينبغي أن يأخذ اللب ؛ بحيث لا يخرج من المجلس إلا بنتيجة ، تلك النتيجة هي : أن يعقد

Scanned with CamScanner

علىٰ خلق من أخلاق محمد ، فيقول : الليلة أنا في ضيافة محمد ، في ضيافة النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، في ضيافة العلم حقه ، أنا في ضيافة كرمه ، أنا في ضيافة صبره ، أنا في ضيافة صِدْقه ، أنا في ضيافة صلاته . ويعقد عليها ويقول : الليلة سأبدأ . ويعينه اللهُ يسهِّل عليه .

أو أنه يسمع في المجلس كلمة من أحاديثه ، أو يسمع آية من كتاب الله العظيم والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، سيستفيدها . أو ينظر إلىٰ وجهِ صبيح ، فإذا نظر إلىٰ ذلك الوجه الصبيح . . أخذه النور وأخذه الجمال ، وسرىٰ به إلىٰ هَيَمان ، وسرىٰ به إلىٰ عالم من العوالم ، فأخذ في ذلك العالم في رؤيا أو في يقظة ، وأخذ به في محبة ، وأخذ به في اتباع ، وأخذ به معه حتىٰ يقوده ذلك الوجه الصبيح إلىٰ المقام البليغ فيُعَدَّ من أهل ذلك المقام ، ويقال فيه : « هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم » .

اللهم أسعدنا ، اللهم أسعدنا ولا تُشْقِنا .

اللهم إنا قد حضرنا رغبة في القرب منك ، ورغبة في سماع كلام رسولك صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ورغبة في اتباع علمائنا ، ورغبة في الاهتداء بهديهم ، ورغبة في التوبة الصادقة إليك . . اللهم اقبلنا علىٰ ما فينا . اللهم انفعنا ، وأصلحنا وأصلح بنا ، وأصلح ولاتنا ، واحفظنا يا رب من مضلات الفتن ، ومن كل بلاء عم ، ظاهراً وباطناً ، واحفظ الحرمين

Scanned with CamScanner

الشريفين ، وأقمها يا رب وأقمنا يا رب مقام من أحببته ، واجعلنا ممن أحَببته ، وأدخلنا دائرة من أحببته ، وأعنا على ما تريد .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *



فاتحة

ورتّب سيدي ـ حفظه الله ـ هٰذه الفاتحة في مساء السبت ، الثاني من أيام رمضان المبارك ، أربعة وأربع مئة وألف في الروحة التي يعقدها بمنزله العامر .

فبعد الانتهاء من القراءة والاستغفار قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أسال الله العظيم سبحانه وتعالىٰ أن يعطينا في هٰذه الساعة الآمال ، ويكتبنا في ديوان الكُمَّل من الرجال ، ويجعلها ساعة قبول ، ويجعل الصيام مقبولْ ، والقيام مقبولْ ، ويؤهلنا للصيام والقيام ، ولمعرفة القرآن ، ولتلاوة القرآن ، وللأخذ بالقرآن ، ولأسرار القرآن ، ولما في القرآن من عطايا وتحف وإحسان .

وأسأله سبحانه أن يفتح لنا بابها ونأخذ منها ونغترف ، وندخل إليها ونلتحف .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يكتبنا وإياكم في ديوان أهل الكمال ، ويعاملنا معاملته للرجال الذين ما تخلفوا عن الاتباع لنبيه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ مولىٰ بلال ، وأن يعيننا علىٰ ما طلبه منا ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

فاتحة

ورتب هذه الفاتحة مساء الأحد ، الثالث من رمضان المبارك ، عام (١٤٠٤هـ) .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

الفاتحة أن الله يكرمنا وإياكم بالقبول ، ويجمعنا بالرسول صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ويقربنا من السلف الفحول ، ويرزقنا العمل والصدق فيما نفعل وفيما نقول ، ويجعلنا من خيار عباد الله الذين اصطفاهم لعبادته وقرَّبهم بإرادته .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يكتبنا من صوام هٰذا الشهر وقُوَّامه وعتقاه من النار ، وأن يطلعنا علىٰ خيراته ، وعلىٰ كنوزه ، وعلىٰ مبراته ، وأن يحفظنا فيه ، وأن يجعله شاهد لنا لا شاهداً علينا ، ويُشهِدَنا ليلة قدره ، ويجعلنا ممن حضرها وظفر بها ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

فاتحة

ورتب سيدي هٰذه الفاتحة العظيمة في آخر روحة أقامها بمنزله في رمضان ، مساء الأحد ، الخامس والعشرين من رمضان (١٤٠٤هـ) .

وبعدها توجه إلىٰ (المدينة المنورة) لقضاء بقية رمضان وأيام العيد في ضيافة الحبيب صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

الفاتحة لنا ولكم وأن الله يختم لنا شهر رمضان بالخير ، ويجعلنا من أهل الخير ، ويعاملنا معاملته لأهل الخير .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل لنا في كل تَنَزُّل علىٰ صالح أو علىٰ ولي ، أو علىٰ أهل المسجد ، أو علىٰ أهل مأثرة ، أو علىٰ قُرّاء القرآن ، أو علىٰ الذاكرين أو علىٰ الشاكرين ، أو علىٰ الصابرين .

أسأله تعالىٰ أن يقسم لنا ولأولادنا فيه نصيبٌ ، ويجعلنا فيه وعنده من الحاضرين ، ويكتبنا من الشاكرين المشكورين ، ويؤيدنا علىٰ النفس ، ويجعل قيامنا وعملنا وقليل ذكرنا ـ إن شاء الله ـ عند الله مقبولْ ، ويطلعنا علىٰ ليلة القدر ويُشهِدنا ما فيها ، ويجعلنا من أهليها ومن حاضريها ، ويجعلنا وإياكم من العائدين الفائزين برضاء رب العالمين ، ويعتقنا في هٰذا الشهر .

Scanned with CamScanner

اللهم إن لك عتقاء ونقذاء وأجراء وطلقاء من النار ، وإنَّا نسألك أن تجعلنا من عتقائك في هٰذا الشهر ، ومن نقذائك في هٰذا الشهر ، وممن لطفت بهم في هٰذا الشهر .

اللهم وما أجريته معنا من عادات . . فأجره معنا في بقية العمر .

اللهم وكما حفظتنا في رمضان . . فاحفظنا فيما بعده ، واحفظه لنا ، واجعله شاهداً لنا لا شاهداً علينا .

اللهم وما تلوناه فيه من قرآن أو ذكر أو صلاة . . فاجعلها سارية دائمة مستمرة لا تنقطع في غير رمضان ولا تتأخر ، أعنا علىٰ ذلك فإنك أنت المستعان وأنت المعين ، يا رحمٰن ، يا حنان ، يا منان .

اللهم كما كلأتنا بالعافية وحفظتنا عن الشر . . فاجعل نظرنا ووجهتنا كلها إليك ، واجعل القلب متوجهاً عليك ، واجعله دائماً معك وعندك في كل حال ، ومع نبيك صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ وعنده في كل حال .

واغفر اللهم لنا سوالف الذنوب وسوالف الإجرام ، واكتبنا يا علام ممن قام وممن صام أحسن القيام وممن أحسن الصيام .

اللهم وبَلِّغ والدينا في برازخهم من أخبارنا ما يسُرُّهم ، ولا تحملهم من أوزارنا ما ينوؤهم ، ووَسِّع لهم في برازخهم وفي قبورهم واشرحهم فيها ، واجعلنا كذلك نحن من أهل التوسعة إذا

Scanned with CamScanner

وصلنا إلىٰ البرزخ ، وَسِّع لنا فيه ، وأدخل علينا وعليهم الرَّوح والريحان ، والفسحة والأمان ، والبشارة والرضوان ، يا حنان ، يا منان ، يا قديم الإحسان . لك عادات أجريتَها مع مَن قبلنا من خيار الصالحين ، ومع كثير من هٰذه الأمة . . نسألك أن تجري لنا منها علىٰ أحسنها وعلىٰ أفضلها ، وعلىٰ أكملها وعلىٰ أشملها ، وعلىٰ خيرها .

ونسألك أن تجعلنا من خيار الخيار ، وتجعلنا ممن تبع النبي المختار وآله الأبرار ، وسار في ذلك السبيل علىٰ منهجهم .

اللهم واسلك بنا منهجهم ، وخذ بنا إلىٰ هديهم ، واجعلنا معهم وفيهم ومنهم .

اللهم وما أنزلتَه علىٰ قلوبهم أو جعلته فيها من رحمة أو بركة نشرتَها أو ولاية أو صلاح . . فنسألك اللهم إلا ما جعلته فينا وفي أولادنا وفي أهلينا ، وفي هٰؤلاء وأولادهم وأهليهم .

نسألك أن تجرينا علىٰ كل جميل من عاداتك التي أجريتَها عليهم ، وأن تجعل باقي العمر خيراً من أوله ، وأن تجعلنا فيه محفوظين ، وباقي الشهر اجعله مصروفاً في طاعتك واجعلنا فيه محفوظين ، وأوزعنا فيه بشكر النعمة ، واجعلنا فيه قائمين ، واجعلنا فيه علىٰ العمل مستديمين وفي غيره حتىٰ نلقاك يا رب العالمين .

اختم بخير ، ونسألك الخير ، ونسألك أن تجعلنا من أهل الخير ، وتربطنا بأهل الخير . ولا تجعله آخر العهد من هٰذه

Scanned with CamScanner

المجالس ، ولا من هٰذه العزايم ، ولا من هٰذه الخيرات ، ولا من هٰذه البركات ، ولا من هٰذه الساعات ، ولا من هٰذا الشهر العظيم . اجعلنا فيه ـ يا مولانا ـ ممن أدرك النعيم ، وممن ظهر عليه سر التكريم مع كل كريم ، وممن قَبِلْتَه ، وممن رحِمْتَه ، وممن أعنته ، وممن أخذت بيده ، وممن استرحمك فرحمته ، وممن جعلته من المقربين . اكتبنا في ديوانهم ، واجعلنا منهم ، وأوردنا مواردهم ومشاهدهم ، واجعلنا بها قائمين ولها شاهدين وذاكرين ، ولنعمائك يا مولانا شاكرين ، في خير ولطف وعافية .

اللهم واغفر لموتانا ، واجعلهم منعَّمين في برازخهم ، ظاهراً وباطناً .

واغفر اللهم لنا ، وكن لنا ولياً ومؤيداً ، واحفظنا من الزيغ ، واحفظنا من التعويق ، واحفظنا من الضر وأهل الضر ، ومن البلاء وأهل البلاء ، وألْقِ علينا وقاية كما ألقيتها علىٰ مَن قبلنا ، واجعلنا محفوظين دائماً ، ملحوظين دائماً ، مسعودين دائماً ، موفقين دائماً ، قائمين بشكر نعمك دائماً ، قائمين بالصلوات التي أمرت بها دائماً ، قائمين بالنعم دائماً ، ظاهراً وباطناً ، في خير ولطف وعافية . وأحسن الخلافة في أولادنا وأهلينا وبناتنا ، وإخواننا وأصحابنا ، واجعلنا خلفاء لمن قبلنا من آبائنا وإخواننا .

اللهم وما كان يتنزل في هٰذا الشهر العظيم ، وما كنتَ تتجلىٰ

Scanned with CamScanner

به ، وما كنت ترحم به من رحمت ممن أعطيت وممن أبقيت وممن تكرمت . . نسألك اللهم إلا ما كتبت لنا قسماً وافياً ، وسهماً جزيلاً كافياً من كل خير أنزلته ، ظاهراً وباطناً .

ونسألك الختم بخير وفي خير . وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

وبعد قراءة الفاتحة جمع الدعاء ، وقال ـ حفظه الله ـ :

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد حبيبك وشفيعك ، والإمام الذي جعلته إماماً لكل إمام . أسألك اللهم إلا ما جعلت إحرامنا مع إحرامه ، وجعلته قبلتنا في كل شيء ، وجعلته دليلنا في كل شيء ، وحفظتنا به من كل ضر ، وحفظتنا به من كل بلاء ، وأنعمت علينا بالنظر إلىٰ وجهك وإلىٰ وجهه ، وبرؤياك وبرؤياه ، ظاهراً وباطناً ، مع الحفظ .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

Scanned with CamScanner

النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره بالإجماع ويرد السلام وعلى الزائر أن يقف بأدب وفي حضرته يعظم الرغبة ويقدم المطالب العالية والأخروية ثم الدنيوية

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في جلسة عواده بمحل إقامته بفندق الحرم بـ(المدينة المنورة) فبعد صلاة العصر بمسجد الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّمَ توجه كثير من الآباء والإخوان إلىٰ الفندق ، واجتمع خلق كثير بصالة الفندق . وذلك مساء يوم الجمعة ، أول يوم في شوال عام (١٤٠٤هـ) الموافق (٢٩) يونيو عام (١٩٨٤م) .

وبَدَأ الجلسة الأخ محمد خرد ، وأنشد قصيدة للحبيب علي الحبشي ، ثم أعقبه الأخ محمد بن طه بن عبد الله السقاف[1] ، ثم علوي بن شيخ الحبشي ، ثم الحبيب سقاف بن زين بلفقيه أنشد من « الرشفات » ، وختمها أستاذنا الوالد محمد بن شيخ المساوىٰ ، فأنشد من « الهمزية » .

بعد ذلك تكلم حبيبنا بهٰذه الكلمة القيمة ، نفعنا الله بها ، ونفع كل قارىء وسامع وكاتب لها ، آمين .

قال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أنسب ما يقال في هٰذا المجلس : ما سمعتوه في كلام الحبيب محمد المساوىٰ فيما أتىٰ به عن الإمام البوصيري :

---

(١) تولى الإمامة بمسجد طه بسيون وفي ليلة الجمعة ١٩ رمضان ١٤٢١ هـ صلى إماماً بالناس صلاة العشاء وتوفي في تلك الليلة رحمه الله .

Scanned with CamScanner

إن لله رحمةً وأحقَّ الناس منه بالرحمة الضعفاءُ

إذا لاحظ الإنسان تقصيره وعجزه وضعفه ، وعدم ما كان يقدر عليه مما كان عليه آباؤه مما أهمله هو . . وَجَد الأسباب تيسرت بواسطة الرحمة . ساقكم القضاء إلىٰ البلاد المكرمة ، ويسر لكم أسباب الرحمة وأسباب الدعة ، وأسباب المواصلة ، وأسباب الخير وأسباب البركة ، حتىٰ كأن الواحد إن كان في طيارة . . كأنه في منزله ، وإن كان في سيارة . . كأنه في منزله ، ما يشعر بأدنىٰ تعب قط أبداً .

ثم وصولكم إلىٰ هٰذه البلدة الشريفة ما هو من السهل . إذا استشعر الإنسان أنه دخل علىٰ الحبيب، صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، والحبيب بالإجماع أنه لا يزال حيٌّ في قبره ، وأنه يرد علىٰ كل مسلِّم سلامه ويستشعر صلاة كل مصلي عليه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ . هٰذه نعمة كبيرة سيقت إليكم بواسطته صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأن رسالته رسالة الرحمة ، ومن الرحمة : ما ربما تسمعونه كثيرٌ مني أو من غيري تفسير آية قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

قال المفسرون ـ رحمهم الله ـ : إن الخصام ما يأتي إلا للأثرة ، وإلا للمال ، وإلا للأنانية ، وإلا للمظهر ، وإلا للأشياء هٰذه التي تكون في مقتضيات البشرية وفي مقتضيات هٰذه الدار ، أما الدار الآخرة ، والملائكة ما هم محتاجين للخصام ولا هم محتاجين لشيء من مثل هٰذه الأشياء قط أبداً ، لٰكنه ورد حديث

Scanned with CamScanner

في البخاري - أورده الإمام البخاري رحمه الله - يحكي عن الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، خلاصة آخر الحديث هٰذا : أن الملائكة تختصم في نزولها من السماء إلىٰ هٰذه البقاع المطهرة ، وإلىٰ مجالس العلم ، وإلىٰ منازل السكينة ، وإلىٰ حيث تغشىٰ الرحمة ؛ لأن مجالس العلم هٰذه كما حكىٰ لكم النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ : «ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده» .

الحديث الثاني : «أن لله ملائكة سياحة يطوفون بالأرض ، فإذا وجدوا مجلساً من مجالس الذكر . . قالوا هَلُمَّ ؛ يعني نادَوا أصحابهم ، وقالوا : هَلُمَّ إلىٰ بُغْيَتِنا» .

وبُغْيَتهم هي : مجالس الذكر . يعطيكم صورة علىٰ أن الملائكة تغبط البشر الذين كانوا مع الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ أو تبعوا الحبيب ، أو مشوا علىٰ قدم الحبيب ، أو جاؤوا إلىٰ دار الحبيب . والوصول إلىٰ هٰذه الدار هل هو من السهل ؟ ما هو من السهل ، لٰكن إذا سيقت النعمة للعبد وتهيأت وتيسرت . . ماذا ينبغي له ؟ أن يتركها !

هل ينبغي له أن يدعها ؟ لا ، بل ينبغي له أن يغتنمها ويقتنص فرصها ؛ فإن الفرص ما تكون دائماً ، الإنسان عرضة للعجز ، عرضة للمرض ، عرضة للفقر ، عرضة لكثير من الأسباب التي من مقتضيات البشرية ، فإذا اغتنم الإنسان الأيام التي كان فيها نشيط وكان فيها تيسير له وكان فيها مقدرة له . . أخذ منها نصيب .

Scanned with CamScanner

والنصيب هٰذا إلىٰ أين يأخذ به ؟ يأخذ به إذا جاء إلىٰ هٰذه الدار ، ووقف إلىٰ الحجرة الشريفة وأمامها حيث تردد جبريل عليه السلام ، وترددت الملائكة ، وترددت الأنبياء وترددت المرسلون ، وسَلَّم علىٰ الحبيب في بقعة طاهرة مقدسة محقق أن الحبيب أمامه - هٰذه نعمة لكم - فيسأل أي شيء .

إذا كنتم تلتمسون - مثلاً - من ولي تعتقدونه ، أو من حبيب تزورونه ، أو من مقرب تشهدونه ، أو من صالح . . فكلهم يأخذون من هٰذا المكان ، وكلهم من عند هٰذه الحجرة ومن هٰذا القبر الشريف يلتمسون ، وإليه يأوون وعليه يدورون ، وحوله يهرعون . . عليه الصلاة والسلام . خذوها والتمسوها منه عليه الصلاة والسلام .

ويسأل الإنسان مطالبه ، ثم يعظِّم الرغبة ، ويجعل المطاليب عالية ، إنما المطاليب الدنيوية أو مطاليب العافية ، أو مطاليب الولد أو مطاليب البنت ، أو مطاليب الدنيا . . يأتي بها فيما بعد . يسأل أولاً : أن يأخذ له نصيبٌ من أخلاق الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، فيصبح وعليه كسوة ذلك النصيب ، عليه تلك الخلعة . وإذا قَدَر وسأل الله سبحانه وتعالىٰ ، وهو المعطي ؛ لأنه يقول لكم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ في أي مكان تجده ، وقُرْبه في هٰذا المكان أعظم وأعظم وأعظم ، وأكثر وأكثر وأكثر ، وأولىٰ وأولىٰ وأولىٰ .

فليعظِّم الرغبة وليطلبها ، لا يهون ، ثم لِيَصْدُق فيها .

Scanned with CamScanner

لا يأتي ولا يدخل من الباب العظيم إلا بتوبة أولاً يقصد بها الباب ؛ حتىٰ تكون التوبة تغسل عنه أوساخه ، فإذا غسلت أوساخه . . كان مقرَّبٌ ، وإذا كان مقرب . . قبلته الملائكة الذين علىٰ الحضرة والبوابين والحراس .

الغزالي ـ رحمه الله ـ يضرب لنا مثلٰ في المقربين ، هٰؤلاء الصالحين ، قال :

مثال هٰؤلاء الصالحين ، وهٰؤلاء الفريق الثاني ـ الذين غفلوا عن الله وغفلوا عن ذكر الله ، وغفلوا عن الأعمال التي تقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، وشغلتهم دنياهم أو شغلهم لهوهم ، قال : هٰؤلاء المقربون ـ مثال جلساء المَلِك ، ما عليهم حجاب حينما ما يدخلون .

والملوك الموجودون الآن أعطوكم صورة ، ما يقدر الإنسان يدخل علىٰ الملك أو يدخل علىٰ وزير هٰكذا مباشرة ؛ لأن علىٰ أبوابهم حراس ، فإذا أردت أن تدخل . . يسألك : ما حاجتك ؟ ماذا تريد أن تعمل ؟

قال الغزالي : كذلك علىٰ أبواب المولىٰ سبحانه وتعالىٰ حراس . أما المقربون هٰؤلاء ، وهم خاصة المَلِك ، هٰؤلاء يدخلون عليه متىٰ شاؤوا ، وأي وقت شاؤوا ، وفي كل مدخل ، يَحْبُوهم بحَبْوَة ويكرمهم بعطية ، وإذا أكرمهم بالعطية . . قال : ما أجمل هٰذه العطية ، وما أجملها فيكم!

قالوا له : كله منك ، نحن ما معنا شيء ، لٰكنه كله منك .

Scanned with CamScanner

قال : والفريق الثاني مثالهم مثال من يغسل المراحيض ، هٰذه لا تزال عالقة بأثوابه وبجسمه أوساخها ونجاستها وعفونتها وما يكون منها .

قال : فإذا حدثته نفسه أن يدخل إلىٰ حضرة الملك ويطلع إلىٰ تلك الحضرة. . قال له البواب الأول : تعال! إلىٰ أين تريد ، وفي أي حضرة باتدخل ذا الحين ؟ هٰذه حضرة لا يدخلها إلا المطهرون ، ارجع وطهر نفسك أولاً ، اغتسل وغسل ثيابك ، ولا تأتي إلا وأنت طاهر ، وإذا جئت وأنت طاهر. . قدم نفسك واستأذن ، فإذا أُذِن لك. . فادخل . إشارة إلىٰ أنه ما يسهل لهم الدخول .

ونحن ينبغي لنا ـ كما ذكرنا ـ أن لا يكون الإنسان في غفلة وتأخذه ولا يدري بنفسه . إذا دخل (المدينة المنورة) والبلدة الطاهرة وطابَة التي سماها الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ. . فليطيِّب نفسه ، لا يدخل إلا بتوبة أولاً طاهرة ويسأل الله قبولها ، فإذا سأل القبول. . فليدخل من الباب وليطلب الحاجة ، وليصلي علىٰ الحبيب ويقف . وكثير ممن قبلكم هٰؤلاء المقبولون الذين فُتحت لهم الأبواب ، تسمعون أنتم بقصة الرفاعي ـ رحمه الله ـ كان مقرَّبْ ، لما دخل علىٰ الحضرة. . أنشد هٰذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبِّل التُربَ عني وهي نائبتي

وهٰذه دولة الأشباح قد حضرت فامدُدْ يمينك كي تحظىٰ بها شفتي

Scanned with CamScanner

قالوا الرواة : ظهرت اليد الشريفة وقبّلها الشيخ الرفاعي علىٰ ملأ من الناس ؛ لأنه من أهل الحضرة ، صلح له ذلك .

وكانوا يقولون : إن أحد شيوخكم وآباؤكم الكبار المتقدمون ـ وفضل الله ما ينقطع لا يزال الفضل يهمي سائبه وخيره وبركته ـ جدكم علي بن علوي خالع قسم ، كان شيوخ أهل السير يذكرون أن هـٰذا الشيخ إذا سلم علىٰ النبي في صلاته وهو في (حضرموت) والحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ بـ(المدينة) إلا أنه ملأ الوجود لا يحجبه شيء ، لا هواء ولا تراب ، ولا طين ولا بيوت ، ولا بُعد ، ولا شيء قط من هـٰذا . يسمع الرد من الحضرة الشريفة ، يقول له : وعليك السلام يا شيخ . أثبتها لكم الإمام الحداد وهو الصادق ، قال :

رد الرسول عليه مثل سلامه يا شيخ فأَعْجَبْ للفخار الأجمع

وفي القصيدة الأخرىٰ :

وبالشيخ من رد الرسول سلامه وكان يصلي هـٰكذا بدوام

يعني : كانت هـٰذه المنقبة دائمة لهـٰذا الإمام الكبير .

وكانوا يقولون : إن أبوكم علوي ابن الفقيه المقدم كانت له واقعتان :

واقعة لما وقف حول الشباك الأعظم . أخذته حالة .

وقال عبد الرحمـٰن بن مصطفىٰ العيدروس في كتاب « شرح نصيدة العدني » :

Scanned with CamScanner

هاتِ يا حادي فقد آنَ السُّلُوْ

هذا مطلع لقصيدة الإمام العدني .

قال : إنه زيق ساعة وفسرها هو بن مصطفىٰ ، قال : أدخل رأسه في جيبه ووطّأ رأسه علىٰ جيبه ، ثم رفع رأسه وقال : في هٰذه الساعة أُشهِدْتُ رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، فقلت له : يا سيدي يا رسول الله ، ما منزلتي عندكم ؟

قال له : منزلتك يا علوي عندنا في العين .

قال : وقال لي رسول الله : وأنا ما منزلتي عندكم ؟

قال : قلت له : منزلتك عندنا علىٰ الرأس .

قال لي أبو بكر الصديق : ما أنصفت جدك يا علوي ، يضعك في العين وتضعه في الرأس .

قال له : ما وجدت إلا هٰذا .

قال : عليك شكرانية للفقراء .

قال : خرج من المواجهة ولم يكن في يده شيء ، ولٰكن بعض أحبابه أو المرتبطين به ناوله مئة دينار ، فقال لأحد خدامه : خذها وفرقها شكرانية علىٰ الفقراء .

شكرانية لماذا ؟ لاجتماعه بالحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، ما هو بسيط هٰذا الاجتماع .

وكان يحكي كذلك أهل السير ما حصل للإمام الكبير حامد بن

عمر بن حامد - إمام مسجد باعلوي بـ(تريم) - الذي يقولون فيه [١١٢٥/ ١٢٠٩] :

مسجد باعلوي شُرِّف به . أي : كل من صلىٰ في هٰذا المسجد كإمام . . تشرف بإمامته في مسجد باعلوي إلا حامد بن عمر ؛ فإنه زان به المسجد زينة إلىٰ زينة .

قالوا : إنه لما حج ووصل (المدينة المنورة) ، وأراد أن يدخل . . وجد المسجد مزحومْ بالناس ، فجلس في أخريات المسجد ، فجاء واحد يقوم من حول الشباك ويتخطىٰ الناس ، ويسألهم : أفيكم حامد بن عمر ؟ أفيكم حامد بن عمر ؟ أفيكم حامد بن عمر ؟ حتىٰ وصل إلىٰ آخر المسجد .

فقال له : لبيك ، أنا حامد بن عمر ، ما شأنك ؟

قال له : جدك رسول الله يقول لك : ادخل إلىٰ تحت الشباك ، أنت يصلح لك القُرْب ؛ لأنك من أهل القرب . فدخل وأخذ يتخطىٰ الناس حتىٰ وصل إلىٰ الرتبة .

كان الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب شيخ المتأخرين يقول : حامد بن عمر مخطوب ، والرفاعي خاطب . مقامين كبيرين يُعرَف الفرق ما بينهما ، وكل واحد منكم في إمكانه أن يكون مخطوب إذا صدق إذا تيسر له .

وفي المتأخرين كذلك كثير منهم : هٰذا الحبيب علي بن محمد الحبشي شيخنا في المتأخرين ، قال : إنه كان في (المدينة

المنورة) وقرأ أو سمع شيئ من هٰذه الأخبار ممن يجتمع بالحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ، فعقد العزم علىٰ هٰذه النية ـ ولٰكنه معلوم مخطوب ، طاهر الذيل ، بريء من هٰذه التقصيرات والغفلة التي شملتنا ـ واجه الحجرة الشريفة علىٰ هٰذه النية ـ قال ـ : فتشخّص له عمود من نور ظهرت منه ذات الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ ، ثم قالت : يا علي ، أما ترضىٰ أن تكون أعمالك وأعمال أصحابك مقبولة ؟

قال : قلت : بلىٰ ، وتأخرت من هيبته صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ .

هٰذه منقبة كبيرة جم ، ومنقبة عظيمة جم! هٰذا إلا متأخر ، هٰؤلاء الحاضرون كلهم قد أدركوا زمانه .

وكان فيما يخبر الحبيب عبد الله بن علوي الحبشي ـ والد الأخ عطاس حبشي هٰذا ـ قال : لما جئت إلىٰ (المدينة المنورة) سَلَّم علَيَّ واحد ، وقال لي : أنت علوي من العلويين ؟

قال : قلت له : نعم!

قال لي : حضرمي ؟

قال : قلت له : نعم!

قال لي : أتعرف السيد علي الحبشي ؟

قال : قلت له : علي الحبشي من ؟

قال : علي بن محمد الحبشي في (حضرموت)!

قال قلت له : هٰذا شيخي ، لماذا تسأل عنه ؟

قال لي : تعرفه ؟

قال : قلت له : نعم .

قال لي : في بلدك هو ؟

قال : قلت له : في بلد قريبة من بلدي ، ما خبرك أنت وإياه ؟

قال لي : إذا وصلت إليه . . سلم عليه ، وقل له : فلان يسلم عليك .

قال : قلت له : وأنت تعرفه من أين ؟

قال : كل يوم يصلي إلىٰ جنبي في هٰذا المكان .

هٰذا الحجاب والبعد كله ارتفع : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ .

ارتفع الحجاب واتصل ، معاد في ذلك شك . .

قال الحبيب عبد الله : لما خرجت ووصلت إلىٰ (تريم) وثبي بلدي . . جلست أيام ، وبعد جلوسي مررت إلىٰ عند الحبيب علي ووجدت مجلسه غاص بكثير من العلماء والأولياء ، وتلامذته وشيوخه ، ومنهم ممن حضر المجلس : الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، الإمام الكبير الثاني .

قال فرح بي ، وقال لي : رتب الفاتحة يا عبد الله .

بعد ما رتبت الفاتحة قال لي : عساك شفت صاحبنا ؟

معاد احتاج إلىٰ أن يقول له : ما هو خبرك من (المدينة) ؟

قال له : عساك شفت صاحبنا ؟

قال له : من هو صاحبكم يا علي ؟

قال له : الذي كلمك وسألك عني ·

قال له : نعم ، شفته !

قال : أخبر الناس بالقضية ·

انظروا إلىٰ المراتب الكبيرة ، هٰذا قريب عهد ، ماشي مدة زمنية طويلة فيما بيننا وبينه ·

قال له : نعم ، لقيت واحد وسمىٰ نفسه وسألني عنك ، وقال لي : بَلِّغه السلام . وقلت له : من أين تعرف الحبيب علي هٰذا ؟

قال لي : كل يوم يصلي إلىٰ جنبي في هٰذا المكان وأجتمع به ·

استكبرها الموجودون ، قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس : ما هي كبيرة علىٰ الحبيب علي حبشي هٰذه ؛ لأن الرتبة كبيرة جم ·

ومقصودنا كله من هٰذا الكلام : أن يجعل الإنسان له نية صالحة ، فالباب مفتوح ما فيه حجاب قط أبداً ، وأنتم في الحضرة وفي (المدينة) طَابَة ، هٰذه التي سماها هو صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ . أماكن مشىٰ فيها بقدمه صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، أماكن مشىٰ فيها بين أصحابه ، وحجرته هٰذه التي كان

Scanned with CamScanner

يسكنها محقَّق ، ما أحد من العلماء أنكر شيءً من هٰذا أو ارتاب وقال : ما هو هٰذا محل داره أو قبره أو روضته صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ قط أبداً .

هٰذه هي حجرته ، وإذا وصل الإنسان إلىٰ الحجرة . . وصل إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وصل إلىٰ الغاية الكبرىٰ ، وصل إلىٰ السعادة الكبرىٰ ، وصل إلىٰ المرتبة التي يطلبها . كان الذين قبلكم - الذين ابتدأنا الكلام عنهم - ما تيسر لهم ، كان الواحد يتمنىٰ أن تكتحل عينه برؤية المسجد هٰذا أو المحراب هٰذا ، أو الروضة هٰذه أو الحجرة هٰذه ، أو الوصول إلىٰ هٰذه البلدة ، ما تيسر لهم ثم لما علم الله العجز ، وعلم الله الضعف ، وعلم الله الحال ، وعلم الله التقصير . . قال : هٰذه أمة مرحومة ، وهو كتب علىٰ نفسه الرحمة ، وأعطاكم إياها وجعلها لكم خاصة ، سهل لكم الأسباب ويسرها ، ويسر لكم الرحلة ، وأخرجكم من بيوتكم كارهين ، فإذا أنتم في نعمة وراء نعمة ، وراء نعمة ، وراء نعمة من النعم العظيمة ، فأعطوها حقها .

يا إخواني كل واحد منكم إذا خرج إلىٰ المسجد . . ينتبه من نفسه ؛ فهٰذه أماكن وقف فيها جبريل - بدون شك وبدون ريب - ووقفت فيها الملائكة ، وعلىٰ قبره حراس يحرسونه صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ، وعلىٰ حافات المدينة حراس من الملائكة تحرسها وتحرسه صلوات الله وسلامه عليه ، وعليه هيبة عليه الصلاة والسلام لا يقدر أحد أن يصله أو يصل شيءٌ مما يودُّه أَحَد

Scanned with CamScanner

من أعدائه ؛ لأن الله أنزل عليه : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ .

ذكر أهل الحديث وأهل السير أنه في كل ليلة في أيام حياته حد من أصحابه يبيت حول داره ، فكانت تلك ليلة شاتية شديدة البرد ، فسأل الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ من سيحرس الليلة ؟ فسكت أصحابه .

فسأل ثاني مرة : من سيحرس الليلة ؟ فسكت أصحابه .

فسأل ثالث مرة : من سيحرس الليلة ؟

فقال له ابن الزبير : أنا أحرس . فرأىٰ فيها شدة ، والله يعلم ويشهد ، ورأىٰ فيها شيء ثقيل علىٰ أصحابه من شدة البرد وألمه مما لا يقدرون عليه ، فنزلت عليه الآية وهو في هٰذه الحجرة الشريفة ، فقام علىٰ الباب وقال : يا عبد الله بن الزبير - وهو ابن عمته صفية - ويا فلان الرجل الثاني ، ارجعا إلىٰ بيوتكما فبيتا ولا تحرساني ؛ فقد نزلت عليَّ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ .

انتهىٰ القول ، ولا تزال العصمة سارية ، لا يقدر أحد يتعرض ولا يقدر أحد يصله بأذىٰ .

فما عليكم - يا إخواني - إلا أن تعطون هٰذه النعمة حقها . واغتنموا هٰذه الفرصة ، فرصة ثمينة سيقت إليكم ، فيها بايدرك الإنسان مطالب الدين ومطالب الدنيا ، ومطالب أولاده ومطالبه ، وبايدرك فيها السعادة الأبدية .

ثم أيام رمضان ، هٰذا الشهر العظيم الذي قال لكم العلماء -

Scanned with CamScanner

رحمهم الله ـ : إن هٰذا اليوم ـ أي : عيد الفطر المبارك ـ منسوب إلىٰ رمضان ، والعيد منسوبة إلىٰ رمضان ؛ لأنها تخرج ملائكة إلىٰ أفواه السكك وتسير إلىٰ المؤمنين وتعطيهم جوائزهم بأيديهم . كان كثير من السابقين يخرج في السكك يمشي ، فيقولون له : ما بالك تتردد في الشوارع ؟

قال : أريد أن أصافح الملائكة ، وأستلم منهم الجائزة .

حديثها صحيح ، ما فيه شيء من الريب ، وكل واحد منكم إذا استشعر ، وإذا خلا عن الحجاب وشاهد ، هٰؤلاء يشاهدون ، قال الشاعر :

حجابك منك وما تشعُرُ ودائُك فيك وما تُبْصِرُ
وتزعُمُ أنك جِرْمٌ لطيف وفيك انطوىٰ العالَم الأكبر

فخذوا لكم ـ يا إخواني ـ بفرصة قليلة حتىٰ تصلون بها ويرتفع عنكم الحجاب وينقشع عنكم الران هٰذا ، ولا ترجعون ـ إن شاء الله ـ إلىٰ دياركم وأعمالكم ومنازلكم إلا بسعادة كبيرة ، وخير كبير ورضا كبير ، وقبول كثير . وحسبكم أنكم صمتم كَمْ أيام في (المدينة) وشهدتم شيْءً من رمضان في (المدينة) والنبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ يحكي لكم عن ربكم : « كل عمل ابن آدم له ـ لا لي ـ إلا الصوم ؛ فإنه لي وأنا أجزي به » .

وكم يقدِّر ثواب العطاء الذي يجيء من ربكم ؟

هل هو كما عطاء المخلوق ؟ هٰذا يعطي شيْءً من الأشياء

التافهة أو لا يعطي ، أو يكرم أو لا يكرم . هـٰذا عطاء ربكم لا ينتهي ؛ لأنكم أنتم في عطاه ، لـٰكن العطاء الذي هو بنفسه يَذكره غير العطاء من النعم التي أسبغها عليكم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ .

هـٰذا عطاء ثاني ، والإنسان حيث ما بغىٰ العطاء ذا يدركه . وبعضهم يستلم مباشرة ، وبعضهم عاد التأهل عندهم قاصر ، يُحفَظ له هـٰذا العطاء ، حتىٰ إذا وصل إلىٰ مرتبة التأهل . . قالوا له : شف قسمك محفوظ لك من ذلك الوقت .

كل واحد منكم يحرر له نية ؛ حتىٰ يستلم عطاه ، وحتىٰ يستلم خيره ، وحتىٰ يستلم بركته ، وحتىٰ لا يرجع إلىٰ داره إلا بعطايا كبيرة ونعم غزيرة ، ومنن جسيمة وبركات كثيرة ، أيسرها ـ كما نذكره لكم ـ : أن الواحد يطلب من الله القبول ، ويطلب منه أن يديمه علىٰ عمله في رمضان .

كنتم تقرؤون في رمضان ما يسَّرَه الله لكم من قراءة القرآن ، فلا يتركها الواحد ، يؤلف ويعاهد نفسه من اليوم علىٰ أنه بايقرأ له أقل ما يقدر عليه ، جزء أو نصف جزء . أما أن يترك قراءة القرآن وهاجِرُه من رمضان إلىٰ رمضان . . لا ينبغي له . أو أنه يترك صلاة الجماعة في غير رمضان ، وما يبالي : صلاها جماعة أو ما صلاها جماعة ، أو يحافظ علىٰ الراتبة في رمضان ، وفي غير رمضان يستوي عنده أدىٰ الراتبة أو ما أدىٰ الراتبة . . لا ! بل ينبغي للإنسان أن يكرم نفسه بأن يقول : أنا باأربط علىٰ نفسي

Scanned with CamScanner

بأقول : خَلَفْت النبي صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ في هٰذا ، عملت عَمَل النبي ، بغيت الخلعة هٰذي حقها .

كل شيء له خلعة ، قال شارح « الرسالة القشيرية » يذكر لنا أن فيه واحد من الصوفية ـ ونحن عرفنا شيوخنا ، هٰؤلاء كلهم علىٰ مثل هٰذه الوتيرة ، ما انقطعت أعمالهم ولا صلواتهم ولا قرآنهم ، ولا دينهم ولا دنياهم ، كل واحد عنده قسم من الدنيا بين قليل وكثير قانع به ، هُوْذا الذي يسَّرَه الله له ـ قال شارح « الرسالة القشيرية » : إن واحد من الصوفية دخل إلىٰ مسجد ووجدهم في العشر الأواخر من رمضان يبكون ، قال لهم : علىٰ ماذا يبكون هٰؤلاء ؟

قالوا له : يبكون علىٰ فراق رمضان .

قال : نحن عندنا رمضان العام كله . وأنشد هٰذين البيتين :

بكىٰ رمضانَ أقوامٌ وقالوا مضىٰ شهر العبادة والغنائِمْ
فقلت دعوا البكاء فلو بَقِيْتم علىٰ التقوىٰ بَقِي رمضانُ دائمْ

فما مع الناس شيء ، الأشياء قريبة :

المعاملة : مطلوب من الناس أن يتخذ له سبب .

الأهل : مطلوب من الإنسان [أن] يتخذ له أهل .

الولد : مطلوب من الإنسان أن يدعو الله سبحانه وتعالىٰ أن ييسر له ذلك .

لٰكن هٰذا كله ينبغي أن يربطه بنيات ، وتكون النيات طريقْ

Scanned with CamScanner

للوصول إلىٰ الدرجات العلىٰ . إن كان طلب ولدٰ . . يطلبه بعد ما يدعو الله سبحانه وتعالىٰ ، ويسأل الله مع أهله في تلك اللحظة كما قال لكم النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآله وسلَّمَ : « لو أن أحدكم إذا أتىٰ أهله قال : اللهم جَنِّبنا الشيطان وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزقتنا ، وقضي بينهما ولد . . لم يضرَّه الشيطان » .

أحد يرتاب في هـٰذا الكلام ؟ الغفلة التي تحصل للإنسان تجعله ينسىٰ ، وإذا نسي وجاءه الولد ما هو رَيِّض . . فتقصيره من نفسه ، هو قَصَّر في حق نفسه .

فكلكم اسألوا الله دائماً التوفيق ، واجعلوا لكم أوراداً وعبادة .

وختاماً : أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكرمنا وإياكم بالقبول .

ثم طلب سيدي ـ حفظه الله ـ من حبيبنا سقاف بن زين بن حسن بلفقيه أن يرتب الفاتحة ، فقال : اللهم بالقبول والإقبال ، وصلاح النيات والمقاصد ، والتوبة النصوح الصادقة .

ونسأل الله العلي القدير أن يقبل منا ما عملناه في رمضان ، يقبل صيامنا وقراءاتنا ودعاءنا ، وأن لا يردنا خائبين ، ويتقبل منا ولا يردنا من (المدينة المنورة) البلدة الطيبة إلا ونحن مزوَّدين مقبولين ، مقبولة زيارتنا وبشارتنا وتعجيل إشارتنا ، مزوَّدين بالأنوار والتقوىٰ ، وأن يمن علينا بما من به علىٰ أسلافنا الصالحين المتقدمين والأولياء الصالحين ، من علوم غزيرة ونافعة ، ومعارف وحقائق ورقائق ، ويؤهلنا لذلك . ويجعلنا

Scanned with CamScanner

وإياكم متآخين في الله ، متحابين في الله ، متزاورين في الله .

وأن يكرمنا بما أكرم به أسلافنا الصالحين وعبادَ الله الصالحين ، ويؤهلنا للأعمال الصالحة ، وما عملناه في شهر رمضان نعمله في غير شهر رمضان ، وعلىٰ كل نية نواها عبادُ الله الصالحين .

وأن يعيد هٰذا العيد السعيد علينا وعليكم وعلىٰ العالم الإسلامي أجمع سنينْ عديدة وأعوامْ مديدة في خيرات وعوافي ومسرات ، وأن يصلح وادينا ويعمر نادينا .

ثم إلىٰ حضرة سيدنا وحبيبنا وشفيعنا رسول الله محمد بن عبد الله ، وآله وأصحابه ، وأزواجه وذريته وأهل بيته ، ثم إلىٰ أرواح آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين ، ثم إلىٰ أرواح جميع أموات هٰذه البلدة ، أن الله يعلي درجاتهم في الجنة ، وينفعنابيركاتهم وأسرارهم وأنوارهم في الدين والدنيا والآخرة .

وأن الله يشرح صدورنا وييسر أمورنا ويغنينا عمن سواه ، ولا يكلنا إلىٰ أنفسنا ولا إلىٰ أحد من خلقه طرفة عين ، ويرزقنا من حيث نحتسب ومن حيث لا نحتسب رزقاً واسعاً لا يعذبنا عليه ، ويرزقنا رزقاً يكفينا ولا يطغينا ، ولا يسلط علينا بذنوبنا من يؤذينا بحرمة سيدنا محمد صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

وعلىٰ هٰذه النية ، وكل نية صالحة نواها عبادُ الله الصالحون وأسلافنا الصالحون ـ نويناها .

وأن الله يجعل جمعنا هٰذا جمعاً مرحوماً ، وتفرقنا من بعده

Scanned with CamScanner

تفرقاً معصوماً ، ولا يجعل فينا ولا منا شقياً ولا محروماً وأن الله يعم بركة جمعنا هٰذا ، ويشمل إخواننا الحاضرين والغائبين ، وجميع المسلمين في جميع أقطار الأرض . وأن الله يطفىء نار الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ويصلح الجميع ، وأن الله ينصر المسلمين علىٰ الكفرة والمعاندين .

وعلىٰ هٰذه النية ، وما نواه أسلافنا الصالحين في زيارتهم لهٰذا الرسول الكريم نويناه . ونوينا من الآن توبة صادقة خالصة لا نكث فيها .

ثم إلىٰ أرواح أموات هٰذه البلدة الجميع وساداتنا العلويين وأموات المسلمين أجمعين أن الله يتغشىٰ الجميع بالرحمة والمغفرة . ونسأله العودة وعوداتٌ جَمٌّ ، أن الله يعيدنا إلىٰ مثل هٰذه الأعياد سنينْ عديدة وأعوامْ مديدة ، في خيرات ومسرات وعوافي .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱللَّه عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

وبعد قراءة الفاتحة جمع حبيبنا سقاف الدعاء ، ورفع الحاضرون أيديهم وأمنوا علىٰ هٰذه الدعوات :

الحمد لله رب العالمين ، أستغفر الله العظيم .

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد .

اللهم إنك قلت : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وإنك لا تخلف الميعاد . صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

يا غياث المستغيثين . . أغثنا .

Scanned with CamScanner

ويا جار المستجيرين . . أجرنا .

يا كافي من كل أحد ولا يكفي منك أحد ، يا أحد من لا أحد له ، يا سند من لا سند له ، انقطع الرجاء إلا منك ، وزال الطمع إلا فيك . . نجنا مما نحن فيه ، وأعنا علىٰ ما نحن عليه مما نزل بنا ، بحق وجهك الكريم وجاه نبيك العظيم صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

نسألك فرجاً عاجلاً ، نسألك فرجاً عاجلاً ، نسألك فرجاً عاجلاً ، ولطفاً شاملاً ، وصبراً جميلاً ، والعافية من كل بلية ، يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا ضمناك أنفسنا وأموالنا ، وأولادنا وأهلينا وأرحامنا ، ومن أحاطت به شفقة قلوبنا . وجدرات بيوتنا ، ومن معنا وما معنا ، وكن لنا ولهم حافظاً ، يا خيرَ مستودع في الدين والدنيا والآخرة .

يا أول الأولين ، ويا آخر الآخِرين ويا ذا القوة المتين ، ويا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين . ارحمنا وارحم جميع المؤمنين من أمة محمد صلَّىٰ ٱلله عليِه وآلِه وسلَّمَ .

اللهم استجب لنا كما استجبت لهم ، وبرحمتك عجل لنا بفرج من عندك ، بجودك وكرمك وارتفاعك في علو سمائك .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

* * *

Scanned with CamScanner

الحث على طلب العلم والمحافظة على الوقت وترتيبه والحث على حضور المجالس والتعلق بالرجال .

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة ، الثالث عشر من شهر ذي القعدة ، عام أربعة وأربع مئة وألف للهجرة ، الموافق العاشر من أغسطس ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد .

وذلك بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه السقاف ، بمنزله الجديد . وكانت هٰذه الروحة هي الروحة الثانية بعد شهر رمضان ، حيث اعترضت بعض الأسباب أخَّرت إقامة هٰذه الروحة ـ كما ذكر سيدي وأشار إلىٰ ذلك في كلمته .

فقال ـ حفظه الله ـ :

هٰذه الجلسة ما تحتاج إلىٰ وصف ؛ لأن العلم هٰذا ، قالوا : إذا عرفه الإنسان وتشمم إليه قليلْ . . تحركت له الروح ، فأدركت الروح اللذة الحقيقية ؛ لأن الروح لا تحتاج إلىٰ الغذاء الذي يحتاج إليه الجسم من طعام وشراب .

والجلسة هٰذه هي أفضل الجلسات علىٰ الإطلاق . مجالس العلم أخبر عنها الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ؛ لأنها أفضل المجالس علىٰ الإطلاق، فكان ينبغي لنا أن لا نفوِّتها مهما كانت .

ومعنىٰ قولي : « أن لا نفوتها » : ما هو نحرص عليها

بالحضور وإنما الحرص بإقامتها دائماً .

فِيْ ذا الحين تعثرت بعد رمضان ، جاء رمضان ولم يتيسر لنا أننا نجلس فيه ، وجاء شوال ومَرَّ أكثره ما بين معايدة وأيام عيد ، ثم جاءت وفيات اضطررنا فيها لحضور الختم ، وفي أسبوع أو أسبوعين شكا الأستاذ الشاطري من عينه أو غيرها ، وهٰذا من أسباب تأخيرها ، وأنا أحب أن يعمل الأستاذ بحيث لا تتعثر هٰذه الجلسة ؛ لأن العلم ما هو قليل ولا هو بالسهل ، فإذا قدر الله وحضرنا قراءة علىٰ أحد من الأموات . . نخرج ونصلي العشاء في مجلسنا ، وبدلاً من أن تكون الجلسة ساعة وربع تكون ساعة إلا ربع ؛ حتىٰ تكون بركة في الوقت ، فلا يفوتنا يوم من الأيام ولا ليلة من الليالي ، فاتت علينا بدون قراءة ؛ لأنها إنما هي في الأسبوع مرة واحدة ، والأسبوع عبارة عن سبع أيام ، فإذا كان في السبع الأيام مرة واحدة . . فمعناه : في الشهر أربع مرات ، وفيها عادها التعثرات التي ذكرتها لكم ، رمضان يشغلنا جميعاً ولا يمكن الجلوس فيه .

وكان عمكم محمد بن هادي ـ رحمه الله ـ كانت له طرق في استجلاب الطلبة وفي أخذهم ، وفي تقريبهم وفي محبتهم ، وفي حفظ الوقت :

إذا بايسافر إلىٰ زيارة هود أو غيره في نفس البلد . . يقرر كتاب لطلبته ؛ لأجل يقرؤونه في رحلتهم وحركتهم وأيام إقاماتهم .

وإذا جاء رمضان . . يعطي كل واحد من الطلبة كتاب ،

Scanned with CamScanner

ويقول : هات لي الإشكال لنجلس فيه نحن وأصحابك هٰؤلاء ونقرر المسألة . فلا يفوته شيء من الأيام التي تمضي عليه بدون فائدة قط أبداً .

وكان من خبره ما تسمعونه عن عمكم إبراهيم الحبشي ، كان رجلٌ صافي السريرة ، وكان عمكم إبراهيم يجلس في جنب المجلس مِلْقِي له حبوة ويسمع وهو صافي السريرة ، سيِّد زين .

في مرة من المراتِ جاء رمضان فقرر علىٰ تلاميذه وأصحابه من كتاب يطالعون فيه ، ويجيبوا له مشكلته إذا حدثت مشكلة ، وإذا لم تكن مشكلة.. هو يسألهم : إلىٰ أين وصلت ، وماذا قرأت ؟

ما هي العبارات التي أشكلت عليكم فيه ؟ ومثل هٰذا الكلام أخذ يتساءل معهم ويسألهم ، حتىٰ جاء إلىٰ عند عمكم إبراهيم وكان أعطاه كتاب « للخضري » ـ و« الخضري » علىٰ عمكم إبراهيم كبير ، معاد فيه كلام ـ وقال له : طالع يا إبراهيم في « الخضري » علىٰ بن عقيل علىٰ « الألفية » في النحو وهات لي الإشكال .

كانوا جماعته الذين يحضرون عنده يأتوا إليه بالإشكالات في لياليهم التي يدرسون فيها ، وسؤاله لهم يضعهم في حالة علىٰ ألا تمر عليهم ليلة إلا بمطالعة في الكتاب هٰذا .

جاء يسأل عمكم إبراهيم ، قال له : إبراهيم .

Scanned with CamScanner

قال له : لبيك .

قال له : أنت ما بدا أتيت لي بإشكال في « الخضري » ، هل مريت عليه كله وريِّض القراءة فيه ؟

قال له : ما مريت عليه ، وجدته كله إشكال! قلت في نفسي : أبدأ بماذا وأترك ماذا ؟

والمقصود من هٰذا الكلام : أن الإنسان إذا أراد العلم حقيقة والرتبة حقيقة . . يحرص علىٰ دراسته في داره ؛ حتىٰ لا يأتي إلا وهو مستعد ، ثم يحرص علىٰ الحضور ما أمكن ؛ فإنها فرص ، إن ضاعت عليكم . . ندمتم علىٰ العمر كله .

وما كان أهلكم كلكم إلا علماء ، هٰذا عمكم أحمد الشاطري ممن عرفناه . وانظر التعليقة التي قرأها يحيىٰ العيدروس[1] ـ بارك الله فيه ـ التعليقات العجيبة والنادرة .

كانوا أهلكم كلهم علىٰ مثل هٰذا الوَتَر وعلىٰ مثل هٰذا النَّغَم ، كلهم علماء ، ومجالسهم مجالس علم ، وأوقاتهم أوقات علم .

وكان عمكم عبد الله الشاطري في كل وقته وهو حاني في رباطه هٰذا للطلبة الآفاقيين وللطلبة المقيمين يدرسهم . ومن قبل

---

(١) العلامة يحيى بن أحمد بن عبد الباري العيدروس قائم بالدروس العلمية بجدة أحياها ورتبها ولد بتريم ١٣٥١ وتوفي بجدة يوم الثلاثاء القعدة ١٤١٩ رحمه الله وكانت وفاته وهو يلقي كلمته في ختم الإحياء بعد أن ألقى كلمة جامعة وقال فيها : اليوم الثلاثاء سبع القعدة كانت وفاة الإمام الحداد وسقط في المجلس وكانت وفاته رحمه الله وانطبق عليه الحديث يموت المؤمن على ما عاش عليه رحمه الله وأخلفه بالخلف الصالح .

Scanned with CamScanner

هـٰكذا كان الحبيب علي بن محمد الحبشي .

كان والدي يقول : إنها دروس تقام من آخر الليل في الرباط ، يخرجون آخر الليل إلىٰ المسجد فيقومون آخر الليل ، وبعد القراءة والأوراد حقهم ترىٰ الحبيب يتشمم إلىٰ الطلبة ليسألهم ويذكِّرهم : حد يسأله في النحو ، وحد يسأله في الفقه ، وحد يسأله في الحديث . . فإذا صلينا الفجر . . قال : قد نحن مستعدين للحلقة . والحلقة تنتهي بعد الإشراق ، وفيه ناس يأتون من التلاميذ الأولين والمبتدئين ، فيجعل واحدْ من التلامذة الناجحين الذي هو قبلهم في الدرس يقوم بالحرص علىٰ هـٰؤلاء الطلبة الجدد ، ويجعل لهم حلقة لوحدهم ما يخليهم يختلطون في حلقة الكبار؛ يعني : يخصص واحد من الأوائل يدرسون المستجدين .

وهـٰكذا طريقتهم ، حتىٰ ظهر العلم وانتشر . وكانت (سيئون) كلها علىٰ مثل هـٰذا الحال .

عمكم علوي بن طاهر ذكر رحلة لباشميله ، والرحلة هـٰذه التي ذكرها لباشميله هي :

كان باشميله في (دوعن) وكان قرأ ودرس عند الحبائب آل البار دراسة وافية ، وأراد أن يستزيد ، فكان يفكر بين أن يخرج إلىٰ (حضرموت) أو يرحل إلىٰ الحرمين الشريفين للزيادة في العلم والأخذ من العلم ، فبينما هو علىٰ مثل هـٰذا الحال جاؤوا اثنين من أولاد الحبيب عمر بن سقاف وزاروا (دُوعن) فدعاه الحبيب عمر بن عبد الرحمـٰن البار وجاء وحضر وأعجبه المجلس

Scanned with CamScanner

حق الحبايب ، وجدهم علماء ، والكلام كله والبحوث علمية ، فاستأذنهم في أن يكون معهم عندما يتنقلون في البلدان ، فأذنوا له ، ثم استأذنهم أن يخرج معهم ، فأذنوا له وخرج معهم .

قال : وفي الليلة التي بتنا فيها بالقطن أُخْبِرنا بأن الحبيب عمر بن سقاف في (شبام) . قال : فما كان أشد فرح عندي من تلك الليلة سوف ألقىٰ الحبيب عمر في صبيحتها ، وقال : خرجنا مسرعين إلىٰ (شبام) ، فقالوا لنا : إنه خرج منها إلىٰ (الحوطة) فأسرعنا إلىٰ (الحوطة) فوجدناه في (الحوطة) وفي تلك الليلة رأيت الحبيب عمر في المنام ، ولما أصبحت وشفت الحبيب عمر . . شفت الرجل الذي رأيته في المنام والنور الذي حصل معي في تلك الليلة هو نفسه ، حقق لي الله الرؤيا يقظة ، شفت وجهه كما رأيته في المنام ، وطلبت منه أن ألزم خدمته ، فأذن لي . وجاء وجلس عند الحبيب عمر بن سقاف ، وخدم الحبيب عمر بن سقاف ، وكان يحضر الدروس ، وكان يقول له في كثير من قصائده من جملتها هٰذه الأبيات التي يقول فيها :

(باشميل اشتمل معنا ودُرْ حيث دُرْنا　　　واعلم أن العطاء ما هُوْ لمن قد تمنى)

(ما يجيء العطاء بالأماني)

(ما هي إلا سوابقْ حَدْ يُقرَّبْ ويُدْنىٰ)　　　وآخَرْ اقصوه قالوا ملْ من الباب عَنَّا)

وأنت يا باشميل اسْرَح بشملتك معنا

والشاهد : أنه بقي حتىٰ توفي الحبيب عمر بن سقاف ١٢١٦ .

ونحن بغينا بانسرح بالشملة ؛ حتىٰ لا تفوتنا الفرص . مثلاً : عَنْد مجلس علم يوم في الأسبوع قليل ، ولـٰكن مشكلة المشاكل أنكم مشغولين كلكم ، وكل واحد في شغله ، ومن نعم الله عليكم وجود الأعمال ، إنما كل واحد لا يزال يذكِّر نفسه يوم في الأسبوع ، وهو قليل ، وكم يكون الدرس فيه ؟ الدرس ذا الحين لو أحصي وقته . . لكان نصف ساعة ، أو ساعة إلا ربعاً ؛ لأنكم جئتم بعد المغرب ، وجئنا نحن بعد ما صلينا في ديارنا ، وعاد بعد الصلاة هـٰذا أخذ يكلمنا وهـٰذا يطلب مشاورتنا ، وهناك هاتف يرن ، وجئنا متأخرين إلىٰ الدرس ؛ أي : بعد ساعة إلا ربع ، وبعدها قال الأستاذ محمد الشاطري : لم نبدأ بعد في الدرس! فما كان درس مدته إلا ساعة أو ساعة إلا ربع ، ولـٰكن هـٰذه فيها بركة ، ثم تليت فيها هـٰذه الكتب وما هي قليلة ، ثم مررتم علىٰ أبواب الفقه فيها وما هي قليلة كذلك ، إنما كل واحد ينبغي له أن يخاطب نفسه بأنه ما فيه طريق لتحصيل العلم إلا بالمداومة .

يعود الإنسان ويراجع كثير من المسائل ، ثم ينبغي يجعل له قراءة في كتاب من كتب الفقه تساير الكتاب الذي معه ، وقراءة في كتب الحديث تساير الكتاب الذي معه ، وقراءة في كتب النحو ؛ لأن النحو يكاد يطوىٰ باللحود ـ كما قال علي بن قاضي ـ معاد أحد إلا نفر قليل عادهم بقايا يعرفون شيءْ من النحو ، والبقية قراءتهم كلها مُلْحَنة ، ما فيه من يقرأ قراءة مُعرَبة مستقيمة يطمئن الإنسان إليها .

Scanned with CamScanner

والنحو كله فائدته : استقامة اللسان ، ومعرفة الجواب في الجزم ، ومعرفة الفاعل في الفعل ، ومعرفة الخبر في المبتدأ . . وما إلىٰ ذلك ، وتوكيدها ، هٰذه تكاد تكون طويت .

وكنت أنا ومحمد بن علوي[1] عند محسن باروم ، وبعد يقدم لي واحد من الطلبة الجاويين ، وقال لي : بغيت لك رأيْ فيه ، وقال : بغيتك تسأل الطالب هٰذا .

قلت له : تريدني أسأله في ماذا ؟

قال : بغيتك تسأله في النحو .

فقلت : ما هي الكتب التي قرأ فيها ؟

قال : قرأ « الأشموني » وقرأ شروح « الألفية » كلها .

قلت له : هو أحسن مني ، كيف أسأله وأنا ما قرأت تلك الكتب ؟ طالعت في بعض الكتب النحوية ، هات لي شيء ممكن أسأله فيه .

قال لي : هٰذا الطالب ـ بارك الله فيه ـ قد قرأ في هٰذه الكتب كلها وبغيتك تسأله ، وبغيته يقرأ عليك قليلْ .

ورجع وأتىٰ بثمانية من طلبته إلىٰ عند محسن باروم ، وقال : بغيتهم يقرؤون عليك ويتبركون .

ففرحت ، هٰذا الطالب جاوي ، ونحن تمر علينا هٰذه الكتب ما نقرأها! وكانوا يتزاحمون عليها .

---

(١) محمد بن علوي بن عبد الله السقاف توفي بجدة سنة ١٤١٠ .

عمكم محمد بن هادي ـ رحمه الله ـ كان كل قراءته في أول أمره في النحو أكثر من غيره ، والحبيب علي الحبشي كانت قراءته في النحو أكثر من غيره ، وبعد توسعوا في الفقه وما شاكل ذلك ، ومنها الخلافات التي تسمعونها والتي يأتي بها لكم الحبيب محمد المساوىٰ فيما بينه وبين الشيخ محمد باكثير ، وفيما بينه وبين الطلبة في ذلك الوقت ، منها : هٰذا البيت الذي أتىٰ به مساوىٰ :

ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القَطْرُ

(ألا يا اَسَلَمِي يا دارَ مَيًا علىٰ البلا ولا زال مُنهَلاً بجرعائك القطر

اختلفوا في (منهلا) : هل هي اسم فاعل ، أو اسم مفعول ؟

ومعناه كله : أنه كثرة علم ووفرة فهم عند كل واحد منهم ، فيجيب رأيه وفهمه ويدلل عليه . ومع الاختلاف هٰذا ما اكتفوا ، فأرسل الشيخ محمد باكثير[1] كلامه وكلام الحبيب محمد بن هادي .

وعمي محمد كان يقول : الأخ محمد مساوىٰ أنه يقول : إنه اسم فاعل ، ولا زال منهلاً منهللا بجرعائك القطر .

والشيخ محمد يقول : اسم مفعول .

ذا الحين كلكم تستغربوا ما هو اسم الفاعل ؟ ما هو داري أيضاً ما معنىٰ اسم المفعول ؟ ما يدرىٰ عنه .

---

(١) الشيخ العلامة محمد بن محمد باكثير (١٢٨٤/ ١٣٥٥) وقد توفي وهو في درسه والقارىء يقرأ حديث «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» رحمه الله .

Scanned with CamScanner

المهم : كانت هٰكذا الدروس ، وكان عمكم عبد الله الشاطري هٰكذا في النحو مع تلاميذه .

ذا الحين نحن ـ يا إخواني ـ المهم بغينا اغتنام شيء من الوقت حتىٰ تدركون به السعادة ؛ لأن كل واحد منكم إذا رجع إلىٰ نفسه وقد تجاوز العشرين ، وفيكم من تجاوز الثلاثين وفيكم من تجاوز الأربعين ماذا ينتظر بعد هٰذا ؟ هل شيء علم بعد الأربعين ؟ ما هناك علم بعد الأربعين .

اغتنموا هٰذه المجالس والمجلس هٰذا ، كلكم ينبغي لكم إذا قدرتم علىٰ الاستزادة بمجلس ثاني كذلك يكون مع الأستاذ محمد الشاطري ، أو يكون مع عمكم مُحمد المساوىٰ .

أو يكون مع عمكم عبد القادر الروش ، هٰذا الأستاذ هو حصيلة علم ، حفظ كامل وفهم ، كلنا نرجع إليه ، وإذا رجعنا إلىٰ « التحفة » وجدنا فهمه ووجدنا المفاهيم التي يعلق عليها هو وكلام المعلقين عليها مطابقة .

ومن أين أتىٰ بالعلم هو ؟ كان عمي علوي بن عبد الله السقاف ـ رحمه الله ـ في ذلك الوقت يدرِّسنا واقتنصناه .

وكان معنا أيضاً : قوي الفهم عبد القادر بن حامد السقاف ، كان ما شاء الله .

وكانوا معنا الجماعة : علي بن عبد الله السقاف والإخوان هٰؤلاء ، كانت حلقة تأخذ ثلاثين نفرْ ، وكان الذين يعلق عليهم

الأمل قده يطرح نظره عليهم ويوجه الأسئلة إليهم .

وكان يقول لي وللإخوان هٰؤلاء : إنني أَطْلَع بالإشكال ، فإذا جلست في المجلس وقابلت الحبيب علوي . . انفتحت لي المسألة وظهرت لي ، ولم أحتاج لعرضها عليكم .

وأنا بغيتكم هٰكذا تكون مجالسكم ، إذا خرجتم من أشغالكم . . اجعلوا لكم نصف ساعة ، وإذا خرجتم إلىٰ أشغالكم . . بكروا نصف ساعة تستفيدونها ، اغتنموا هٰذه . ثم في أي مكان تحصلون علىٰ هٰؤلاء ، وأين تجدونهم ؟

مرت عليكم الأيام ، ما تركوا لهم أوقاتهم هٰؤلاء .

الشاطري ـ الله يمتع به ـ كان أستاذاً ما تركوا له وقته ، وكان يصنف ويؤلف ، إذا رجع من شغله . . يجلس للتأليف حقه ، وفوق هٰذا أنه ما يترك مجلسْ معنا ، إذا معنا مجلس في أي مكان . . ترىٰ الشاطري حاضرْ .

الأخ عبد القادر الروش ما تركوا له وقته ، كان أستاذاً ، ثم تولىٰ القضاء ، ثم رجع للتدريس ، وكان يحضر معنا هٰكذا في كل مجلس .

والأخ محمد المساوىٰ هٰذا الذي تنظرون إليه ، طالب علم ، ما يترك وقتْ ، ومزاول حرفة التجارة مع أولاده ما يترك لها فرصة وكلها علىٰ ذهنه .

وهٰكذا ينبغي أن يكون الإنسان ، يضيع علىٰ الإنسان عمره ،

Scanned with CamScanner

وإلاَّ نَظَرُهْ وهو موظف وينتهي عليه العمر ، لا!

احرصوا ـ يا إخواني ـ عليه ، هـٰذا مجلس متعة ، كم استفدنا فيه نحن من أقوال الأئمة ؟ إذا قَدَرنا أن نعرف شيءْ من كلام الإمام الشافعي فإن الإمام أحمد له كلام ربما يختلف ، الإمام أبو حنيفة له كلام ربما يختلف ، الإمام مالك له كلام ربما يختلف ، فوجدنا مجموعة محصَّلة إمَّا مِن فهم هـٰؤلاء أو من مطالعتهم ، أو من دراسة الكتب التي تسمعونها وتقرؤونها ، هـٰذه اغتنموها . ذا الحين مرت علينا كثير من المسائل : كنا نتساءل عن العيد ، وما كنا نسمع التكبير المطلق بالصيغة التي سمعناها الآن من كتاب الفقه علىٰ المذاهب الأربعة ، فإذا التكبير موجود . وسألنا عن كثير من المسائل فوجدنا جوابها .

فاغتنموا هـٰذه الفرص ولا تضيعوها . هـٰذه فرصة ؛ يعني : ينبغي للإنسان أن يغتنمها .

ثم التعلق بالرجال هـٰؤلاء اجعلوه طريقكم إلىٰ ربكم ووسيلتكم وذخيرتكم ، يكونون دائماً معكم ، حيثما تحركت يد واحد منهم ووقعت علىٰ يد واحد منكم أو علىٰ ظهر واحد منكم فبورك لكم في هـٰذه اليد .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يمتعنا بهـٰؤلاء الإخوان ، ويمتعنا ببقية العلماء الأعيان ، الحاضرين والغائبين . ويمتعنا وإياكم بحواسنا كلها ، نتمتع بالسمع ـ إن شاء الله ـ حتىٰ نسمع ولا يفوتنا منه شيء ، ونتمتع بالبصر حتىٰ ندرس ونقرأ ولا يفوتنا منه

Scanned with CamScanner

شيء ، ونتمتع بحفظ الجسم وحواسه كلها ، ونتمتع بحفظ الروح .

ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلها طريقٌ للتلقي وطريقٌ للترقي ، وطريقٌ للفهم ، وطريقٌ للأخذ ، وطريقٌ للعلو ، وطريقٌ للارتقاء إلىٰ المنازل والمسالك التي سلكها مَن قبلنا والمدارج التي درج عليها مَن قبلنا ، والأخذ عن من قبلنا .

وأسأله سبحانه أن يكرمنا وإياكم بنور العلم ، وبنور الفهم وبنور الحلم ، فيجعلنا من أعيان هٰذا الزمان ، ويجعلنا من علماء هٰذا الزمان ، ويجعلنا ـ إن شاء الله ـ ممن تمتع وذاق لذة العلم فأخذ يتمتع بها ويتذوقها ، وممن ذاق لذة المطالعة فيتمتع بها ، وممن ذاق لذة مجالسة الإخوان الذين يأخذون بالإنسان إلىٰ طريق مولاه الملك الديان .

وأسأله سبحانه أن يكرمنا وإياكم بالهداية ، ويزَيّننا وإياكم بما زَيّن به مَن قبلنا من أهل الإخلاص ، ومن أهل النيات الصادقة ، ومن أهل الأعمال الصالحة ، ومن أهل الخير ومن أهل البركة ، حِسّاً ومعنى ، في خير وعلىٰ خير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

الاجتهاد في طلب العلم وملازمة الدروس والمذاكرة

كلام عن الحبيب محمد بن هادي السقاف (١٢٩٤/ ١٣٨٢هـ) بسيون والحبيب عبد الله بن عمر الشاطري (١٢٩٠/ ١٣٦١هـ) بتريم

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة الطيبة القيمة في روحة الجمعة بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه الجديد ، بتاريخ عشرين ذي القعدة ، عام اربعة وأربع مئة وألف هجرية . الموافق الثامن عشر من أغسطس ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف ميلادية .

فبعد القراءة في الفقه أنشد الأخ محمد خرد قصيدة الحبيب أبو بكر بن شهاب ، التي مطلعها :

هم الراقون في أوج الكمال　　　وهم أهل المعارف والمعالي

بعده أنشد الأخ عبد القادر حسين الحبشي قصيدة للحبيب حسين بن عبد الله الحبشي ، التي مطلعها :

ساكني طيبة لكم مني سلام　　　كلما غردن أطيار الحمام

عندكم قد حل خير الكائنات　　　في المدينة ربنا ظَلّي وبات

بعد ذلك تكلم حبيبنا بهٰذه الكلمة ، نفعنا الله بها ، ونفع كل مستمع وقارىء لها ، آمين :

القصيدة الأولىٰ لعمكم أبو بكر بن شهاب ، والقصيدة الثانية لعمكم حسين بن عبد الله الحبشي (١) ، وكلاهما سائرات في طريق واحدة وفي أثر واحد ، علىٰ اختلاف المشارب وعلىٰ اختلاف المفاهيم ، المهم من هٰذا كله بأننا نفكر : كلنا ذا الحين

---

(١) ميلاده سنة (١٣٠٠) ووفاته (١٣٦٨) .

Scanned with CamScanner

نحضر المجالس ، وكلنا نحرص عليها ، إنما المهم من هٰذا : أن يدرك الإنسان هل له بركة في وقته ، أم لا ؟

ومعنىٰ بركة في وقته : أنه مُطالَب بذكر الله في لحظات من وقته ، مطالب بالصلاة في جماعة في لحظات من وقته ، مطالب بالنافلة - التي سمعتم عمكم عبد القادر الروش وعمكم محمد الشاطري يقررونها - في ناحية من وقته ، مطالَب برعاية والده إذا كان موجوداً ، مطالب برعاية والدته إذا كانت موجودة ، مطالب برعاية زوجته وحقها ، مطالب برعاية أولاده وتربيتهم ، مطالَب برعاية رحمه إن كان له رحم موجود في هٰذه البلاد أو كان له رحم في غير هٰذه البلاد ، مطالب بحق جاره ، مطالب بحقوق الإسلام ، مطالَب كذلك أيضاً - بعد حقوق الإسلام - بحقوق الرحمة التي جعلها الله وجبل الله عليها الإنسان والمسلم خاصة .

ماذا له من الذكر ؟

كم لنا من الذكر ؟

هل كل واحد منا يحضر له سبحة إذا دخل بيته . . يَلقِي له حصة من الوقت : خمس ، عشر دقائق ، ربع ساعة ، نصف ساعة ، علىٰ اختلاف رغبته . هل له شيء من ذكر الله ؟

هل له حصة أو شيء من الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ ٱلله عليه وآلِه وسلَّمَ ؟

هل له حصة أو شيء من الاستغفار ؟ بحيث إنه يقول :

شَغَلْت وقتْ من أوقاتي بذكر أنا مطالَب به . والحقيقة أن كل واحد مطالب به ، معاد فيه كلام .

ثم يقوم بترتيب الوقت تكون البركة ؛ لأن البركة ما تكون إلا بترتيب الأوقات .

كان يقول لكم الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، لما ذكر هٰؤلاء الذين يقرؤون القرآن ولهم فيه ختمات . . سألوه : هل ذلك من طريق الطي ؟

قال : لا ، إنما من طريق بركة الوقت .

أنا سمعت الحبيب مصطفىٰ المحضار[1] ـ رحمه الله ـ يذكر عن الحبيب أحمد بن حسن : كانِ في المشهد ورتب الفاتحة ، قال : أنا عادنا إلا ختمت الفاتحة وهو ختم يٰسٓ وأذني صاغية لقراءته .

إشارة إلىٰ البركة هٰذه التي تحصل .

فكل واحد ينبغي له أن يلاحظ أن البركة موجودة عنده ، ولٰكن هل يستعلمها أَوْ لا ؟

هل يأخذ بها أَوْ لا ؟

هل أخذ بطريقها أو لا ؟

فإن كثيرٌ من الناس يرجع مثلاً إلىٰ بيته من هٰذا المجلس العامر ، وبعدما يرجع إلىٰ بيته . . يأخذه الكسل أو الترف أو الغفلة ، فيفتح التلفزيون ، أو يجد التلفزيون قده مفتوحْ . ماذا

---

(١) ولد بالقويرة سنة (١٢٨٢) وتوفي بهل رجب (١٣٧٤) .

ترىٰ من الصور التي تأتي من خلال التلفزيون ، أو من الأخبار التي تسرد في التلفزيون .

قد يكون بعض الناس له رغبة في سماع الإذاعات ؛ حتىٰ تكون له دراية بالأخبار عن العالم كله . لابأس بهٰذا الشيء ، ولٰكنها الإذاعة في الأخبار ما تستغرق عشر دقائق ، والعشر دقائق إذا فاتت علىٰ الإنسان في غير فائدة . . تكون حسرة وندامة عليه ، وتكون غبنْ كذلك وخسارة عليه ، فعلىٰ كل واحد مننا أن يدرك ذلك .

ثم كثير منهم هٰؤلاء ذكروا الليلة التقرير جاء في الراتبة ، وجاء منه شيء في التراويح ، وجاء منه شيء في الوتر ، كل واحد أدرىٰ بنفسه بالنسبة للوتر : هل إحدى عشر ، أو يصلي أقل منها ، أو يصلي ، أو ما يصلي بتاتاً وإذا وجد له أدنىٰ شغل . . اكتفىٰ به .

هٰذا أولاً من بركة الوقت ، ثم هو مطالَب بهٰذه السنة .

كان عندنا واحد من كبار الأئمة الصوفية ، اسمه : أحمد غالب المقدسي ، له كتب في غاية الجودة ، وفي غاية الدلالة علىٰ الفهم ، وفي غاية اللمعان ، يقول :

إن عمل النبي صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ الذي شرعه للأمة ـ قال ـ واجب علىٰ كل واحد ، يقول : أنا من هٰذه الأمة بالنسبة لرأيه هو ـ رأي الصوفية هٰؤلاء : أن الأمر الذي جعله النبي سيدنا محمد صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ منه أنه إذا أمر به . . صار واجباً على

المؤمن به اتباعه ، كما يقولون : إن الله سبحانه وتعالىٰ إذا أمر والنبي إذا أمر . . صار الأمر واجبٌ ـ قال هٰذا الشيخ : كلها التي تكون من النبي عملاً وفعلاً وقولاً تكون منه في حق الأمة واجبة .

وضرب لذلك أمثلة ، الأمثلة التي يأتون الأصوليين بها . وعندنا نحن في مقدمة « الزبد » وفي مقدمة كتب الفقه يأتون بالواجب والمندوب ، والمكروه والحرام ، وخلاف الأولىٰ . . إلىٰ آخر السبع هٰذه .

قالوا : إن كلام العلماء والفقهاء والأصوليين في محله الواجب هٰذا يكون بالنسبة لعامة الناس ، لٰكن عندنا نحن في المكروه ماذا يقول تفسير الفقهاء وأهل الأصول ؟ يفسرونه بتفسير آخر ، يقولون : هو الذي يثاب علىٰ تركه ولا يعاقب علىٰ فعله .

قال : لٰكن نحن عندنا المكروه شيء كرهه الشارع ، ماذا ينبغي للمسلم فيه بعد كراهة الشارع له ؟

فإذا تَقَذَّره الشارع وكرهه . . كان ينبغي لمتبع الشارع أن يتقذره مثله وأن يكرهه مثله ، وهو بالنسبة لمفاهيم الصوفية يصير في حكم الواجب . الآن نحن ما وصلنا إلىٰ شيء من هٰذا ، بغينا فقط الإنسان يكون مسؤول عن نافلة عملها النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . ثم أكدها العلماء بأنها مؤكدة بقولهم : لم يتركها النبي حضراً ولا سفراً .

كل واحد يدري عن نفسه فيها ، ثم يدري عن نفسه كما ذكرنا في عمله في بيته ، هل له حصة من وقته للنوافل ؟

Scanned with CamScanner

هٰذا الحبيب محمد بن زين بن سميط يخبر عن الحبيب أحمد بن زين الحبشي - الإمام الكبير - في كتابه « قرة العين » قال : إنه بلغ إلىٰ ثلاث وسبعين سنة من عمره وهو يقرأ كل يوم ثمان صفحات من « التحفة » بحاشية عمر بَصْري القطع الكبير ، ما ينام حتىٰ يقرأها ، فأشفق عليه أحد أولاده وقال له : لعاد تتعب نفسك بالقراءة .

قال له : طريق دخلنا علىٰ الله منها ما بانتركها حتىٰ نلقىٰ الله .

قنعنا نحن ، ما هي مطالعتنا نحن بالنسبة لهٰذه ؟! ما أعتقد شيْ لنا مطالعات أو رعايات .

وكذلك لهم دروس في كتاب « الإحياء » ، وفي كتاب « البداية » وفي كتاب « النصائح » . بركة عندهم للوقت لحفظهم للوقت ، الواحد قدْ يكون قرأ « الإحياء » ثلاثين مرة ، عشرين مرة ، وبعضهم مئة مرة ، وبعضم أكثر من مئة مرة ، ولا يعتقد الإنسان أن عندهم طي في القراءة ، إنما عندهم بركة الوقت . إذا حصلت بركة الوقت . . حصل المقصود .

وأنا كثير ما أذكر قراءة « صحيح البخاري » الذي كان يقيمه الحبيب محمد بن هادي ، ما يتجاوز الثمان الأيام ، وتكون فيه إشكالات وتكون مراجعات ، ويكون فيه أخذ ورد ، والثمان هٰذه تكون بركة فيها وكأنها من الأعياد التي احتفل بها الشارع ، يأتي إليها الناس ويأتي إليها الصغار كذلك ، لٰكنها تغمرهم بركة الحديث ، وبركة الحبيب ، وبركة المجلس .

Scanned with CamScanner

ثم إنه ما تركه إلىٰ السَّنَة التي توفي فيها[1] . كان يقوم من آخر الليل ، من أول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة ، تجد الحبيب جالس بحبوته قده في مقدمة الناس ، هٰذه بركة .

فإذا سئلنا ـ مثلاً ـ : كم سنة قرأ « البخاري » عمكم محمد ؟ مات عن تسعين سنة ، أو ناقص سنة أو زايد سنة ، إذا أعطيناه ـ مثلاً ـ من بعد وفاة أبوه ـ توفي والده من بعد العشرين من عمره ـ معناه أنه قرأ « البخاري » سبعين مرة . تغافلنا عن عشرين أخرى ، قرأ « البخاري » خمسين مرة .

حاسبوا أنفسكم ، حد منكم قرأ « البخاري » ؟ حد منكم انتبه من هٰذا الكلام ، ما أعتقد!

الواحد منكم ماذا قرأ في « البخاري » ؟ هٰذا توفي قبل عشرين سنة ، كثير من أهل المجلس يعرفونه ، هٰؤلاء كلهم من تلاميذه الذين كانوا يحضرون دروسه ويحضرون مجالسه . ويخرج مع كبر سِنّه في آخر وقته ، يركب علىٰ الدابة وينوِّع الروحة : جلسة العلم الليلة عند فلان ، والليلة الأخرىٰ عند فلان . وإذا وصل . . ينزل من الدابة حقه يحمل معه محفظة كبيرة ـ عادها من محافظ الجلد حق (حضرموت) ـ يخرج منها ورقة يكتبها بقلمه ـ وهو كان يكتب باليد اليسرىٰ ـ وقلمه عليه نور ، يقول :

---

(١) هي سنة (١٣٨٢) والقراءة تبدأ ثاني شهر رجب من كل عام ويكون الختم ثاني جمعة في رجب بعد صلاة العصر ووفاة الحبيب محمد ١٧ رجب ١٣٨٢ وولادته (١٢٩١) رحمه الله .

هيا انظروا إلىٰ هـٰذا البيت - ومن تلاميذه عمكم محمد بن شيخ المساوى - يقول لهم : شفوا هـٰذا البيت أو هـٰذه الكلمة ، ماذا ترون فيها ؟

ماذا قال فلان فيها ؟

أحد يحفظ شيءْ فيها ؟

ويستفتح مجلسه بعد المغرب بهـٰذا الكلام حتىٰ عجز عن الخروج ، وبعد بدأنا نجيء عنده في كل أسبوع مرة أو مرتين .

وكان المجلس حقه ما يسأل عن الأخبار :

إذا سلم عليه الواحد . . يقول له : هُوْمِن أنت ؟

وإذا جلسوا الناس . . يقول لهم : ما هو الدرس ؟ وفي أي باب قدكم تدرسون ؟

إذا دخلنا عنده . . أول ما يستفتح يقول : في أي باب تدرسون يا عبد القادر هـٰذه الأيام ، ما هي قراءتكم ؟

وحديث عن الدروس ومسائل يفتحها وهو في التسعين من عمره ، والمسائل التي يفتحها لك تشتمل علىٰ جوابات وعن مفاهيم وعن إعراب ، حتىٰ لقي الله .

وليس فقط عمكم محمد بن هادي ، أمس كنا عند عمكم محمد الهدار نذكر الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري ، عمره كله وهو في التدريس .

يجلس عمكم عبد الله الشاطري ، يخرج إلىٰ مسجده من آخر الليل ، وحلقة بعد الصلاة ، ويرجع ثم يطوف علىٰ تلاميذه وعلىٰ

رباطه كلهم يمر عليهم ، ويتفقد إذا أحد غاب أو ما أحد غاب ، وهل فيه أحد يلعب ولا يتعلم . يأخذ له دورة إشراف ، ويجلس للحلقات حلقة وراء حلقة ، وراء حلقة .

ويجلس عمكم عبد الله للدرس ، قضىٰ عمره كله في التعلم والتعليم ، وتوفي تقريباً عن نيف وسبعين سنة .

وعمكم عبد الله علىٰ هٰذا النحو ، لا صديق ولا قريب ولا حبيب ، ولا شيء من هٰذا .

كان أمس يخبرنا الأخ محمد الهدار ـ ونحن قد عرفناه بالعين ، معاد يحتاج وصف لمن عرفه أو لمن سمع عنه ـ قال : جاء الحبيب أحمد بن محسن الهدار[1] بن الشيخ أبي بكر بن سالم وجلس في المجلس ، وأخذ يقرر أصحاب اليمين ، وقال لهم : إنهم ثلاث درجات :

ناس طيارين .

وناس ما هم طيارين ، ولٰكنهم مرتاحين .

وناس ـ قال ـ الدرجة الثالثة ، وأنه يؤذن لهم في الطيران ، أو في الخروج ، أو العروج من قبورهم .

قال : وبعد رجع إلىٰ الحبيب عبد الله الشاطري ، قال له : وأنت بغيت تكون من أي فريق ؟

قال له : إذا بايقع لنا من الطيارين . . أنا بغيت منهم .

---

(١) توفي بالمكلا شهر القعدة ١٣٥٨ .

Scanned with CamScanner

قال له : أنت من الطيارين . ثلاث مرات يكررها عليه يقول له هٰذا الكلام .

وهٰذا في محله ما هو بعيد ، لو لم يقلها عمكم أحمد بن محسن ، ونحن عرفنا عمكم عبد الله الشاطري . لصح أن يقولها من عرفه وعرف دروسه . مؤكد هٰذا الكلام ، عمره كله قضاه في دروس ، عمره كله قضاه في علم ، مع تواضع ، مع موت نفس ما أحد كما عمك عبد الله قط أبداً .

كثير أنا ما أذكر لكم حكاية كان يأتي بها حامد الجيلاني[1] ، كل واحد يعرضها علىٰ نفسه .

كانوا يحضرون عنده في (تريم) ناس من الأجلاف من بادية القبلة ونواحيها من أجلاف البوادي هناك ، يأتون عنده . وبعد ، ذات يوم جاء واحد يبكي منهم هٰؤلاء الأجلاف ، وعمكم عبد الله في الحلقة ، قال له : لماذا تبكي يا ولدي ؟

قال له : فلان لطمني في وجهي . وقام لطم عمي عبد الله ليريه اللطمة .

قال له : خلاص ، لا تبكي فقد تقاضيت بحقك .

كيف الواحد منكم يعرضها علىٰ نفسه ؟

هٰذه منقبة من كبريات المناقب ؛ لأن البشرية لها شهوة ولها حظ ، أين وصل الإنسان منها ؟ ماذا لو واحد لطم لواحد منا إذا هو من أقرانه ؟ فكيف إذا كانت من واحد ولد صغير ؟ فكيف إذا

---

(١) السيد العلامة حامد عبد الهادي الجيلاني توفي بالخريبة ١٤١٤ رحمه الله .

كانت من بدوي ؟ هل بايحتملها ؟ بايقول له : خلاص ، لا تبكي فقد تقاضيت بحقك ، أو بايغضب عليه وبايلقى له طبائعْ ، وبايلقى له شيءْ من هٰذه المنازعات ؟

وحكاية أخرىٰ يأتي بها حامد الجيلاني أكبر من هٰذه المنقبة وأكبر ، وفيها مقياس لموت النفس .

كلنا نعرف عمكم عبد الله ، كان إذا دخل الحمام أو دخل الجابية . . يبطي فيها ، ثقيل الحركة ، وكل يوم يخرج يركع الضحىٰ في مسجد باعلوي ، يغتسل ويركع الضحىٰ في المسجد ، وكان أحد الشيوخ الكبار المسنين الذين هم أسن منه منتظره تحت الجابية ، كلما حرك الجابية . . قال له عمكم عبد الله : إِحِمْ - يعني : تحمحم - وربما أنه في نفسه شيء من عمكم عبد الله . فلما طال عليه زمن الانتظار . . قال : هُوْمِن في الجابية ؟ قالوا له : عبد الله الشاطري .

فتح الجابية ودخل علىٰ عمكم عبد الله وشله من الماء ، وعمكم عبد الله بلا ثوب ! وخرج عمكم عبد الله ولبس ثيابه ورجع إلىٰ بيته ، بعد ما رجع إلىٰ بيته ، بدلاً من المشقة وبدلاً من الغضب ، وبدلاً من الانتقام وبدلاً مما يفعله الناس اليوم قال : أظن أنني أسأت في حق هٰذا الشائب وقصرت في حقه ، سأذهب إلىٰ بيته وباانطرح عليه .

لبس ثيابه وراح إلىٰ بيت الشيبة وقرع الباب عليه ، ولما قرع الباب . . ظهر عليه من النافذة فإذا به عبد الله الشاطري ، هٰذا

Scanned with CamScanner

الذي فعل فيه ما فعل ـ وما هناك أكبر منها هٰذه القضية ـ خرج واستقبله إلىٰ الدرج ، وقال له : يا حيا بك يا ولدي ، ما الذي أتىٰ بك ؟

قال جئت معتذراً أنا ؛ لأنني قصرت في حقك كثير ، وما كنت أدري أنك أنت جالس ، لو كنت أدري أنك جالس . ما كنت باأسترخي في الجابية طول هٰذه المدة .

قال له : يا ولدي! أنا الذي عملت فيك ما عملت ، وعملت فيك الأشياء التي ما تناسب ، أنا أخذتك من الماء وأخرجتك من الجابية وأنت عريان من الثياب ، وخرجتك وعورتك مكشوفة للناس ، أنا الذي عملت فيك هٰذه الأشياء . وبكىٰ الشيبة وبكىٰ عمكم عبد الله .

ما هٰذه الأخلاق ؟ كل واحد ينظر إلىٰ نفسه :

هل وَصَلَت إليه إلىٰ شيء من هٰذه الأخلاق ؟

هل تحرك خاطره لشيء من هٰذه الأخلاق ؟

انظروا إلىٰ هٰذه التربية التي كان عليها آباؤكم ، يحكيها لكم صاحب كتاب « المشرع » في أهل (المشرع) ونحن رأيناها في أتباعهم ممن سار بسيرهم وعلىٰ طريقتهم بهٰذه التربية ، ولد بـ(تريم) وحفظ القرآن العظيم ، وتربىٰ بأبيه .

هٰذه التربية التي كان عليها هٰؤلاء ، وكان الوادي المبارك عليها ، وهٰذه هي البركة ، هٰذه ثمرة البركة ظهرت فيهم .

Scanned with CamScanner

ونحن ذا الحين لا نقصد بكلامنا كله ذكر مناقب هٰؤلاء ، مقصودنا ذا الحين . بغينا كل واحد يحاسب نفسه علىٰ أنه مسؤول علىٰ الذكر ، وينبغي له أن يذكر الله .

مسؤول عن الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، فينبغي له أن يصلي علىٰ النبي .

مسؤول عن مراجعة درسه ، فينبغي له أن يراجع نفسه .

مسؤول عن كتابة شيء من الفوائد التي نذكرها لكم .

كل منهم هٰؤلاء ترك لكم ذخيرة ، الحبيب أحمد بن زين « السفينة » حقه ثلاثة وعشرين مجلد ، و« السفينة » حق الحبيب علي بن حسن العطاس جابوها لنا مجلدين كبيرين ، كلهم السابقين تقريباً كل واحد له سفينة ، وكل واحد له شيء منها ، جمعوها من ثمرة العلم الذي يحضرونه .

ذا الحين نحن استفدنا من الدرس الليلة الزيادة حق الرشيدي ، واستفدنا منه التفرقة فيما بين النافلة المؤقتة وذات السبب ؛ والنافلة ذات غير وقت ، وهل تقضىٰ ؟

وكثير من المسائل يستفيدها الإنسان ، فينبغي له أن يقيد الشوارد وهٰذه الشواذ ؛ حتى تكون محفوظة عنده ؛ لأنها إذا ما كانت محفوظة عنده ؛ فالنسيان كثير .

كان السابقون ما كان لهم تعلق بشيء من أمر الدنيا ، وقالوا : إن الخزانة الظاهرية البربرية فُقِدت ، ولما فقدت . . جاؤوا يسألون عنها فين باتحصل هٰذه الخزانة؟ والحقيقة أنها أُحْرِقت .

Scanned with CamScanner

قال لهم واحد : إن هٰذا الكفيف أبو العلاء المعري اسألوه ، ستجدوه ملم بكثير منها .

فذهبوا إلىٰ (معرة النعمان) وجاؤوا إلىٰ عنده ، وقالوا له : الخزانة البربرية أُحرِقت تحفظون شيءْ منها ؟

قال : أنا بأملي عليكم ، هاتوافقط كَتَبة .[بغاهم يكتبون وبا يملي من حفظه]

نحن الآن ما بغينا هٰذا الكلام ، وفضل الله غير محظور ، بغينا تقييد قليل ، كل واحد يقيد مسألتين ، ثلاث مسائل ، أربع مسائل .

أمس كان عندنا السفير المغربي ، جاب لنا اثني عشر مجلد من فوائد العالِم الكبير المشهور الونشريزي ، كل فائدة لا تقل عن صفحتين في النقولات التي ينقلها وهو مالكي المذهب . بغينا نحن نجمع لنا فوائد .

ذا الحين نحن جمعنا مجموع الحبيب طٰه بن عمر الصافي[1] وطبعناه ، وبحمد الله أنجز وموجود ، بغينا الناس فقط يقتفون . وهو المجموع ما هو للحبيب طٰه ، الجمع له فقط : يذكر عن بن قاضي ، ويذكر عن أحمد مؤذن ، ويذكر عن أحمد بن حسين عيديد ، ويذكر عن أحمد بن عمر العيدروس ، ويذكر عن صاحب الدشته . .

---

(١) الحبيب طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي ولد بسيون ١٠١٠ وتوفي بها ١٠٦٢ . صاحب المجموع وجده طه بن عمر صاحب المسجد بسيئون وفاته سنة ١٠٠٧ .

كله إلا نقولات واجتماعات ، قال فلان كذا ، وقال فلان كذا ، وقال فلان كذا . بغينا نحن مثلهم ، لا تضيعون الأوقات ، قليلْ خذوا من أوقاتكم . ذا الحين باترجعون إلىٰ دياركم ، فلا ينام الإنسان إلا بعد الذكر وبعد الصلاة على النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ ، يجعل له سبحة مئة من الذكر إذا ما كان له أكثر ، في طريقه يذكر الله ، يصلي علىٰ النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ . قليل من الكتابة وتقييد للمسائل التي سمعتوها ؛ لأن الأخ عبد القادر الروش ـ كما أقول لكم ـ عِيْبَةٌ من الفقه ، خزانته واسعة معاد تحصّلونها ، عاد نحن معاد ندرك شيءْ من مثل هـٰذه الأشياء ، مرت علينا ولا ندركها وهو أفقه منا بطبيعة الحال وأوسع مننا مدرك فيها ، فينبغي اغتنامه ، ذا الحين هو معاد يقدر يراجع من نكد الزمان ، وهـٰذه المعلومات إلا من حفظه القديم ومراجعته ومطالعته .

وعندكم كذلك الحبيب محمد الشاطري ، وعندكم كذلك الحبيب محمد المساوىٰ .

وعندكم كذلك الأخ حسن الشاطري[1] ، هـٰذ : كان وقته ـ كما عرفتوه ـ جالس في رباطهم هناك ، يخرج بعد صلاة الصبح ، ويرجع إلىٰ الدار يأكل له قطعة خبز ويرجع إلىٰ الدرس ، ويرجع

---

(١) الحبيب العلامة حسن بن عبد الله بن عمر الشاطري ولد بتريم سنة ١٣٤٦ وتوفي في أبو ظبي قبل صلاة الجمعة ١١ربيع الأول سنة ١٤٢٥ ونقل بالطائرة إلى حضرموت ودفن بتريم رحمه الله .

Scanned with CamScanner

إلىٰ الدار ويأتون ناس يدرسون عنده ، ويرجع بعد العصر إلىٰ الرباط أو بعد الظهر . . وهٰكذا كانوا كلهم هٰؤلاء .

ذا الحين جمعهم الله لكم جمعٍ كاملْ ، ولٰكنكم كلكم ما معكم ، حتىٰ وقت لو أحد سألكم : أحد بدا منكم زار الأخ حسن الشاطري في (مكة) ولو حين يطلع إلىٰ (مكة) الواحد منكم ؟ ينبغي لكم شيء من التعارف ، فيه ثواب كبير ، ثم تستفيدون من هٰذا التعارف .

كذلك أنا أذكِّركم بالأخ عبد القادر بن محمد بن هادي[1] ، وَلَد الحبيب محمد ، وهو كبير في السن ، إذا طلعنا (مكة) في فينة من الفينات . . ندخل عنده خمس دقائق ، عشر دقائق وخلاص ، ونخرج وهو فرحان ، وكثير ما يسأل عن مساوىٰ ، ومساوىٰ كان يجلس وإياه في حلقات والده ، دائماً يسألنا : مساوىٰ فين ؟

نقول له : مساوىٰ بانطلع به يوم ، إن شاء الله تحصل فرصة ونطلع به .

هٰكذا ينبغي ، خمس دقائق ، دقيقتين .

وأنا أذكر لكم في قضاء الحاجة التي فقدت اليوم ـ وهي من جملة أسباب الخير ـ أذكر لكم معلم مسجد طٰه ، هٰذا الشيخ محمد بن طـه باحميد توفي قبل سنة أو سنتين ، طريقته : أنه

---

(١) أقام بمكة المكرمة مدة طويلة وتوفي بمكة رحمه الله .

يخرج إلىٰ المسجد يركع ويجلس في العُلْمة ـ مكتب تحفيظ القرآن ـ ويجلس في العلمة هٰذه يقرِّي ـ يعلِّم ـ الأولاد ، ويخرج من العلمة ويعبر علىٰ كذا كذا من النساء العجائز والأرامل والقاصرات ، والناس الذين هم معذورين ، طالِعْ في طريقه ؛ لأنه بغىٰ التربة يقرأ علىٰ الأموات في التربة ، وقريب من السوق يقول لهن : أنا طالع السوق ، هل لكن حاجة ؟ والكثير منهن حالتهن ضعيفة ، يستدين هؤلهن وعلىٰ باب الله .

ويطلع السوق ويجيب حاجاته في زنبيل ـ مَزْوَض كبير ـ ويخرج حاملاً هٰذا المَزْوَض علىٰ رأسه ويعبر به علىٰ أول قبر ، ويقعد هو وإياه يقرأ عليه ، والثاني يمر عليه ويقرأ عليه . .

الحاصل : يخلِّص قراءته من التربة ، وبعد ما يخلص قراءته من التربة . . يمر علىٰ الديار هٰذه التي قضيٰ حاجاتهم من السوق ، الذي بايطلع عندهم يطلع ، والذي ما يطلع عندهم . . يقول لهم : هٰذه حاجتكم في الضيقة انزلوا خذوها . ويمر علىٰ الثاني . . وهٰكذا .

هيا الآن حاسبوا أنفسكم ، ماذا تعملون ؟

أحد له شيء من هٰذه الأعمال ؟

إذا خرج من الديار يركع ركعتي الضحىٰ ؟

هٰذا ـ شفوه ـ العمل وهٰذا ثمرته .

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعمل ، وللتعارف والتآلف ،

Scanned with CamScanner

وللعلم وحقيقة العلم ، وللدخول في دائرة العلم ، وللدخول في دائرة الأشياخ ، وللدخول في دائرة الأخذ ، وللدخول في دائرة التلقي ، وللدخول في دائرة الترقي ، وللدخول في الاستعداد للجلوس مع المشايخ - إن شاء الله - حتىٰ يأخذوا بأياديكم فينهضوا بكم إلىٰ عالَمهم ، وللدخول في عالم الأخلاق التي سمعتموها عن هٰؤلاء الشيوخ .

وأسأله أن ينفعنا بالعلم ، ويجعله ذريعة للوصول إلىٰ المراتب العالية ، وينفعنا بالشيوخ الذين ذكرناهم ، ويجعلهم وسائط لنا يوصلونا بنبينا ويوصلونا بالمراتب ، ويبارك لنا في البقية الباقية ، ويمتع بهم - إن شاء الله - في عافية وسلامة حتىٰ نأخذ من سرهم ، ومن علمهم ومن عملهم ، ومن هدايتهم ومن توفيقهم ، في خيرٍ وعلىٰ خير .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلِه وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

في فضائل أيام الحج وفضل العبودية

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة بمنزل أخينا طٰه بن محمد بن طٰه . تاريخ السابع والعشرين من شهر القعدة ، عام أربعة وأربع مئة وألف للهجرة (٢٧/ ١١/ ١٤٠٤) الموافق الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (٢٤/ ٨/ ١٩٨٤م) .

وقد حضر هٰذه الروحة كثير من الآباء والإخوان الذين وفدوا إلىٰ هٰذه البلاد لأداء مناسك الحج .

وبعد القراءة في الفقه تكلم سيدي ـ حفظه الله وأطال في عمره ـ وقال :

عادت علينا ليالي الحج وأيامه السعيدة وبركاته ، وما يتنزل فيه وما يحصل فيه . والتنزل هٰذا يدركه كل ذي قلب سليم ، كل من عنده شيء من السلامة في قلبه وعنده إدراك واستعداد له يدركه ، وأقل ما يقال فيه : اجتماع أهل لا إلٰه إلا الله ، وتقاربهم وتزاحمهم على ذكر الله ، أو علىٰ الصلاة في المسجد الحرام ، أو علىٰ كتاب الله ، أو علىٰ الأيام التي يتقاربون ويحضرون فيها أيام (منىٰ) وأيام الحج هٰذه كلها ، يكفي ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ إذا نظر إلىٰ هٰؤلاء وهم يدعونه ويتقربون إليه ويحضرون لأجله بما وعدهم به سبحانه وتعالىٰ ـ قالوا ـ كفىٰ أن ينال أهل الكون كلهم نصيبٌ من الرحمة المتنزلة في هٰذه

الأيام . إنما الإنسان إذا أمكنه أن يأخذ نصيبه من الرحمة بقلبه واستعداده . . أولىٰ له من أن يأتيه بواسطة ، وأولىٰ له من أن يأتيه بالقسم العام ؛ لأن القسم الخاص ما هو كما القسم العام .

والرحمة التي تتنزل علىٰ الحاضر وعلىٰ المستجمع شروط الرحمة مع الله سبحانه وتعالىٰ يحضر فيها بكمال حضور وبكمال أدب ، ثم علىٰ الذي يتلمس مواطن الرحمة ، ثم علىٰ الذي يسأل عن الحفلات والمحاضر التي يُذكَر فيها هـٰذه الرحمة وتتنزل فيها الرحمة ، كلها هـٰذه ما يخيب منها الإنسان .

كم بايعود الإنسان منها برحمة واسعة عظيمة ؟ أقل ما يقال فيها : إنه يصلح قلبه ، وإذا صلح قلب الإنسان . . كفىٰ . ثم ما هو صلاح القلب فقط ، بعد صلاح القلب : الحفظ من الشيطان ، الحفظ من وسوسة الشيطان ، الحفظ من أعوان السوء ، الحفظ من كيد الزمان ، الحفظ من نكد الزمان ، الحفظ من عناء الزمان .

ثم بعد هـٰذا كله القسم الثاني : ما يخالف قلوب كثير من الناس الذين ما يحضرون مع الله ولا ساعة ، دائماً وهم في هموم وغموم ، والهموم هـٰذه تأخذ بالإنسان ، قال أبو الطيب :

والهم يخترق الجسيمَ نحافةً ويُشيب ناصية الصبِيِّ ويُهرِمُ

معاد في ذلك كلام . والناس ما أصابهم هـٰذا كله إلا لأن الواحد منهم ما رجع إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ، ولا إلىٰ ذكر الله ، ولا إلىٰ معرفة العبد لربه .

Scanned with CamScanner

ومعنىٰ معرفة العبد لربه : قالوا : تأتي في مواضع :

تأتي أن يلاحظ أولاً أنه إذا أراد أن يغفل بمعصية . . يراقب أن الله يشهده ، فإذا راقب أن الله يشهده . . فمعناه : عرف أن ربه مطلع عليه .

هٰذا نوع من المعرفة ، وإذا أراد أن يغفل عن الله سبحانه وتعالىٰ في مجلس لهو إذا ذَكَر الله في ذلك المجلس أو قام من ذلك المجلس ؛ لأنه ما يناسب ما دُعي إليه ، وما دُعي إليه هو قوله تعالىٰ : ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ هٰذا الذي دُعي إليه العبد .

ينبغي له كذلك أن يُدرك هٰذه الدعوة ؛ لأننا كلنا مدعوون لدعوة مشرّفة ؛ هي دعوة أن يربأ الإنسان بنفسه عن الرذائل ويشرّف نفسه .

هي دعوة أن الإنسان يدرك أن الله سبحانه وتعالىٰ نسب العبد والعبدية كلها إليه ، وحَسْبه شرف . كانوا الشيوخ يأتون بالبيتين التالية تمشياً مع قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾ .

فالمولىٰ يقول لكم : ﴿ عِبَادِى ﴾ أنتم ، ينبغي له أن يكرِّم نفسه ؛ لأن الله أكرمه ، فالجلوس علىٰ الدنايا ، والجلوس علىٰ المسافل والجلوس مع الأسافل هٰذا ما يتناسب مع من أُكرِم ، وكأنه يقول : أنا ما أريد الإكرام ، ما أنا من أهل الإكرام .

كانوا الشيوخ يأتون بالبيتين التالية :

لا تَـدْعُنـي إلا بيـاعبـدَهـا فـإنـه أشـرف أسمـائـي

وقبل هذا البيت :

يا عمرو قلبي عند زهرائي   يعـرفـه السـامـع والـرائـي
لا تـدعنـي إلا بيـاعبـدهـا   فـإنـه أشـرف أسمـائـي

قالوا : لأن الله سبحانه وتعالىٰ وصف نبيه بصفات : وصفه بالنبوة ، ووصفه بالرسالة ، ووصفه بكثير من الأوصاف التي أعطاه إياها ، ولٰكن وصفه في مقامين كريمين خصه فيها بالعبودية :

الوصف الأول : أنه قال له سبحانه : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ .

وكان في الإمكان أن يقول : برسوله ؛ لأنه رسول . أو : بنبيه ؛ لأنه نبي . أو : بمحمد ؛ لأنه محمد . لٰكنه شرفاً لانتسابه إلىٰ مولاه في هٰذه المرتبة في وقت الإسراء ، ووقت الكرامة ووقت الشرف وصفه إليه بالعبدية ، فقال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ .

وقال في ذكر التنزل في ذكر الوحي : ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ .

وكفىٰ أن يشرِّف الإنسان ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ أعطانا نصيبٌ ، فقال لنبيه : قل لهم : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ .

يقول له : ﴿عِبَادِى﴾ . الآن الناس المتفاوتين هٰؤلاء الذين

لهم رتبة عند الملوك ، أو عند ذوي الهيئات ، أو عند ذوي الوظائف الكبيرة ، إذا جاء واحد مُرسَل من عند سيِّده إلىٰ عند واحد منهم . . شافها كبيرة جم ، قال : اليوم أرسل لي رسولٌ ، أو دخل علَيَّ فلان المقرَّب ! فهـٰذا الله المولىٰ قَرَّبكم كلكم ، وإذا قرَّبنا المولىٰ . . ينبغي لنا أن نعرف حق القربة وأن نكرمها ، فإنسان يجلس علىٰ ما لا يناسبه وقد أسلم نفسه ودخل في لفظة العبادة هـٰذه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾ ينبغي له أن يكرمها حتىٰ يكرم ، وينبغي له أن يستشعرها حتىٰ يرفع ؛ لأن الإنسان إذا ما عرف نفسه محقوق له أن يُكرَم .

وكما قلنا : لا يزال المولىٰ يوالي علينا النعم ، هـٰذا الحج أمر عظيم ، دعوة إلـٰهية سماوية كانت لأبيكم إبراهيم عليه السلام جاءت بأمر ، وجاءت بأمر لرسولكم صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ .

من هـٰذا القائل الذي يأمر بالأذان ؟

ومن هو المؤذن ، ومن هو الداعي إلىٰ هـٰذا الأذان ؟

ومن المدعو ؟

كل واحد منكم مدعو حتىٰ لمن لم يتمكن له الحج .

هـٰذه الليالي ليالي عطاء ، ليالي رضاء ، ليالي بركة ، ليالي رحمة ، ليالي خير ، ليالي تَنَزُّل ، ليالي لطائف ، ليالي تجلِّي ، ليالي عرفان ، ليالي شيء منها هـٰذه الأشياء التي تتنزل .

كان صاحب « الإحياء » يحكي عن واحد اسمه [محمد] خفيف ، قال : إنه حج تسع وثلاثين حجة ، ولما أراد أن يحج الأربعين . قال : نويت هٰذه الحجة لمن لم يقبل الله حجه .

فنام ، فرأىٰ في منامه رب العزة يقول له : يا ابن خفيف ، أتتكرم علَيَّ ؟ أتتسَطَّا علَيَّ ؟! أنته باتعطي الحجيج هٰؤلاء من حجتك هٰذه! هٰؤلاء عبادي أقبلوا علَيَّ .

فكان ينبغي لنا أن ندرك هٰذه الأيام وفضائل هٰذه الأيام وشرفها . قالوا : إنها يسن فيها التسبيح والتكبير والتهليل عند رؤية الأنعام[1] ، وعند رؤية الأشياء العظيمة مطلوب ، لماذا إنه مطلوب ؟

قالوا : للشرف الذي اختُصت به ، وكذلك التنزل والعطاء الذي يحصل فيها ، والمثابات التي تكرر فيها ، كلها هٰذه لها ثوابات .

ذكر العلماء رحمهم الله حتىٰ الصلوات كما قالوا : إنها تتضاعف في المسجد الحرام بمئة ألف ، وبألف بالمسجد النبوي ، وبخمس مئة في المسجد الأقصىٰ ـ قالوا : تتضاعف في هٰذه الأيام الفاضلة بأعداد كثيرة فوق ما وعد الله سبحانه وتعالىٰ في غيرها ؛ لأنها أيام تشريف ، أيام تكريم ، أيام تعريف ، أيام تعرف ، أيام قربة ، أيام خير .

---

(١) الأنعام بفتح الهمزة هي الإبل والبقر والغنم .

Scanned with CamScanner

فكان ينبغي لكل واحد مننا أن لا تفوته هٰذه الليالي ، ولا هٰذه الأيام ، ولا هٰذه القربة .

وكم يحصل في التعرف ؟ ذكر لكم الأستاذ قبل قليل في صلاة الجماعة وما يحصل فيها نبذة قليلة ، ذكرها لكم .

ذكر الشيخ علي بن أبي بكر السكران ـ رحمه الله ـ في فصل من الفصول لكتاب « معارج الهداية » فضل صلاة الجماعة وفضل الاجتماع ، فقال :

إن أقل ما يقال ـ وذكر فيها سبعين من الفضائل في صلاة الجماعة في هٰذا الكتاب ، ولٰكنه قال أقل ما يقال فيها ـ أنها مثل الغزوة التي احتاج فيها أصحاب رسول الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ إلىٰ الزاد ، فقال : اجمعوا ما في مزاودكم .

جمعوا ما في المزاود حد عنده سويق ، وحد عنده دقيق ، وحد عنده تمر ، وحد عنده حب . . جمعوا هٰذا كله ووضعوه في ركمة قدام النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وبَرَّك النبي عليه ، ودعا له بالبركة . قال أهل الحديث : قال : « اللهم أعظم البركة فيه » .

وكان ينبغي لكل واحد إذا أخذ له شيء . . يقول : « اللهم أعظم البركة فيه » . إذا قُدِّم له . . يقول : اللهم أعظم البركة فيه ؛ حتىٰ يكون له عون علىٰ فعل المبرات ، علىٰ فعل الخيرات .

Scanned with CamScanner

ثم لما دعا له النبي وبَرَّك عليه صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ . قال لهم : املؤوا مزاودكم . قال أصحاب الحديث : فملؤوا مزاودهم وكأن الركمة لم تمس .

كان أقل ما يقال في صلاة الجماعة أنها مثلها ؛ لأنه يصلي هٰذا ، ويصلي هٰذا ، ويصلي هٰذا ، ويصلي هٰذا ، ويصلي ذاك . ويجتمع مئة مصلي ، مئتين مصلي ، أربع مئة مصلي في المساجد هٰذه ، بينما في الحرمين الكبيرين العظيمين ، بينما هو في مثل هٰذه الأيام ، كم يمكن اليوم في جمعة (مكة) وكم اليوم في جمعة (المدينة المنورة) ؟ مليون فأكثر ، مليون ونصف ، مليونين ، أيردهم الله ؟ ما فيهم مقبول هٰؤلاء ! ما فيهم مستجاب دعوة ، ما فيهم من إذا نظر إليه المولىٰ . . رحمه ؟ لا شك أنهم موجودين . وإذا نظر إليهم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ هٰؤلاء أهل القبول . . بايقبل هٰؤلاء كلهم ، وبايدخلون كلهم في البركة .

أقل ما يقال ـ كما قلنا ـ : إذا ما قَدَر أن يستشعر وقت صلاة الحرم . . يرفع يديه ، ويقول : يا رب ، عجزت عن الوصول إلى الصلاة مع هٰذا الجمع العظيم ، فلا تحرمني من بركةٍ تُنزِلها عليهم ، ولا من رحمة ترسلها إليهم ، ولا مِن تَعَرُّفٍ تتعرف به إليهم .

فإذا رفع يده . . أيرده ربه ، أو يعطيه المولىٰ ؟ يُعطي ولا يَرُد سبحانه ، بعد ما يقول لكم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

Scanned with CamScanner

وكثير ما أذكر لكم أن أهل التفسير ـ رحمهم الله ـ قالوا : إنها ما جاءت لفظة يسألونك في القرآن إلا كان الجواب : فقل لهم :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ ، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ . . لفظة يسألونك كلها تأتي بعدها : قل . لـٰكن هذه الآية المباركة أذن المولىٰ فيها بتقريب عبده إليه بلا واسطة ، قال لنبيه : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ معاد قال : قل إني قريب .

قَرَّبكم وأدناكم إليه إدناء بلغ الغاية ، فلا ينبغي أن يقصِّر الإنسان أو يغفل عن مثل هـٰذه الأيام .

ثم تلمسوها في : ﴿عِبَادِى﴾ الله يخاطبكم ، هـٰؤلاء الذين يغدون والذين يأتون ، والذين يترددون والذين يقصدون ، والذين يحجون ، والذين يأتون إلىٰ مولاهم سبحانه وتعالىٰ . كل من أتىٰ معناه : أنه سمع النداء ، ومن سمع النداء ماذا ؟

ذا الحين لو جاءت دعوة من واحد ، وجاء إليه المدعو . . دليل علىٰ أنه أولاً كرَّم نفسه ؛ لأنه قَدَّره هذاك فأجاب التقدير ، وإذا أجاب التقدير . . لابد وأن يكون له تقدير جديد أيضاً من عند الداعي ، والداعي هو الله سبحانه وتعالىٰ ، والمدعو هم العباد الذين يأتون ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ ﴾ ثم فصَّلها ، فينبغي لنا ـ كما قلنا ـ أن لا نغفل .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن لا يخلِّينا من بركة يرسلها علىٰ حاج ، أو علىٰ طائف ، أو علىٰ مقيم ، أو علىٰ قاعد ، أو علىٰ

Scanned with CamScanner

جالس ، أو علىٰ زائر ، أو علىٰ عاكف ، أو علىٰ قارىء . وأن يجعل لنا نصيبٌ من كل تَنَزُّل يتنزل علىٰ أهل لا إلـٰه إلا الله ، في صلواتهم ، وفي حرمه ، وعند اجتماع إخوانهم .

وأسأله أن لا يحرمنا من بركة عرفة وما يحصل فيها .

كان الحبيب محمد بن هادي السقاف ـ رحمه الله ـ حين ما يذكر الصيام ـ قرره لنا الأستاذ فيما قبل ليلتين أو ثلاث ليالي ـ يذكر صيام عرفة لغير الحاج ، قال : إنه ورد الأثر أنه ينبغي للإنسان أن يدعو بصائمي يوم عرفة ، فيقول : اللهم بحق صائمي يوم عرفة . . لا تحرمنا من ثواب عرفة . إشارة إلىٰ أن الصائمين الذين ما قَدَروا علىٰ الوصول إلىٰ عرفة ولا إلىٰ الحج في ذلك اليوم لهم مثوبة كبيرة ورعاية كبيرة من مولاهم سبحانه وتعالىٰ .

قال : ادعوا بهم ، روى لنا الأثر وقال : إن من دعا بهم . . حصل له القبول .

وكم يكون للإنسان من فائدة ؟ ثم الفوائد التي ينبغي للإنسان دائماً أن يجنيها ـ كما أذكر لكم ـ :

صلاة الجماعة .

والنافلة التي سمعتوا الأخ عبد القادر الرُوِش يدرِّسها في أول الدرس ، والأخ محمد الشاطري فيما بعده .

الرواتب المؤكدة التي ما تركها النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ لا سفر ولا حضر .

قليل من قيام الليل ، لا أقل إذا ما قدر نصف ساعة قبل

Scanned with CamScanner

الفجر ، ثلث ساعة قبل الفجر ، ربع ساعة قبل الفجر . كثير منهم يأتي لهم بسُبُع من القرآن قبل الفجر ، معاد يطلع عليه الفجر إلا وقد غلق ورده من القرآن : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ .

و(عسىٰ) هـٰذي في القرآن ما هي كـ(عسى) في غيره .

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ كلكم بغيتوا المقام المحمود ، ولـٰكن! رعاية قليل منكم .

ثم كذلك التعرف ـ كما قلنا لكم ـ يخرج الإنسان ، فإذا وجد من يمشي ، وإذا وجد عاجزْ ، وإذا وجد قاصرْ ، وإذا وجد مريضْ . . أولاً : لا يخلي نفسه من زيارة مريض ، من زيارة عالم ، من زيارة مقعد ، من زيارة ذي حاجة خمس دقائق وهو خارج في طريقه .

ثم ما قدر علىٰ قضاء حاجات المنقطعين في بيوتهم . ولا هو شرط أن يواسيهم بماله ، إذا لم يقدر للمواساة . . مسألة أخرىٰ ، لـٰكن الشرط أن يتفقدهم ، نربما بغوا حاجة ما قدروا عليها ، وربما بغوا شيءْ من هـٰذه الأشياء ما تيسرت لهم .

هـٰؤلاء الذين قاموا بالإصلاح وبالنفع الكبير ؛ كما الحبيب محمد بن طاهر الحداد[1] وكثير من أمثاله . وهـٰذا الذي حضرني

---

(١) توفي بالتقل في أندونيسيا عام ١٣١٤ .

وظيفته دائماً . . يصلح بين الناس ، ويستدين ويدفع ، لما استشعر قرب المنية ـ كان هناك نزاع ما بين جهتين : آل العمودي وحد غيرهم كذلك في شيء من مساقي الماء في بلده هناك ، أراد أن يصلح بينهم فرآهم متشددين ، فأخذ المال هٰذا بمضاعفات من الثمن ؛ حتىٰ تهدأ ثائرة الغضب فيما بينهم ، وثائرة القطيعة ، وثائرة الشقاق ، وثائرة الشدة ـ لما استشعر قرب المنية . . قالوا : استدان ديون ما يقارب مئة ألف أو تزيد عليها ، قال لهم : دَيني وفاؤه من هٰذه القطعة .

فلما توفي . . جاء واحد وأخذ القطعة بمئة ألف مقابل الدَّين .

هٰذا سببه : النية الصالحة ، ثم ثوابها في الآخرة . ولو قلنا : إن ديونه ما سُدِّدت من ماله كله ، إنما بواسطة إعانات . . أَلاَ له ثواب في الآخرة ؟ هل له قرب من الله سبحانه وتعالىٰ ؟

قال الشاعر :

إن الفضائل كلها لو جُمِّعت   رجعت بأجمعها إلىٰ شيئين
توحيد[1] ذات الله جل جلاله   والسعي في إصلاح ذات البين

كل واحد يرجع إلىٰ دفتره الذي سيقول لكم المولىٰ فيه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ .

---

(١) نُقِل هذا البيت برواية أخرىٰ ، وهي :

تعظيمُ ذاتِ الله جَلَّ جلالُه   والسعي في إصلاح ذاتِ البَيْن

يرىٰ فيه كم إصلاحات ؟

كم قيام بخدمات ؟

كم قيام بإعانات ؟

كم قيام بأداء واجبات ؟

كم قيام برعاية ؟

كل واحد ما تخفىٰ عليه هٰذه ، يسعىٰ ويسأل نفسه : هل له يد في هٰذه الأشياء ، أو هو صفر حتىٰ يأتي يوم القيامة . نسياً منسياً ؟

ينبغي للإنسان أن يجعل له طريقْ حَسَب ما يقدر ، ما هو شرط أنه يبذل جاهه وماله أو يلقي بنفسه هٰكذا ، أو معاد يبالي بنفسه وبعد يندم له ، إنما سعىٰ فيما يقرب ، سعىٰ فيما يجمع ، سعىٰ فيما يقرِّب ويعين ، سعىٰ فيما يدخل السرور علىٰ قلب أخيك ، سعىٰ في الرحمة . هٰذه كلها لها مقربات ، فلينظر إليها الإنسان .

هناك إلىٰ جنبك كاتبين يكتبان ، إذا وجدت من يكتب لك ليس مثل من يكتب عليك ، اجعل الكتابة دائماً تكون لك .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفعنا وإياكم بالسيرة النبوية ، وبالأخلاق المحمدية ، وبالعادات السلفية ، وبما كان عليه مَن قبلنا من خيار البرية .

وأسأله أن ينفعنا بهٰذه المجالس ، وأن يجعلها عوناً لنا علىٰ

Scanned with CamScanner

الرقي إلىٰ المعالم العلوية ، وإلىٰ النفائس اللدنية ، وإلىٰ الرحمات المتنزلة من رب البرية .

واسأله سبحانه أن يكرمنا وإياكم بأن يكتبنا في ديوان أهل الإحسان مع أهل الإحسان ، ويعاملنا معاملته لأهل الإحسان ، ويحفظنا وإياكم من الخزي والهوان ، ومن الذلة والعصيان ، ومن سوء الفعال ومن الإهمال ، ومن ترك الحقوق الواجبة .

وأسأله سبحانه أن يقسم لنا في بركة هٰذه الليالي المقبلة ، وفي بركة هٰذه الأيام ، وفي بركة هٰذا الحج ، وفي بركة هٰذا الموسم ، وفي بركة هٰذه الأيام ، وفي بركة القادمين ، وفي بركة الطائفين ، وفي بركة المعتمرين ، وفي بركة الزائرين ، وفي بركة الواردين علىٰ الحياض القدسية .

وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يغفر لنا ما مضىٰ ويحفظنا فيما بقي ، وأن يجعلنا وإياكم معافَيين في الأديان ، معافَيين في الأبدان ، معافَيين في جميع ما كان ، وأن يجعلنا وإياكم ممن حفته العناية وأدخلته الرعاية بابها الأول فدخل .

وأسأله أن لا يخرجنا من رعايته ولا من حمايته ولا من كلاءته ، وأن يجعل قدوم الحجيج وقدوم الزائرين وقدوم الوافدين قدوم خير وقدوم بركة ، وقدوم رحمة وقدوم رضا ، وقدوم عطاء وقدوم ـ إن شاء الله ـ صلاح وإصلاح .

وأسأله سبحانه أن يحفظ الحجيج ، وأن يحفظ الحرمين الشريفين ومن فيها ، وأن يقيمنا وإياكم كما أقام من قبلنا ،

Scanned with CamScanner

مقبولين الدعوات مستجابينها . وأن يجعلنا وإياكم ممن صفت سريرته ونظر إليها المولىٰ ووسَّعها بتعرفاته ، وممن أكرمه مولاه سبحانه وتعالىٰ بالانطواء الكامل فيمن قبلنا ؛ حتىٰ ننطوي في السيرة ، وندخل ـ إن شاء الله ـ في صفاء السريرة مع أهل السريرة الصافية النيرة المنيرة .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة التي خشعت لها القلوب وذرفت منها العيون ، وذلك مساء الجمعة عشرين من ذي الحجة ، من عام أربعة وأربع مئة وألف للهجرة (٢٠/ ١٢/ ١٤٠٤هـ) الموافق الخامس عشر من شهر سبتمر ، من عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (١٥/ ٩/ ١٩٨٤م) .

وذلك بمنزل أخينا محسن بن علوي السقاف بـ(جدة) .

وفي هٰذه الليلة أقام الأخ محسن دعوة عامة وضيافة للمقيمين ولجميع الحجاج الذين وفدوا هٰذا العام للحج ، وكان اجتماعاً عظيماً حضره الكثير من الآباء والإخوان .

وبدأ الاجتماع بقراءة في مناقب الحبيب علي بن عبد الله السقاف[1] ، قرأها الأخ سالم بن حسن السقاف .

ثم أنشد الأخ عبد القادر حسين الحبشي قصيدة الحبيب عبد الله الحداد :

حُيِّيت يا مربع الأحباب

بعده قرأ الأخ محمد بن علوي بن عبد الله السقاف من كلام الحبيب محسن ابن علوي السقاف ثم أنشد ربيع هبيص بقصيدة للحبيب علي الحبشي :

الله يسر الفؤاد

بصوت شجي أطرب الحاضرين . ثم أنشد سالم بن قدري حسان قصيدة الحبيب علي الحبشي :

هو النور يهدي الحائرين ضياؤه

ثم قرأ العم أحمد بن علوي الحبشي رسالة من الحبيب علي الحبشي إلىٰ الجنيد .

ثم أنشد الأخ أبو بكر بن علي المشهور قصيدة للأخ محمد بن عبد الله السقاف :

(١) ولادته سنة ١٠٩٢ ووفاته بسيئون ١١٨١ ومن مشايخه الحبيب عبد الله بن علوي الحداد والحبيب علي بن عبد الله العيدروس صاحب سُورت بالهند وأخذ عن العلماء بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

Scanned with CamScanner

(مرحباً بالحجاج) مطلعها :

التحايا أزفها والتهاني لضيوف الرحمن في خير آنِ

بعد ذلك أنشد حبيبنا سقاف بن زين بلفقيه من الرشفات .

بعدها تكلم حبيبنا الوالد عبد القادر بن أحمد ، فقال ـ حفظه الله ـ :

ما مع الإنسان بعد ما سمع ما سمع ، وبعد ما عقل ما عقل ، وبعد ما أدرك ضعفه ، وعجزه عن العلم ، وعن الكتابة وعن الفهم ، وعن التعليم وعن التعلم ـ كما هو الشأن ـ

سمعتوا ما سمعتوا من هـٰذا الكلام الفائق الرائق ، الذي يحرك ما لا تتحرك من القلوب . . ما معنا إلا أن نرفع الأيدي ونقول : يا رب يا كريم .

هـٰذا الذي مع الإنسان ؛ لأننا تأخرت بنا العزائم وضعفَتْ وعجَزَتْ ، حتىٰ أصبح الواحد يفرح بالانتساب إلىٰ عظيم من الأعاظم وإلىٰ كبير من الأكابر ، لكن إذا جئت له . . وجدته لا يعرف يقرأ حديثْ ، لا يعرف يقيم كتاب الله ، لا يعرف يقرأ شيء من كتب الفروع الفقهية المختصرة حتىٰ يلم بأبواب الفقه ، لا يعرف أن يتذوق من كتب السِّيَر والأخلاق ما تتحرك نفسه وتعلو ، ما يتأتىٰ أن يكون هـٰذا .

هـٰؤلاء الرجال الذين زانت بهم الكواكب والسماء وتنورت من أنوارهم ، فضلاً عن الأرض ، زانوها بالعلم ، زانوها بالتقوىٰ ، زانوها بالأخلاق ، زانوها بالكرم ، زانوها بالكرامة ،

Scanned with CamScanner

زانوها بالاستقامة ، زانوها بالبعد عن الدنيا والخوض فيها .

وما معنىٰ البعد أن الإنسان يترك الأسباب! الأسباب لازم من أن يقيمها الإنسان ؛ حتىٰ يحفظ نفسه من التشوف ، أو من مد اليد إلىٰ ما لا ينبغي ، ولٰكن لا تنبغي أن تكون هٰكذا .

إذا نظرنا نحن إلىٰ وادينا هٰذا المبارك ، لما دخلنا (هذا المجلس) . . سمعنا واحد ينشد قصيدة الإمام الحداد ، القصيدة العظيمة التي يستغيث فيها بأهل البرازخ ، والعادة أن الناس يستنجدون بالأحياء من أهل الشجاعة وأهل الكرم وأهل المقدرة ، جاء الإسلام فعرَّفنا أن لأهل البرازخ الذين كانت لهم النجدة في الدنيا لهم النجدة في البرزخ ولهم التصرف ولهم القدرة ، مادام أعطاهم الله تلك الأشياء في دنياهم فإنما نقلهم من دار إلىٰ دار ، فإذا رجعنا إلىٰ الدار التي كانوا فيها . . وجدناهم شرفوها وزينوها ، وإلا . . ماشِيْ فرق إلا فيما شرفه الله ، من الأماكن المشرفة حول بيته الحرام ، أو قبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو بَلَدُه ، أو مسجده الأقصى ، أو ما جاء الحديث والقرآن بتشريفه . نعم جاءت هذه بتشريفها . إذا شُرفت هٰذه جاءت بالتبعية لها هٰذه ، معاد فيها كلام . ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ ثم ختمها بقوله : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ . يقف الإنسان عندها ، هل مرت عليه هٰذه الآية فبكى من ذلك اليوم ؟ هل ذكر

Scanned with CamScanner

موت الناس ؟ اليوم نشيِّع كل يوم جنازة ومنتظرينها عندنا . كل واحد منتظر الجنازة تحت بيته يُشيَّع هو فيها. هل بكى لذلك اليوم ؟ هل تحرك قلبه للمصرع؟ أو يشيِّع الميت وكأنه ليس بميت! وكأنه لا يزال باقي حي على الدنيا .

ثم ما هي الدنيا ، إذا زادت بالإنسان الأيام ، لا يستريح فيها بأكل ، لا يستريح فيها بمال ، لا يستريح فيها بنعيم ، لا يستريح فيها بأهل ، لا يستريح فيها بذواق . ما هي الدنيا ؟ إذا وصل الإنسان إلى السن المقرر ضعفت به قواه ، فأصبح كل شيء صعب عليه ، وكل شي ثقيل عليه ، وكل شي كان يلتذ به في أول أمره أصبح يناكره . إن أكل تغيرت صحته ومعدته ، وإن ترك الأكل ضعفت به قواه ، فأصبح بين أمرين ، يناشد الأوّل فلا يدركه ، ويأتي الثاني فيعجزه ، وهٰكذا الدنيا وهٰكذا الناس ، ونحن في الأثر على هٰذا الحال . ثم كما ذكرنا : إذا رجعنا إلى هٰذه الأرض التي شُرِّفت بهم ، كانت حضرموت التي يقول لكم فيها حبيبكم عَلِي :

حضرموت التي سُكَّانها خيرُ سكانْ وَدْ عيسى ومِن نَسلِهْ شِيابِهْ وشُبَّانْ

عمروها : آه كانت هٰذه البلدة ؟ كانت محلاً للخوارج ولمثل ذلك ، جاء الإمام الكبير ، وجاؤوا أولاده الكبار ، وجاءت السلسلة تتوالَىْ حلقة بعد حلقة ، ورَبْط ورا رَبْط ، وأتّكِامْ[1] وراء

(١) اتكام: أي كذا ولعلها : [استقامة] .

Scanned with CamScanner

إيمان ، حتى أخرجوا منها ما لا ينبغي ، وصيّروها بلدة حراماً آمناً ، أمنت بهم ، وكانت حرماً بهم ، وكانت مساجدها يغشاها النور ، وقبورهم يغشاها النور ، ودُورُهم يغشاها النور . ذاك لأنها كانت مأوى القرآن وأهل القرآن ، ومعدن الصلاة وأهل الصلاة ، ومحل التجليات والتعرفات الإلـٰهية التي تتنزل فيها ، والتي لا تزال تهبط إليها ، والتي لا تزال تتردد عليها .

أثنىٰ القرآن على السكينة التي كانت مرتبطة بثياب بالية لموسى بن عمران ولأخيه ، أو لموسى وحده ، حكى لكم قال الله تعالىٰ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ﴾ (من أين هـٰذه البقية؟) ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ ثم أخبر أن الملائكة تحملها ، أفترون ثياب موسى وعصاه وعكازه تبقى معها السكينة ، وتحملها الملائكة ، والدُّور المشرفة تبقى هـٰكذا ، أو المنازل الطاهرة تبقى هـٰكذا ، لا . . كما شرّفت هـٰذه ، شرفت هـٰذه ، وكما أعطيت الكرامة هـٰذه ، أعطيت الكرامة هـٰذه ، وكما كان التجلي والسكينة التي تتنزل لا تزال تتنزل ، ولا تزال تغشىٰ ، ولا تزال تحل ، ولا تزال تهبط .

هـٰذا في المتأخرين أحد شيوخنا الكبار وهو الحبيب أحمد بن حسن ، معروف بأنه كفيف البصر ، ما يشاهد بالعين ، ولـٰكن القلب متحرك ويشاهد ، إذا عبر حول بَلْدَه من البلدان التي خربت أو ذهب أهلها ، قال : إِرْوَح ريح عِلْم في هـٰذا المكان ، آه ذا

المكان ؟ يقولون له : هٰذه بلدة آل فلان ، كانوا علماء وكانوا محل العلم ، ومحل التعليم ، لا تزال الحاسة تأتيه من حاسَّة إلىٰ حاسَّة ، حتى ترتبط بحاسة القلب الذي لا يزال بصير ، بشاهد القرآن بقوله ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ وماذا أعماها يا إخواني ؟ إذا رجع الواحد إلى نفسه وحتى متى ؟ كل واحد يرجع يحاسب نفسه ، كم وصل إلى السن ، وفيماذا ينتظر الخير ، ومتى يقول باتحرك أو بايتحرك قلبي حتى يرتفع عن قلبي ذلك العمى . ينتظره في أي وقت ، وفي أي عمر ، وفي أي مدى ، ومتى يكون .

ذهبت الأعمار والناس لا يزالون على حالَة واحدة ، بل ربما كان الواحد منهم ينزل أسفل ، لأنه ما يهمه إلاّ أخبار السوق ، أخبار العالم ، أخبار الحروب ، أخبار الدوره الفلكيه ، أخبار الارتفاع ، أخبار أمريكا ، أخبار روسيا ، أخبار فيين وما أدري فيين ، وهٰذا الشغل لي يشتغلون ، مجالس والعياذ بالله ممقوتة ما تعود على الإنسان بخير ، ولا يقوم منها بخير . يقوم منها وهو في نكد وفي تعب منها . ولو كانت المجالس كما ما سمعتوا ، كما ما قرأتوا ، كما ما تعرفونها ، كما ما تذكرونها ، مجالس ما تذكر فيها الدنيا ، ولا يعرف الإنسان هل هناك عالَم غير عالَم الآخرة أَوْ . . لا ؟ هل هناك عالَم غير عالَم العلم أَوْ . . لا ؟ هل هناك عالم غير عالم المعرفة أَوْ . . لا ؟ لا يزالون في نعيم ، وفي ذوق ، حتى يَصِلوا إلى الدرجة الأخرى ، تلك الدرجة هي درجة

Scanned with CamScanner

المشاهدة . إذا انفتحت البصيرة - التي ذكرناها لكم - ظهرت له درجة أعلىٰ منها وهي درجة المشاهدة .

قال الحبيب علي - رحمه الله - يقول ما بين العبد وبين وصوله إلى درجة الولاية والإطلاع على ما وراء الغيب - مما أعطاه الله الصالحين - إلاَّ هتك الحجاب فقط ، فإنما بينه وبينه حجاب فقط . إذا أزال الحجاب هٰذا انفتحت له الأشياء وظهرت ، وصار يتكلم عن حقيقة ، يشاهدها . لكن نحن حجابنا لا يزال كما قال الأول : (حجابُكَ منكَ وما تَشْعُرُ) . كم ما نسمع من هٰذه المواعظ ، كم ما نسمع من هٰذه الكلمات ، كم ما تتحرك القلوب في المجلس ولٰكن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ .

بغينا يا إخواني بركة الحج ، بركة الاجتماع المرحوم ، بركة الاتصال بأهل النور ، بركة ذكركم لهؤلاء الرجال ، بركة انتسابكم لهؤلاء الرجال ، أن يربط الإنسان على نفسه - كما أذكر لكم في مجالس كثيرة - فيقول : يعقد على أن يرجع عن غفلته ، ودنياه لابد له منها ، ورجوعه عن غفلته بأن يلتزم الصلاة ، وتربية الأولاد ، وقراءة شيءٍ من القرآن ، وحفظ السر ، حتى لا يكون الإنسان محل الخبث والعياذ بالله .

ذا الحين كثير من الناس ، إذا سمع واحد قالوا له فلان يتكلم عليك ، أو أحس من فلان عدم التفات إليه ، حمل عليه حمله

شعواء ، لا تجدي ولا تسمن من جوع ، ولكنها تسوِّد قلبه زيادة ، وتعطيه ظُلمة فوق الظلمة التي فيه . وعَلامَ يحمل الإنسان على أخيه ؟ وهو لا قدرة له عليه ، ولا شدة معه يقدر يناله . ثم لو حصلت القدرة ، وحصل النفوذ ، أو القرب من أهل النفوذ ، ماذا يستفيد منه الإنسان إذا أخضع صاحبه ، أو أضر بصاحبه ، أو أتعب صاحبه ، أو أمرض صاحبه ، أو هتك سر صاحبه ، ماذا يستفيد منه ؟ يستفيد منه إنه أرضى الشيطان ، فبات منه فرحان ، هٰذا الذي يستفيده ، ولكنه ضيع على نفسه أنه خرَّب القلب حقه .

سمعتوا هٰذه الرشفة العظيمة ، هـذه العلوم حقها من أين مصدرها ؟ هل هي موجودة في شيء من الكتب ، هٰذه علوم محلها القلب ، هٰذه محلها الأخذ من العالم العلوي ، يأخذها من أين هٰذا الحبيب ؟ أخذها بالطهارة ، أخذها بالسلوك الحسن ، والاتباع لجد الحسن ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . كان من أمره فيما يذكرونه لنا الشيوخ ـ ووجدناه مثبت ـ أنه سافر إلى الحج أشعث أغبر ، ووصل إلى زبيد ، وكان أهل زبيد ـ أنا سرت إلى زبيد ، لما نزلنا واتصلنا بمفتيها محمد بن محمد بن سليمان الأهدل ، أول لَمَّا قابل نحن قال : سادة من حضرموت ؟ قلنا نعم . قال نحن نستشفع بأهل حضرموت إلى الله ، هكذا علَّمنا أشياخنا ورجالنا ، ولنا ذِكرٌ من : ياحضرموت وأهلها ، وتريم وأهلها ، باه ذا كله ، آهْ كان في تريم ؟ كان في تريم إنها أثر

من آثار الرجال الكبار . هٰذا الإمام (صاحب الرشفات الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه)[1] لما سار إلى زبيد ودخل إليها ، حضر مجلس يحيى بن مقبول الأهدل ، ولما حضر المجلس - وزبيد بلاد من بلدان العلم الغض - ألقى الشيخ عليهم مسألة . وكان الحبيب - كما ذكرنا أشعث أغبر - جلس في أُخريات الناس ، فلما ألقى عليهم المسألة تحيّرت عقولهم فيها ، وقصرت أفهامهم عنها ، فلم يدركوها . الحبيب ذا العلم قلبه مفتوح له ، يأخذه من فوق ، معاد يحتاج إلى كتاب قط :

يحـدثنـي قلبـي وذا عـن مقلّبـي ... يحدثني والجار يُنْبي عن الجارِ

معاد شي تعب ، قال لواحد من الناس لي هم جالسين في أخريات المجلس ، من العامة هذيلا الذين ما يهتدون عادهم إلى القراءة ، قال له : قل للشيخ الجواب عن المسألة كذا وكذا . فقال للشيخ الجواب على المسألة كذا وكذا ، قال : مَنْ هٰذا يتكلم ، قالوا له : فلان من العامة ، قال : يا ولدي ما هو شغلك العلم ذا ، من أين جبت المسأله ذي أنت ، قال : هٰذا الدرويش لي بِجَنْبي . سألوا الدرويش : من أنته ؟ قال لهم أنا عبد مِن عبيد الله . قالوا له : الاسم الذي سمتك به أمك ؟ قال : أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه . قالوا : الضالة المنشودة ، كل ما معهم إشكال أرسلوه إليه ويحله في أقرب

(١) ما بين القوسين ليس من كلام سيدي .

وقت . ـ وكان الإمام الحداد ـ عليه الرحمة ـ إذا استعصى عليه سؤال قال أرسلوه إلى عبد الرحمن بن عبد الله . فيرسلونه إلى الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله ، قالوا في بعض الأحايين يجدونه يسني في مسجده هٰذا وفي بِيرِهْ هٰذه لي وراء دار آل بلفقيه ، يعرضون عليه السؤال الذي جاء إلى الإمام الحداد ، فيكتب الجواب له ويرسله للحبيب عبد الله ـ . لَمّا قال لهم أنا عبد الرحمن بن عبد الله ، قالوا له : البغية الضالة المنشودة . فانتقل صدر المجلس فصار الصدر أسفل ، والأسافل أعالي ، التفتوا إليه كلهم ، وصيروا المجلس كله نحو الحبيب ، وأخذ قالوا مدة إقامته عندهم ـ مدة طويلة ذكرها عندكم صاحب الكتاب هٰذا الحبيب عبد الرحمن بن سليمان ـ وهو يذاكرهم في علوم الباء من بسم الله ، وأين العلوم هٰذه ، ومن أي كتاب هٰذي ، ومصدرها من أين ؟ هٰذا الفتح الربّاني ، هٰذا : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ هٰذا ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ وهٰذا : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ وهٰذا لي نسمعه من كلام الشيوخ ذا الحين ، هٰذا كله يكاد يكون فُقِد ، ويكاد يكون ذهب .

ثم هل هناك عودة يا إخواني ؟ هل هناك رحمة يا إخواني ؟ هل من يرحم نفسه يا إخواني ؟ كما ذكرنا لكم ، حضرموت هٰذي طابت وذُكرت بالعلم . قال يحيى مقبول : إنها نعمة ، لما جئنا إلى عنده ، بيّتنا في ليلة ما نمنا نحن وإياه فيها في رباطهم ، وبعد قمنا نحن وإياه إلى المسجد (وقال لنا محمد بن محمد بن سليمان

Scanned with CamScanner

الأهدل) قال : نحن أهلنا طريقتهم دائماً لهم من ذِكْر : ياحضرموت ويا تريم وأهلها ، وتسبيح كثير ، واستغاثة ، واستنجاد ، لاهْ ذا حضرموت ، آه في حضرموت ؟ آه لي زَيَّنْها ؟ زَيَّنْها الهواء الرخي هٰذا ؟ أو زَيَّنَتْها الفواكه العجيبة لي فيها ؟ أو آه لي زينها ! قال آه فيها الشاعر ، أحمد بن عبد الله :

بلـدةٌ غيـرُ ذاتِ زرعٍ ولكـنْ   تُنْبِـتُ الصـالحيـن والأخيـارا

هٰذا نبات الصالحين والأخيار ، صيّرها روضة من الروضات ، وصيرها جنّة من الجنات ، وصيّرها تذكر في العالم الأعلى قبل هٰذا العالم ، وصيّر لها قيمة في العالم الأعلى ، تتصاعد منها الدعوات ، وتتصاعد منها البركات ، وتتصاعد منها الرحمات ، وتتنزل فيها السكينات على أهل السكينات . ولا تزال تلك المجالس محل ذلك ، ولا تزال تلك الدُّور محل ذلك .

ثم إذا نظرنا إلى من خرج من حضرموت منهم ذيلا ، من نفس تريم ، ومن نفس الوادي المبارك هٰذا ، وجدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، خرج إلى حريضة ووادي عمد ، وادي أَفْيَحْ ، كثير المَهامِه ، بعيد عن الخير . وادي ما فيه إلاَّ الشمس تصقل أهله وتسوِّدهم ، وأحجار تشلّك وأحجار تحطك ، حتى الماء صعب عليهم ، لٰكن نزله الإمام الكبير ، فصيّره جنّة بعد أن كان نار ، ورَدّهُ منزلُ للأبرار . جاء إليه الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي ـ شفو كيف الانفعالات الروحانية القوية ـ خرج من

المدينة المنورة التي أقام بها ، وكان يسأل السيد محمد بن علوي السقاف شيخ الإمام الحداد ـ أن يلبسه ويجيزه ، . . . فاعتذر له كلما طلب منه . . وبعد ما أرسل له الإمام الحداد استشار النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فظهرت له الإشارة ، فأرسل للإمام الحدّاد ، فخرج أحمد بن هاشم متأثر من المدينة المنورة ، ووصل إلى عند الإمام الكبير الحبيب عمر العطاس ، فسأله من أين جئت يا أحمد ؟ قال له : أنا جئت من بلدي ، بعد ما خرجت من المدينة المنورة جئت إليك شاكيْ . قال له : تشكي من ايهْ يا ولدي ؟ قال له : الحبيب محمد بن علوي السقاف أجاز الإمام الحداد ، وألبسه وأرسل له الإلباس ، وأنا طلبته منه ما جَوَّب عَلَي . قال له : قُرُب عندي ـ شفوا الحال الكبير ـ . قابله وقال له : (اتصل حبله بحبلها ، انطوت الأحشاء على جنينها ، سطع نور المصطفى في جبينها ، قم بارك الله فيك) آه تحتاج هـٰذه ؟ آه لي أعطاه ؟ ربطه بآه ؟ شق صدره! فعل له شيْ ، دعوات مأثورة عظيمة ، التحف بها القلب والتأم عليها ، صار أحمد بن هاشم من كبار الأولياء ، شفو الرجال هاذيلا لي زانت بهم تلك البلاد ، زانت بهم تلك الشعاب التي ذكرناها ، وصارت جنة ، وصارت حريضة ووادي عمد كلها فيحاء ، تُقْصَد للزيارة لهؤلاء ، وتسلسل النور ، وتسلسل العلم .

بقي فينا يا إخواني رجعنا كل واحد إذا ذكر واحد من أجداده رَفَع الرأس ، لـٰكن رَفْع الراس هـٰذا ينبغي أن يرتفع معه علم ،

Scanned with CamScanner

ينبغي أن ترتفع معه الأخلاق ، ينبغي أن ترتفع معه السيرة ، ينبغي أن يرتفع معه السلوك الحسن . كل واحد يحاسب نفسه ، هل له من قيام الليل شيء ؟ وإذا لم يكن له من قيام الليل شيء! متى بايجيه نصيبه من الإرث النبوي الذي يقول له ربك ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ ومتى بايجي له نصيبه من قوله ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ، متى ذا بغى يكون أقوم قيلْ ، ثم ما معناها ، معناها في تلك الساعة يحضر مع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فتتنزل رحمة القرآن فتغشى القلب ، وتغشاه رحمة الصلاة ، فتثير في القلب حركات تنفعل ، ويكون معها الرُّقي ، ويكون معها الارتفاع ، ويكون معها الطيران ، ويكون معها العروج ، ويكون معها الروح روحْ ، وإذا كان الروح لا يزال في قفصه ، مسجونْ في ظلمات ـ والعياذ بالله ـ من أنواع الظلمات ، آه هي أنواع الظلمات ؟ أنواع الظلمات من غِيبة ، من نميمة ، من فُحش ، من هجر ، من ضياع القلب ، ما لهـٰذا خلق الروح ، ولا لهـٰذه أعطيه الإنسان ، ولا لهـٰذا خرج من ذلك العالَم إلى هـٰذا العالم . خرج من ذلك العالم ليتلقى أمر الخلافة ويسمو ، لأن مَن قبلكم قد أصابهم ما أصابهم . قالت الملائكة لربها لما قال ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أعاد المولى ـ سبحانه وتعالىٰ ـ على الملائكة وقال لهم ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فمن أراد أن يبقى في عالم الحظوظ ، ويقيد روحه حتى لا تقدر

Scanned with CamScanner

على الطيران ، فحسبه ظلمة لنفسه ، وحسبه أن يبكي على نفسه في يوم غير اليوم .

أمس ما أدري في مجلس جاب لنا أحد الإخوان حكاية ، والحكاية جابها لغير صاحبها ، حكاية للشيخ أحمد بن موسى بن عُجيل ، شَكَوا عليه أن أحد جيرانه أصابه جني ، فقال الشيخ : قوموا بنا من المجلس ، فقام من المجلس ، ولما قام من المجلس وقف على المصروع هذا ، وقال ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ خرج الجني هارب وقال له : لا . . لا نفتري على الله ، وخرج وكان آخر العهد . لما توفي الشيخ أحمد بن موسى ، عاد إليه الجنيّ ، فجاؤوا أهل الولد هذا إلى المجلس حق الشيخ ، قالوا لهم : الشيخ توفي . قال لهم : ولدنا عادَ له الصرع . قال لهم واحد : أنا سرت مع الشيخ ، باروح إلى عندكم ، باقرأ عليه الآية التي قرأها الشيخ . لَمَّا وقف على المصروع قرأ الآية ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ قال له الجني : القرآن القرآن واللسان غير اللسان ، رح حتى قرأتَها مائة مرة ، ماشي خروج . وهو الحال اليوم : إن الشيطان ليفرق من ظل عمر ، ويفرق من هؤلاء ، والجان يفرق من هؤلاء ، وأهل الشر يفرقون من هؤلاء ، وأهل البلاء يفرقون من هؤلاء ، مذكور في السيرة النبوية أَن أبا جهل اقتضى منه الأراشي دينٌ ، وكان من أمر الأراشي أنه كلما جاء يسأل أبا جهل أن يسدد الدين الذي عنده سخر به أبو جهل ولم يعطه شيءً . فجاء يوم ورؤساء قريش

وصناديدها جالسين في المجلس في منتداهم ، فلما طلب دينه سخر منه أبو جهل ، راح إلىٰ المنتدىٰ وقال لقريش : هٰذا أبوكم عنده دين لي ، وأنا أطالبه بالدين وهو يسخر بي ، كلِّموه لي . قالوا له : يكلمه هٰذا الرجل لي يصلي ، يشيرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستهزئُون به ، فلما سلم من صلاته ، قال له : أرسلني إليك هؤلاء القوم ، أبو جهل هٰذا عنده دين لي وصار يسخر بي ، قال له : هٰذا أبو جهل! قال له نعم : قال له : قم اتبعنا ، قام . . فقرع الباب على أبو جهل ، ولما قرع الباب على أبو جهل وفتح الباب ، قال له : سَدِّد دين هٰذا . قال له : مرحباً مرحباً . ودخل وجاب الدين وسدَّد له الدين ، ولما خرج إلى المنتدىٰ ، قالوا له أصحابه من قريش : وراك سدَّدته وخفت ، قال لهم : شفت لهاتين كبيرتين حق جمل بايلتهمني ، خفت منهن وسدَّدته .

هٰذا هو مصداق : « إن الشيطان ليَفْرَق من ظل عمر » . وهٰؤلاء يفرق منهم الشيطان وكل من لازم الاستقامة التي أشار إليها القرآن وأمر بها نبيه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ .

هيا رجعنا لكم إلىٰ الكلام :

قلنا لكم في أول الكلام : كل واحد يحاسب نفسه ، يرجع إلىٰ حسابه وإلىٰ جيبه ، النبي صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم يقول : « حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا » .

هل له من الأوراد شيء ؟

Scanned with CamScanner

هل له من القرآن شيء ؟

هل له من قيام الليل شيء ؟

هل له من الأذكار شيء ؟

هل له من زيارة الضعفاء والمرضىٰ ومن علىٰ شاكلتهم شيء ؟

هل له من عيادة المريض شيء ؟

هل له من الدخول إلىٰ أرحامه شيء ؟

يرجع يشوف حسابه : ما هو الحساب ، وسيصل فيه إلىٰ أين ؟ عَمِل شيءٌ من هذا ، أو لا ؟

أو يهمه أن ينظف الثوب وينظف الوجه ، وينظف ما عَدَا ذلك والقلب لا يزال مطموسٌ ، والعياذ بالله ؟ لأننا كلنا ـ وأنا أول واحد فيكم ـ نقوم في الصلاة فنقرأ الفاتحة ولا نستفتح بها ، ولا ندرك ما هي الفاتحة ؟ وهي علىٰ اسمها « فاتحة » تفتح الصدر وتشرحه ، وفيها علوم القرآن ، وأسرار القرآن ، وذخائر القرآن ، وفيها مفاهيم القرآن وأمر القرآن ، والقرآن كله موجود في الفاتحة ، بل قال الكثير في « بسم الله الرحمن الرحيم » ، بل قال الكثير في الباء من « بسم الله الرحمن الرحيم » ، بل قال الكثير في نقطة الباء من « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ولـٰكن ! من بايحل معجمها ؟

من هو هـٰذا الذي سيأتي لنا بالمعجم ويحله ؟

من هو الذي سَيَفُكُّ لنا مغاليق هـٰذا الكتاب العجيب ؟ أو هـٰذه الفاتحة ، أو بسم الله الرحمن الرحيم ؟

Scanned with CamScanner

لا يفك ذلك إلا من اتقى الله فوصلته آية : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ هٰذا الذي بايفكه ، وهٰذا الذي باينظر دقائقه ، وهٰذا الذي باياتي علىٰ علومه ، وإلا . . لا تزال علومه بعيدة عنا ؛ لأننا بَعُدنا . ولنا فرصة ، وهٰذا هدية الله سبحانه وتعالىٰ للأمة ، وأهل البيت مخاطبون به أكثر وأكثر ، ولٰكن! أين ، أين الناس ؟ أين هم من كتاب الله ؟

حد له ختمة ، حد له ختمتين ؟

حد له سُبُع كل يوم ، حد له رُبُع فيه ؟ حد له أقل ، حد له أكثر ؟

وربما إذا جئت إلىٰ بيت واحد . . ربما ما تجد المصحف كله في البيت! شملت الغفلة ، ثم عاده مسؤول إذا أضاع نفسه ، مسؤول عن أولاده . الشاعر يقول :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

نحن مهمتنا من هٰذا الكلام ـ كما ذكرنا لكم : أن المهاجر ورجاله خرجوا وطهروا الوادي ، وجاؤوا رجالكم ومشوا في الوادي كله وملؤوه ، وجاؤوا كذلك وخرجوا إلىٰ غيره من البلدان الأخرىٰ وملؤوها بالعلم وبالنور وبالهداية ـ مهمتنا : أننا اغتربنا ـ يا إخواني ـ كلنا ، وحلت بنا الغربة ، فلتكن غربة خير ، ولتكن غربة رعاية ، ولتكن غربة عهد ، ولتكن غربة تجديد « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى » لمن ؟ « للغرباء الذين

يُحْيُون ما أمات الناس من سنتي » غريب البلد وغريب في قومه ، العالِم غريب في قومه .

بغينا إحياء ما مات ، بغينا القيام بها ، بغينا إن شاء الله تمديدْ . لا نزال نحثكم علىٰ مثل هـٰذا ، انظروا إلىٰ هـٰؤلاء الذين قبلكم ، أخذوا بمعاضد الكرامة والاستقامة من كل جانب . إذا وصل الإنسان إلىٰ بلد من البلدان البعيدة . . وجد أن المساجد أقاموها هـٰؤلاء رجال الفضل ، وجد العلم أقاموه رجال الفضل ، الدعوة أقاموها رجال الفضل .

هـٰذه (أندونيسيا) ومثلها كذلك (الملايا) و(سينغفورة) ونواحيها ، ومثلها (الصين) ومثلها (اليابان) ومثلها (جزائر الفلبين) ومثلها ما بعدها جزائر الواق واق . . وصلوا إليها الدعاة ، فأخرجوا منها ناسْ .

كان واحد يجيء حاجي ، من قرية اسمها (باصروان) لما تشوف وجهه . . تشوف النور يتهلل من وجهه بالعلم ، هو الحاجي حامد ، تشوف وجهه يتهلل بالنور . ثم له أتباع ، عدد كثير منهم يجلسون له كما كان أصحاب النبي يجلسون للنبي ، ينتظرونه إذا خرج إلىٰ محله ، وهو له من الذكر شيء .

هـٰذا في صحائف المتقدمين ، وليس هـٰذا فقط ! أعداد كثيرة من الأعاجم شفناهم علىٰ مثل هـٰذا الحال ، نشروا العلم من قبلكم بهجرتهم ، وانتشر وبقي وتسلسل في الأعاجم ، وصار الأعاجم كلهم بفضل هـٰؤلاء السادة ، أو كل من سن سنة حسنة

Scanned with CamScanner

في الإسلام . . كان له أجرها وأجر من عمل بها .

والعلماء يقولون : إنه ما من مسلم يقول : « لا إلـٰه إلا الله » . . إلا ويُكتَب كل عمل من أعمال البر له في صحائف النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ؛ لأنه الداعي الأول ، والشيخ الداعي الثاني ، والشيخ الداعي الثالث ، والشيخ الداعي المعلم الرابع . . وهـٰكذا يُكتَب هـٰؤلاء ، لا يزالون يتنعمون في قبورهم ، لأن القبور هـٰذه إنما هي عبارة عن انتقال من دار إلىٰ دار .

هـٰذا علي بن عبد الله السقاف[1] يذكر لي عن أبي شجاع ـ رحمه الله ـ الشيخ أحمد بن حسين الأصفهاني ، قال : لما عمروا المسجد النبوي . . وجدوه عند باب جبريل وله ست مئة سنة مدفوناً ، فكأنما وُضِع في لحده علىٰ حاله ، عاده إلا نقلوه قريباً إلىٰ (البقيع) .

وليس هو وحده ، كثير منهم الأولياء ، ونعرف نحن كثير من الأولياء لا يزالون موجودين في قبورهم كما وضعوهم أهل القبر من ذلك اليوم ، ما تُغيِّر الأرض منهم شيءْ ، ولا تأكل الأرض منهم شيءْ ، ولا تحرك الأرض منهم شيءْ ، ولا تأكل الأرض منهم شيءْ ولا من أكفانهم شيءْ ، لا يزالون منعَّمين .

في مناقب الحبيب سقاف أنه واحد من آل باحويرث من أهل

---

(١) السيد العلامة علي بن عبد الله السقاف من أصدقاء الحبيب عبد القادر ولد بسيون ١٣٣٦ وتوفي بجده ١٣/ محرم ١٤٢٣ ودفن بمكة المكرمة .

الحِرَف مقبور ، مر الحبيب سقاف في مقبرة (تريس) هُو وَالحبيب الحسن بن علي الجفري جد السادة آل القرين ، وكان كلاهما له عين بصيرة ، فنظر الحبيب حسن بن علي الجفري إلىٰ المقبرة فرأىٰ هٰذا حامل مصحفه في قبره يقرأ كتاب الله ، فقال : سقاف!

قال له : مرحباً .

قال له : انظر إلىٰ صاحب هٰذا القبر . فالتفت فوجد هٰذا الرجل يقرأ في كتاب الله . قال له : عرفته يا سقاف ؟

قال له : لا!

قال له : هٰذا فلان من آل باحويرث يتعهد القرآن في دنياه ، فأعطاه الله إياه في برزخه .

هٰؤلاء السعداء ، إذا ما سعدتم . . ابكوا علىٰ أنفسكم .

يا إخواني هٰذه الحياة المقصودة ، والباقي ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ كأنها أحلام مرت علينا وانتهت! ينبغي لنا دائماً إذا حضرنا أي مجلس من المجالس أن نأخذ منه بعقدة من العقد ، نقول : الليلة بانعمل بها .

ونحن لا نزال في كل مجلس نطلب منكم - يا إخواني - أن لا تغفلوا عن الأمهات الكبيرة :

صلاة الجماعة ، لا يصلي الواحد إلا جماعة ، لا يصلي إلا بسواك نبوي ؛ حتىٰ يكون هو نبوي وارث للمقام النبوي .

Scanned with CamScanner

لا يصلي حتىٰ يركع ركعتين قبلية الظهر أو أربع وبعدها كذلك .

ولا يصلي فرائضه إلا مع أهله ، وإلا في المسجد ، ثم يعود إلىٰ أهله فيصلي بهم وأولاده .

ولا يترك فريضة الله ، عيب كبير . وين الكلام وين ؟ إذا جلس يتشدق يملأ بمماضض فمه الكلام ويزيِّنه ويقوِّمه ، وإذا جئت له للعمل الصالح . . وجدته خاليْ .

هيا اربطوا من الليلة ـ دائماً أُذَكِّركم ـ اربطوا علىٰ أنكم لا يصلي الإنسان إلا في جماعة ، ولا تصلي زوجته إلا في جماعة ، ولا تصلي بنته إلا في جماعة ، ولا يصلي ولده إلا في جماعة ، ولا يصلي خادمه إلا في جماعة .

كانوايحكون لنا حكايات ، منها : « حكاية عن الحبيب محمد بن سقاف ، جد الأخ عبد القادر هـٰذا الرُّوِش ، معه إلا ولد اسمه عمر بن محمد ، هـٰذا الولد ذات ليلة من الليالي طحس علىٰ رجله ـ أي : انزلقت رجله ـ وسقط وانكسرت يده ، جاؤوا للحبيب محمد وهو في مسجد طـٰه ، قالوا له : ولدك عمر ـ وكان هو قرة عينه ووحيده ـ انكسرت يده .

قال لهم : أما من المسجد . . أنا ما باخرج الآن إلا بعد صلاة العِشاء .

ما بايترك معاني ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ . هـٰذا الذي

Scanned with CamScanner

ما قَدَرتم عليه أنتم والذي ضاع علىٰ الكثير من الناس ، الحبيب محمد ما بايترك هٰذا الوقت لأجل ولده الذي ملأ قلبه وحركة من حركاته ، يصيح هناك من الوجع الذي به .

قال لهم : أما أنتم . . ألهوه واربطوه ، وألقوا له أي شيء .

خرج بعد العشاء ، حصَّل الولد يولول من الصياح والأوجاع التي فيه ، قال لأهله : تعالوا . . قَبْل الولد ، ما أُصِبْنا في ولدنا قرة العين إلا بذنب عملناه ؟ أخذ يحاسبهم ويسألهم علىٰ أعمالهم ، جمع أهله كلهم من زوجته إلىٰ بناته إلىٰ خادمته ، وجد الخادمة ما تصلي ، قال لهم : هٰذا السبب ، تغافلتم عنها فانكسرت يد عمر بهٰذا السبب .

وذا الحين ، كل واحد يرجع إلىٰ نفسه ، فكم من مصيبة نزلت ؟ والمصيبة ما هو فقر ، والمصيبة ما هي كسر يد ، والمصيبة ما هي آفة من الآفات ! المصيبة إذا فُقِد الدين ، المصيبة إذا فُقِدت الأخلاق ، المصيبة إذا ضاعت عليه الصلاة وخرج الوقت ، المصيبة إذا طلعت عليه الشمس وهو عادُه إلا متثاقل علىٰ الأرض عن صلاة الصبح أو عن صلاة العصر ، هٰذه هي المصيبة ، المصيبة في الدين .

كان الغزالي يحكي لكم في « الإحياء » قال : إذا فَقَد الواحد من المتقدمين تكبيرة الإحرام مع الإمام . . يجلس يبكي في داره ثلاثة أيام ، ويأتيه المعزون يعزونه في داره ، ويقولون له : ليس المصاب مَن فَقَد الأحباب ، إنما المصاب مَن حُرِم الثواب .

Scanned with CamScanner

هٰذه هي المصيبة التي أصيب بها الناس .

ثم عدم الرحمة علىٰ الإخوان ، وما معنىٰ الرحمة ؟ أن الإنسان يفتح جيبه ؟

معنىٰ الرحمة : أن الإنسان يؤدي كل ما يقدر عليه : من يقدر علىٰ شفاعة . . لا يبخل بها ، ومن يقدر علىٰ زيارة . . لا يبخل بها ، ومن يقدر علىٰ عيادة . . لا يبخل بها ، ومن يقدر علىٰ معروف . . لا يبخل به ، ومن يقدر علىٰ كلمة طيبة . . لا يبخل بها ، ومن يقدر علىٰ دعوة صالحة . . لا يبخل بها ؛ لأن الخبال الذي أصيب به الناس : أن الواحد إذا سمع بمصيبة في واحد . . قال : يستاهل ، خل أبوه! شارك في المصيبة وهو ماله يد فيها .

ينبغي لك أن تعطي الأشياء حقها ، وهٰكذا ينبغي - يا إخواني - حتىٰ لا يطول عليكم الكلام ولا يطول عليكم المجلس .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل بركة هٰذا الحج العظيم صلاح البلاد وصلاح العباد ، وصلاحنا نحن أكثر وأكثر .

اللهم أصلحنا وأصلح بنا ، وتب علينا وتب بنا ، واجعلنا يا رب ممن قبلتَ توبته ، وممن أحسنتَ توبته ، وممن غفرتَ إساءته ، وممن جبرتَ كسره ، وممن عرف نفسه عند فرحه بالعجز .

اللهم ارحمنا فإنا ضعفاء .

اللهم ارحمنا فإنا ضعفاء .

Scanned with CamScanner

اللهم ارحمنا فإنا ضعفاء ، وتب علينا ، واغفر لأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين ، يا أرحم الراحمين .

هل أحد يهدي لميته شيءٌ ، حد يوصل له شيءٌ في قبره ؟ محتاجين أهل البرزخ للرحمة .

ذكر الإمام الشعراني ـ رحمه الله ـ : أن واحداً من الصوفية من أهل الكشف مر علىٰ مقبرة ، أراد أن يدعو لهم ، فوجد أهل المقبرة كأنهم يلتقطون شيءٌ ، وواحد جالس علىٰ كرسي ، فسأل واحد وقال : ما الذي يلتقطون هٰؤلاء ؟

قال له : ما يهدونه لهم الأحياء .

قال له : وهٰذا لماذا هو جالس علىٰ الكرسي ؟

قال له : هٰذا مكفي ، ولده كل يوم يقرأ له ختمة .

قال له : وأين ولده ؟

قال له : في السوق الفلاني ، في الناحية الفلانية . وعَرَّفه علىٰ المكان الذي يجلس فيه والمخزن ، فأصبح ودخل علىٰ الولد حتىٰ عرفه ، وقال له : أنت فلان ؟

قال له : أنا فلان!

قال له : إنني البارحة رأيت والدك فرحان منك .

قال له : بشرك الله بالخير .

قال له : ماذا تصنع لوالدك ؟

قال له : ما أصنع له شيءٌ .

Scanned with CamScanner

قال له : رأيته جالس علىٰ كرسي ، ماذا تعمل له ؟

قال له : ما أعمل له شيءْ .

قال له : قل لي ؟

قال له : فقط كل يوم أقرأ له ختمة من كتاب الله له ، وأهدي ثوابها له .

قال له : هنيئاً له ، ما هو محتاج من عمل عامل ، ورأيته جالس علىٰ كرسي وأهل البرازخ يلتقطون ما يهدونه لهم الأحياء .

بعد مدة رجع إلىٰ المقبرة وسلم علىٰ أهلها ، وبحث علىٰ صاحب الكرسي ما وجده ، فسأل واحد ، وقال له : مررت قبل مدة ورأيت واحد جالس علىٰ كرسي اسمه فلان بن فلان .

قال له : نعم ، ذاك توفي ولده الذي يقرأ له الختمة ، فدخل مع أهل المقبرة .

ارحموا آباءكم ، انتبهوا منهم ، وإخوانكم وجيرانكم كلهم لهم عليكم حق .

اللهم ارحمنا وارحمهم ، وتب علينا وعليهم ، وأعد بركة هٰذا الجمع علينا وعلىٰ أخينا محسن خاصة وعليكم أجمعين ، وارحمنا يا رب ، واجعل الحج هٰذا ثمرته عائدة علىٰ الصلاح الحسي والمعنوي .

اللهم أصلحنا وأصلح بنا . اسألوا الله أن يصلحكم ويصلح

Scanned with CamScanner

بكم ، يصلح لكم قلوبكم ، ويُصلح بكم بلادكم ، ويصلح بكم إخوانكم ، ويصلح بكم واديكم ، ويُصلح بكم أهلكم ، ويصلح بكم أعمالكم ، ويصلح بكم تجاراتكم .

اللهم لا ترد لنا دعوة ، واربطنا بأهل الفتوة وراث النبوة ، وبلِّغنا ما بلغته الكامل من الأُبُوَّة ، وارحمنا في دنيانا ، واحفظنا من بلائها ومن عَنَتها ومن شدتها ، وردنا إلىٰ طريق آبائنا مغمورين بالعلم ، مغمورين بالنور ، مجابين الدعوة . اجمع دعواتنا وارفعها عندك يا أرحم الراحمين .

وإلىٰ حضرة النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي - حفظه الله - بهٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة ، السابع والعشرين من شهر ذي الحجة ، عام أربعة وأربع مئة وألف (١٤٠٤/١٢/٢٧هـ) الموافق الحادي والعشرون من شهر سبتمبر ، عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف (١٩٨٤/٩/٢٢م) .

وذلك بمنزل العم علي بن عبد الله السقاف بـ(جدة) . وقد أقام العم علي في هٰذه الليلة ضيافة ودعوة عامة للحجاج وغيرهم ، وحضر هٰذا الاجتماع خلق كثير من الآباء والإخوان ، وفي مقدمتهم :

حبيبنا عبد القادر بن أحمد السقاف ، والحبيب أحمد المشهور الحداد ، ووالدنا عبد القادر بن سالم الرُّوِش ، وأستاذنا محمد بن شيخ المساوىٰ ، وشيخنا محمد بن أحمد الشاطري ، وداعيتنا سالم بن عبد الله الشاطري .

وبدئت الجلسة بقصيدة أنشدها أخونا عبد القادر بن حسين الحبشي للحبيب علي بن محمد الحبشي ، مطلعها :

بَلّغ القوم عني أني أهوى سِيَرْهُمْ كل وقتي مضىٰ دائمْ وَنَا أتبع أثرْهُمْ

بعده أنشد الأخ أبو بكر بن علي المشهور هٰذه القصيدة :

يـا كثيـر العطـاء والنـوال جـد علينـا بـأكبـر عطيـه
واشرح الصدر وانظر لحالي واختم العمر يا الله بالايمان

ثم أنشد سالم بن قدري حسان قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي :

قال الفتى الهاشمي دمعي يسيل على ليالي التصافي الماضيه

ثم أنشد الغزالي العيدروس أيضاً للإمام الحداد :

أنــا مشغــول بليلــى عــن جميــع الكــون جملــة

ثم أنشد حبيبنا سقاف بن زين بلفقيه من الرشفات التي مطلعها :

وليس ينجي العبد من كل ردى إلا إذا بالحق في الصدق اهتدىٰ
فسوف يُعطىٰ كلَّ فضل وهدىٰ بالفضل في الحال وفي المآل

ثم قرأ العم أحمد بن علوي الحبشي : تبصرة وذكرىٰ لكل عبد منيب للحبيب علي بن محمد الحبشي .

بعد ذلك تكلم حبيبنا أحمد المشهور بكلمة قيمة مختصرة ، نوردها - إن شاء الله - في مجموعنا لخطب ونصائح متفرقة لعدد من الآباء خلفاء الأسلاف .

بعد ذلك تكلم حبيبنا عبد القادر بن أحمد بهٰذه الكلمة ، والتي استمر في إلقائها حوالي ثمانية وثلاثين دقيقة ، نفعنا الله بها ونفع كل مستمع لها ، آمين :

هٰذه المجالس - كما قال لكم حبيبنا أحمد مشهور - هي بستان ، يأخذ منها كل واحد علىٰ مدىٰ منتهىٰ صلاح قلبه ، وعلىٰ مدىٰ منتهىٰ استعداده ، وعلىٰ قُرْبه .

والمجالس وكثرة الاجتماعات التي ذكرها لكم الحبيب أحمد ومحبة الناس لها ، وائتلاف الناس واجتماعهم عليها كلها داعية خير ، تدل علىٰ خير كثير . ما هو الخير الكثير ؟

الخير الكثير أشار إليه الحديث الذي قاله الحبيب صلَّىٰ آلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « كل مولود يولد على الفطرة » .

فنحن - والحمد لله - ولدنا علىٰ الخير ، وعلىٰ فطرة الخير ، وفي بلاد الخير - كما قال لكم الحبيب أحمد - كانت ثمرتها أنكم تفرحون بالمجالس وتزدحمون عليها وتحضرونها . إنما ينبغي لكل إنسان إذا حضر مجلسْ من هٰذه المجالس أن يعرف الغاية من ذلك المجلس ، وأن يعرف الغاية كذلك من الدعوة النبوية ، وأن يعرف الغاية كذلك من أَلْسُن الهداة العلويين وغيرهم من كلام

الذين حَدَوْكم إلىٰ الطريق وعرَّفوكم ودَعَوْكم إليها . ولا تزال الألسن قديماً وحديثاً تدعو وترشد وتعلِّم ، والقلوب تتحرك ، يتحرك منها ما يتحرك ويتأثر منها من يتأثر ، والمقصود ـ يا إخواني ـ : أن كل ما سمعتوه من كلام الشيوخ ، من القصيدة الأولىٰ التي أنشد بها أول من أنشد الولد عبد القادر بن حسين الحبشي ـ بارك الله فيه ـ بقصيدة للحبيب علي الحبشي من غرر القصائد ، وهي عبارة عن دعوة عظيمة تلج إلىٰ القلب فتحركه ، ثم جاء المنشد الثاني وأنشدنا قصيدة أيضاً من قصائد الإمام الحداد ـ فيما أحسب ـ وهي دعوة كاملة كافية ، ثم المنشد الرابع ، ثم جاءنا الولد أبو بكر المشهور وأنشد قصيدة للحبيب علوي بن محمد الحداد ، الرجل كان إمامْ في العصر هٰذاك ، وشعره من أجود الكلام كذلك ؛ لأن هٰؤلاء سلاطين الكلام وهم سلاطين الرجال ، ولا يخرج من سلاطين الرجال إلا سلطان الكلام ، تتحرك القلوب لكلماتهم ويلين القاسي منها ، ويتأثر الإنسان منها ، قصيدة في غاية من الإعجاب .

ثم جاءت القصيدة العظيمة للإمام الحداد فكانت كعَصا موسىٰ ، أنشدها لكم الغزالي العيدروس ، وحرك الحاضر وحرك الغافل ، وحرك الداعي وحرك المدعو ، معاد تحتاج شيءْ .

ثم جاءتكم كذلك قصيدة من الرشفات العظيمة التي هي للحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه، أرسلها إلىٰ (مكة)[1]

---

(١) أولها : إخواننا بالمسجد الحرامِ ... منا إليكم أكمل السلامْ
وحمدُ ربٌ منَّ بالإنعامِ ... ومنَّ بالتفضيل والإفضالْ

لأحد أصحابه الذين طلبوا منه الإجازة لما اجتمعوا به ورأوا فيه سر النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

هٰذا هو المقصود من العلم ، لا المقصود من العلم كثرة التفرعات والتأويلات . المقصود من العلم أن يلج إلىٰ قلب الواحد ، فيدرك الواحد منه سره .

وكان الأولون يقولون : العلم إنما هو دخول إلىٰ المعلوم ، والفهم إنما هو دخول إلىٰ المفهوم ، حتىٰ يأخذ الإنسان منه الحقيقة البارزة الظاهرة فيستفيد منها ، وإلا إذا كان علم قال رضي الله عنه ، وقرأ رضي الله عنه ، وسمعت منه رضي الله عنه ، إذا ما استفاد الإنسان من قوله : سمعت ، من الحكاية أو من الكلمة أو من الدعوة شيءٌ . . خرج ومعه بركة المجلس . والإنسان العاقل لا يستكفي ببركة مجلس يجتمع فيه أهل لا إلـٰه إلا الله للبركة فقط ، اجتمعوا للانتفاع ، اجتمعوا للتواصل ، اجتمعوا لبث الدعوة ؛ لأن الدعوة النبوية جاءت علىٰ لسانه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، بلَّغها كما أمره ربه . ثم جاؤوا أصحابه فبلغوها عنه واهتدىٰ به الكثير ، ثم جاء مَن بعدهم . . حتىٰ وصل التبليغ إلينا بما نسمعه في هٰذه المجالس . ولا يزال الكثير من أهلنا ورجالنا يدعوننا وهم في برازخهم ، سمعنا هٰذه التذكرة والتبصرة للحبيب علي بن محمد الحبشي ـ شيخنا الأخير ـ من أعظم الألسن ومن أعظم التذكرة ، يدعونا فيها إلىٰ أن ندخل

في ميدان العمل ، ويدعونا فيها إلىٰ أن نخرج من رعونة البشرية المقصودة .

ما المقصود ـ كما ذكرته لكم ـ من هـٰذا الكلام إلا الدخول منه إلىٰ ما هو أوسع . ما هو الذي أوسع ؟

الأوسع ، قالوا : عالم القلب وعالم الروح ، هـٰذا المقصود منه .

والقرآن دائماً يخاطب القلوب ويخاطب الأرواح ، ويأخذ بها ويحدوها ؛ لأن القلب هـٰذا هو الأمير والسلطان والملك علىٰ الجوارح . لهـٰذا كان الإمام الغزالي لما أراد أن يرد علىٰ الفلاسفة ـ ومنه الرد علىٰ الشيوعية ذا الحين ـ ضرب لنا مثلين :

المثل الأول : هو مثل عربي ، ماذا قال ؟

قال الجدار للوتد لم تَشُقَّني ؟ قال : هـٰذا المسمار الذي يدقُّه الإنسان في الجدار ، شكا الجدار منه وقال للمسمار : لماذا تدقُّنا ؟

قال له : ما هُوْ أنا الذي أدقك ، ولـٰكنها يد قوية تضربني فتجعلني أدقك ، اسأل اليد هـٰذه .

وضرب لنا مثلاً آخر رضي الله تعالىٰ عنه ـ حكاها في محبرة ، قال : إن القلم يكتب علىٰ ورق أبيض ، فجاء الورق وقال للقلم : لماذا تسوِّدنا وأنا أبيض صافي ما فيَّ شيء ؟

قال له : ما هو أنا أسوِّدك ، ولـٰكنها تسوِّدك المحبرة فسلها .

Scanned with CamScanner

سأل المحبرة ، قال لها : لماذا تسوِّديني وأنا أبيض ؟

قالت له : ما هُوْ أنا ، إنما هي إرادة تأخذ بيد .

سأل اليد وقال لها : لماذا تسوِّديني أنت وتتحركين ؟

قالت له : أنا ما أتحرك بنفسي ، ولٰكن هناك محركٌ يحركني .

قال لها : أين هٰذا المحرك ؟

قالت له : هو داخل .

قال : أين هٰذا ؟

قال : القلب ، إذا أراد أن يكتب شيءْ . . تحرك القلب ، وقال : اكتب لفلان اكتب هٰذه المسألة ، اكتب كذا وكذا .

فالقلب هٰذا هو السلطان ، والإنسان إذا أضاع السلطان وتركه مع الرعونة . . بايأخذ السلطان إلىٰ الهوىٰ وإلىٰ المذلة ، وإلىٰ الانحطاط ، وإلىٰ النزول من العالَم الذي خُلق منه إلىٰ العالم الآخر .

ما هو الذي خُلق منه الإنسان ؟ خُلق من شيء ولأمر آخر ، كما سمعتوا في الكلام الذي أتىٰ به الحبيب أحمد بن علوي الحبشي من كلام جده الحبيب علي الحبشي ، وكما سمعتوا من قصيدة الإمام الحداد ، وكما سمعتوا في الرشفة ، رضي الله عن الجميع .

المقصود من هٰذا كله : أن الإنسان خلق ، ووضع فيه الروح والقلب لأمر ثاني ، الأمر الثاني هو : أن تضعف قوىٰ البشرية التي تأخذ بالإنسان إلىٰ الشهوات ويدعوها القلب والروح إلىٰ عالمها ، إلىٰ العالم الثاني ، ومن العالم الثاني تظهر عليه الفيوضات .

والفيوضات أنواع : أول ما يظهر عليه أنه يرعوي عن المنكرات البهيمية النفسية البشرية :

فإذا كان كثير الغِيبة . . يرعوي عن الغِيبة ، ويتخوف القلب من الله إذا جاءه الزاجر .

وإذا كان كثير الكلام والهذيان واللقلقة . . يرعوي القلب ويترك هٰذا كله ويرجع إلىٰ الله ، يصرفه فيما كان ينبغي أن يصرفه .

وإذا كان كثير العبث بالناس ، أو كثير السرقة ، أو كثير الفحش ، أو كثير من الشتم . . يزجره عن ذلك ، ويرجع إلىٰ أين ؟ يرجع إلىٰ العالَم الأعلىٰ . هٰذا أول فيض يأتيه ، إذا رجع . . يبشَّر نفسه بالفيض الأكبر .

والفيض الأكبر ـ حتىٰ لا يطول الحديث ـ قد حكاه لكم النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في حديث الثلاثة الذين آوَوْا إلىٰ الغار وسقطت صخرة وسدت عليهم فم الغار ، واحد منهم قال : اللهم إنها كانت لي ابنة عم كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ،

وراودتها عن نفسها فما رضيت ، حتىٰ ألمت بها سنة من السنين فجاءتني ، فقلت : لا أعطيك حتىٰ تمكنيني من نفسك . فمكنته من نفسها وهي غير راضية بهٰذا ؛ لأن عفاف دينها ينهاها ولٰكن الحاجة ألجأتها إلىٰ أن تنطرح .

قال : إنه لما قعد بين رجليها ـ حكاها لكم النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ـ تحرك قلبها . هٰذا هو المؤمن الكامل ، وحركة المؤمن الكامل تؤثر في القوم كلهم لا في واحد فقط .

ماذا قالت له ؟ قالت له : يا عبد الله ! لا تفض الخاتم إلا بحقه .

فتحرك الرجل واضطرب ، وقام وأخذه الخوف من الله سبحانه وتعالىٰ .

والثاني كان باراً بوالديه ، انظروا كيف كانت النتيجة ، النتيجة التي كانت من الفيوضات أنها لما انطبقت عليهم الصخرة . . قام الأول وقال : اللهم إنه كان لي أبوان كبيران وشَيْخان ، وكنت لا أغبق أحداً قبلهما ، فجئتهما ذات ليلة فوجدتهما نائمين ، فبت فوقهما قائماً والغَبوق في يدي والصبية يتضاغَوْن من الجوع حتىٰ برق الفجر ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك . . فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرج شيء من الصخرة .

وقال الثاني ، وذكر محبته للمرأة وتَمَكُّنَه منها ، وقال : إني

تركتها يا رب خوفاً منك ، اللهم إن كنت تركت ذلك خوفاً منك . . فافرج عنا . فانفرجت .

وقام الثالث ـ وهي قضيته من نوع البلايا التي ابتلي بها الناس ، وهي ميزة كذلك وفيض من الفيوضات البشرية ، ويدرك الإنسان بها مبلغ الإيمان ، ويدرك الإنسان بها الدعوة ، وهو المدعو بها ، ليس هو مدعو لغير هٰذا ـ قام وقال : اللهم إنه كان لي أجير استأجرته لعملي ، فلما كان من آخر النهار . . ذهب وترك أجرته ، فثمَّرتُ أجرتَه حتىٰ بلغَتْ ما بين جبلين من الغنم البقر والإبل ، فجاءني بعد مدة وقال : يا عبد الله ، أعطني أجري .

فقلت له : هو ما ترىٰ ، خذه واذهب .

قال : يا عبد الله ، لا تهزأ بي !

هٰذا لأن البشرية التغلب عليها صعب ، كل واحد يعرضها علىٰ نفسه حينما يأتيه العامل والموظف ومن كان علىٰ شاكلتهم ، إن قَدَر بايماكسه حتىٰ يُخرِجه من شَق من الأجرة ، وإلا يضايقه في العمل ، وإلا يشدد عليه في العمل حتىٰ لا يتركه يستريح ، ولا يتركه يطمئن ، ولا يتركه يتنفس لو علىٰ الماء ، بايقول : باخُذ حقي منه ، هٰذا إذا كان خَيِّر ، لٰكن هٰذا بدل من هٰذا ثَمَّر له كله ، ولما ثَمَّره ونما وزاد وملأ ما بين الجبلين . . قال له خذه .

قال له : لا تهزأ بي !

Scanned with CamScanner

لأن الغالب من البشرية أنه بايعطيه إلا حقه من الأجرة .

قال له : لا ، أنا ما أهزأ بك ، خذه . فأخذه وسار به .

فقال : اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك . . فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة .

هٰذا الفيض الكبير هو نتيجة الإيمان .

ما الذي حرك الصخرة ؟ وما هي الكرامة التي حصلت لهم ؟

عاد حد ينكر بعد الحديث النبوي هٰذه الكرامات التي تحصل للمقربين ، التي تحصل لأهل الفيوضات ، التي تحصل لمن عامل الله ، التي تحصل لمن كان ملأ قلبه بمحبة الله وخوف الله سبحانه وتعالىٰ ؟

هٰذا المقصود ، وهٰذه المجالس ـ يا إخواني ـ ما المقصود منها إلا أن يدخل في الإيمان فيخرج من المجلس بفائدة ، وتلك الفائدة يربط عليها حتىٰ تعود عليه منها ، وإذا عادت عليه منها العائدة . . أتته الصلة التي يذكرونها أهل النحو ، فكانت صلة وموصول .

والصلة : صلته بربه . إذا حرك شفتيه . . أدركه ، وإن تحرك قلبه . . أدركه ، وإن نظر إلىٰ السماء . . أدركه .

سمعتوا هٰؤلاء أصحاب الغار كانوا من بني إسرائيل ، وبنو إسرائيل ما هم بأفضل من أمة محمد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ،

Scanned with CamScanner

ولا بأشرف من أمة محمد ، ولا بأكرم على الله من أمة محمد . هٰذا المقصود من هٰذه المجالس .

والمقصود الأول : أن يأخذ الإنسان من هٰذه الاجتماعات فائدة تعود عليه بأن يتخلىٰ عما هو فيه . إن كان يجلس مجالس اللغو والغِيبة . . فمن هٰذه الليلة يقول : هٰذه المجالس ضيعتنا ، وضيعت عليَّ صلاح القلب ، وضيعت عليَّ المقصود ، وضيعت عليَّ المهم .

وإن كانت دنياه ومعاملته فيها شيء من الفساد ما يصلح بأن يعامل بها ، ومما نهىٰ الشارع عنه ، أو بما وعد الله به أهل العقوبات بالعقوبات فيه . . ينبغي له كذلك أن يتنبه ويقول : من الليلة أنا أجاهد نفسي .

هٰؤلاء الذين ذكرتهم لكم ، هٰؤلاء أشار إليهم القرآن في آيات مباركات ، وأشار إليهم الإمام الحداد ، وأشار إليهم الحبيب علي ، وأشار إليهم الحبيب عبد الرحمٰن ، وأشار إليهم حبيبنا أحمد المشهور ، كلها إشارات جليات .

أما القرآن : فقال في حق النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ .

هٰذه الجنود منها : الدعوة المباركة . خرج النبي بمفرده ما معه إلا أبي بكر وأهله ، وبقية عشيرته ما قد يخرجون ، ولٰكنه متحقق أن الله سبحانه وتعالىٰ سينجزه وعده ولن تتأخر كلمة الله ،

Scanned with CamScanner

والله يقــول : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ .

فإذا كان الواحد من جند الله سبحانه وتعالىٰ . . فليثق بوعد الله ، وليثق بما أمر الله به سبحانه وتعالىٰ .

هٰذا المقصود - يا إخواني - الدخول إلىٰ هٰذا ، أن يقيم الإنسان الأمر الأول الذي لا نزال نذكره وسمعتوه في القصيدتين التي سمعتموهن ، وفي كلام الحبيب علي ، وفي كلام الأخ أحمد المشهور ، كلهن شيء من الحدائق العلوية التي تتنزل علىٰ القلوب الصافية المأخوذة من العالم الأعلىٰ . عاد نحن ما بعاد وصلنا إلىٰ هٰذا ، وصلنا إلىٰ محاسبة الإنسان نفسه في صلاته ، في قرآنه ، في أهله ، في تربيتهم ، في عاداتهم ؛ لأن المجون في هٰذا الزمان كثر ؛ لأنها لما كادت الدعوة أنها لا تصل إلىٰ مَبْلَغها الحقيقي من أمرين :

أولاً : الداعي مقصر .

الأمر الثاني : أن الدعوة ما وصلت عادها ؛ لأن الكثير من الناس يسمعون ولا يأخذون ، فكثير منهم - فيما يبلغنا أن الواحد مثلاً - يبيت مع التلفزيون حتىٰ يمر عليه نصف الليل . وماذا في التلفزيون ؟ ربما عاده معه شيء من الشاشات السود .

يبلغنا أنها كذلك تأتي أشرطة فيها رجال وفيها نساء ، وفيها مخنثين ، وفيها شيء مما يضر القلب ، وهٰذا ما هو بعيد يجلب الإنسان لنفسه السوء ؛ لأن النفوس اعتادت السوء ، فكان يعجبها

Scanned with CamScanner

أن تنظر إلىٰ السوء ، فيقعد هو وأهله وأولاده يشاهد ويضحك ويتمتع ، ولا هو داري بشيء مما أوعد الله أو مما عاتب الله عنه ، أو مما خوَّف الله منه! حتىٰ يأتي عليه نصف الليل وبعد نصف الليل ، ثم إذا عاده بمعه مسامرة هو وزوجته ، هو وأهله . . جلس هو وإياهم علىٰ عادته وعلىٰ لهوه ، أو علىٰ أنسه ، أو علىٰ ما أباحه الله له ، أو علىٰ ما خوله الله له ، ثم بعدها ينام! نم هنيئاً ، يقول له الشيطان ، يؤذن الفجر ما يدري به ، ويؤذن المؤذن .

هـٰذه البلدة ما بين ثلاثة ديار مسجد ، والمساجد كلها بسماعات كبيرة تصل أصواتها إلىٰ أماكن بعيدة ، لـٰكن هـٰذا سماعته الأذنية ليست موجودة ؛ لأن الشيطان استغواه فأنامه في الثلث الأخير أو في الربع الأخير من الليل ، وقت قيام الليل ووقت التهجد ، ووقت التعبد والعبادة . ويا ليت الواحد أخذ له ما كان يُعتاد مما ينبغي أن يُختَم به المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، رب اغفر لي » أو يقرأ الفاتحة ، أو يختمها بدعوات ، أو يختمها براتب الإمام الحداد ، أو يختمها براتب الإمام العطاس ، أو يختمها بأذكار واردة عن النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، أو يختمها بأوراد عن السلف وأذكار ، لا يكون كالبهيمة كاملة في كل شيء في شكلها معاد شيء قاصر عليها قط أبداً . إلا أنه ربما كان عنده استحياء من بعض الأشياء في الأفلام هـٰذه ، يأتيها في

Scanned with CamScanner

خاصته ، ولا يخبر بها إلا خاصة الخاصة الذي يلعب هو وإياهم أو يغفل هو وإياهم ، ويبيِّت علىٰ لهو وعلىٰ غفلة وكأنه معدود من أهل زحمته ، ولو سألته : كيف بيَّتُّم البارحة ؟ لقال : بيَّتْنا في خير حال وفي نعمة .

هل هٰذه نعمة ؟! هٰذه إلا نقمة ، والعياذ بالله . السمر بالليل كرّهوه العلماء ، والشارع يحث علىٰ النوم حتىٰ يأخذ الجسم قسمه ونصيبه من اللباس ؛ وهو القوة ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ لا . . هٰذا اللباس حقه السهر والسمر والصَّفْطَة واللعب وما شاكل ذلك ، لا هٰذا المقصود .

يا إخواني : إذا حضرتم هٰذا المجلس . . خذوا لكم نصيبْ مما سمعتوه . هٰذا كلكم تفهمونه ، ما هو بعيد علىٰ لسان كل واحد ، ولا هو بعيد عن فهم كل واحد ، خذوا لكم نصيبْ ثم اقصدوا مِن وراء هٰذا ما هُوَ ـ كما ذكرت لكم ـ بركة المجلس فقط ، بركة المجلس وجوه أمامكم حية زاهرة : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ كله الصف هٰذا الذي ترونه جالسين من الستره إلىٰ السترة الثانية .

من نعم الله عليكم ـ كما ذكرت لكم ـ المجالس هٰذه ، نعمة سيقت إليكم كما في أبيات الولد أبو بكر ـ بارك الله فيه ـ نعمة سيقت إليكم وجاءتكم (حضرموت) بكلكلها وكاملها كلها وهي من نعم الله ، لٰكن عطوها حقها :

حضرموت التي سكانها خير سكانْ ابن عيسى ومِن نسله شيابهْ وشُبَّانْ

هٰذا الإمام المهاجر يصفونه بالعقل الكبير ، لماذا يصفونه بالعقل الكبير ؟ لما خرج من (البصرة) ـ حكاها لكم الحداد ، لأنها خضراء ، وقد زرناها فوجدناها متعة للناظر ، معاد تحتاج ، قال الإمام الحداد فيها :

من البصرة الخضراءِ يخترق القرى ويُلحِق أغواراً بها بأكامِ
إلى أن أتى الواديَ المبارَكَ فارتضىٰ ومَدَّ به أطنابه لخيام
فأصبح فيه ثاوياً متمكناً بذرية مزمومة بزمام

هٰذا الزمام الذي نطلبه منكم ونطلبكم أن تتقيدوا به :

من البر والتقوى وحسنِ شمائلٍ كرامِ السجايا أَرْدَفَت بكرام

هٰؤلاء الرجال أبوهم الإمام هٰذا خرج من (البصرة) . وترون أن خروجه سَهْل عليه من بلده ؟ والقرآن يناديكم : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

وخرج هٰذا ـ ذو العقل الكبير ـ الشمس تلوِّحه ، خرج علىٰ ماذا ؟ شيء سيارات أو طائرات ؟! خرج علىٰ جمال تلوِّحه الشمس وتصهره الشمس ، وتتعبه الصحراء ، وربما وجد ماء وربما لم يجد ، علىٰ مسافة لا تقل عن شيء وعشرين يوماً ، أو ثلاثين يوماً ، يسير فيها بجماله حتىٰ وصل (المدينة المنورة) فأقام بـ(المدينة المنورة) سنة كاملة عند الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وجاء إلىٰ (مكة) بعد أن هدأت ثائرة الفتنة حق

Scanned with CamScanner

القرامطة ، فحج وأخذ يستأذن ويستشير ، والإذن للنبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ . وكثير من الناس لم يدرك معنىٰ الإذن النبوي ، وهو بسيط بعد أن أعطاكم ركعتي الاستخارة ، والدعاء النبوي ، هٰذا يحصل به الإذن بلا تعب ولا أذية قط ، فما انشرح به صدرك . . فهو الإذن النبوي .

أخذ المهاجر مدة يستشير النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، حتىٰ خطر له بعد الحج أنه يخرج إلىٰ (اليمن) و(اليمن) كما تعلمون أطراف (حضرموت) . مخلاف (حضرموت) من مخاليف (اليمن) جبال ورمال وصحراء متعبة ، فأخذ يسير فيها الإمام المهاجر . رعاية لماذا ؟ رعاية لذريته أن يضعهم في بلد يطمئن فيها علىٰ الإقامة لدينهم وحفظه .

قال الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ذكرها الحبيب عيدروس في كتاب « العقد » العظيم حكاها في ترجمته ، قال : قال البرزنجي : سبب خروج الإمام المهاجر :

أنه بعد أن هدأت ثائرة الفتن ضد أهل البيت أقبل الناس علىٰ أهل البيت الطاهر بالأموال والقلوب ، والهدايا والتحف والتقرب منهم ، حتىٰ لما كثرت . . جاء أولادهم وصغارهم ، وماذا صنعوا ؟ صنعوا كما يصنعون الناس في مظاهر الدنيا والذي تسمعونه الآن من المظاهر والترف الموجود ، وبدؤوا هناك يصنعون كذلك .

قال : كان الواحد منهم إذا أراد أن يدخل الحمام . . يقمن

جاريتين بمباخر الدخون ـ العود ـ أمام الباب ، وينتظرن هٰذا الذي في الحمام حتىٰ يخرج فيتبعنه بالدخون هٰذا .

رأىٰ المهاجر أن هٰذه ليست من سنة رسول الله صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ولا من عادة رسول الله ، وهٰذه الأمور قد تأخذ بهم إلىٰ مزلق من مزالق الضعف ومزالق اللهو والانحياز ـ والعياذ بالله ـ وإلىٰ الخروج عن دائرة الأخلاق الشريفة وعن ما كان عليه جدهم وعن ما كان عليه الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فخرج بهم إلىٰ الأرض هٰذه وهي بلاد قاحلة ما فيها شيء ، وفيها ناس ، فدعاهم إلىٰ الله وهذبهم ، وقرَّبهم بالمال وبالأخلاق وبالعلم حتىٰ انتحوا طريقته وأخذوا طريقته ، وصارت (حضرموت) (حضرموت) .

هاجرنا نحن ـ كما أشار لكم الحبيب أحمد وفي « التبصرة » حق الحبيب علي بن محمد ـ هاجرنا ، وكان في هجرتنا خير كثير لكل من هاجر ، وكان من بركة هٰذه الهجرة : أن الناس قدروا يتصلون بأهل (حضرموت) ويواصلونهم ، أقاموا أنفسهم ، ولٰكنهم أقاموا جانب الترف ، مع إقامتهم بأنفسهم أقاموا جانب الترف ، الواحد ما يعجبه إلا أن يفرش بيته بالفرش الوثيرة ، يختار له سيارة فاخرة ، ويختار لزوجته من الحلي والأثاث ، ولابنته ولأهله من الحلي والأثاث ما فيه قيمة كبيرة من المال ، وإذا سألته عن حاله أو عن صدقته ، أو عن رعايته ليتيمه أو لفقيره أو لقريبه ، أو عن صدقة لسائل أو علىٰ المنقطع أو علىٰ المسكين

أو علىٰ العاني . . قال لك ما أنته داري ما هو الحال الذي نحن فيه ؟ ما أحد داري بالناس والذي هم فيه ، كيف ما أحد داري ؟

داريين الناس أن الواحد سيارة تحت بيته بأربعين ألف ، لو استبدلها بسيارة بعشرة ألف والباقي الثلاثين الألف بايقدر يحفظ شيءْ منها ، بايقدر يواسي منها ، بايقدر يوالي منها ، بايقدر يقيم المعروف الذي يقول لكم الله عليه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ .

وهل تعتقدوا القطيعة أن تقول لرحمك : شفك مقطوع مني ! ؟ هـٰذا الذي ما يرسل لرحمه شيءْ قَطَعَه ، الذي ما يواليه قطعه ، الذي ما يذكره قطعه .

ثم ليست هي قطيعة للرحم ، بل قطيعة للنبي صلَّى ٱللَّه عليه وآله وسلَّم ، قطيعة لله سبحانه وتعالىٰ ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ اعتبره خصمه ، قال : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ فجاءت حق العدا لما جعله الله عدوه ، قال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ .

من هو هـٰذا الذي يقدر لهـٰذه اللعنة الكبيرة ؟!

ومن هو هـٰذا الذي عنده طاقة لاستجلاب اللعن هـٰذا ودخوله إلىٰ داره ؟!

وكم من واحد يبيت ملعونْ من الله ولو جاء واحد وقال له : يا ملعون . . بايقيم الدنيا عليه ، وهو نفسه القدرة الإلـٰهية تلعنه ، والقرآن يلعنه ! يبيت علىٰ غضب ويصبح علىٰ غضب ، والعياذ

بالله . فهل درىٰ أو ما درىٰ ؟ ينظر الإنسان إلىٰ نفسه .

ثم لم يكتفي القرآن إلىٰ هـٰذا الحد ؛ لأن الغضب شديد ، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ وهـٰذا أيضاً البلاء الكبير .

وما معناه الصمم أنه ما يسمع ، لـٰكن! القلب معاد يهتدي لشيء قط أبداً .

ثم قال : ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ وما معناه البصر ، ولـٰكن معناه : القلوب ، والعياذ بالله .

إلىٰ آخر الآيات التي تقرؤونها ، وفيها : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

وكم في مثل هـٰذه الآيات تحتوي علىٰ هـٰذا المعنىٰ ، كل واحد ينزلها عليه . وهـٰذه ـ شفوها ـ هي المقصود من المجالس ، وأن يأخذ الإنسان النصيب من حديث يسمعه ، أو موعظة من داعي يسمعها ، أو عبرة من واحد ينظر إليه ؛ لأن النظر حتىٰ إلىٰ الوجوه الطيبة هـٰذه له أثر يتأثر به الإنسان . والكلام له أثر كذلك علىٰ القلوب ، فإذا تابعها الإنسان . . اهتدت القلوب وانمحىٰ ما كان فيها ، ورجع العبد إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ، ومن رجوعه إلىٰ ربه ـ كما ذكرنا لكم ـ تأتيه الفيوضات ، وتأتيه الرحمات وتأتيه الخيرات ، وتأتيه البركات ، منها : الذي سمعتوه في قصة الثلاثة[1] .

---

(١) أصحاب الغار .

هـٰذه قصة الثلاثة ـ كما قلت لكم ـ ليسوا بأفضل منكم إلا إن كنتم بقيتم في ترفكم ولهوكم وضياعكم وهم كانوا مع الله في إيمانهم ، وإلا هم إلا من الأمة الإسرائيلية ، والأمة المحمدية أعلىٰ وأغلىٰ ، وأرفع وأكرم عند الله ، وأقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ .

فينبغي ـ يا إخواني ـ لكل واحد منكم أن يأخذ له زادٌ من المجالس يستفيد به ويَنْعَم به . والمجلس هـٰذا ـ شفوه ـ جمع لنا من الوجوه التي ترونها والتي تشاهدونها ، وجمع لنا من الإخوان ، كل واحد له قصد بالاستفادة والاستزادة .

وكما ذكر لكم الولد أبو بكر المشهور : (جدة) ما حسبت أنها بايقع لها العهد هـٰذا ولا الزمان هـٰذا ، ولا عرفته ، ولا درىٰ به تاريخها . جاءكم العلم بكلكله وأهل العلم .

مجالس يقيمها الإخوان ويحضرها الإخوان ، مجالس ما لها نظير ، ما توجد حتىٰ في غيرها من البلدان بحمد الله .

زرنا كثيرٌ من البلدان : زرنا الحرمين وزرنا (الشام) وزرنا (سوريا) وزرنا (مصر) وزرنا وزرنا وزرنا . . وما تركنا بلدٌ من البلدان ؛ لأننا قد خرجنا من (حضرموت) فمِن النِّعَم ما وجدنا إخوانٌ مثل هـٰؤلاء الإخوان .

هـٰذه الحقيقة التي أقول لكم بها ، ما وجدنا علم كعلمهم ، وما وجدنا رجال يستأنس القلب بهم ويطمئن إليهم ويستمع إلىٰ حديثهم . حتىٰ الفكاهة ، حتىٰ النكتة والضحكة وما شاكل ذلك عليها طلاوة علىٰ طريقة (حضرموت) وأهل (حضرموت) الطيبين

المباركين ، المقصودين المخطوبين الذين خطبتهم . . أي : تولتهم - القدرة الإلـٰهية لأسرارها ، وأرادتهم لبركتها ولأنوارها .

فخذوا - يا إخواني - واغتنموا! شفوها مجالس ثمينة ، منها : هـٰذا المجلس ، جزى الله عنكم الأخ علي بن عبد الله ، حرص أن يكون عقد نكاح بنته في هـٰذه الليلة ؛ لبركتها ، وجمع لكم الوجوه هـٰذه .

جاءنا الأخ محمد بن أحمد الشاطري - الله يمتع به ويقوي ضعفه - لما سافر . . حرصنا عليه ، وسألنا الله أن يرده في القريب بالسلامة ؛ لأنها مجالس تقوم بواسطته ، بارك الله لنا فيه وفي أيامه وفي ساعاته .

وبحمد الله كَلَّمَنا اليوم بالتلفون - وكنت قد خرجت إلىٰ الأخ سقاف بن زين - ففرحت لما أخبروني أهل الدار .

كنت بغيت باطلع إلىٰ عنده أول العصر ، ولـٰكن! مع دخول العصر جاؤونا ناس ولعاد تمكَّن لي . وأنا ابتليت بمثل هـٰذه الأشياء ، فأصبحت لا أقدر أَقوم بالوفاء بحق الإخوان ، ولـٰكنهم كلهم يساعدونا ويسامحونا ، جزاهم الله عني خير الجزاء .

وكلكم كذلك لكم حق علي ، أنا معاد قدرت أصل إلىٰ كل واحد ، وإلا بغيت عند هـٰذا وعند ذاك ، وهنا وهناك ، وباأحضر جنازة هـٰذا وتشييع هـٰذا ، وعقد ذا ، ونكاح ذا ، وعزيمة هـٰذا ، ومولد ذاك . . كلها بغيت باأحضرها ، لـٰكن ما بارك الله لي في الوقت .

Scanned with CamScanner

وأسأل كل مَن قصَّرت في حقه أن يسامحنا ، وأن يسال الله لي البركة في الوقت حتىٰ أكون لكم .

مات علينا علوي بن عيسىٰ[1] ، بكينا عليه ، وما بكينا عليه لأنه نسل الإمام الحداد ، بكينا لمكارم فيه كنا نعرفها ، لأخلاق رضية ، لسيرة سلفية ، لتعلقه بأهله ، لمكارم الأخلاق . البيت مفتوح ، والقلب مفتوح ، والسيد في غاية التواضع ، بعيد عن الشوائب وعن الأشياء التي يدخل فيها الناس ولا يحتسبونها .

كيف لم نبكي عليه ؟!

وددنا أننا نشيعه من (الدمام) نروح إلى (الدمام) ونعود ، ولٰكن! من كان في سن السبعين معذور ؛ لأن القليل هٰذا الذي يعمله قد فيه ألف بركة له ، وإلا . . مثل هٰؤلاء لهم حقوق علينا . وأبوه عرفناه معرفة تامة ، وعاد معنا البقية من إخوانه ، إن شاء الله ربنا يبارك فيهم .

وجاءنا كذلك الأخ عبد القادر بن سالم الرُّوِش ، هٰذا ـ شفوه ـ غنيمة ، الفقه ممتزج باللحم والدم .

وحامد بن بوبكر[2] سافر علينا ، وسألنا الله أن يرده لنا ؛ لأننا نتمتع بعلمه وبحديثه . ربكم جاء به لنا ولٰكن (مصر) أخذت منه نشاط كثير ، وجاء وقد هو تعبان ـ حديث علىٰ سبيل الإيناس

---

(١) الحداد توفي رحمه الله بالدمام .

(٢) المحضار .

Scanned with CamScanner

من سيدي حفظه الله ـ وقال : إن كان شيء نشاط يا حامد جديد ، وإلا . . انتبه من نفسك .

وجاءكم جعفر المحضار[1] . وجاؤوكم كثير ، منهم الإخوان ، غنائم هٰؤلاء ، أين يحصل الواحد منهم ؟

ثم هم مبذولين لكم ، إذا جئنا عند حامد ـ وإلا جاء مَن هو أقل مننا ـ نطة يعطيها ويقوم له ، والرجل في الثمانين من عمره ويخرج ويتابع ضيفه . هٰذه أخلاق نبوية أخذها عن أبيه وعن أهله ، وعن من قبله .

عندكم الحبيب أحمد المشهور الحداد ، إذا جاء يُحَيِّيكم وتحيون به .

جاءكم حبيبنا محمد المساوىٰ ، ذا من شيوخنا المباركين الكبار ، إذا أردتم علم النحو بالخصوص وبعده علم الفقه . . معاد يوجد إلا عند مساوىٰ ، ومن كان علىٰ شاكلة مساوىٰ ممن تأدبوا بأدب الحبيب محمد بن هادي .

وكثير ما أذكر لكم أنا الحبيب محمد بن هادي ، كأنه إلا مَلَك من الملائكة ، إذا جلس في روحته وشاف الإنسان ذاك الوجه الملآن بالنور . . يفرح ؛ لأنني أقول دائماً فيه : هٰذا الحبيب محمد ما له مجلس إلا إن كان مع تلامذته أو كان مع أهله الخاصة ، وشيء من الضحك الخفيف القليل معهم ، والباقي

---

(١) السيد العلامة جعفر بن علوي بن محمد المحضار [١٣٣٧/ ١٤٢٢] .

Scanned with CamScanner

علم ، نجيء عنده في آخر الوقت يقابلنا بعتاب وسؤال : أين تدرسون ؟ حضرتوا في أي مجلس ؟

لا يقول : من أين جئتم ؟ ولا ماذا تعملون ؟

سؤاله إلا : ما هو الدرس ؟ وتدرسون في أي كتاب ، وأين وصلتم في الكتاب ؟

والباب الذي نذكره له يفتح لنا باب المذاكرة فيه . بقية من البقايا ، أبقىٰ لكم هـٰذا الأخ السيد المتواضع محمد بن شيخ المساوىٰ .

وجاءكم كذلك سالم بن عبد الله الشاطري ، خليفة جمع الله له أسرار الخلافة ، أسأل الله أن يرفع عنه - إن شاء الله - الأسباب التي أثقلته ، ويمده بقوة من عنده ونشاط .

وهـٰذا الأخ أحمد بن علوي الحبشي ، وهـٰذا الأخ علي بن عبد الله . كلهم هـٰؤلاء خلفاء ما تجدون غيرهم .

والمهم من هـٰذا - يا إخواني - : أنني بغيت هـٰؤلاء يتكلمون من قليل .

الشاطري نحن فرحانين بمجيئه ، والأخ عبد القادر الرُّوِش كذلك فرحانين به ، نسأل له كمال الشفاء ، إن شاء الله تسمعون منهم قليل قليل .

وأنا أخذت الكثير عنهم ، وأرجو الله أن يسامحوني .

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

Scanned with CamScanner

الكلام عن هجرة آل باعلوي ونشرهم الإسلام

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهـٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة ، التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول ، من عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة (٢٩/٣/١٤٠٥هـ) الموافق الحادي والعشرين من شهر ديسمبر ، من عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (٢١/١٢/١٩٨٤م) .

وذلك للاحتفال لقراءة سيرة الحبيب محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه السقاف .

وبعد الجلوس من المقام أنشد الأخ أبو بكر بن علي المشهور قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي ، مطلعها :

يا واردَ الأنس والأفراح بالسَّحَرِ

بعدها تكلم حبيبنا بهـٰذه الكلمة فقال ـ حفظه الله ـ :

مظاهر النبوة التي أعطيها هـٰذا الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ لا تُقَدَّر ولا تتناهى ، ولا تحد ولا تحصر . والناس في مثل هـٰذه المظاهر ـ قال الإمام الغزالي رحمه الله ـ : يتفاوتون علىٰ قدر نظرهم .

فذو النظر القوي يشاهد المظاهر وسُمُوَّها بتلك القوة ، وذو النظر المتوسط يشاهد المظاهر وسموها بذلك التوسط ، وذو النظر الضعيف يشاهد المظاهر وسمُوُّها علىٰ قدر نظره الضعيف ومعنىٰ هـٰذا الكلام : أن الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كما كنتم تعرفون أنه أول ما خلق الله وأعظم ما خلق الله وأكرم

Scanned with CamScanner

ما خلق الله ، قالوا : كل المظاهر وكل الفضائل وكل المجالات التي تُذكَر في الأكوان كلها هي له صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وغيره بالتبعية علىٰ قدر استعداده . والإنسان فيها ـ قالوا ـ علىٰ قدر محبته وتعظيمه يكون له شيء من المظهر .

وأهلنا المتقدمون ـ رحمهم الله ـ كان لهم من ذلك المظهر والنصيب الأوفىٰ ، وكان لهم من تعظيم ذلك المظهر المدد الشامل الأكمل ؛ لأنهم الوجهة كلها يرونها من طريقه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فلا يلتفت قلب الواحد عنه يمنة ولا يسرة ، ولا يأخذ كذا ولا كذا ، بلغوا الرتبة العليا ، حتىٰ كان الواحد منهم يشاهد .

ومعنىٰ هٰذه المشاهدة : أن قلبه وروحه وجسمه وكله ملآن بمحمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فلا يظهر في منظار القلب إلا محمد ، ولا يطلع في مرآة القلب إلا محمد ، ولا يكون في مرآة القلب إلا محمد ، وغيره ما له مظهر قط أبداً .

لما كانت القضية هٰكذا حصل لهم الاستخلاف عنه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وحصل لهم القرب منه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وحصلت لهم المزية عنه صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وحصلت لهم انفعالات .

وما هي بمقصودة هٰذه الانفعالات التي تحصل ، والخوارق والكرامات ما هي بمقصودة ، لٰكنها دائماً تَخرُج عصارة ذلك فتأتي من ذلك المظهر . تكون تلك الانفعالات ـ قالوا ـ تشاهد بواسطة ذلك المظهر ، وتحصل للواحد بواسطة ذلك المظهر ؛

Scanned with CamScanner

لأنه كما لا يخفىٰ عليكم أنه يوجد رجال في العالم هٰذا ، لو قال أحدهم للجبل : تحرك . . لتحرك .

قضية مشهورة عن كثير من المتقدمين ، ويذكرونها عن شيوخنا أيضاً ، ويذكرها المتأخرون عن شيخنا الحبيب طاهر بن حسين[1] ، هٰذا الإمام المجاهد ، قال الشيوخ وهم أعرف بهٰذه المقامات وأولىٰ بها : إنه ذات ليلة عنده أحد خُدَّامه يكبِّس له رجليه ، وبينما هو يتكلم في مقامات الإرث النبوي . . قال : إن في الكون رجال لو قال أحدهم للجبل : تحرك . . لتحرك .

قال : فإذا الجبل يشاهد أنه يتحرك! فقال له : يا جبل ما أردناك بهٰذا ، وإنما ضربنا بك المثل لأناس آخرين .

فتَحرُّك الجبل هٰذا ، وما يأتي من انفعالات والخوراق إنما هو نتيجة كمال المتابعة للحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وكمال الامتلاء بالحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وكمال الأخذ عن الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، حتىٰ صح لهم الاستخلاف ، وهو صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ قال : « **إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث** » وكان يقول على أُحُد : « **جبل يحبنا ونحبه** » .

وكانت له كثير من هٰذه الانفعالات والخوارق ، وهي خوارق له لا تأتي علىٰ يد غيره بالنسبة إلا لمن صح الاستخلاف الكامل له عن محمد بن عبد الله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

---

(١) الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر توفي بالمسيلة ليلة الجمعة ٩ ربيع الأول ١٢٤١ .

وهٰذا الاستخلاف الذي ذكرناه هو امتلاء القلب بالإيمان .

ونحن نمشي في بركتهم ، هٰذه الاجتماعات هم الذين أسسوها ، هم الذين دعوا إليها ، هم الذين أقاموها .

وهٰذه الدروس التي نحضرها هي موجودة في بلدانهم وفي ديارهم ، وفي مساجدهم وفي كتاتيبهم ، وفي محلاتهم وفي منازلهم علىٰ هٰذا الوضع ، أُخِذت علىٰ هٰذا الترتيب ، أخذت علىٰ هٰذه الحالة ، أخذت علىٰ هٰذا الحال الذي كان يمشون عليه .

قالوا : إنه كان الحبيب علي بن محمد الحبشي ـ رحمه الله ـ شيخ المتأخرين ، كانت له دروس يقيمها من بعد الفجر في مسجد حنبل بـ(سيئون) حتىٰ يقرب وقت الاستواء ـ يعني يقرب وقت الظهر ـ فيرجع إلىٰ داره .

قالوا : وكان يستفتحها بدرس النحو بعد صلاة الصبح ؛ حرصاً منه علىٰ ناس من ذوي الأشغال يحضرون وبعد الإشراق يخرجون لأشغالهم ، فجاءه واحد وقال : يا أخ علي .

قال له : لبيك ؟

قال له : وقت صلاة الصبح ما هو وقت درس للنحو ، ما يصلح للنحو ، الوقت هٰذا يصلح للحديث ، يصلح للقرآن ، يصلح للتفسير .

الحبيب هٰذا علىٰ نية صالحة ، والحبيب علي علىٰ مثل هٰذه النية ، لٰكن تفاوت النيات وتقاربها ، فقال له الحبيب علي : أنا

Scanned with CamScanner

مقصودي أن هٰؤلاء يخرجون إلىٰ أعمالهم ما بغيتهم يفوتهم الدرس ، ولا بغيت ألسنتهم تبقىٰ متلكئة ، بغيتها تنطلق بالنحو في القرآن والحديث وفي الكتب التي تقرأ ، ويعرفون فاعلها من مفعولها ، ومبتدأها وخبرها وما يدعو إلىٰ ذلك .

قالوا : نفس هٰذا الرجل رأىٰ النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في تلك الليلة يقول له : إنك قلت لعلي الحبشي ، أو يقول له : قل لعلي الحبشي : ابق في درسك في النحو بعد صلاة الصبح .

ما هو الدافع الذي أسس هٰذه الدروس ؟

أسستها النيات الصالحة ، أسستها المقاصد الصالحة .

وكان أحد الشيوخ المتقدمين من أشياخنا أهل (تريم) الرجال الأراكين ، كان له درس كبير يجتمع عليه الناس ويحضرونه ، ولغيره من أهل البلد درس ، ولٰكنهم لا يجتمعون عليه مثل ما يجتمعون علىٰ درس الحبيب هٰذا ، وربما كانت طلاقة لسان هٰذا الرجل أطلق وأعلم وأوسع وأنحىٰ ، قال : جاء إلىٰ عنده قال له : نجعل الدرس واحدْ .

قال : فجاء إلىٰ عندهم فقلَّ الناس ؛ لأنه أطلق منه لساناً ، قلُّوا الناس وما يحضرون الدرس .

فقال له : هيا ، خل نحن كل واحد في مسجده يبقىٰ على درسه .

فقال له : وهو كذلك . وتركه ، فرجع الناس إلىٰ درس الحبيب ، فقال له : إلىٰ أي شيء تدعو الناس ؟

هل تعمل لهم شيء ؟

هل تقسِّم عليهم شيء ؟

قال : أقسِّم عليهم نيات قلبية . هٰذا الذي أقسِّم عليهم ، وهٰذا هو المطلوب .

وهٰذا هو المطلوب ، إذا صحت النية . . صح القصد وصح العمل ، وجاء العمل وفق المعلوم وكانت الدرجة هٰكذا .

فكما ذكرنا ، هٰذه الاجتماعات أُسِّست علىٰ نيات ومقاصد ، وأسست علىٰ صدق اتباع ، وأسست علىٰ صدق استخلاف ، وما أُسِّس كذلك لا يمكن إلا أن يكون إلىٰ زيادة وإلىٰ خير ، وإلىٰ رعاية حسية ومعنوية .

كان الحبيب عبد الله بن حسين[1] ينقل لكم عن الإمام الغزالي ، قال : إن فيه واحد كان عنده زواج لولد ـ أو لابنة عنده ـ فأسرج داره بسُرُج كثيرة جداً جم ، فجاءه واحد من الصالحين الكبار ، قال له : يا هٰذا!!

قال له : لبيك .

قال له : أسرجت الدار بسُرُج زائدة وهٰذا إسراف ، وهٰذا ما يصلح .

قال له : كلها هٰذه السرج ـ شفنا ـ أسرجتها لله ، وأسرجتها

---

(١) الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١/ ١٢٧٢) .

Scanned with CamScanner

بنية كاملة ، فما وجدته علىٰ غير نية . . فأطفئوه .

قال : أخذ كلما مر علىٰ سراج يريد أن يطفئه ما انطفأ ، مر علىٰ الثاني يريد أن يطفئه ما انطفأ ، ومر علىٰ الثالث يريد أن يطفئه ما انطفأ ، قال له : ما قدرت أطفئها!

قال له : ما كان لله كان كذلك ، أنا كل هـٰذا عملته لله .

وموضع الكلام : أن النيات التي أسسها لكم المتقدمون لا ينبغي للإنسان أن يسأل عنها ما هي ؛ لأن سندهم محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يرجعون إليه في كل شيء ويعوِّلون عليه في كل شيء ، ومن حديثه ومن قرآنه ، ومن سيرته ومن كتبه ، ومن علمه ومن أعماله ومن وحيه أخذوا هـٰذا كله ، وكانوا بكمال الاتباع ، ما يفوتهم شيء من الاتباع للحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

كان الواحد منهم يحرص أن يضع قدمه حيث قَدَم محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وأن يكون مشيه حيث مشى محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وأن تكون عادته علىٰ عادة محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وأن تكون سيرته علىٰ سيرة محمد صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، حرصاً منهم علىٰ الخلافة له صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

وحِرْص الخلافة هـٰذه علىٰ الانتفاع لأجل ينفعون ولأجل يبلِّغون ، ولأجل يَعُوْن ولأجل يُوَعُّون ، ولأجل يبشرون ولأجل يخوفون ، كما كان عليه ، عليه الصلاة والسلام .

أخذُوا القرآن ، فدرسوا القرآن وأخذوا يتعمقون في معاني

Scanned with CamScanner

القرآن ، حتىٰ تفتحت لهم أبواب القرآن وآيات القرآن ، وكلمات القرآن وحروف القرآن ، فما خفي عليهم شيء فيها إلا ما شاء الله أن يخفيه عليهم .

ساروا في الطريق فانفتحت لهم من تلك الأبواب التي انفتحت فيما قبل لأصحابه ولآله صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فيتكلمون بالعلم الطري ، ويأخذونه من أين ؟ يأخذونه من ناحية : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ هٰذه الزيادة والهداية التي كانت لهم والتي أعطيت لهم هي التي كانت فيها مظهرها عليهم ، هٰذا من جهة المظهر الظاهر .

أما من جهة المظهر الباطن : فإذا اتصلت الروح بعالَمها ، واتصل القلب بعالَمه ، واتصل الباطن بالعالم الأعلىٰ ، واتصل الظاهر بالباطن ـ لأنها مبايَنة ما بين الظاهر والباطن ـ إذا اتصلت كما ذكرنا . . صار الواحد يحدث عن العالم الأعلىٰ ، ويأخذ من العالم الأعلىٰ ، ويستمسك بديوان العالم الأعلىٰ . . وهٰكذا .

كان يقول الشيخ عمر بامخرمة[1] في إحدىٰ قصائده :

يحـدثنـي قلبـي وذا عـن مُقَلِّبـي   يحدثني والجار يُنبِي عن الجار

لأنها ـ كما ذكرنا لكم ـ الروح والقلب ، كما قال الحبيب

---

(١) المولود سنة ٨٨٤ والمتوفى بسيئون ٩٥٢ .

عبد الله بن حسين : جاءت أسماء مختلفة ومتفقة ، ومعناها : أنها جاءت من عالَم الأمر لتأخذ بالإنسان إلىٰ ذلك العالَم ولتجعله خليفة عن النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وبعيد عن شهواته البشرية ، بعيد عن مظاهره الدنيوية ، بعيد عن أخلاقه الغير مرغوب فيها ، بعيد عن مقتضيات هٰذه الشهوات الغريزية .

وهٰذه كلها موجودة في كل إنسان ، لٰكن إذا جاءت الروح وانتبهت من نومتها ومن غفلتها ، وأخذ الإنسان ينمي هٰذه اليقظة في الروح. . انتبه منها ، فبَعُد عن الغفلة وبَعُد عن اللهو ، وبعد عن الغريزة البشرية ، وبعد عما يشاكلها .

وليس معنىٰ (بُعْده عن الغريزة البشرية) أنه يبعد مثلاً عن شيء أعطاه الله إياه وأباحه وخَوَّله له ، إنما هو بُعْد عن مقتضيات ما نهىٰ عنه الشرع ، ما كرَّهه الشرع ، ما جعله الشرع حتىٰ خلاف الأولىٰ .

قال الشيخ أحمد غانم المقدسي : كان يقول لما كان يتكلم في فروع الأصول وفي فروع الفقه ، قال : معنى المكروه شيء كرَّهه الشارع ، أتحب شيئاً كرَّهه الشارع ؟!

والعلماء عندنا يقولون : أهل الظاهر لهم حكم ، يقولون : المكروه هو الذي يثاب علىٰ تركه ولا يعاقب علىٰ فِعْله الإنسان .

لٰكن الشيخ أحمد قال : معناه أعلىٰ من هٰذا المعنىٰ ، هٰذا المعنى بالنسبة لعامة الناس كلهم ، أما الإنسان الذي يريد أن يرتقي من هٰذه الحالة. . فمعناه : أنه شيء كرهه الشارع ،

Scanned with CamScanner

أفيرضىٰ الإنسان أن يستعمل شيء كرَّهه الشارع ؟ لا ينبغي له أن يستعمله . .

وخلاف الأولىٰ قال عنه : عندنا خلاف الأولىٰ الذي يجعلون تركه وفعله سواء .

قال الشيخ أحمد غانم : خلاف الأولىٰ : شيء رأىٰ الشارع الأولىٰ خلافه ، ينبغي لك أن تتركه ، ينبغي لك أن تبعد عنه ، ينبغي لك أن تتجنبه ، ينبغي لك أن تتركه .

هٰذا ـ كما ذكرنا لكم ـ هو الذي استفاده شيوخنا وعملوا به ، وكان بعضهم من رجال « الرسالة القشيرية » ، قالوا : كان ما أكل البطيخ .

قالوا له : لماذا ما تأكل البطيخ ؟

قال لهم : أنا أعرف أن النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ أكله ، لٰكن الحالة التي أكله عليها صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ما عرفتها ، فأنا لا آكله إلا علىٰ الحالة التي أكلها عليه إذا عرفتها ، أما دون أن أعرفها . . لا آكله .

بلغوا مقامْ في كمال الاتباع له صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بعيد المدىٰ ، حتىٰ ظهرت عليهم الأسرار ، وتفجرت ينابيع الحكمة من بين أضلاعهم ومن بين ظهورهم ومن بين قلوبهم ، وكان لكلامهم التأثير .

قال صاحب « الحِكَم » : كل كلام يبرز وعليه خلعة القلب

الذي منه برز ، كسوة القلب الذي منه برز ، فالكلام إذا برز من قلب صافي ذو جوهر يلألىء ـ قالوا ـ كان لكلامه تأثير ، وكان لكلامه وقع وكان لكلامه حُبّاً وكان لكلامه حياة يعرفها الإنسان فيستفيدها ثم يتأثر بها ، ثم يقوم من ذلك التأثير بكمال العلم وكمال العمل وكمال الاتباع .

والعلم ما هو ؟

العلم إنما هو : طريق يدخل منه الإنسان إلىٰ المقصود .

وما معنىٰ المقصود ؟ فإذا قال لنا الشارع : إن النية مقصودة في كل شيء ، فهي مدخل يدخل بها الإنسان إلىٰ المسجد ، إلىٰ الدار ، إلىٰ الصلاة ، إلىٰ المصلى . . إلىٰ أي شيء .

والمقصود والحقيقة الداخلية لا يصل إليها الإنسان إلا إذا أعطىٰ العلم حقه . إذا لم يعطي العلم حقه . . ما شيء طريق لها .

ومعنىٰ أعطىٰ العلم حقه : تأدب بأدب العلم ، وأخذ بالعلم ، وأخذ بسَيْر العلم ، وأخذ يتمسك بأهداب العلم كما ما حكاه لكم الشارع في أحاديثه ، وكما ما أخذه العلماء رضي الله تعالىٰ عنهم .

جعلوا لنا نيات في كل شيء ، جعلوا لنا أعمالْ لا يعملها الإنسان إلا وقد نوىٰ له نية صالحة ، حتىٰ جعلوا من ذلك أنه إذا أراد الإنسان أن يخرج من البيت . . يقدم الرجل اليسرىٰ ، إذا أراد

Scanned with CamScanner

أن يدخل إلىٰ منزله.. يقدم رجله اليمنىٰ . ثم للدخول أدب وللخروج أدب ، وللدخول دعاء وللخروج دعاء ، وذلك استشعاراً لما عند الإنسان مما أعطاه الله إياه .

وقالوا أيضاً : إن فيما بينه وبين ربه سبحانه وتعالىٰ اطلاع ومشاهدة ، يطلع عليكم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ولا تخفىٰ عليه خافية . حتىٰ قالوا العلماء ـ رحمهم الله ـ : إن الإنسان ينبغي له أن يستر عورته ، لا يُبدي منها شيءٌ حتىٰ في خلوته .

قال العلماء : لماذا هـٰذا ؟

قالوا لأن الإنسان يراه ربه في كل لحظة ، سواء كان في الخلوة أو كان في غير الخلوة ، وإذا كان ربه يراه.. فهل يسترها عن الناس ولا يسترها عن ربه ؟

فهل يستر القبيح والسوأة عن الناس ولا يسترها عن ربه ، والمولىٰ أحق بالإستتار منه سبحانه وتعالىٰ في تلك اللحظة ؟

وإذا وصل إلىٰ درجة الستر . . يستر لسانه عن الكلام السيء ، يستر عينه عن النظر إلىٰ ما لا يحل ، يستر أذنه عما لا يحب أن يسمع ، يستر قلبه عن أن تخالطه شيء من الوساوس ، أو يختلجه شك أو يختلجه ريب ، أو يدخل عليه شيء من مثل هـٰذه الأشياء .

فإذا احترس عن هـٰذه الأشياء وسترها.. كان اللائق به أن يستر رجله أن تمشي إلىٰ ما لا يُرضي ، يستر يده عن أن يمد بها

إلىٰ ما لا يُرضي ، يستر - كما ذكرنا - عينه عن أن ينظر بها إلىٰ ما لا يَحِل .

كل هٰذه الأمور مطلوبة من العبد ، وهي آداب للعبد مفتوح لها باب العلم ، فإذا دخل منها علىٰ العلم . . دخل علىٰ الحقيقة ، وإذا لم يدخل منها علىٰ العلم . . لم يدخل علىٰ الحقيقة ولم يصل إلىٰ شيء .

هٰذه التعليمات أرشدنا إليها الحبيب صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، ومع إرشاده كان يعملها ، وهو السيد الذي لا تأخذك تعاليمه إلا إلىٰ خير ، ولا يمد يده إلا إلىٰ خير ، ولا ينظر بعينه إلا إلىٰ خير ، ولا يسمع بإذنه إلا إلىٰ خير . إنما هي تعليمات وإرشادات لهٰذه الأمة ، وتنبيهات للخير وعمل الخير ، وللدلالة علىٰ عمل الخير ، وللأخذ بعمل الخير .

فاغتنموا - يا إخواني - واسلكوا هٰذه السبيل ، ثم احمدوا الله واشكروه علىٰ ما دعيناكم ودعوناكم إليه ، وذكرنا لكم أنها مجالس أسست علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان ، وأنتم إنما جئتم لثمرة مؤسسة ، لثمرة تقتطفونها إذا حضرتم . ومعنىٰ حضرتم : إذا استشعرتم أنكم مدعوُّون لحفلة نبوية ، إذا استشعرتم أنكم مدعوون لمجلس علم ، إذا استشعرتم أنكم مدعوون لمجلس من مجالس آبائكم الأبرار ، إذا استشعرتم أنكم مدعوون لمظهر من مظاهر النبوة السامية ينبغي لكم أن تحضروا فيها بأدب وبقلب صافي ، ينبغي لكم أن تنتبهوا إليها ، ينبغي لكم أن تستشعروا

Scanned with CamScanner

روحانيته صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، ينبغي لكم أن تأخذوا بطرف من أطراف السابقين الذين كانوا يعملون .

وأنا قد ذكرت لكم أن الشيخ العيدروس الأكبر عبد الله بن أبي بكر ، الإمام والسلطان ، الإمام الكبير ، كان له نيات عملها وكتبوها عنه . نيات ، إذا أراد الإنسان أن يتزوج ، إذا أراد أن يشتري ، إذا أراد أن يبني ، إذا أراد أن يتجر ، إذا أراد أن يخرج من بيته ، إذا أراد مثلاً شيءٌ من أعمال الدنيا يصيِّرها من أعمال الآخرة .

وذلك مقتضىٰ قول حَنَّا أم مريم . انظروا كيف الكرامة العظيمة التي لا نزال نذكرها ونؤكدها لكم في كل وقت وبين آن وآخر .

حَنَّا هٰذه زوجة عمران كانت من الصالحات ، وكانت حامل ، ونوت في نفسها . ونذرت أن تجعل المولود إن كان ذكراً خادماً لبيت المقدس .

قال : فإذا هي تضع بنت ، ولما وضعت بنت ـ قرأتم أنتم قصتها في القرآن ، معاد تحتاج شرح ـ وقع من يدها وأُسقِط ـ كما يقولون ـ ولٰكنها راضية ، قالت لربها : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ إلىٰ أن قالت : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ معاد تحتاج تخاطب ربّها ، ولٰكنها خشاشة في صدرها تريد أن تلقيها ، قالت : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ .

Scanned with CamScanner

ثم قالت لربها : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

ثم قالت : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

جاء الجواب الكبير العظيم الذي كل واحد منكم يمكنه أن يأتيه جواب كجواب حَنَّا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ ثم قال : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

كان من ثمرة تلك الكفالة وذلك الإنبات أنها كما حكىٰ الله أنها : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ .

هٰذه معاد بغت تخرج تدوِّر لها أرزاقْ في الأسواق ، ولا تريد تعمل في شيء ، ولا تريد حانوتاً ، ولا تريد تسأل عن شيء قط ، جاءها الرزق من الرازق الكبير .

عَمَلها جعلته لربها ، فرزقها وكفاها مؤونة الهم في الدنيا ومؤونة التعب ، ثم مؤونة أكبر من هٰذه : لما كبرت . . جاءها جبريل وصلحت للحمل جاءها جبريل مرسل من عند الله سبحانه وتعالىٰ فلما وصل إليها جبريل . . خافت منه ؛ لأنه جاءها في صورة رجل ، فقالت له : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ فقال لها : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ .

هٰذه دعوة أمها وبركة أمها سَرَت في هٰذه البنت حتىٰ ظهرت عليها الكرامة ، أولاً : في التربية ، وظهرت عليها في الكفالة .

Scanned with CamScanner

أرادت أمها لها الخير ، وأراد لها ربها ما هو أفضل وما هو أكرم وما هو أعلىٰ .

أرادت إلا ولداً يكون خَيِّرْ يخدم المسجد ، وأرادت ثوابه عند الله سبحانه وتعالىٰ .

قال لها : أنا سأعطيك بنت ، وهٰذه البنت ستحمل بالنفخ ، وتأتي بنبي رسول ، وهٰذا الرسول تأتيه الرسالة وهو صبي ، ثم يبرىء الأكمه ، ثم يكلم الموتىٰ .

وكان شيخنا وشيخ شيوخنا الحبيب علي بن محمد الحبشي يعمل مولد عظيم . عملوه يوم أمس في مثل هٰذا الوقت ، ولا يزال المولد مستمر بجموع حاشدة كبيرة ، يجتمعون له الأعداد الكبيرة ، يأتونه من شتى البلاد ، والداعي إليه نية علي حبشي التي ذكرتها لكم قبل قليل ما هناك شيء غير هٰذا ، نية تحرك الكون كله وتُلَوْلِبُه ، وتحرك الجبال ، وتحرك القلوب ، يأتون الناس إلىٰ ذلك المجلس مستمدين ، ويتباشرون به ويأخذون عنه ، ويركبون السيارات ويأتون من أطراف البلاد حرصاً علىٰ أن يجلسوا في مجلس يرون أن السكينة تتنزل فيه ، والرحمة تتنزل ، والروحانية النبوية تحضر ، وروحانية الأولياء تحضر ، والملائكة تحضر ، فيحضر الواحد لأجل يقوم بزاد عظيم ، لأجل يتوم بخير كبير ، لأجل يقوم بفائدة كبيرة ، لأجل يقوم بمصلحة كبيرة ، لأجل يقوم بأشياء كبيرة ما تحصل في غير

Scanned with CamScanner

هـٰذه المجالس ، ولا تُدرَك في غير هـٰذه المجالس ؛ لأن الحبيب أحمد بن حسن العطاس قال :

لا يعتقد الإنسان أن الله ينصب له لواءٌ خاصٌ إذا كان جالس في بيته .

ومجالس أهل الله ، وأهل النور ، وأهل الولاية ، ووراث النبي صلَّىٰ ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يجتمع لها الكون وأهل الكون ، والعوالم تجتمع لها من شتىٰ أنحاء العالم إلىٰ شتى .

هـٰذه المجالس تتنزل عليها الرحمة ، وكان الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه ما بين الخلوة والعزلة في « الإحياء » ذكر الفوارق في ما بينهن ، وقال :

هل الاجتماع والحضور في المجامع التي يدعون إليها أهل لا إلـٰه إلا الله لمثل العلم ولمثل الدعوة ولمثل تحريك القلوب أفضل ، أم جلوس الإنسان في خلوته وعزلته أفضل ؟

تكلم عليها من ذات أحوال الناس ـ فكثير من الناس لا يستطيع أن يحضر مع الناس ، وكثير من الناس يحصل له شيء ـ قال : مهما كان ومهما حصل ، يحصل لهـٰؤلاء ما يحصل ، إنما التنزل الذي يحصل في الجمع لا يحصل في الخلوة ، تنزُّل عظيم وبركة عظيمة وشمول كريم .

اسأل الله أن يكرمنا وإياكم بشيء من التنزل هـٰذا ؛ حتىٰ تمتلىء القلوب ونقوم وقد صلحنا ، ونقوم وقد أَصْلَحنا ، ونقوم

وقد اهتدينا ، ونقوم وقد هدينا ، ونقوم وقد مُكِّن لنا ، ونقوم وقد أصلح الله بنا .

وقد طال الكلام ، وليتكلم فيكم الأخ أحمد المشهور الحداد ، ويتكلم فيكم الأخ محمد بن أحمد الشاطري ، وما زال جعفر المحضار معه نشوة بايتكلم فيكم ، اصبروا عليه الليلة .

وهٰذا وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة مساء الجمعة ، السادس من شهر ربيع الثاني ، من عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة (٦/٤/١٤٠٥هـ) الموافق السابع والعشرون من ديسمبر ، من عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (٢٧/١٢/١٩٨٤م) .

وذلك في الحفل الذي أقامه أخونا الموفق سالم بن علوي العطاس بمنزله بـ(جدة) لقراءة قصة المولد النبوي للإمام الديبعي .

وقد أقام أخونا سالم المذكور ضيافة كبيرة بهٰذه المناسبة العظيمة ، وحضر جمع كثير ، وغشيت هٰذا الجمع الرحمة والسكينة .

وبعد الجلوس من المقام تكلم حبيبنا عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن بهٰذه الكلمة التي خشعت لها القلوب وذرفت منها العيون .

وقال سيدي ـ حفظه الله ـ :

أي جلسة تعقد علىٰ ذكر الله ، أو علىٰ ذكر رسول الله صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، أو علىٰ ذكر العلماء ، أو علىٰ ذكر سيرة أحد من الكبار . . كان فيها خير ، كان فيها بركة ، كان فيها رحمة ، كان فيها كذلك ما يحرك القلوب ويهيجها إِلىٰ ما كان عليه هٰذا الذي نذكره أو الذي اجتمعنا من أجله .

وهٰذه الاجتماعات كانت لأجل سيد المرسلين ، ولأجل السيرة العظيمة التي ملأت الدنيا والسماء والماء ولا تركت شيءً ، ولأجل المظهر النبوي الذي قلب الله به الحال من حال

Scanned with CamScanner

إلىٰ حال ، ولأجل الولادة التي وُلِدَت الأكوان بولادته ؛ لأن تلك الولادة هي ولادة الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، الذي أعطىٰ الله السماء نصيبٌ من الفضل بواسطته ، وأعطىٰ بني آدم النصيب الوافي ، وأعطىٰ المخلوقات بما فيها الشجر والحجر كما تسمعونه بواسطته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وما من مكوَّن كان إلا للحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم عليه حق من الحقوق ، كلها داخلة تحت الراية البيضاء ، تحت أمره صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، تحت رعايته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، تحت عنايته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ؛ لأن الأكوان كلها سماويها وأرضيها بولادته ازدهت .

وكثيرٌ ما نذكر لكم أن السموات كان من نصيبها أن المردة كانوا يسترقون السمع ، فلما كانت الولادة النبوية . . مُنِعوا من استراق السمع وأُرسلت عليهم الشهب المحرقة فما قَدَروا يَصِلُون ، فتساءلوا عن ذلك قالوا : إنه ولد نبي آخر الزمان .

هٰذه الولادة كلكم تعرفون عنها ، ولٰكن المهم من المعرفة هو : أن يكون الرجل ، مع الاطلاع عليها ومع المعرفة الكاملة لها ، دائماً تكون أمامه تكون مقتداه ؛ حتىٰ يصل إليها ، حتىٰ يتبعها ، حتىٰ يقتدي بها ، حتىٰ يأخذ بهديها ، حتىٰ ينتشي بها .

هٰؤلاء الذين لا نزال نذكرهم لكم . أما أصحابه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . . فلهم الشأن الأعظم في الصحبة ، ولهم الشأن الأكبر كذلك بمزية الجهاد الذين خرجوا معه ، ولهم الشأن الأكبر

كذلك بمزية الهجرة التي حصلت . وأُذن له صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بالخروج من (مكة) فتقاطرت أفواج المسلمين من شتىٰ البلاد إلىٰ (المدينة المنورة) وازدحمت دُور (المدينة) وازدحم المسجد النبوي ، وازدحمت أسواق (المدينة) كل ذلك هجرة لأجل الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، ولأجل اتّباعه ، ولأجل هجرته ، ولأجل الخروج معه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في غزواته ، ولأجل سماع ما كان يحدِّث به أو يرسله أو يعلِّمه من علوم عليه الصلاة والسلام . كلها تقاطرت وازدحمت كما لا يخفىٰ ، بقي : ما هو حظنا من ذلك ؟

هل لنا حظ نحن ؟ معاذ في ذلك كلام .

أيكفي أن نجتمع ؟

أيكفي أن نسمع ؟

أيكفي أن نقول : إنه جدنا ، صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أو : إنه نبينا ، أو : إنه واسطتنا ؟

كل هٰذا لا يكفي للواحد ؛ لأن كل واحد مسؤول عن هٰذه السيرة . مسؤول أولاً عن معرفتها ، ومسؤول بعد المعرفة عن العمل بما فيها حسب الإمكانيات التي أتيحت لمن قَبْلكم والتي أُعطِيَتْها البشرية ووُهِبَتْها البشرية . واجب علىٰ كل واحد مننا أن يكون له منها نصيب معلوم .

وكان المتقدمون ـ كما ذكرنا لكم ـ لما رأوا أن الرسالة النبوية

Scanned with CamScanner

فيها الإيقاظ القلبي ، وفيها العزمة ، وفيها القوة ، وفيها الإرادة الفعالة . . أخذوا بنصيب كلهم منها أهلكم هٰؤلاء .

أمس كنا ـ أو قبل أسبوع فيما أحسب ـ أنا ومحسن بن أحمد باروم ـ أو غير الأخ محسن ، ما أذكر الآن ، إنما محسن كان معي ـ قبل أسبوع ، كان الذكر في رجال فتحوا العالم الشرقي كله .

وبماذا فتحوه ؟ ما عندهم سيوف .

مَرُّوا أولاً علىٰ (الهند) ففتحوها بالدعوة وفتحوها بالأعمال وفتحوها بالأخلاق ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وانتشر الدين حتىٰ صارت (الباكستان) ناحية في الإسلام كبيرة . وجاءت ناحية من ورائها أخرىٰ ، الجهة التي فرق الإستعمار فيما بينها وبين (الباكستان) ؛ وهي : (بنجلادش) وما شاكلها .

وجاءت (الهند) كلها مزدحمة بأهل « لا إلٰه إلا الله » وكانت ملوكها تحت « لا إلٰه إلا الله » وكانوا يرضخون لـ« لا إلٰه إلا الله » وكانوا يتبعون « لا إلٰه إلا الله » .

يذكرون شيوخنا ـ رحمهم الله ـ عن الحبيب زين العابدين العيدروس هٰذا ـ وكان كثير من السادة آل العيدروس ، وكثير من السادة آل الجفري ، وكثير من السادة آل العطاس ، وكثير من السادة آل السقاف ، وكثير من السادة آل الحداد . . كلهم هاجروا ، وما من مهاجر إلا وله أثر ظاهر لا أثر خافي . يذكرون شيوخنا في سلسلة التواريخ التي يتناقلونها أن هٰذا الحبيب كان

Scanned with CamScanner

عين (تريم) وإمام (تريم) ومظهر (تريم) و(تريم) عندنا هي العالَم كله بعد الحرمين الشريفين ، الإمام الحداد يقول :

وإنها لمن بعد المساجد الثلاثة لمن خير بلاد الله في جنوب وشام

هٰذا ـ يعني : الحبيب زين العابدين العيدروس ـ شيخها ، وكان الطلبة يدرسون عليه ويترددون إليه ، وكان الناس يفدون إليه ، جمع الله له بين الكرم وبين الحلم ، وبين العلم وبين العمل وبين السيادة .

قالوا : جاؤوا إليه سبعة من طلبة العلم اشتكوا الحاجة ، واضطرتهم الظروف إلىٰ أن يسافرون ويرحلون ، قال لهم : بكرة نرىٰ الخبز كيف يكون .

فجاؤوا إليه في اليوم الثاني ، وقالوا له : إننا جئنا نطلب الإذن الذي وعدتنا به أمس .

قال لهم : أنا فكرت فوجدت أنكم سبعة من طلبة العلم باتسافرون ، ما يصلح كلكم تسافرون ، واحد منكم يسافر ، ذلكم الواحد أنا أكفيكم مهمة سفره .

والمهمة هٰذه التي قام بها تريكم في خصائصها أشياء واسعة لا شيء واحد .

سافر إلىٰ (الهند) مع المظهر الكبير ، وكان سلطان (حيدر أباد) هٰذا مسلم ، متعلق بأهل البيت وبأهل العلم وبأهل الفضل ، بلغه وصول الحبيب هٰذا ـ وهٰذا تعلقه جاء من أين ؟

من الدعاة المتقدمين هٰؤلاء الذين سافروا من (حضرموت) المباركة المطهرة لأجل الدعوة ولأجل قيامهم بخدمة نبيهم وقيامهم بالواجب .

جاء الخبر إلىٰ الحبيب ،قالوا له : إن السلطان جاء ليزورك ، ملك (حيدر آباد) .

قال : أنا مالي حاجة بالسلطان ، إذا كان يريد أن يزورنا وله نية حسنة ومقصد حسن. . فقولوا له : إن الزيارة مشروطة بثلاث مئة ألف .

ثلاث مئة ألف فيما قبل أربع مئة سنة من هٰذا التاريخ يعني باتملك بلدان ، باتملك وادي (حضرموت) كله ، شيء كبير جم!

قال : قولوا له : إذا باتجيء باتسلم علىٰ الحبيب ، وباتنظر إلىٰ الوجه الصبيح ، وباتقبِّل اليد الحسنة مشروط ذلك بالثلاث مئة ألف ، وإذا ما جئت. . ما عليك شيء .

قال لهم الملك هٰذا : الثلاث مئة أهون عند تقبيل يد السيد والنظر إليه ، والتماس بركته وطلب دعواته الصالحة ، سهلة بسيطة .

ذكرتها لكم لأجل تأخذون منها فكرة أن الدين بلغ الذروة العليا من هٰؤلاء الدعاة ، من بني لحمتكم ، ما هم غريبين ، تأثروا بهم حتىٰ أهل البلدان البعيدة . شافوا الدنيا ما لها قيمة

وجعلوها مطية ، يركب عليها الواحد منهم حتىٰ يبلغ الآمال .

وكانت الآمال كبيرة ، ما كانت الآمال في أن يتزوج الواحد امرأة ، أو يملك بلدة ، أو يهاجر ، أو يقوم بشيء . . كانت الآمال للواحد في أن يكون مركز من مراكز الإسلام ، ومرجع وموئل يرجع إليه الناس .

قال : قولوا له : بايجيء والثلاث مئة ألف معه . قال : خلوه يجيء .

جاء الملك هٰذا ودخل متأدب ، ولما دخل متأدب . . سلم علىٰ الحبيب وطلب منه الدعاء ، وقال له : مطلوبكم الثلاث مئة ألف هي هٰذه موجودة حاضرة .

دعا له الحبيب ، وقابله بالمقابلة التي تليق بالحبيب وتليق بالسلطان الملك هٰذا . وخرج الملك ، فلما خرج الملك . . قال لهم السيد : أنا مسافر ، راجع إلىٰ (تريم) خلاص قضيت الحاجة .

كان الحبيب علي الحبشي يقول في كلامه : إنه ما غاب خمس جمع عن (تريم) .

عزم علىٰ السفر ورجع ، ووصل إلىٰ (تريم) واستدعىٰ طلبة العلم هٰؤلاء وقضىٰ ديونهم كلهم ، وأجرىٰ لكل واحد منهم ومِن غيرهم راتبْ ، وقال : مئة ألف هٰذه باسم طلبة العلم ، ومئة ألف باسم الفقراء والمساكين ومئة ألف للبيت الكبير - بيته -

للمظهر العظيم ، للإنفاق علىٰ الضيافات الكبيرة والمظاهر العَلَوية النبوية . . التي هو حقيق بها ؛ لأنه ينتمي إلىٰ أشراف كرام ، إلىٰ ناس كبار ، إلىٰ مظاهر من مظاهر الفضل ، إلىٰ مظاهر من مظاهر الولاية .

كان جده عبد الله بن أبي بكر العيدروس في القرن التاسع ، ماذا كان من أمره ؟

كان من أمره أنه توفي في العمر المبكر ، وترك دَين عليه ثلاثين ألف دينار ، حكاه لنا الشيخ أبو بكر العيدروس ولده صاحب (عدن) يقول في قصيدته :

يا صاحِبِيِّ الذي بالدَّين عَيَّرني   ماذا عَلَيَّ لذاك العار من عار
أما ترىٰ أنَّني قضيت دين أبي   وكان ذاك ثلاثين ألف دينار

فين الثلاثين ألف صرفها هـٰذه ؟

قالوا : ما بنىٰ له منها حتىٰ دار ، ما وضع لبنة علىٰ لبنة .

تلميذه الخاص صاحب الحمراء بنىٰ له دارين فخمين كبيرين ، واحد أعطاه للشيخ عبد الله ، والثاني قال : أنا باأسكن فيه . وأما العيدروس . . ما بنىٰ ولا سَوَّس ولا شَيَّد ، وكلها هـٰذه في الإصلاحات وفي الإنفاق ، وفي الكرم ، وفي الضيافات ، وفي الخيرات والبركات . لأجل تعرفون كيف أَدَّوُا الرسالة ، وكيف قاموا بها ، وكيف سَعَوا فيها ، وكيف مَشَوا فيها ؟

جاؤوا علىٰ الأَثْرَة ـ كما ذكرنا لكم ـ هـٰؤلاء وسافروا لأجل الدعوة النبوية ، وما هناك سيف ، وما هناك حاشية ، ولا هناك

Scanned with CamScanner

من يحمل نعل ، ولا هناك من يحمل شنطة . . سافروا يحملون عزائم قوية تنوب عن خير البرية فقط ، هٰذا الذي سافروا من أجله . كلما دخلوا بلاد . . أقاموا فيها الدعوة النبوية العظيمة ، متأسين بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ حتىٰ انفتحت لهم البلاد ، خرجوا ورجعوا إلىٰ أطرافها ، ودخلوا إلىٰ (مِدْراس) ونواحيها وأقاموا عمود الإسلام فيها ، وخرجوا منها إلىٰ جهة (الصين) وأقاموا عمود الإسلام فيها ، ودخلوا منها إلىٰ جزائر الواق واق - جزائر بعيدة نائية ، حتىٰ اسمها غريب - وأقاموا عمود الإسلام فيها ، ورجعوا منها إلىٰ (أندونيسيا) وفتحوها فتوحٌ كبيرة .

كلها هاتيك البلاد أقامها هٰؤلاء من أهلكم ومن رجالكم ، وما هم ببعيد عن نبيهم في الدعوة .

رجعنا إليكم : هٰذا نموذج واحد فقط أو اثنين أو ثلاثة من أعداد جم من أهل الدعوة الكبيرة ، نشروا هٰذه الدعوة الكبيرة .

رجعنا إلىٰ جدكم يا آل البيت[1] : هٰذا عمر بن عبد الرحمٰن العطاس - ترجم له علي بن حسن - هٰذا الشاعر الكبير والكاتب الشهير ، والإمام الكبير الذي أقام مظهرْ متابعْ لمظهر جده الكبير ، علماً بأن الحبيب عمر كان كفيف البصر ضعيف الجسم ، مركوبه ضعيف ، خادمه ضعيف ، إنما في جنبيه عزمة

---

(١) في بيت السادة آل العطاس .

قوية تَلِين لها الرواسي ولا يلين ، تضعف عندها الشوامخ ولا يضعف . مشىٰ بأمر شيخه الشيخ حسين بن أبي بكر بن سالم ، من أين مشىٰ ؟ من بلد كانت زاخرة بالعلم وبالمظهر العلمي والمظهر المالي من جنب (عينات) .

كانت (عينات) أيام الشيخ أبي بكر بن سالم تأتيها الوفود بالمئات الكبيرة بالألوف الكثيرة ، عُرِف عنه ـ قالوا ـ أنه كل يوم له خمس مئة قرص أو أكثر ، وكان يذبح الجمال والأغنام والأبقار يومياً لضيوفه ، ولا ينقطع الضيف حقه .

وهل الضيوف هٰؤلاء للسياسة ؟ لا هٰؤلاء للمنتديات ، لا هٰؤلاء للدعوة النبوية . مقام كبير أقامه فازدهر الجانب ذاك كله وظهر .

بعده جاء ولده عمر ، وبعده جاء ولده الحسين ، وتسلسل .

الحسين هٰذا كان من تلاميذه جدكم الحبيب عمر ، وكان الحبيب عمر كفيف البصر من صغره ، وكان ـ كما ذكرنا ـ ضعيف البنية ، يخرج كل يوم بالقائد من بلدة (اللسك) هٰذه القرية إلىٰ (عينات) فيحضر الدروس ويرجع ، حتىٰ ذات يوم من الأيام استدعاه ، وقال : خلُّوا عمر بن عبد الرحمٰن العطاس يجلس .

قال له : مرحبا . جلس ، بعد ما جلس قال له : شيء حاجة يا سيدي ؟ وهو كفيف البصر .

قال له : نعم ، بغيتك ترحل إلىٰ (وادي عمد) وتقيم في (حريضة) هناك تعلِّم وترشد .

قال له : سمعاً وطاعة .

وهل قال له : فيه أحد بايرتب لي ترتيب ؟ هل أحد بايعتني بي ، حد بايهتم بي ؟ أو أن سيدنا الحسين قال له : تعالىٰ بانزودك بالمال الكثير ؟ هٰذه فقط عزمة كبيرة ما هي محتاجة لمال ، ولا هي محتاجة لشيء .

قال له : سمعاً وطاعة . ورجع إلىٰ داره بقريته ، وأتىٰ بالمركوب حقه ـ الضعيف الذي ذكرناه لكم ـ وخادم ؛ لأنه كفيف محتاج لواحد يقود له الدابة حقه .

ومشىٰ في طريقه مع ضعفه ، وأقام في الوادي المبارك ، ودعا وعلَّم وأرشد ، وفتح الجهة كلها هاذيك . ما استكفىٰ بـ(وادي عمد) دخل إلىٰ (وادي دوعن) وانتشرت الدعوة العظيمة النبوية المحمدية بالأخلاق وبالعزمة الكبيرة .

ذكرناها لكم هٰذه الحكاية التي تسمعونها عنه ـ رضي الله عنه ـ والتي يُكرَّر ذكرها في المجالس من أنه لما ولد له أحد أولاده وجاؤوا يهنئونه هٰؤلاء أهل البادية ـ والبادية معروفين بطبيعتهم وعاداتهم ، ما عندهم شيء في الليونة في الأخلاق ، ولا من المرونة ، ولا مما اعتاده أهل البلدان الآخرين ـ هٰؤلاء جاؤوا يهنئونه ، وجلس وإياهم يتألفهم علىٰ عادته ، ثم قال لهم : فلان

Scanned with CamScanner

ما شفته ، هو إلا كفيف ، ولٰكنه مَن سَلَّم عليه . . قال له : أنا فلان بن فلان .

قال لهم : فلان ما شفته .

قال له واحد منهم هٰؤلاء أصحابه الذين يحضرون ، قال له : فلان ولدت الدابة حقه وجابت له أتان كماها ، وإنكم ما هنيتوه بالأتان حقه ، لذا ما بايهنئكم بولدكم .

قال له : صَدَق ، صَدَق ، صَدَق .

كل واحد يعرضها علىٰ نفسه ، لو كان واحد أقل منه نسب . . بايقول : يقدرنا ويربطنا به . هٰذا ربطه إلا بالدابة ، لٰكنها أخلاق نبوية .

قال لهم : صدق ، هٰذا المجلس الذي عندنا بانتقل به إلىٰ عنده .

وقام في طريقه وقاموا من معه ، ونزل من العقل الكبير علىٰ مقتضىٰ رغبته وعقله ، وجلس عنده ، وقال له نهنئك بولادة الدابة حقك . قال له : ما شاء الله . . جئتوا .

قال له : جئنا نهنئك بالولادة الكبيرة .

قال له : يا خير كلام .

هٰذه المقابلة هي التي تجلب ، هي التي تأخذ ، هي التي تملك ، هي التي يخاطب الله سبحانه وتعالىٰ فيها نبيه ويقول لنا : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

Scanned with CamScanner

قام مباشرة واستجلبه ورَدَّه من أَتباعه، ودخل في الدائرة حقه، ثم انتشرت الدعوة ، وماذا كان من ضمنها ؟ كان تسلسلت الأقطاب .

جاء بعده علي بن حسن ، أدرك عادَةُ جده الحسين ، ورباه جده الحسين ، وكان داعيْ إِلىٰ الله .

أقامه جده يصلي في مسجد في (حريضة) . جاء إليه واحد وقال له : لستَ كفؤْ للإِمامة ـ لأنه صغير ـ وأخذه من القبلة وأخرجه منها .

فقال لجده الحسين بما حدث ، قال له : يا ولدي اصبر .

هٰذه هي التربية ، هٰذه هي الأخلاق ، وهو ـ كما تعرفون ـ أحوالهم ضيقة .

راح إِلىٰ (الهجرين) وجلس معلِّم في مسجد وداعيْ وإِمام للمسجد ، جاء إليه واحد وأخرجه من قبلة (الهجرين) لٰكنه ما تأثر بشيء . النفس هٰذه التي تأخذ به إِلىٰ أحبولة الشيطان ، معاد حد هي .

خرج من (الهجرين) وقال : أنا با أعمل مظهر أكبر من المظاهر هٰذه ، أنا باابني في المشهد وباحَوِّل الغيوار هٰذا ـ بعد ما كان ناراً ـ باحَوِّله إِلىٰ جنة إِن شاء الله ، وباعقد مجتمعات فيه ، وحفلات ، ودعوة إِلىٰ الله ، ولا باترك شيءْ مما كان عليه مَن قبلي .

هٰذافي السن المبكر ، في ستة وثلاثين سنة ، أو سبعة وثلاثين سنة . رجع وأقام البيت ، والمسجد بناه ، ودعا الناس

Scanned with CamScanner

للحفل النبوي ، وحَفْل المشهد كان يقيمه من ليلة العيد[1] .

وكما ذكرنا لكم أنه ما معه شيء ، ينقلونه من معلامة أومن إمامة ، أومن مسجد إلىٰ مسجد ، لـٰكن عنده همة وعزمة كبيرة ، ويرىٰ أنه ينتسب إلىٰ كرام ، إلىٰ فحول[2] ، إلىٰ ناس ما خَبَتْ أنوارهم لا تزال في ظهور ، فيرىٰ أنه أحق بها ، ويرىٰ أنه واجب عليه .

فأقام الدعوة العظيمة في المشهد ، وبنىٰ في المشهد ، وصار المشهد مظهرٌ للوارد والصادر ، وأمانٌ للخلق كلهم ، وما ترك بابٌ من أبواب الخير إلا طرقه .

مرت معنا في ما يقرؤه عبد القادر بن أحمد العطاس ـ يقرؤه في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس للشيخ عبد الله ـ قال : إنه مر شيخ الجفري ، صاحب (مليبار) الإمام الكبير ، لما وصل المشهد وقد توفي الحبيب علي بن حسن . . قال : لو طال عمر صاحب المشهد هـٰذا . . لأظهر العجائب والغرائب .

وَهُوَ كذلك ، مات عن عمر شيء وخمسين عاماً ، في السن المبكر ، والكتب هـٰذه كتبها ، والدواوين هـٰذه قالها ، والأشعار والدعوة ، والنُّقلة من بلد إلىٰ بلد ، ومن مكان إلىٰ مكان ، ومن مظهر إلى مظهر ، ومن دعوة إلىٰ دعوة ، وما ترك واديْ من

---

(١) ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام ثلاثة اجتماعات كبيرة الموالد والمذاكرات والضيافات ويضرون العلماء والمناصب والوجهاء وتكون المذاكرات والوعظ والإرشاد .

(٢) يتكلم سيدي والعبرة تتردد في حلقه كعادته عند ذكره للشيوخ .

Scanned with CamScanner

الأودية ولا مكانٌ من أماكن (حضرموت) إلا ووصلها ، ودعا وعلَّم ، واسترشد وأرشد فيها .

رجعنا نحن علىٰ الأثَر. كثير ما أقول : حصلت لكم الهجرة ، كل واحد مطلوب في الهجرة هٰذه بأن يحفظ العادة الذي كان أخذها عن أبيه وعن أهله في بلده هناك ، ثم إذا رآها أنها حسنة . . ينبغي له أن يبثها حسب الإمكان وحسب الظروف ، والظروف مواتية وليست غير مواتية . لا يزال الباب مفتوحٌ للدعوة ، للإرشاد ، لانتهاج الكمال ، للأخذ بطرق الكمال ، للمواصلة . . لٰكن الواحد إذا جاء وانغمس في عادة البلد التي يأتي إليها . . فمعناه : أنه هو قتل نفسه وظلم نفسه ، وأضاع المجد الكبير ، وأضاع المظهر الكبير ، وأضاع الخير الكبير ، وأضاع الراية العظمىٰ التي أخذها عن يد والده أو عن جده ، أو عن يد شيخه ، أو عن يد من الأيادي المطهرة المباركة الطيبة .

لما وصل بها إلىٰ البلاد التي هاجر إليها . . شاف أنها ما تناسب ، وضعفت نفسه فطرحها ، أو هو نفسه عاده لم يصل . لٰكن كلنا يا إخواني ـ كما ذكرنا ـ مسؤولين ، ثم السؤال هٰذا كل واحد منكم يدرك أنه مسؤول أولاً قبل أي سؤال عن بيته :

ماذا يعمل فيه ؟

ثم ماذا يكون مع أهله في البيت ؟

ثم ماذا ما يكون مع ولده في البيت ؟

ثم ماذا يكون مع المسجد المجاور له ؟

Scanned with CamScanner

ثم ماذا يكون مع جاره ؟

ثم ماذا يكون له مع سؤاله عن عادات كان أهله يعتادونها ؟ شيء من القرآن ، شيء من الرواتب ، شيء من الأوراد ، شيء من الأذكار ، شيء من العادات ، شيء من الرعاية ، شيء من الحفظ . . كلها هٰذه مسؤول عنها الواحد . ثم بعد مسؤول هو كذلك عن أمرين آخرين :

مسؤول عن حضوره في مجتمعات بني قومه حتىٰ يشد العضد .

ومسؤول كذلك عما عنده مما أخذه من بلاده المطهرة ، من أخلاق أو من علم أو من عادات ، أو من شيء من مثل هٰذه الأشياء ، هل أدىٰ ؟ هل قام ؟ هل عمل ، أو لا ؟

شاف العادات في هٰذه البلاد ، وهٰذه البلاد لها عادات أخرىٰ سارع إليها وأمر زوجته بالمسارعة ، وأخذ يشيدون عادات ما أنزل الله بها من سلطان ، وما لها من قرار ، وما هو مأمور بها ، ولا هي عادات أهله ، ولا هي عادات بلاده ، ولا هي عادات مجتمعه ، ولا عادات مَن قبله من الأجداد الذين توارثوها ، الذي قال شاعرهم :

ورثنا المجد عن آباءِ صِدقٍ أسأنا في جِوارِهِم الصنيعا
إذا الحَسَب الرفيع تعاوَرَتْهُ بُناةُ السوء أوشَكَ أن يضيعا

هٰذا ينبغي لكل واحد أن يعقد عليه .

Scanned with CamScanner

نحن مجتمعاتنا ما أحسنها من مجتمعات ، ووجوه ما أحسنها من وجوه ، ومناظر ما أطيبها من مناظر ، ومظهر ما أعلاه من مظهر ، لـٰكن كل واحد يرجع إلىٰ نفسه في المجتمع .

حضرنا الأسبوع الماضي مجتمعٌ عند الأخ طٰه ، حضرنا الأسبوع الذي قبله مجتمعٌ ما أدري عند من ؟ حضرنا الذي قبله مجتمعٌ ما أدري عند من ؟ ومجتمعات أسبوعية نحضرها من دار بَلخير إلىٰ دار باشيخ ، إلىٰ دار باسندوة إلىٰ دار فلان . . كلها هـٰذه مجتمعاتكم . باشيخ واحد منكم ومحبكم ، باسندوة واحد منكم ومحبكم ، وبَلخير واحد منكم ومحبكم ، إذا حضرتوا . . أعطوكم القياد والحبل والخطام ، بناءً علىٰ مظهر كانوا يعرفونه من آبائهم ومن آبائكم هناك في تلك البلاد ، فكانوا يقولون : قدوتنا هناك ، بغيناهم يكونوا قدوتنا هنا ، بغيناكم قدوة ، هل فيكم الأسوة ؟ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ .

ثم ـ كما نذكر لكم يا إخواني ـ جاءتكم كلها بقضيضها ، بلادكم الطاهرة جاءتكم بقضيضها ، جاءتكم بعلماء أجلاء كرام لو سرتوا أي بلد من البلدان بغيتوا كما الأخ الشاطري . . ما باتحصلونه ، بغيتوا كما عمكم أحمد مشهور الحداد ما باتحصلونه بغيتوا كما سالم خرد ـ رحمه الله ـ كان فيما قبل أربع سنوات . . ما باتحصلونه ، بغيتوا كما الأخ عبد القادر الرُّوِش ـ موجود لا يزال في بيته ، ولـٰكنه بحمد الله صحته في

Scanned with CamScanner

تحسن ـ ما باتحصلونه، بغيتوا كما عمكم عبد الله بن حامد[1] . . ما باتحصلونه ، بغيتوا كما الحبائب هٰؤلاء : أبو محسن وحامد المحضار . . ما تحصلونهم . جاءتكم بلادكم بقضيضها ، ثم من نعم الله جعلوا لكم حصة من أوقاتهم حاضرين مبذولين ، بغوا أحدْ ينتبه فقط ، بغوا أحدْ يُقبِل ، وخذوها كلها بلا ثمن .

ثمنها : أنهم أدَّوْها عن جدهم صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وكفاهم ذلك ، والباقي معاده عليهم ، عليكم تأخذونها وعليكم أن لا تضيعوها .

وهي فرص ـ يا إخواني ـ يسوءُنا كثير إذا سألت الواحد : هل حضرت المجلس ؟

قال : تباركنا .

ما هي البركة التي أخذتها من المجلس ؟ لقمه كلتها ، أو فنجان شاي شربته ؟ أو لما قلت : اللهم صل علىٰ محمد . . باتمن علىٰ النبي بالصلاة عليه ؟ أو ما شابه ذلك إذا ما أخذت من فائدة المجلس فائدة وقبضت عليها ، وإلا . . ما هي فائدة .

كان عمكم عبد الله بن علوي الحبشي ـ رحمه الله ـ والد الأخ عطاس حبشي ، البقية هٰذا ، قال : إنه جاء له الحبيب عبد القادر بن أحمد والد عمكم عبد المولىٰ ـ عمكم عبد المولىٰ يعرفه كثير من الموجودين ـ وهو صغير في ذلك الوقت فدخل عليه ، ولما دخل عليه . . قال له : يا عبد الله .

---

(١) الحبيب عبد الله بن حامد بن حسين البار ولد بالقرين ١٣٢٥ وتوفي بجده ١٤١٨/٥/١ ودفن بمكة المكرمة .

Scanned with CamScanner

قال له : لبيك .

قال له : انظر إلىٰ هـٰذه الأخلاق والدين والشمائل التي توارثوها آباؤنا ، هي عبارة عن جوهرة كانت وقادة مضيئة ذات نور كبير جم ، كانت بيد النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، فلما قربت المنية . . توارثها الحسن ، ثم توارثها الحسين ، ثم تسلسلت فيكم حتىٰ وصلت عندي وعندكم ، الحذر من أن تدنسها فتُذهِب نورها هـٰذا أو تكدره أو تغيِّره .

هـٰذا الذي نحن فيه ، كل واحد منكم إذا كان يرفع رأسه بنسبته . . لا يرفع رأسه إلا بعمله .

هـٰذا المطلوب ، هـٰؤلاء الذين نأمل أن يشفعون لنا في الآخرة إنما نالوا هـٰذا المقام بأعمالهم .

ثم علىٰ كل واحد يعرف حق نَسَبه ، ثم يعرف المظهر ، ثم يعرف البلد وحق البلد . إذا سألته : طلعت من أين ؟

قال : طلعت من (تريم) .

كان عندنا شيوخ ، الواحد منهم يقول : شوارع (تريم) شيخ لمن لا شيخ له .

وما معناه أنه التراب هـٰذا الذي علىٰ الأرض ، إنما هو يجد البيوت وأهلها في أخلاقهم وفي تؤدتهم وفي سكينتهم ، يجد الناس الذين يمرون في الطرقات ، في أخلاقهم وفي عقلهم وفي علمهم ، وفي تؤدتهم وفي سمتهم علىٰ جانب من العلم ومن الأخلاق ومن الفضل .

Scanned with CamScanner

كان الشيخ علي عرفان ـ كان ـ قاضي في (تريم) قال : أنا دَرَست في (سيئون) ودَرَست عند الحبيب علي حبشي في مسجد حنبل ، وبينما كنت ذات يوم طالعْ . . سمعت ثنتين عجائز في دُوْر آل بارجاء ـ هٰذا بيت ، وهٰذا بيت ـ تسأل الأولىٰ الثانية وتقول : اشتبهت علي المسألة البارحة ، وأنِيْ في صلاة المغرب جئت مسبوقة .

قالت لها الأخرىٰ : ما هي المسألة التي اشتبهت عليك ؟

قالت : إني أدركت الإمامة في التشهد الأول من الركعة الثانية ، فهل عليَّ تشهدين أو عليَّ تشهد بعد ما يسلم الإمام ؟

هيا ، ذا الحين المسألة هٰذه ـ هي المسألة ـ من هو الذي بايرفع رأسه لها ؟ هٰؤلاء ثنتين نساء يتساءلن .

قال الشيخ علي : أنا بقيت قائم باسمع الجواب .

قال : قالت العجوز لها الثانية : قال في « المختصر الكبير » . وساقت لها العبارة حق « المختصر الكبير » .

قالت لها : جزاك الله خَيرْ .

هٰؤلاء نساؤكم ، هٰؤلاء أمهاتكم ، هٰؤلاء نساء من النساء اللاتي درسن بالجوار المبارك .

جاءت الأخلاق ، وجاءت المقاصد ، وجاءت الأعمال .

وكان عمي علوي ـ رحمه الله ـ أكثركم عرف عمي علوي بن عبد الله ، أبو الأخ محسن هٰذا ، كان أخواله المشايخ

Scanned with CamScanner

آل باحميد ، أمه بنت آل باحميد ـ وكان يقول : إني أدركت جدتي أم أمي ، هٰذه الجدة تقوم من آخر الليل فتتوضأ وتأتي بدعوات ، وحفظت الدعوات منها هٰذه العجوز ، دعوات قيام آخر الليل ، ودعوات الوضوء ، ودعوات الدخول في الصلاة .

قال : إنها تنهي تهجدها ورواتبها ووترها ، فإذا انتهت من هٰذا كله ـ قال ـ نبهت البعض . من جملة من تنبه : تنبهني أنا ! ! وتنبه الموجودين أهل الدار الذين لا يصحون من نومهم إلا بمنبه . وبعد ، قال : تخرج تحمل قربتها وتستقي من بئر بجوار مسجد علىٰ مسافة دقيقة ونصف أو دقيقتين ، بئر تابعة لمسجد اسمه مسجد السلطان .

تخرج في الليل المظلم من آخر الليل ، وتخرج قربتها وتملأ الدار كله ! كان الدار علىٰ الخِزاب وعلىٰ الأباريق وعلىٰ شاكلتها ، فتملأ الدار كله ، وبعد ـ قال ـ ترجع للقاصرين الذين تجدهم نائمين وتنبههم وتخرِّجهم كلهم : الرجال إلىٰ المسجد ، والحريم يقمن في أذكارهن وأورادهن ، وما أحد يبقىٰ في الدار . وهي تنتبه بالقهوة وتنتبه بالفطور .

وما هو الصبوح ـ علىٰ قولهم : الفطور ؟ الصبوح : إما من الخورية الحمراء ، أو من الذرة البيضاء . تقوم هي تجرشه ، وهي عجوز ، وترهاه هي[1] وتخبزه ، وترجع للقهوة .

---

(١) أي : تطحنه .

قال : نحن نرجع من المسجد قبيل الشرق نحصل الدار كله ملآن ، الماء موجود ، والقهوة قدها جاهزة ، والفطور قده جاهز ـ الصباح علىٰ قولنا ـ وكل شيء قده جاهز .

ثم الذي يسرح العلمة « الكتاب » . . يسرح العلمة ، والذي يقعد يقرأ في الدار . . يقرأ ، والذي يخرج إلىٰ مسجده . . يخرج ، والذي يخرج إلىٰ تربته . . يخرج ـ فيهم ناس من القراء الذين يقرؤون علىٰ المقابر ـ والذي يخرج إلىٰ سوقه . . يخرج ، والذي هُوْ يخرج إلىٰ تعليمه . . يخرج .

انظروا إلىٰ هٰذه المرأة ما تقوم به من أعمال! وما هي هٰذه لوحدها ، إلا أن عمي علوي يحكي هٰذا لنا عنها ؛ لأنها جدته وتربىٰ عندها فقط .

كلهن السابقات علىٰ مثل هٰذا ، فما شأنكم وما شأن نسائكم ؟

في أي وقت تقوم الواحدة ؟ كل واحد يرجع إلىٰ نفسه ، يقرأ دفتره ويحاسب نفسه .

ثم هو في أي وقت يقوم ؟

ثم ما هو الورد الذي يقرؤه ؟

ثم ما هي الآيات التي يتلوها .

ثم ما هو العمل الذي يعمله ؟

هٰذا الحبيب عمر العطاس ـ الذي أذكره لكم ، وحسبكم

Scanned with CamScanner

شرف . . ذِكْره وكَرَمه ـ كان ما يجلس في (حريضة) وكما قلت لكم : إنه كفيف البصر .

قالوا : إنه عَمّر مساجد عدة ، ذكر منهم عدة الحبيب علي ، والحبيب علي إلا ذَكَر المساجد التي أقامها هو ، كلما وصل إلىٰ بلد من (وادي عمد) أول ما يقول لهم ـ الحبيب عمر ـ هو : أن يدعوهم إلىٰ عمارة المسجد ، ويقول لهم : أنا ضعوني إلىٰ جنب حصىٰ ، وإلا إلىٰ جنب شيء من الأعمال التي ممكن أقوم بها . لأنه كفيف هو ، ولٰكنهم يضعونه ليقرِّب لهم الحصىٰ أو يعمل ما يقدر عليه ، ما ترك نفسه . ولا يرحل من البلاد هٰذه بعد الدعوة فيها إلا وقد أقام جدار المسجد ، والعمل قده جاري فيه ، فيرجع إلىٰ البلد الثانية . . وهٰكذا .

ومات في بلدة (نفحون) ومات ولده حسين في بلدة (نفحون) أيضاً علىٰ مسافة أربع ساعات من (حريضة) أو ثلاث ساعات ونصف ، في سبيل الدعوة إلىٰ الله .

وكان من كرمه : أنهم يأتون إليه الأضياف ـ والحال ضعيف ـ وأنه ما يتعشىٰ إلا متأخر ، ثم إذا أتوا له بالقرص الخبز حقه ـ يسمونه أهل (حريضة) الضبعة ـ إذا جابوها له . . يتركها إلىٰ جنبه ، حتىٰ إذا هدأ الناس . . أكل منها نصفها ، وترك نصفها .

قال له ولده حسين : والنصف الثاني تتركه لمن ؟

قال : ربما يجيء ضيف من آخر الليل يجد قسمه من العشاء موجود .

ونحن نبيت الواحد منا يتجشع بالأكل ، وبعدها يجيء بالخلال ، وبعدها يأتون له بالشاهي ، وبعدها المبردات ، وبعدها المسامر ، وبعدها المقامر . ولو زاد معه شيء من العشاء لقمة وتقول له : قم اذهب بها إلىٰ عند أحد من الفقراء ، فيه أيتام ، فيه ناس مكفوفين ، فيه ناس عجزة ، فيه ناس مرضىٰ . . يقول لك : أووه! ـ أي : يتأوه ـ ويقول : أنا إلا تعبان وجئت من العمل . وطارح يده علىٰ بطنه ، تظنه أنه يقرأ عليها آية الكرسي ، وهو إلا من التعب الذي به ، البطن ملآنه .

هـٰذه السيرة التي فقدناها وضاعت علينا وما وجدناها . والمجلس ـ يا إخواني ـ إذا لم يأخذ الإنسان منه بنصيب من هـٰذه السيرة . . لا يعتقد أنه خرج ببركة من المجلس ، ولا يعتقد أنه خرج بشيء من المجلس ، ولا يعتقد أنه خرج بشيء ، غير أنه شاف ـ رأىٰ ـ كثيراً : يا أحد من أصحابه ، يا شيوخه ، يا ناس من الأفاضل ، ياناس ما يعرفهم . . قال : اليوم الحمد لله رأيت فلان ، أو سلمت علىٰ فلان وتحدثنا نحن وإياه . هـٰذه ما هي بركة المجلس ، هـٰذه ما هي فائدة المجلس .

فائدة المجلس : أن الواحد يقوم بمسؤولية ومسؤول عنها ، يقوم بذكرىٰ هو مطلوب بها ، يقوم بأمر هو مدعو إليه .

هـٰذه مائدة الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، هـٰذه « لا إلـٰه إلا الله » مائدته ، وأخلاقه مائدته ، وصلاته مائدته ، وقرآنه مائدته ، وعمله مائدته ، وكل ما كان من أمره صلّىٰ الله عليه وآله

Scanned with CamScanner

وسلّم هي مائدة محمدية وتركها تركة : « **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة** » .

هٰذا ميراثه صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ميراثه العلم وهٰذه الأخلاق .

كان أهلنا ـ وكان المتقدمون منهم ـ ما حازوا هٰذا المظهر ولا حَصَلوا علىٰ شيء إلا بواسطة الاتباع .

كنا نحن والأخ محمد الشاطري قبل ليلتين ـ أو ثلاث ليالي ـ أنشد واحد من المنشدين بقصيدة الإمام الحداد :

عطفــةً يــا جيــرة العَلَــمِ يــا أُهيــلَ الجــود والكــرم

وبعد يقول :

نحــن جيــران بِــذا الحــرم حــرم الإحســان والحَسَــن

أين هو ـ أي : الحداد ؟ ـ في (تريم)! ويرىٰ أن الجوار له في الحرم الشريف لا لغيره ، حرم الإحسان والحسن :

نحــن مــن قــوم بــه سكنــوا وبــه مــن خــوفهــم أمنــوا
وبــآيــات القــرآن عُنُــوا فــاتَّئــد فينــا أخــا الــوَهَــن

كلكم عنيتوا به ، ثم رجع يتبجح ، والإمام الحداد معروف أنه قليل التبجح ، قال :

نعرف البطحاء وتعرفنا .

أين هٰذه البطحاء ؟ منها الحَجَر الذي كان يسلم علىٰ النبي ، والجبال التي تعرف النبي ، يتحدث الإمام الحداد أنها تعرفه أيضاً . هل تدركون شيءً من هٰذا ؟ ما تدركون شيءً .

كثير منكم ربما انتقد لجهله ، والجاهل معذور لو قيل له : إن هٰذا الحيوان يحبنا . والنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يقول عن ناقته : « إنها مأمورة » .

بسبب مَن جاءها الأمر ؟

بسبب ركوب الذات المحمدية الكبيرة عليها .

وكل واحد منكم إذا له ذات ينتسب إليها . . فليعلم أن الأحجار تعرف تلك الذات ؟ وأن الأشجار تعرف تلك الذات .

ومن الأخبار التي ينكرها الكثير ولا يدركونها : كان الشيوخ حقنا يقولون : إن الحبيب علوي بن سقاف ـ إمام كبير عظيم الحال ـ قالوا : لما توفي كانت له دابة يتركها ترعىٰ في الأزقة ـ قالوا ـ إنهم كلما خرجوا يدوِّرون للدابة . . وجدوها قائمة علىٰ قبره .

ارجعوا إلىٰ عبارة : نعرف البطحاء وتعرفنا .

ارجعوا إلىٰ الحديث عن جبل أُحُد : « أُحُد جبل يحبنا ونحبه » .

ارجعوا إلىٰ حديث الحجر : « إنني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث » .

ارجعوا إلىٰ مخاطبة الجمادات له : صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، ارجعوا إلىٰ الجذع الذي حن له ، جذع يابس كان يقوم عليه ـ حن وبكىٰ وسمع الناس حنينه .

ارجعوا إلىٰ هٰذه حتىٰ ترجعوا إلىٰ العلم ويقل منكم بُعْد

Scanned with CamScanner

الذَّاكرة وبهت الجهل وما شاكله ؛ حتَّىٰ تدركوا هـٰذه الأَشياءَ ، وحتَّىٰ تنفتح البصيرة للدُّخول في ميادين عِلْم أَوسع مِنْ هـٰذا العِلْم ، في ميادينِ ذِكرٍ أَوسع مِنْ هـٰذا الذكر ، في ميادين نورٍ أَضوأ مِنْ هـٰذا النُّور الَّذي تشاهدونه . ولا يشاهد الإِنسان إذا ما قام بالواجبات ما يشاهد شيءْ مِنَ النُّور ، اللّهُمَّ إلاَّ نور عين ضعيفة صغيرة جمّ . وكثير ما أذكر لكم ـ وهـٰذه القولة ما هي لي إنَّما هي للإِمام الغزاليِّ رحمه ٱلله ، ذكرها في كثير مِنْ كتبه ، قال ـ : إذا قال لكَ الجاهل : هـٰذا ما يدخل في العقل . . ٱعرف أَنَّه ما عنده عقل يدخلها فيه ، بايدخل في إيه ؟ العقل ليس موجوداً .

وإذا مثله واحد ما معه عين ، عينه أَضيق مِنْ عين الدِّيكِ ويريد أَنْ يدركَ بها عين البصيرة ، ما تشوف عين البصر ، فكيف بعين البصيرة ؟

اليوم أذكر لكم ولكثير من العلماء في مجلس حافل ، بأن الحبيب علي شيخنا يقول :

وٱهل البصائرْ رأوا ما لا يراه البصرْ   خذوا خذوا علمكم عنهم وحُطُوا النظرْ

قلنا لهم : كانت عندنا زيارة هود[1] ، يجتمع فيها شتىٰ الناس من وادي (حضرموت) كله ، قاصيه ودانيه ، وكانوا يختمون الزيارة بزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم ـ صاحب المظهر الكبير العلوي النبوي ـ بعد نهاية المظهر هـٰذا يخرجون ويتفرقون : آل

---

(١) زيارة نبي الله هود عليه السلام زيارة كبيرة تقام في شهر شعبان من كل عام .

تريم يروِّحون أو يبيتون ويسرحون ، وأهل سيئون يتقدمون .

تلك السنة حضر الزيارة الحبيب عيدروس بن عمر[1] ـ شيخ الزمان كان هو في عصره ـ بعد ما سلَّموا علىٰ نبي الله هود وخرجوا من التسليمة.. قال لهم الحبيب عيدروس : أنا اليوم رأيي أن نحن نتقدم ونمشي ، نخلي آل الشيخ في حضرتهم ، والذي يحضرون عندهم فيهم البركة ، آل (تريم) وأهل البلدان القريبة من قبر النبي هود ونحن بانتقدم .

من أراد يتقدم معنا.. فحيًا هلا ، ومن أراد أن يجلس للزيارة والحضرة حق سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم.. علىٰ رغبته .

تقدم الحبيب وتقدموا معه ناس كثير حتىٰ وصلوا إلىٰ المحطة الأولىٰ قرية : (فغمة) ونزلوا بها آمنين مطمئنين .

والذين تخلفوا : بعد ما انتهوا من الحضرة حق الشيخ أبي بكر بن سالم والدعوة والاجتماع وصَلُّوا الظهر.. ساروا بعد ذلك ، وفيه ناس أَخَّروا الصلاة وصَلُّوها في الطريق أو مع وصولهم . هٰؤلاء الذين تأخروا عن الحبيب عيدروس أصابتهم مطر خصبة أتعبتهم في الطريق ، معاد وصلوا إلىٰ عند الحبيب عيدروس إلا وقدهم متعبين .

قالوا له : ما قلت لنا يا حبيب عيدروس .

قال لهم : أنا قد قلت لكم رأيي أن نحن نتقدم ، وأنتم تريدون

---

(١) الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧ـ ١٣١٤) .

نعطيكم الخبر بكامله ، هـٰذا الذي قلت لكم به رأيي أن نحن نتقدم ، وأنا ظهر لي شيء من مثل هـٰذا الكلام .

فالشاهد : هـٰؤلاء هم أهل البصائر يشاهدون ؛ لأن القلب جوهرته لا تزال تضيء ، كما قال ربكم : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا تزال تشاهد ، ولا تزال ترىٰ ، ولا تزال تنظر .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يوقظ من قلوبنا - يا إخواني - داعية تتحرك لها القلوب حتىٰ يأخذ كل واحد بنصيبه من خلافة آبائه ، ويأخذ قسمه من تركة آبائه ، ويأخذ مظهره من مظاهر آبائه ، وينتسب إليهم حقيقة ، ويقوم إلىٰ بيته وعليه حلة الاستماع وحلة الانتفاع ، وحلة الذكرىٰ وحلة التذكار ، وحلة الأخذ ، وحلة الرضا . ليأخذ بزوجته فيعلمها من هـٰذه الليلة ؛ حتىٰ يأخذ بنصيب ، ويتئد حتىٰ تظهر له المبشرات وتأتيه العِيانات بعد المرائي الصالحات .

وأسأل الله القبول . وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة بمنزل آل بن طه بـ(جدة) في الروحة الجمعة ، بتاريخ الخامس عشر من شهر رجب الحرام ، عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة (١٥/٧/١٤٠٥هـ) الموافق الخامس من أبريل ، عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف ميلادية (٥/٤/١٩٨٥م) .

فبعد أن انتهينا من القراءة في الفقه في باب البيع أنشد الأخ محمد سالم خرد قصيدة الحبيب عبد الله الحداد ، التي مطلعها :

يا جيرةً بالمعهد اليماني ... متىٰ التلاقي ومتىٰ التداني

إن الجفا والبعد قد عَنَّاني ... وحل بي منه الذي كفاني

ثم أعقبه الأخ علوي بن عبديد بن حسن الكاف ، وأنشد أيضاً قصيدة الحبيب عبد الله الحداد التي مطلعها :

بشر فؤادك بالنصيب الوافي ... من قرب ربك واسع الألطاف

بعد ذلك تكلم سيدي ، وقال :

هٰذا كله يعطيكم صورة عما كان عليه مَن قبلكم . والسبب في ذلك : أن الإنسان علىٰ قوة ارتباطه في طلبه يكون له حالة .

فمثلاً هٰؤلاء الشيوخ الذين عرفناهم ـ أو الذين قرأنا عنهم ، أو الذين سمعنا عن أخبارهم ، أو الذين تسمعون عنهم من الناس البارزين مثل الإمام الحداد ـ كلهم يدلكم علىٰ أن وقته دعوة ، كتبه هٰذه المنتشرة ، وأخباره السائرة ، وديوانه هٰذا كأنما ينصح به واحد ويكلمه :

بشر فؤادك بالنصيب الوافي . . . .

كل واحد يقول : أنا المقصود بهٰذا الكلام ، حتىٰ يعرف الحقيقة .

ومنه تدركون معنىٰ المسؤولية ومعنىٰ حمل الأمانة ؛ لأن الإنسان مؤتمن حتىٰ علىٰ وقته .

ما هو معنىٰ مؤتمن ؟ مؤتمن علىٰ زوجه ، مؤتمن علىٰ أهله ، مؤتمن علىٰ جاره ، مؤتمن علىٰ رحمه ، مؤتمن علىٰ قريبه ، مؤتمن علىٰ أصحابه ، مؤتمن حتىٰ علىٰ أهل « لا إلٰه إلا الله » .

كانوا يقولوا لنا الشيوخ : مثلاً في الصلاة إذا قال : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين . وقبلها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . . هو مؤتمن فيها ، يؤدي شيء من الأمانة .

ومثلها إذا قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . هي أمانة ، فليعطيها حقها .

ومثله تربية الأولاد ، ومثله حفظ الزوج ، ومثله حفظ الجار ، ومثله حفظ الرحم ، ومثله حفظ الأهل . . وكلها هٰذه أمانة .

فإذا نظرنا إلىٰ مَن قبلنا ـ كما ذكرنا مِن أمثالهم هٰؤلاء ـ وجدناهم أَدَّوُا الأمانة ، أخذوها بكاملها فأَدَّوْها بكاملها ، كاملة ما تركوا شيءْ .

وإذا رجعنا إلىٰ أنفسنا . . وجدنا أنفسنا أننا لا نعرف بأننا

Scanned with CamScanner

مؤتمنين حتىٰ نؤدي ، التقصير الحاصل هـٰذا الموجود .

إذا قامت نفس الإنسان من ضعيف ، قامت نفس الإنسان من كثير كلام ، قامت نفس الإنسان من جار ، قامت نفس الإنسان من قريب ، قامت نفس الإنسان من واحد مثلاً ماله ميل إليه . . دليل علىٰ أنه ما أعطىٰ الأمانة حقها . هـٰذا إلا في شيء من الأشياء الذي تندرج تحته الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

يقول العلماء أهل الحديث ـ فيما مر معنا وفيما يأتي عليكم ـ يقولون : إن الإنسان في ائتمانه علىٰ مثل هـٰذه الأشياء هو مسؤول عن القليل ومسؤول عن الكثير .

ويقولون أيضاً في تأديتها : لابد أن يستشعر الإنسان تأدية الأمانة حتىٰ يكون قد أدىٰ ، فإذا لم يستشعر التأدية . . فمعناه أنه ما وصل إلىٰ شيء من درجات حفظ الأمانة ورعايتها حق رعايتها .

نحن ـ كما قلنا ـ وجدنا أنفسنا إن انهمكنا في غفلتنا . . وجدنا أنفسنا ما نظرنا إلىٰ الأمانة ، وإن انهمكنا في تجارتنا . . وجدنا أنفسنا ما نظرنا إلىٰ الأمانة ، وإن انهمكنا في بطالتنا . . وجدنا أنفسنا ما نظرنا إلىٰ الأمانة .

ومن نظر الإنسان إلىٰ الأمانة : أنه يحفظ له شيء . كان

Scanned with CamScanner

السابقون هٰؤلاء يكتبون . كتب كثيرة لهم . أنا كثير ما أذكر لكم « سفينة » الحبيب أحمد بن زين بلغت إلىٰ اثنين وعشرين مجلداً ضخمة ، بقلم دقيق كلها .

هٰذه « السفينة » كان يكتب فيها كل فائدة تروقه ، أو فائدة فائتة يستفيدها ، أو يكتب فيها عبارة ما وجدها في شيء من الكتب الثانية ، يكتبها حتىٰ تبقىٰ محفوظة عنده ويرجع إليها متىٰ أرادها ، ثم صارت مرجعْ لكثير من الناس ، ومثلها هٰذه الكتب التي تسمعونها .

كان الإمام الحداد يصنف لنا وينشىء هٰذه القصائد بعيدة عن أغراض الناس ، باعتبار أنه مسؤول عن الدعوة المحمدية وعن أهل الدعوة المحمدية ، وباعتبار أنه حمل الأمانة الكبيرة ، فأراد أن يؤديها كما أمر ، ما تركها ، ما تمر علينا قصيدة من قصائده إلا وفيها دعوة ، حتىٰ القصائد التي يذكر فيها من العالم العلوي أو القصائد التي يظهر فيها شيء من التغزل ـ وهي قليل في كلام الإمام الحداد ـ إن قصد شيءْ . . إنما هو يُعطي به صورة لأجل يستجلب هٰؤلاء الذين تميل نفوسهم إلىٰ ذكر العامرية ، كما جاء في بعض أبياته يقول فيها مثلاً :

أقوم بفرض العامرية والنفل

وإلىٰ ما يقرِّبهم وإلىٰ ما يدعوهم ؛ مثل القصيدة التي أنشدها الولد محمد (خرد) ، يعتقد الواحد أنه يتغنىٰ بليلىٰ أو يتغنىٰ بسلمىٰ ، أو يتغنىٰ بأحد منهن هٰؤلاء اللواتي يميلون إليهن أهل

الغناء ، والمقصود من ذلك كما قال الشيخ عمر بامخرمة في قصيدته :

والنَّبـيْ والنَّبـيْ مـا حَـدْ درىٰ أيـش معنـايْ

هو إلىٰ الغانيات أو هو إلىٰ الرب مولايْ

يستجلبون الكثير ، ومن استجلاب الكثير يقربونهم للدعوة ، وقد يرفِّهون بهم في بعض الأوقات ، إذا اقتضت البشرية ـ وقليل مقتضيات البشرية عندهم ـ أعطوها حقها ، كل شيء أعطوه من القيام به حقه ، ما تركوا شيءْ قط أبداً .

فإذا نظرنا ـ كما قلنا ـ إلىٰ أنفسنا . . وجدنا أننا صفر . بغينا حد يقول : أنا اليوم صنفت كتاب ـ وبغيت بأعرضه ؛ لأجل تسمعون شيءْ .

بغينا حد يقول : صنفت شيءْ من كتب المناقب ، لأجل تعرفون .

ذا الحين تسمعون الكثير عمن قبلكم ، كثير ما تسمعون عن أهلكم ، كثير ما تسمعون عن السابقين ، كثير ما تسمعون عن غيرهم . . كل ما يسمعه الواحد ينبغي أن يقيده حتىٰ يكون محفوظ .

الإمام البيهقي سئل عن تصنيفه كتاب « المناقب » للإمام الشافعي ، قال لهم : وجدتها علومْ كثيرة سوف تذهب إذا ما قيدتها ، فأضفتها إلىٰ المناقب .

Scanned with CamScanner

وهو كذلك ، ذا الحين نحن عندنا من علوم أهلنا الشيء الكثير ، وكتبوا لنا الكثير ، لٰكن نحن ما يكفي إلا أن يكتب الواحد ما يستفيده . لو كتب واحد منكم عن الإمام الحداد وعن ما سمعه عنه . . ربما يأتي بأعجب مما جاء به مَن قبله ، ثم قد يحصل له شيء من الفهم ما حصل لمن قبله ، أقلها : أنه يحفظه لأولاده ، يحفظه لأقاربه ، يحفظه لرحمه ، يحفظه لإخوانه .

هٰذا عمي علوي ـ رحمه الله ـ يعني به : علوي بن عبد الله السقاف شيخنا الأخير ـ كَتَبَ شيءْ منها هٰذه ، ثم لما كتب . . طاب له أن يزيد ، فكتب شجرة خاصة باسم سلسلة قومه وأهله ونسبهم ، وكانت عجيبة . ثم طاب له أن يزيد فكتب الفتاوىٰ ـ يقصد به : كتابه « النص الوارد في تجديد المساجد » ـ عن المسجد لما عزم علىٰ هدم المسجد وتجديده ، وجاء لنا بنفع كثير .

كثير من المسائل ما مرت علىٰ ألسنتنا ولا علىٰ أعيننا ولا سمعناها ، لما أراد الكتابة . . بحث عنها ، جاء بها من هنا ومن هنا ، وكان يتطلع إلىٰ كلام الحبيب أحمد بن حسن لأجل ينقل عنه ، وكان يتطلع إلىٰ كلام الشيخ محمد صالح الريِّس لأجل ينقل عنه ، وكان يتطلع إلىٰ فتاويات كانت للحبيب عبد الرحمٰن بن علي ، يسألنا عنها ويسأل الأخ سالم بن عمر حتىٰ أخذ شيءْ وجمعه وتركه لنا ذخيرة ، بل نحن نرجع ذا الحين إلىٰ وفيات وولادات كثير من قومنا السابقين الذين ينتسب الكثير

Scanned with CamScanner

منكم إليهم نجدهم في هٰذا الكتاب موجودين .

فكل واحد ينبغي له أن يكتب ما يقدر عليه حتىٰ يحفظ شيء ، يكتب ما يسمعه من العلم .

كم من مسائل ذا الحين يأتي بها لنا الأخ محمد « الشاطري » ما كانت تيسرت لنا ؟ جاءت الكتب المجموعة ذا الحين ، وكُتُب الأئمة فتسمعون أقوالهم في المجلس هٰذا .

ثم كم من تعليقات تأتي فيما بعدها ، وتحقيقات لأهل الفروع هٰؤلاء يجيبها لكم الأخ محمد كذلك ؟ ما كنا نسمعها ؛ لأنها كانت بعيدة ، وما كانت الكتب هٰذه موجودة ، فقد تيسرت لكم .

ثم كذلك معكم فرصة من الوقت لا يضيِّعها الإنسان ، لا يجعل الوقت في عمل كله ، أو يجعل الوقت في نوم كله ، أو يجعل الوقت مع أصحابه من أهل اللهو والغفلة كله ، أو يجعل الوقت في سذاجة يمر عليه ومن مجلس إلىٰ مجلس ، لا ! ينبغي أن يأخذ له من كل شيء حصة وثمرة ، تعود عليه بالنفع ، وإذا أخذ له شيء . . يكتبه ويستفيد .

ذا الحين نحن لو ما كتبوا هٰؤلاء المتقدمين أخبار مَن قبلنا . . لما عرفنا عنهم من أين بانعرفها ؟ هٰذا صاحب « المشرع » يمكن ترجم لمئتين من العلويين ـ أو أكثر من المئتين ـ لو ما صنَّفه هٰذا « المشرع » وتعب في تأليفه ، ونقل من هنا ومن هنا ، ومن هنا ومن هنا . . من أين بانعرف ؟ ما بانعرف شيء .

وكُتب المتأخرين هٰؤلاء ، قرأنا كثير ، منها : كتاب

لمحمد بن حسن عيديد « إتحاف المستفيد بذكر من أخذ عنهم محمد بن حسن عيديد »[1] .

كان يسألنا عنه واحد من (اليمن) جاء يسأل ، قال : باشوف سيرة الشيوخ الذين عاصرتوهم . وقال :

إن السيد إبراهيم بن عقيل بن يحيىٰ قال له أن نطلعه علىٰ « إتحاف المستفيد » وأتىٰ لي بخطاب منه يقول لي فيه : أعطوه كذلك « منحة الإلـٰه » للسيد الحبيب سالم بن حفيظ[2] خلوه يطَّلع علىٰ الشيوخ .

هـٰؤلاء ـ جزاهم الله خيرْ ـ كتبوا لنا ، والذين كانوا من قبلهم كتبوا لنا كثيرْ ، لـٰكن نحن إذا نظرنا إلىٰ أنفسنا. . وجدنا أنه ما عمل الإنسان منا شيءْ قط أبد ، ما له سفينة ولا له غيرها .

كنت ـ كما أذكر لكم ـ أنا والأخ سالم بن عمر ـ كنا ـ نحضر درس « الإحياء » عند والدي ، وفي « الإحياء » من غرائب الأقوال ومن عجائبها ، وينقل كثيرْ عن المتقدمين ، يقول : فلان ما حضر جنازة فلان ، وفلان صلىٰ علىٰ فلان ـ في نفس « الإحياء » ـ وفلان فهم من التفسير كذا وكذا ، وفلان قال كذا ، وفلان قال في ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ جاب لها الغزالي بتفسير يحكيه عمن قبله .

قلت لسالم بن عمر : اكتبها هـٰذه . فكتب سالم منها الكثير ، وهي : موجودة معنا .

---

(١) المولود ١٢٩٠ والمتوفى ١٣٦١ .

(٢) المتوفى ٢٨ رجب ١٣٧٨ .

وكنت كذلك أنا والأخ عبد القادر الرَّوش ، قلت له : أكتب تعليقات « التحفة » ففيها غرائب . كان يكتبها الشيخ محمد باكثير ، ذا الحين جاءتنا صفواً عفواً ، كلكم ما أحد منكم قدر يكتب لنا شيءْ منها ولا حد يحفظ شيءْ منها ، ولا حد ينتبه .

بغيناكم تتعلمون في هٰذه الأشياء حتىٰ تثبت وحتىٰ ترسخ ، وحتىٰ يكون الناس قد أظهروا شيءْ أولاً ، ويكون الإنسان وأدىٰ عن نفسه شيءْ من الأمانة ، ثم أدىٰ لمجتمعه شيءْ ، ثم أدىٰ لنفسه شيءْ ، ثم قام بما عليه نحو الأمة .

فالأمة هٰذه عبء ثقيل ، خلقهم الله وجعلهم مترابطين كلهم يد واحدة ، وكالعضو الواحد كما ذكر لنا النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

فعلىٰ كل واحد أن لا تمر عليه هٰذه الدروس وهٰذه الأوقات وما يسمعه بدون قيد عليه يعلق ، يقيِّد إذا ما قيَّد في المجلس .

ينبغي له عندما يقوم من المجلس بشيء من الفوائد الكثيرة يجمعها في بيته .

كان الأخ صالح بن علي الحامد[1] ـ رحمه الله ـ يجمع ، وله تحقيقات حققها . هو ماله شيء من عند نفسه ، إلا أنه جمع كثيرْ مما سمعه :

يحضر مجالس الحبيب محمد بن هادي ، ومنها : مجلس « البخاري » الذي يستمر ثمان أيام ، وكلما سمع شيءْ غريبْ أو

---

(١) العلامة والمؤرخ والشاعر صالح بن علي بن صالح الحامد ، وفاته بسيون ربيع الثاني سنة (١٣٨٧ هـ).

شيءٌ عجيبٌ ، أو شيءٌ فيه إشكال . كَتَبه كتعليق في نفس الصحيفة حقه ، ويرجع إلىٰ الدار ويبحث عنه ويجمعه ، حتىٰ جمع لنا أكثر من ثلاثين كراس ، وصار كتابٌ من أعجب ما يكون .

كنا ذات يوم ومعنا : الأخ محمد المساوىٰ ، والأخ عيدروس بن سالم[1] - رحمه الله - وكثير من الجماعة كانوا موجودين ، دار الحديث بيننا عن الخضر ، والخضر مختلفين فيه . المتقدمين والمتأخرين :

فمنهم من يقول : قد توفاه الله .

ومنهم من يقول : لا يزال حيٌّ .

ومنهم من يقول : يبقىٰ إلىٰ يوم القيامة ، ويموت آخر الزمان .

فقال صالح « الحامد » : لا تتنازعوا فيه ، أنا أسرد لكم كلام العلماء بلا تعب ولا أذية ، خلوا أصواتكم تبقىٰ مخبَّاة فيكم ، اسمعوا فقط .

قام وجاب لنا هٰذا الكتاب ، وأخذ يقرأ ويقول : صاحب كتاب الفلاني قال عنه كذا وكذا ، وصاحب الكتاب الفلاني قال كذا وكذا ، وصاحب « فتح الباري » قال كذا ، ومن « إرشاد الساري » كذا .

ونقل لنا حصيلة كاملة ، ما وجدناها مجموعة عند أحد مثلما

---

(١) عيدروس بن سالم بن محمد بن عبد القادر السقاف علامة وشاعر وأديب توفي بسيئون ١/ ١١/ ١٣٩٣ .

جمعها الأخ صالح ـ رحمه الله ـ وكثير من مثلها . وحبذا لو جمع الإنسان .

وخلاصة كلام العلماء فيه : أنه لا يزال حيٌّ .

وهل هو نبي أو ولي ؟ العلماء مختلفون فيه .

وذكر أستاذنا محمد بن أحمد الشاطري أن بعضهم عَدَّهُ من الصحابة ، ومن اتفق به من التابعين إلىٰ هٰذا الحد وصل .

وذكر أستاذنا محمد بن أحمد الشاطري هٰذا الكلام في تلك الجلسة ، فقال سيدي ـ حفظه الله ـ معقباً : هيا اسمعوا هٰذه الفائدة التي استفدناها من الأخ محمد : كونه من الصحابة ، ما سمعتها أنا إلا ذا الحين .

وكثير منها الأشياء ذي تأتي في البحث ، هكذا يستفيدها الإنسان ويرجع إليها ، هٰذه فوائد ما تحصل ولا توجد ، وهٰذه الحلقات تسقط فيها من الدرر ومن النفائس الغريبة تأتي في الدرس ويتذكرها واحد ممن حضر ، يتذكرها واحد ممن كانت عنده دروس سابقة ، وذهبت عنه ، تأتي وقت التذكار يأتي بها في نفس اللحظة عند ذكراه لها فيستفيدها الإنسان . فلو قيد الإنسان كثيرٌ منها هٰذه المسائل النادرة ، التي ما تأتي إلا بعد حين ، حتىٰ إذا رجع إليها وجدها محفوظة . . هو أولاً بايصير بها عالم ، ثم بها بايترك ذخيرة لمن وراه ، ثم بها كذلك بايكفي الناس مهمة التحصيل والجمع ؛ كما ذكرنا لكم عن الأخ صالح بن علي ـ رحمه الله ـ وكذلك كان المتقدمون .

هـٰذا عمكم أحمد الشاطري ـ ما عرفتوه أنتم ـ هـٰذا مات في سن مبكر ، إذا رآه الإنسان. . رأىٰ وزنه كأنه وزن الشيوخ في رزانته وجلوسه ، ومجلسه كله حديث وعلم ، للأدب وقت ، وللفقه وقت . وهو بحره الغائص في حقائقه ما يحتاج إلىٰ كلام ، وكان يجلس إلىٰ شيوخه ، ويدرس عند عمكم عبد الله بن عمر الشاطري ، ويدرس عند الحبيب عبد الله بن عيدروس ، وعند الرجال أمثالهم .

ومات في السن المبكر ، ترك لكم ـ لو لم يكن له إلا هـٰذا الكتاب ـ « الياقوت النفيس » . هـٰذا الكتاب العجيب المختصر الجامع ، إذا أشكلت علىٰ الإنسان مسألة. . وجدها فيه . ثم كتاب بايقرأه لنفسه ، لو جعل الإنسان له درس منه في بيته . . معاد بايحتاج إلىٰ شيخ . وشرحه جعله عليه تعليقه .

وكتاب له كذلك علىٰ « سفينة النجا » من أبدع ما يكون ، في عبارة في غاية اللباقة ، وفي عبارة في غاية الاختصار والإيضاح .

هـٰذا نموذج يعطيكم صورة عن واحد ممن عرفناهم نحن ، وعرفنا كثيرٌ منهم ، وهم ـ كما خلقهم الله ـ مختلفون في الإدراك ، مختلفون في الفهم ، إنما هم متفقون في حفظ الوقت .

أنا كنت أعرف عمكم عبد الله بن عبد الرحمـٰن الكاف ـ أولاده شفتهم ذا الحين في الختم ـ يحضر درس عند عمي علي بن زين الهادي ، ويحضر درس عند عمي أحمد بن عمر الشاطري ،

Scanned with CamScanner

وهو إلا في سنهم ما يَقصُر عنهم في السن ، وهو واحد من الأثرياء ، لكنه يحضر الدروس .

يخرج حاملْ كتابه ويحضر الدرس عند عمي علي بن زين الهادي .

وهو محقِّق من المحققين ، وبحَّاثه من البحاثين ، ما يُنْقَم عليه إلا حدة الطبع فقط ، وإلا . . هو سيد من خيار السادة ، وممن حمل الأمانة وأخذها علىٰ ظهره ولا بدَّ له من حفظها .

وكما هم عمكم حامد سري[1] ، رأيتوه من المتأخرين من أقرانهم هٰؤلاء الذين ذكرناهم ، وربما يفوقهم في السن بسنتين أو ثلاث . وعدد كنا نعرفهم ، كثير وكثير وكثير ، وكانوا كمثل هٰذا .

كان والدي ـ رحمه الله ـ من شيوخهم الكبار ، يجيء إلىٰ عند عمي أحمد بن عمر الشاطري ترغيبٌ للعلم ، وحرص منه علىٰ أن يكون هٰذا السيد ممن يمشي علىٰ سَنَنهم ، وهو قده يمشي علىٰ سَنَنهم ، وتطيب المجالس معه . ويندر إلىٰ عند عمي علي بن زين ، وهو كبير في السن ، وهم عادهم إلا في ذلك الوقت أبناء الثلاثين ، ولٰكنه يحرص علىٰ أن يكرم الغلماء ويزور العلماء ، وهم علماء بحق ، يستحقون الزيارة في ذلك ، من شيخ أو من مستفيد ، أو من قريب .

---

(١) حامد بن محمد بن سالم السري وفاته في أندونيسيا ٢٣/ ١٢/ ١٣٩٨ .

Scanned with CamScanner

وهٰذا الذي نطلبه منكم ؛ لأنها فُقدت هٰذه . وأنا كثير ما أحث محمد (الشاطري) يكتب تعليقات وتراجم لمثلهم هٰؤلاء ؛ لأنكم باتدركون منه إذا بورك له في الوقت وحصَّل له أحدْ يملي عليه ؛ لأنه كلهم هٰؤلاء أدركهم الشاطري .

فأجابه أستاذنا قائلاً : « إن شاء الله ربنا يوفق ، وعندنا الآن كتاب نكتب فيه ونلخص منه ، قد أخذ وقتْ مني ما كنت أظن ، إنما - إن شاء الله - بايعجبكم .

ثم رتب سيدي الفاتحة ، وقال :

نسأل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، ويكتبنا وإياكم مع خيار الجيل ، ويربطنا وإياكم بالهادي الدليل .

ويجعلنا صادقين فيما نقول وفيما نفعل ، ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

* * *

Scanned with CamScanner

الكلام عن الحديث ورجال السند ودرجات الصحيح والحسن وغيره وعن المحدثين والمؤلفين في الحديث وعن الإمام مسلم وصحيحه

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة المختصرة ، في أول يوم من أيام شهر رمضان المبارك من عام خمسة وأربع مئة وألف (١٤٠٥هـ) للهجرة . وذلك بمنزله العامر بـ(جدة) في روحة العصر .

وكانت الروحة تشتمل في قراءة « صحيح مسلم » .

وبعد الانتهاء من القراءة كان هناك متسع من الوقت ، فاستغله سيدي وتكلم بهٰذه الكلمة ، ورتب بعدها الفاتحة .

قال سيدي حفظه الله :

الليلة أخذت القراءة كلها في الحديث عن الكذابين الذين يروون عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

ومحصَّل القول : أن الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ من (نيسابور) ـ أخذ في بحث هٰذا الحديث وفي بحث هٰذا العلم ، حتىٰ يتحقق الرواية عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ؛ لأن الكَذَبة في ذلك الزمان موجودون ، والمغفلين في ذلك الزمان موجودون . كثير من أهل الصلاح يأخذون عمن لا يوثق به ، فيتقبلون الرواية وهم لا يصلحون لحملها .

الصلاح له جانب ، والأمانة في نقل الحديث له جانب ؛ لأن الحديث الذي تسمعه وينقله لك الراوي إذا نقله بصحيحه وبلفظه

Scanned with CamScanner

عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم. . فكأنما رسول الله يحدثك ، معاد تحتاج إلىٰ شيء .

فأراد المتقدمون - رحمهم الله - وهم الذين حفظوا ، وهم الذين جمعوا ، وهم الذين قاموا بنقل الحديث وبأخذه ، وبنشره وبدرايته وبعلمه . . علىٰ أن يكون الحديث صحيحْ كامل الرواية .

كانوا يروون عن الإمام أحمد ابن حنبل ، الإمام العظيم ، الزاهد الصابر ، المحتسب القوي اليقين ، الذي ما بالىٰ بجسمه ، ولا بعرضه ، ولا بماله ، ولا بأهله ، ولا بولده في ذات الله تعالىٰ .

جمع من الأحاديث مئة وخمسين ألف حديث ، ثم أخذ يغربلها حتىٰ وصلت إلىٰ مئة وثلاثين ألف حديث ، ثم أخذ يغربلها حتىٰ و صلت إلىٰ مئة وعشرين ألف حديث ، ثم أخذ يغربلها حتىٰ وصلت إلىٰ مئة ألف حديث . جمعها في « مسنده » - رضي الله تعالىٰ عنه - ولا يزال في مقدمة « المسند » جعل المسند كالمعجم علىٰ الحروف .

لا يزال يقول : من وجد في مسندي غير حديث مروي عن رسول الله . . فليأخذ به جانب الحائط .

والإمام الشافعي - كما تسمعون - يقول : إذا صح الحديث . . فهو مذهبي .

ويقول أيضاً : إذا خالف كلامي حديثَ رسول الله . . فارموا به جانب الحائط .

Scanned with CamScanner

إشارة إلىٰ أنه إذا ظهر لكم حديث صحيح ، أخذتموه عمن وثقتم به . . فخذوا بالحديث ودعوا كلامي جانباً . وهو أحرىٰ ، وهو كذلك .

جمعوا لنا ـ جزاهم الله خيرٌ ـ هـٰذه الأحاديث الصحاح المنوعة . وجاء المتأخرون ممن بعدهم ؛ مثل الهيثمي في « زوائده » ومثل الشيخ ابن حجر العسقلاني ، ومثل الشيخ ابن حجر الهيتمي ، ومثل كثيرٍ من المحدِّثين ، كالطحاوي وغيره هـٰؤلاء نَقَّوُا الأحاديث وجمعوا أحاديث .

فجاء الشيخ الهيثمي ، وجاب لنا كتاب سماه « مجمع الزوائد » جمع فيه عشرة آلاف حديث عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وجاء الحاكم ، فجاء لنا بكتاب وسماه « المستدرَك » علىٰ ما استدرك علىٰ الشيخين : البخاري ومسلم . وجاء به في ستة مجلدات ـ أو خمسة مجلدات ـ ضخمة ، كلها فيما اتَّفَق عليه شرط الشيخين ـ رحمهم الله ـ يعني : من الصحة .

وجاء كثير غيرهم : جاء البيهقي ـ رحمه الله ـ وأتىٰ لنا بمسند في عشرة أجزاء من الضخامة الكبيرة جم .

وجاء « المصنَّف » لابن أبي شيبة ، وجاء « المصنَّف » لعبد الرزاق . . كلهم هـٰؤلاء يروون ويتحرَّون الرواية الصحيحة عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . وقالوا في غير هـٰذه

Scanned with CamScanner

الروايات ما قالوا ، وجاءتنا هٰذه الروايات سهلة مهضومة لنا كالزُّبْد ، حتىٰ جاءت صافية لا تحتاج إلىٰ شيء . فإذا سمعنا الحديث في هٰذه الكتب . . كأنما لسان محمد تتكلم به في تلك اللحظة ، جزاهم الله أفضل الجزاء .

وكان ينبغي لكل واحد ـ كثيرٌ ما أذكر لكم ـ أن يكون له نصيب من هٰذا العلم ، لا يستكفي بهٰذه الكتب ، فالكتب اليوم تيسرت كثيرة ، يجمع من الكتب ويقرأ في الكتب ، ويكتب ما قدر عليه أن يكتب ، ثم يُلحِق كذلك ما وقع فيها من الصحاح بالصحيح ، ويُلحِق ما وقع فيها من حسن بالحسن .

هٰذا الشيخ السيوطي ـ رحمه الله ـ جمع في « الجامع الصغير » عشرة آلاف حديث . وكان جمع ثلاثين ألف حديث في الأول ، ثم أخرج منها الضعيف ، ثم أخرج منها غير المناسب . وكتب في مقدمتها ، وفي ديباجتها : « الحمد لله » .

جعل بعدها حديث عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يرينا أنه من حملة السنة ، فقال : الحمد لله الذي بعث علىٰ رأس كل مئة سنة من يجدد لهٰذه الأمة أمرَ دينها .

وهٰذا الحديث عن الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أَوَّله : « إن الله يبعث علىٰ رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمرَ دينها » .

الإمام السيوطي رَجَا أن يكون من المجددين ، ومع هٰذه الرجوىٰ ، ومع هٰذه الكتب العظيمة ومع هٰذه العلوم الثرية ،

ومع هٰذه البحار الزخّارة التي رواها ، ما قبلوه أن يكون من المجددين . له منظومة فيها يقول :

وقد رجوت أنني المجدد ففضل ربي ليس قَطُّ يُجحدُ

ما سلموا له كونه المجدد ، مع أنه كان يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ : إذا قال السيوطي : هٰذا الحديث لا أصل له . . لعاد تتعب نفسك ؛ فقد تعب الإمام السيوطي في تحصيل الحديث . وله كتب بيّن فيها الأحاديث التي تدور علىٰ ألسنة الناس أحاديثها من الأحاديث الغير الصحيحة ، أو الأحاديث الغير مقبولة .

وجمعوا لنا ـ رحمهم الله ـ في مصطلح الحديث أبياتْ منظومة . صاحب « البيقونية » هٰذه نظمها وجعلها في أربعة وثلاثين حديثاً ، جمع منها المُرسَل ، وجمع منها المُعضَل ، وجمع منها المقبول ، وجمع منها المدلول ، وجمع منها المعلول ، وجمع منها الصحيح ، وجمع منها المعَنْعَن ، وجمع منها السند . . كلها أربعة وثلاثين حديثاً .

كل ذلك خدمة لمن ؟ خدمة لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، للحديث هٰذا العظيم .

ثم هٰذا الحديث العظيم جمعه من أجل من ؟ من أجل أن يبلغكم فتسمعونه كما أخرجته اللسان المحمدية ، تسمعونه طرياً .

جزاهم الله خيراً ، جابوا لنا المعضَل ودليله ، وجابوا لنا المرسَل الذي سقط منه الصحابي . وجاء الإمام البخاري

Scanned with CamScanner

ـ رحمه الله ـ وجاء بالمعلَّق ، وجاء بالإسناد ، وجاء بالمتن ، وجاء بالسند . جمعهن كلهن في صحيحه الكبير هٰذا .

وجاء الإمام مسلم معاصِرٌ له ، فجمع هٰذا الكتاب العظيم الذي جعلوه بعد « البخاري » ، وبعضهم يراه أنه قبل « البخاري » في الصحة . ولٰكن الأكثرية من أهل ملة محمد يرون أن « البخاري » أصح كتب الحديث بعد الكتاب العزيز ، وجزىٰ الله المصنفين خير الجزاء .

وأرجو منكم أن تستمعوا للحديث ، فتلقوا إليه بالكم ، فتستفيدون من الحديث أمران :

أولاً : تستفيدون أنكم سمعتموه كما نطقت به اللسان المحمدية . أتوا به باللفظ ، ما تركوا حرفْ يزيد ولا تركوا حرفْ ينقص ، ولا تركوا كلمة ، ولا تركوا كلمة وأغفلوها ، أتوا به كما جاء علىٰ لسان الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

الأمر الثاني : أن هٰذا شريعتكم ، هٰذا هو عملكم ، وهٰذا هو دِينكم الذي تأخذون به ، فانتبهوا تأخذون دينكم عن مَن ؟ عن محمد ، ومحمد خلفاؤه هٰؤلاء الرواة الذين رَوَوْا حديثه ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ وأوصلوه إلينا . وقد قرأ شيوخنا ومَن قبلهم ـ ومَن قبلهم ، ومن قبلهم ، ومن قبلهم ـ هٰذه الأمهات الست ، وأتقنوها إجادةً ، حتىٰ كان الواحد منهم ليكاد يحفظ « البخاري » و« مسلم » من كثرة ترددهم عليه وكثرة قراءتهم له ، لا يخفىٰ عليهم شيء من أمر الحديث .

Scanned with CamScanner

كان الحبيب حسين الحبشي[1] يقول للحبيب علي أخوه - كلاهما من شيوخنا - قال : إني وجدت ولدك من تلاميذك أحمد بن عبد الرحمـٰن - لأنه سافر عنده ، وجلس عنده في (مكة المكرمة) - يكاد يحفظ « البخاري » من كثرة قراءته له وكثرة تردده . ولو سئل الواحد مننا : كم مرات قرأت « الصحيح » ؟ لما درىٰ . .

جزىٰ الله الحبيب محمد بن هادي ، في كل سنة يجعل لنا مجلسْ لقراءته في ثماني أيام ، ولولا قراءة الحبيب محمد . . لما قرىء أظنه في زمنه ، إلا من كان له شيخ يدرس عنده ، والله أعلم .

وعندنا في (حضرموت) ما شاء الله مَدْرَس الأحد يتلىٰ فيه « البخاري » ويُختَم في سنة ، مَدْرَس الإثنين في قبة الحبيب علي يُقرأ فيه (البخاري) ويُختم في سنة . مجالس كثيرة تُقرأ فيها هـٰذه الكتب ، ولـٰكننا عالة علىٰ سماط وبساط المتقدمين! ما حد جعل له مننا قراءة في البخاري ، قال : أنا قرأت « البخاري » لنفسي ، وجعل له درسْ فيه خاصْ حتىٰ يستفيده .

ولضيق الوقت نكتفي بهـٰذه الكلمة .

وأسأل الله - سبحانه وتعالىٰ - أن يجعل هـٰذه الليلة من أول ليالي رمضان ، وهـٰذا اليوم الأول من صيام رمضان . . أسأله أن

---

(١) الإمام العلامة مفتي الشافعية بمكة وابن مفتيها السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي ولد بسيئون سنة ١٢٥٨ وتوفي بمكة المكرمة ٢١ شوال ١٣٣٠ .

Scanned with CamScanner

يجعله مباركٌ علينا وعليكم ، يدخل بالصحة ، ويدخل بالعافية ، ويدخل بالبركة ، ويدخل بالنشاط ، ويدخل بالحفظ ، ويدخل بالرعاية . تدخل علينا روحانيته فتحيي قلوبنا وأرواحنا ، فتنشط للعمل الصالح وللقرآن ، وللصلاة وللقيام ، ولِمَا أمر الله سبحانه وتعالىٰ ـ به بنشاط وهمة ، وللسهر في الليل ـ إن شاء الله ـ في غير مسامر وفي غير مقامر .

أسأل الله سبحانه أن يجعله سهر في إحياء السنة ، وفي إحياء الكتاب العزيز ، وفي إحياء الذكر لـ« لا إلـٰه إلا الله » وفي القيام بـ« لا إلـٰه إلا الله » .

وأسأله أن يجعل دخوله دخول صلاح علىٰ الأمة .

اللهم أصلح بهـٰذا الشهر أمة « لا إلـٰه إلا الله » ، وارحم بهـٰذا الشهر أمة « لا إلـٰه إلا الله » . أطفىء سائر فِتَنهم أينما كانت وحيث ما كانت .

وآمنا يا ربنا في أوطاننا ، واجعلنا من أهل « لا إلـٰه إلا الله » حقيقة ، وانشر علينا اللواء حتىٰ يظهر علينا النور ، وأطلعنا علىٰ كنوز هـٰذا الشهر ، وعلىٰ دفائن هـٰذا الشهر ، وعلىٰ خيرات هـٰذا الشهر ، وعلىٰ بركات هـٰذا الشهر ، وعلىٰ ما أعددتَه لأهل « لا إلـٰه إلا الله » في هـٰذا الشهر ، وعلىٰ ما وضعتَه لأهل هـٰذا الشهر .

اجعلنا من صوامه وبلغنا إياه ، واجعلنا من قوامه ، واجعلنا من حفظته ، واجعله شاهداً لنا ، واجعله شاهداً ـ إن شاء الله ـ لنا بالخير ، وشاهداً لنا بالكرامة .

Scanned with CamScanner

واجعلنا من القائمين فيه ، ومن الذاكرين فيه ، ومن الشاكرين فيه ، ومن المقبولين فيه ، ومن المذكورين فيه في الملأ الأعلىٰ .

وأقِمْنا كما أقمت مَن قبلنا من خيار الأمة ، وأصلحنا يا رب وأصلح بنا ، وانفعنا يا رب وانفع بنا ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك . وأشْهِدنا ليلة قدره ، واجعلنا ممن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ، وأطلِعْنا علىٰ ما في ليلة القدر ، واجعلنا من النشطين لها ، واحفظنا فيه يا ربي من لغو القول ، ومن الكلام الذي لا يفيد ، ومن سقطات الحديث ، ومن لغو الحديث ، ومن الخوض في الحديث ، ومن الغِيبة ، ومن النميمة ، ومن الفحشاء ، ومن قول الزور ، ومن الكلام فيما لا يعني .

اجعلنا محفوظين ظاهراً ، واجعلنا محفوظين باطناً . احفظ اللسان عن الكلام فيما لا يفيد ، واحفظ العين عن النظر فيما لا يفيد ، واحفظ الفرج عن الحرام ، واحفظ البطن عن الحرام ، واحفظ اليد عن الحرام ، واحفظ الرِّجل عن الحرام .

اجعلنا محفوظين كلنا تحت دائرة لطفك الخفي ، وأعطنا ما أعطيته مَن قبلنا من آبائنا من أهل المقام النبوي ، وأهل المظهر العلوي والسلفي . اجعلنا يا ربي مثلهم ، وأعنا علىٰ ما تريده منا ، واجعل معونتك لنا في كل شيء ، ظاهراً وباطناً . واجعلها ـ إن شاء الله ـ مائدة مبسوطة لأهل « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » .

اللهم أصلح بها ، اللهم أصلح بها ، اللهم أصلح بها .

Scanned with CamScanner

وانفعنا بهٰذا الشهر نفعاً ظاهراً ونفعاً باطناً ، وأصلح وادينا وبلادنا ، وأصلح جميع بلاد الإسلام عامة .

واغفر اللهم لموتانا ولوالدينا ولمشايخنا . أدخل عليهم الروح والريحان ، والبشارة والأمان ، والفسحة والرضوان ، وجازهم بالإحسان إحساناً ، وبالإساءة إحساناً ، يا حنان يا منان . وبلغهم عنا يا رب كل خير ، واحفظهم عنا من سيئاتنا واغفرها لنا ، ولا تطلعهم علىٰ حوبنا ، ظاهراً وباطناً ، في خير ولطف وعافية .

ومتعنا اللهم بصلحائنا ، ومتعنا بأوليائنا ، ومتعنا بالبقية من شيوخنا ، ومتعنا بمن أعطيته حق المتعة الظاهرة . واشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، وأنزلن سكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا ، في خير ولطف وعافية .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة عشية الإثنين ، التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك ، عام خمسة وأربع مئة وألف .

وذلك بالمسجد النبوي الشريف ، وقرب روضة الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، بعد ختم القرآن الكريم الذي يقيمه السيد محمد بن صالح المحضار من كل عام في مثل هٰذا اليوم .

وبعد الختم . كان هناك الوقت ، فطُلِب من سيدي أن يتكلم بكلمة .

فقال ـ حفظه الله ـ :

الحمد لله علىٰ هٰذا العطاء العظيم ، وعلىٰ هٰذه النعم الجسام الكبيرة ، التي توالت علينا ما بين لحظة ولحظة ، وساعة وساعة ، وزام وزام[1] ، ويوم ويوم ، وليلة وليلة ، عطاء من الله ، ونعمة سابغة سائغة . أدخلنا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ببركة هٰذا الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم الدائرة العظمىٰ ، تلك الدائرة هي : دائرة « لا إلٰه إلاَّ ٱلله » كلنا داخلين تحتها ، ومن دخل تحتها . . أمن من الفاقة وأمن من الأهوال . والدائرة المربوطة بها ، التي لا يصلح أن تكون الأولىٰ صحيحة إلا إذا قرنها بالثانية ؛ وهي : الشهادة لهٰذا الرسول الكريم العظيم بالرسالة العظيمة التي بلّغها ، والتي وصلت إلينا طرية ندية ، ما فيها شيء من الران ، ولا فيها شيء من العيب ، ولا فيها شيء مما يُخجِل أو مما يغيِّر .

---

(١) زام : يعني ساعة .

Scanned with CamScanner

أتانا بها شيوخنا ، وأتانا بها أهل « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » متداولة ..

يتداولها الإنسان عن أُمِّه أولاً في مهد الرضاع ، ثم يتداولها عن أبيه ، ثم يتداولها عن مربيته ، ثم يتداولها عن شيخه الذي أقرأه إياها . . ولا تزال تتداول .

وكلهم هـٰؤلاء متداولونها عن الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . فكل واحد أتته هـٰذه الدائرة ودخل فيها . . فلوالده فضل عمله ، ولأمه فضل عمله ، ولشيخه فضل عمله ، ولشيخ شيخه فضل عمله ، ولمن أحسن فيها فضل عمله ، ولمن عرَّفه إياها فضل عمله . . حتىٰ يصير ذلك الفضل كله ـ وحَسْب الإنسان نعمة إذا كتبت لك « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » ـ في صحائف محمد بن عبد الله .

ينادىٰ عليك ذلك اليوم ـ في اليوم الأعسر ، اليوم العظيم ، اليوم الطويل ، اليوم الكبير ـ ينادىٰ علىٰ فلان وفلان ، الذين شهدوا بالوحدانية لمولاهم بواسطة رسوله وكتبت في صحائف الرسول ، ولا يكتب في صحائف الرسول إلا البَر السعيد الموفق ومن أهل الإحسان ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال لكم خواص هـٰذه الدائرة ؛ لأنها هـٰذا تكون عن مثوبتها دائرة الإحسان .

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : فدائرة الإسلام هي : لا إلـٰه إلاَّ ٱلله محمد رسول الله . ويتفرع من تلك الدائرة الأوامر التي أمر بها ؛ وهي :

إقام الصلاة التي تصلونها .

وإيتاء الزكاة ، التي أرجو الله أنكم تزكونها وتؤدونها .

Scanned with CamScanner

ويدخل فيها كذلك هٰذا الصيام العظيم ، ثم يدخل فيها الحج الكبير .

ثم قالوا : يخرج من هٰذه الدائرة إلىٰ دائرة أوسع ، هي : دائرة الإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ ، وملائكته ، ورسله ، والإيمان بالقدر وبالقضاء خيره وشره .

كلها دوائر ، الأولىٰ ـ قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : هي دائرة ظاهرة يشوفها الإنسان ، يتكلم بالشهادة بلسانه حينما يقول : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله .

ثم يقيم الصلاة ـ دائرة ظاهرة ـ يكبر لله سبحانه وتعالىٰ ويدخل في حضرة عظيمة ؛ هي حضرة الله سبحانه وتعالىٰ ، فيصليها مستشعراً أنه عند ربه في تلك اللحظة وأنه مع ربه في تلك اللحظة ، فلا يشغله شاغل ، ولا يحركه طارق ، ولا يسمع نداء ولا يسمع حركة ، ولا يسمع شيء .

هٰذه هي الصلاة المقصودة الصحيحة ، التي كانوا يخبرون عن زين العابدين [1] ـ وكثير من أمثاله ـ أنه كان يوماً في المسجد يصلي فسقطت أسطوانة ، فارتج لها السوق ، وجاء أهل السوق فازدحموا في المسجد ؛ ليعرفوا ماذا حصل في المسجد ؟ فلما سلم من صلاته . قال : ما بال الناس في المسجد ؟

قالوا له : سقطت أسطوانة ، فهل شَعَرتَ بها ؟

---

(١) الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام المولود بالمدينة ٣٣ والمتوفى بها ٩٥ .

قال : لا !

هٰكذا الإنسان يكون مع ربه . وصورة مصغرة يدركها الإنسان : إذا دخل إلىٰ عند الملك . . هل يلتفت ؟ هل يتحرك ؟ إنما يضبط الكلام تضبيطاً كاملاً ، ويحضر حضوراً كاملاً ؛ حتىٰ يحظىٰ بالجائزة ، أو حتىٰ لا يطرد من المجلس .

فهٰذا ملك الملوك ، هٰذا الإلٰه الواحد ، هٰذا هو رب الملوك ، كل الملوك تحت قدمه ، كل الملوك عبيد له سبحانه وتعالىٰ ، ينبغي للإنسان أن يستشعر ، ومن استشعاره ـ قالوا ـ تنفلج الروح ، فتنفتح لها أبواب عظيمة في تلك العوالم تسعىٰ فيها ؛ لأن العوالم هٰذه عوالم عظيمة .

عوالم كبرياء الله ليست بقليلة : حينما يكبر ، عوالم الاستفتاح بالصلاة عوالم كبيرة ، عوالم الفاتحة التي يقرأها الإنسان ، يكفي أن الله أسماها : « السبع المثاني » ، ويكفي أن الله أسماها « أم القرآن » ، ويكفي أن الله استفتح بها كتابه ، وجعل أسرار الكتاب العظيم كله تنطوي في هٰذه الفاتحة التي يقرؤونها ما بين صلاة وصلاة ، وعبادة وعبادة ، وذكر وذكر ، ودعاء ودعاء .

أعطاكم الله إياها ، ثم أعطاكم الله إياها ممتناً بها علىٰ هٰذا الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . لتدركوا سر المنة التي أعطاه الله إياها ، يقول له : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ .

Scanned with CamScanner

يقول لمن ؟

ثم ما هي السبع المثاني ؟ أهي كلام هيِّن تمر علىٰ لسان الإنسان بلا استشعار ؟!

كل واحد كان من السابقين ـ رحمهم الله ـ إذا وصل إلىٰ البسملة . . أدرك أنها لا طريق ولا دخول ولا مفتاح إلا من طريق الاستعاذة بالله من الشيطان . ويدخل علىٰ الله من طريق الألوهية ، ومن طريق الرحمة ، الله ، الرحمـٰن ، الرحيم إذا قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ثم ، ومن أحق بالحمد من غيره ، وأحق بالثناء من غيره ؛ لأنه يقول : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ .

لاشك أنه يستحق الحمد . هو مستحق الحمد لا غير ، ومَن أُثني عليه بالحمد . . فإنما هو من التجوز ، الحمد الحقيقي لله .

ولا يصلح للإنسان ألا يحضر عندما يقول : الحمد لله . عليه أن يستشعر نعم العافية ، يستشعر نعم الهداية ، يستشعر نعم الدخول في الإسلام ، يستشعر الإدراك الذي أعطاه الله إياه لمعرفة هـٰذا الحمد ، ولمعرفة الحامد ، ولمعرفة المحمود ، ولمعرفة ذلك الثناء الذي أجراه الله في هـٰذه الفاتحة وقَدَر ينطق به ؛ لأنه لو لم ييسر الله القرآن لعباده ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ . . فمن يقدر يقرأه ؟ ما أحد يقدر يقرأ هـٰذا الكتاب العظيم ولا هـٰذا الكلام .

Scanned with CamScanner

كلام من هو ؟ ويرجع إلىٰ من ؟ وينسب إلىٰ من ؟

كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أينطق به ذو لسان عورة وعيوب ؟

أينطق به ذو لسان لحن ؟

أينطق به ذو لسان تتكلم دائماً بما لا يعني ؟ دائماً ملوثة بالنجاسة .

والنجاسة ما هي الأقذار هٰذه ، ولٰكن : مَن لَعَن . . فقد نجَّس لسانه ، ومَن سَبَّ . . فقد نجس لسانه ، ومن اغتاب . . فقد نجس لسانه ، ومن نَمَّ . . فقد نَجَّس لسانه ، ومن تكلم في عرض أخيه . . فقد نجس لسانه ، ومن تكلم فيما لا يعنيه . . فقد نجس لسانه .

لهٰذا قال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ في هٰذا الصيام الذي نحن فيه ، قال : « **فإن سابَّك أحد أو شاتمك . . فقل : اللهم إني صائم** » .

وفي هٰذا : إذا سابَّك أحد أو شاتمك . . قل له : أنا مسلم ، أسلمت وجهي لله ، معادنا معك ، إنني في عالم ثاني ، دخلت في رعاية كبرىٰ ، ولم أدخل في شيء من هٰذا السب أو الهذيان ، ولا في شيء من الأشياء التي لا تنبغي ولا تصلح أن يقولها الإنسان .

لهٰذا ، قالوا : أعطانا الله سبحانه وتعالىٰ صورة عن طهارة

Scanned with CamScanner

الظاهر ليطهر الإنسان الباطن ، مما مرت عليكم في هٰذا الشهر العظيم وفي قراءة الكتاب العزيز ، يخاطب به نبيه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ إلىٰ أن قال له : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ .

هل شيء رجس عند النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ؟ إنما هٰذا الخطاب لكم وتعليم لهٰذه الأمة ، هٰذا الحبيب طاهر مطهّر لا ينطق بشيء .

قال أهل الحديث ـ رحمهم الله ـ : إنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، خرج يصلح بين يهود ، وطال الحديث فيما بينهم ، وأرادوا أن يؤذوه ، وأرادوا أن يلقوا عليه حجرْ ، لما طال عليه الحديث. . قال لهم : « يا إخوة القردة » ـ وما تكلم إلا بما تكلم به القرآن . فقال له يهودي : ما عهدناك يا محمد سباباً . فأخذ يتحرك صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ويتصبب منه العرق من الكلمة التي قالها ، وهو لم يقل إلا ما حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عنهم : ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ ما جاء بشيء النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ من عنده ، لٰكن لسانه ما كانت تعرف الكلام البذيء أو ما شابه هٰذا الكلام ، كانت لسانه ـ كما قلنا ـ لسان طاهرة .

وكل واحد ينبغي له ، إذا كان يقول : أنا نبيِّي وأنا شيخي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم. . أن يطهر اللسان ، كما ينبغي له أن يطهر العين ، كما ينبغي له أن يطهر الأنف ، كما

Scanned with CamScanner

ينبغي له أن يطهر السمع ، كما ينبغي له أن يطهر الفرج ، كما ينبغي له أن يطهر البطن ، كما ينبغي له أن يطهر اليد ، كما ينبغي له أن يطهر الرجلين .

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ :

ولا تكتب بخطك غير شيء   يسرك في القيامة أن تراه

يتأنىٰ الإنسان في مثل هـٰذه الأشياء حتىٰ يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره ، قبل أن لا يقدر علىٰ الكلمة ، قبل أن لا يقدر علىٰ رد السيئة ، قبل أن لا يقدر علىٰ تعثر اللسان ؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ أكرمه بها لينتفع بها في عمله ، ولينتفع بها في مناجاة ربه ، ولينتفع بها كذلك في ذكر ربه ، ولينتفع بها في قراءة كتاب ربه ، ولينتفع بها مع أهله ، ولينتفع بها مع سائر الناس .

إنما النفع ينبغي أن يكون ـ كما قلنا ـ في حدود المعرفة ، وفي حدود الأخلاق ، وفي حدود الكرامة ، وفي حدود الإكرام ؛ حتىٰ يكون العبد مكرَّمْ ، حتىٰ يكون العبد محترمْ ، حتىٰ يكون العبد معظمْ ، حتىٰ يكون العبد بعيدْ عن الهفوات اللسانية والهفوات العينية والهفوات الأذنية ، لا يصل منها إليه شيء .

وقد مر علىٰ هـٰذا الطريق رجال تسلسل فيهم العلم ، وتسلسلت فيهم الهداية ، وتسلسلت فيهم الولاية ، حتىٰ رأينا الواحد منهم إذا قام يصلي . . يقف الطير علىٰ رأسه من شدة الحضور والخشوع مع الله ، لا يتحرك بتاتاً ، لا يمنة ولا يسرة ،

Scanned with CamScanner

فيحسبه الطير جماداً ، أسطوانة من الأسطوانات . وكان الكثير منهم مع قراءة الكتاب العزيز هٰذا ومع تدبره في هٰذا الكتاب العزيز يتململ ويتحرك ، ذاك لأنه كلام الله ، ليس من كلام البشر ، وليس مما يقوله البشر ، وليس مما يقدر عليه البشر .

فكان ينبغي للإنسان ـ كما ذكرنا ـ أن يراعي الأعضاء هٰذه ، ثم إذا قام بها في صلاته ـ كما أسلفنا القول ـ ينبغي له أن يقف موقف المتأدب ، الخاشع الخاضع ، الذليل المتواضع لربه سبحانه وتعالىٰ ، ثم ليتدبر ما يقرأ ويعرف سر تلك القراءة .

ثم ليتدبر خاصية الركوع ؛ فإن له خاصية .

خاصية الاعتدال ؛ فإنه له خاصية .

خاصية السجود ؛ فإن له خاصية .

خاصية الطمأنينة ؛ فإن لها خاصية .

خاصية الجلوس بين السجدتين ؛ فإن له خاصية .

خاصية القيام الثاني ، وقراءة الفاتحة .

ثم يتدبر كذلك القراءة الأخيرة ، التشهد الذي تقرؤونه فإنها ما جاءتكم عبثٌ ، جعلها الله سبحانه وتعالىٰ قبل ختم الصلاة بالسلام كمفتاح لدخول العبد ؛ ليستشعر العبد متىٰ عرج محمد صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الله ، وماذا قال لربه ، وماذا قال له؟

وعلىٰ أي صورة سلَّم عليه ؟

وعلىٰ أي صورة دخل في الحضرة ؟

Scanned with CamScanner

ثم ماذا قال له ربه ؟

جاء بها لكم وأوردها وذكرها في الصلاة .

لما وصل الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إلىٰ المرتبة التي لا تدانَىٰ ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ . رتبة فوق الرتب ، لَمَّا وصلها وصلها وهو فَرِحٌ مغتبط بارد الجأش ؛ لأنه هو من تلك الأنوار ومن ذلك المكان . . ماذا قال لربه ؟ ألهمه ربه في تلك اللحظة بدلاً من أن يُخذَل ، بدلاً من أن لا تجرؤ لسانه ، بدل من أن تتلعثم لسانه كشأن الناس الذين يدخلون عند الملوك إذا ما صَلَّح الكلام وتَحَفَّظه عدة مرات ومرات ومرات ، حتىٰ يدخل وهو مضبِّط قوله ، فجأة تلعثمت لسانه ؛ لأنه في موقف من المواقف الكبيرة في الدنيا .

هـٰذا الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم اطمأن في ذلك الموقف ، وخاطب ربه بقوله : « **التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله** » فإذا الحضرة الأحدية تناديه وتقول له : « **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته** » .

يستشعر الإنسان أنه دخل في حضرة ربه حينما يقول : الله أكبر . فليستشعر في تلك الحضرة ما جرىٰ حتىٰ يدخل ، حتىٰ يحتسب له شيء ، حتىٰ يكون مع أهل اليمين ، حتىٰ يكون من السابقين ، حتىٰ يكون من المقربين . ألم تقرؤوا : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ؟! وتقرؤون ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى ﴾ . كونوا

[اللهم اجعلنا منهم]

Scanned with CamScanner

من أهل الاصطفاء . لَمْ يصطفي أهل الرسالة فقط ، ولا أهل النبوة فقط .

نعم اصطفاهم ، واصطفىٰ أيضاً أولياء : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . ادخلوا في درجة الاصطفاء ، وإذا دخلتوا في تلك الدرجة . . دخلتوا في ضيافة الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، فاستشعروا حضوره عند ربه ، وباستشعاركم سلوا في تلك اللحظة أن ينفتح لكم باب إلىٰ ذلك العالَم ، تأخذون من ذلك العالِم ما يناسب وما تقدرون عليه ، وما تتوصلون إليه ، وما يؤذَن لكم بالفهم فيه ، وما يؤذَن لكم بالعلم فيه .

هٰذا فائدة الدخول في الدائرة العظيمة التي استفتحنا الكلام بها .

ثم ـ كما ذكرنا ـ يكون الغيب كما قال الإمام الحداد رحمه الله لما ذكر درجاتهم ، قال :

والغيب عندي صار كالشهادهْ .

وهٰذا ما هو ببعيد ، قال لكم الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » من ذلك النظر : ما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأىٰ جيش سارية في (الشام) وهو في (المدينة) فكان يكلمه ، وقال له : يا سارية . . الجبل .

Scanned with CamScanner

طوىٰ الله له المسافة الطويلة هـٰذه ، وانطوت له ؛ لأن عنده هـٰذا النور . والنور ما هو مخصوص بعمر ، ولا هو مخصوص بأصحاب رسول الله! كل واحد بغىٰ قِسْمه من النور.. متيسر له ، سَلُوه من ربكم واطلبوه ، واحضروا مع الله سبحانه وتعالىٰ ينور البصائر .

وقد شفنا نحن بأعيننا هـٰذه الشحمية رجال ممن يشاهدون هـٰكذا ، لا توجد عندهم المسافة ، تنطوي لهم تلك المسافات فيشاهدون بالعيون الداخلية هـٰذه ـ مشيراً إلىٰ قلبه ويعني به : عين البصيرة ـ ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال في الحديث القدسي : « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه ، فإذا أحببتُه .. كنت سمعَه الذي يسمع به » ثم قال : « وبصرَه الذي يُبصِر به » .

وهل معنىٰ ذلك أن الله يدخل في بصر الإنسان ، أو بايدخل في الأذن ؟! ولـٰكنه يعطيه من ذلك النور ، يعطيه من تلك القوة ، أو يعطيه القوة ، تلك القوة ، وهـٰذه القوة هي التي تعين القائم في صلاته الطويلة علىٰ الصلاة فيستريح بها .

كان الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لما كان يطيل الصلاة ـ فيما يرويه لكم « البخاري » و« مسلم » والصحاح ـ كان من خبره أنه قام حتىٰ وَرِمت قدماه ، فلما وَرِمت قدماه.. أشفقت عليه السيدة عائشة ـ رحمها الله ـ قالت له : أَوَ تفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ؟!

إذاً عليكم مسؤولية الشكر لهـٰذه النعم ، عليكم مسؤولية الدخول في هـٰذه النعمة وفي هـٰذا العطاء .

Scanned with CamScanner

دعوات من سيدي في خواتيم رمضان
بالمسجد النبوي الشريف عام (١٤٠٥هـ)

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

اللهم كما وفقتنا للصيام فاجعلنا ـ يا مولانا ـ ممن يأخذ الجائزة بيده ، وأكرمنا في هٰذه الساعة بقبول صيامنا ، وقبول ـ إن شاء الله ـ أعمالنا ، وقبول صلاتنا .

اللهم اجعلنا من عتقائك من النار .

اللهم أعتقنا من النار .

اللهم لا تخرجنا من هٰذه الليلة الكريمة ـ إذا ظهرت لنا عيد رمضان فيها ـ إلا وقد غفرتَ لنا ذنوبنا ، وسترتَ لنا عيوبنا ، وكشفت لنا كروبنا ، وآتيتنا سؤلنا ، وجعلتنا ممن أدرك ليلة قدره ، وممن أدرك لياليه فكان له بها أجراً عظيماً ، وكان له عند الله منزلة عظمىٰ .

اللهم أكرمنا فإنك مُكْرِم .

اللهم إنا نسألك ونستغفرك ، ونسألك يا مولانا إلا ما رضيت عنا ، ورضيت عن والدينا وأكرمتهم في قبورهم بـ« لا إلٰه إلاَّ ٱلله » وأكرمتهم ـ يا رب ـ بالتوسعة فيها .

اللهم أكرمنا وأكرمهم ، وارحمنا وارحمهم ، واجعلنا من أهل « لا إلٰه إلاَّ ٱلله » .

Scanned with CamScanner

أعد علينا ما فات من رمضان ، واجعلها سنين في سنين ، في قبول وإقبال ، في خيرات في مسرات ، في محبات ، في رضا وفي عطاء وفي رحمة .

أكرمنا اللهم بهـٰذه الرحمة ، واجعلنا أهلاً لرحمتك ؛ فإن رحمتك - يا مولانا - واسعة . فإن كانت رحمتك للتائبين . . فاكتبنا من التائبين ، وإن كانت رحمتك للمنيبين . . فأدخلنا دائرة المنيبين ، وإن كانت رحمتك لغيرهم . . فالعاصين أحق بها .

اللهم نحن المذنبون ، اللهم نحن المقصرون اللهم نحن المسيؤون ، اللهم نحن الذين غلبت علينا شقوتنا . . فرُدَّنا إليك مرداً جميلاً ، وٱقبَلْنا علىٰ ما فينا ، وتب علينا توبة نصوحاً .

واختم ليلتنا هـٰذه في رمضان بخير ليلة ، واجعلها - يا رب - من ليالي رضاك وعطاك علينا أجمعين ، وعلىٰ أهل هـٰذا المسجد ، وعلىٰ أهل هـٰذه البلدة ، وعلىٰ أهل « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » .

اللهم رحمتك أوسع من ذنوبنا ، اللهم رحمتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا . ما معنا أعمال يا رب ، ما لنا إلا انتظار الرحمة .

اللهم رحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا [ومغفرتك أوسع من ذنوبنا] .

اللهم لا تتركنا في هـٰذه الساعة الشريفة من الرحمة ، تب علىٰ مسيئنا وعلىٰ مقصرنا وعلىٰ مسرفنا ، وأدخلنا في بركة المحسنين ، وعافنا من البلاء ، واجعلها توبة صادقة لا نَكْث

Scanned with CamScanner

بعدها ، اقلِبْنا فيها إلىٰ الخير ، واجعلنا فيها من أهل الخير ، وعاملنا فيها معاملتك لأهل الخير .

اللهم وأنزل علينا ماء الرحمة حتىٰ تبرد قلوبنا به ، وأنزل علينا بساط المغفرة حتىٰ نطمئن إلىٰ مغفرتك ورضوانك ، واجعلنا ـ يا رب ـ ممن ظهرت له الإشارة ، وآتنا ـ يا ربنا ـ كتبنا بأيماننا ، وأعطنا جوائز رمضان ؛ فإنك ترسل في هـٰذه الليلة ملائكة في كَبْكَبَة[1] فيمشون في الأسواق وفي الطرقات وفي المساجد ، يبثون الجوائز ويأخذها أهلها .

اللهم اجعلنا من أهل الجوائز .

اللهم عاملنا باللطف .

اللهم عاملنا بالرضا .

اللهم عاملنا بالحفظ .

اللهم ارحمنا واحفظنا ، وتب علينا وتولنا ، وكن لنا وكن معنا ، واجعلنا ـ يا رب ـ من المحفوظين من آفات الدنيا .

اللهم وأصلح بلاد الإسلام ، وأصلح سلطان الإسلام ، واحفظ الحرمين الشريفين من أن يصيبها ضرر . واحفظ لها ـ إن شاء الله ـ دولتها .

واحفظِ اللهم لنا ـ يا رب ـ ما أكرمتنا به من هـٰذا الأمان ، واحفظِ اللهم ـ يا رب ـ ما خصصتنا به من النعم واجعلها

---

(١) أي : كوكبة ومواكب .

Scanned with CamScanner

مستَدِرَّة ، واجعلها دائمة ، وانشرها علىٰ أهل « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله »
فإنهم كلهم ينتسبون إليها ، وهي كلمتك النافعة الجامعة التي
جعلت الطريق والدخول بها ومنها ، في خير ولطف وعافية .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة بمنزل أخينا طه بن محمد بن طه السقاف بـ(جدة) في اليوم الثاني من ذي القعدة ، عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة (١٤٠٥/١١/٢هـ) الموافق التاسع عشر من يوليو ، عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (١٩٨٥/٧/١٩م) .

وقد استُفتِحت الجلسة بقراءة في الفقه ، في باب الضمان من كتاب « الياقوت النفيس » ومن تقرير أستاذنا وشيخنا الوالد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري .

وبعد القراءة قرأ أخونا محمد بن علوي بن عبد الله السقاف[1] في كلام الحبيب محسن بن علوي السقاف ، وكان موضوع الكلام في ذم العوائد ومضارها . وجعل سيدي موضوع كلمته تعقيباً علىٰ كلام الحبيب محسن بن علوي .

ثم أنشد الأخ علوي بن عبيد بن حسن الكاف قصيدة الحبيب علي الحبشي :

ليلة صفا قد صفت معنا   في وادي النور والخيرات

بعد ذلك تكلم سيدي ، وقال :

الحبيب محسن ـ رحمه الله ـ لا يزال يتكلم في ذم العوائد والعادات ، وكل من يلقي نظرة إلىٰ ما قبل عشرين سنة وعشر

---

(١) توفي بجدة سنة (١٤١٠ هـ) رحمه الله .

Scanned with CamScanner

سنين. . وجد الناس لا يزالون يتسعون فيها . والعوائد في أيام الحبيب محسن كم تكون ؟ إذا فكر الإنسان بالنسبة للزمان هٰذاك. . كلها لا تكون شيء ؛ لأنهم رتبوا أمورهم علىٰ الاقتصاد ، ومشوا علىٰ الاقتصاد ، ومشوا علىٰ هٰذا الطريق ، وجعلوا ديدنهم العلم وكلام أهل العقل .

ونحن لا نزال ننبه بأن العوائد لا تزال في تفشي وبكثرة ، ولا تزال تزداد ، وكلٌّ يبغَىٰ أكثر من الثاني ، وكل واحد يسمع بشيء من العادات التي تأتي من الخارج ـ أو تكون مثلاً عند أهل البلد وليست عندنا ـ يريد أن يمثِّلها لنا ويقوم بها حتىٰ يظهر بكلام النساء ، وما النساء بحجة ليشهدن علىٰ الإنسان بالفضل! الكلام كلام العقل .

الذي قَصَر علىٰ الناس : أنه ينبغي لهم أن يدرسوا السيرة المتقدمة دراسة وافية وواعية ، ومن تلك الدراسة يأخذون تجارب في الحياة من السابقين هٰؤلاء .

ذا الحين ، هٰؤلاء السابقون كانوا علىٰ جانب من الاقتصاد كبير جم . وكان فيهم المستور ، وكان فيهم الموسع عليه ، وكان فيهم المُقِل كما هو شأن الناس . ولٰكن المستور والموسع عليه والمقل جميعاً سَيْرهم في عوائدهم كلها واحدة ؛ كانوا يبنون أمورهم علىٰ الاقتصاد الكامل ، ومن بركة الاقتصاد حصلت البركة لهم .

ونحن لا نزال دائماً نحذركم ـ يا إخواني ـ ؛ لأن الأمور

تتفشىٰ ، ولا تزال تظهر الأمور بصورة أبشع مما كانت ، كل يوم يظهر لنا شيء من العادات .

ثم لا نزال نخبركم ونقول لكم : إنكم كلكم طلعتم من بلدانكم فقراء ، دعاكم إلىٰ البلاد هـٰذه الاسترزاق فهل يكون لواحد دعاه الاسترزاق أن يبذر فيما بعد ؟

اللائق للواحد ـ كما قلنا ـ أن يدرس السير المتقدمة ، ومن دراسته أن يوَعِّي نساءه .

مشكلة المشاكل أن البيوت ظلمات بعضها فوق بعض! يأتي الإنسان إلىٰ بيته من عمله مرهق ومتعب معاد يقدر إلا أن يشرب له فنجانْ من الشاي ، أو يأخذ له شيْءْ من تيسير الكفاف هـٰذا ، وبعد ما يأخذه يضع رأسه علىٰ الفراش ، أو يجلس مع أولاده جلسة وهو متعب ويستريح فيما بعدها .

إذا أخذ له الإنسان راحة خمس دقائق عشر دقائق يَدْرس سِيَر المتقدمين ، يدرس أحوال المتقدمين .

كانوا يذكرون لنا عن الحبيب شيخ بن عبد الرحمـٰن الكاف ـ هـٰذا الشهير الكبير أغنىٰ واحد يوجد حضرمي علىٰ الإطلاق في (حضرموت) ـ جاء إلىٰ (سيئون) وحضر وليمة ضيافة ، والوليمة هـٰذه كانوا قد أتوا لها بطباخ ، وكم يكون الطباخ هـٰذا ؟ . . ماذا سيطبخ لهم ؟ بايطبخ لهم رز ولحم .

وبعد ، قالوا له : هل رأيت الطباخ ؟

Scanned with CamScanner

قال لهم : نعم ، هٰذا طباخ جيد ، ولٰكن تريدوا رأيي فيه ؟

قالوا له : نعم .

قال لهم : اجمعوا له معونة وسفِّروه من بلادكم ؛ لأنه با يسفِّر كثيرْ منكم .

هٰذا رأي سديد ، رأي عاقل ، رأي واحد ما هو محتاج إلىٰ الرأي ، واحد غني كبير ، واحد مليء كبير . ومثلها يذكرون أنهم كانوا إذا جاءهم ضيف. . لا يُعزَم إلا بالليل ، وبالليل يشترون شيْءْ من اللحم ، واللحم يشترونه إلا علىٰ قدر الحاجة ما شيء تبذير فيه .

فذُكِر للحبيب شيخ هٰذا أنه واحد جاء منهم هٰؤلاء الذين كانوا يعتادون ذبح الغنم وسلخها بالنهار ، قال : هٰذا بايسفِّر الناس، كيف يذبح بالنهار ؟ بايعطل عادة علينا معروفة في (تريم)!

وذا الحين نحن أين من (تريم) و(سيئون) ؟ نحن آفاقيين كلنا ، كلنا غرباء ، وكلنا بعيدين عن البلاد ، كلنا بعيدين عن أهلنا ، كلنا بعيدين عن أهلنا وعن عاداتهم ، كلنا بعيدين . أفيكون لواحد ما يُعرَف في البلد هٰذا أن يظهر بالفخفخة ؟

وكم تكون الفخفخة هٰذه ؟

ثم كم تكون التجارة التي معنا ، إذا قلنا بأننا نتجر ، أو قلنا بأننا نمشي في أشغال ؟ هٰؤلاء أهل المظاهر الكبيرة ، وأهل الفخفخة ، وأهل الملايين ومن علىٰ شاكلتهم ما لهم شيء من العادات هٰذه .

Scanned with CamScanner

كثيراً ما أذكر لكم عن سراج كعكي . هٰذا صاحبي ، عنده سبع بنات ، كلهن زوَّجهن من غير سهرة ، واحدة عمل لها سهرة وطلع إلىٰ عندي ، وقال لي : بغيتك تعقد بالبنت هٰذه وأنت تتولىٰ العقد .

قلت له : أنا العشاء لا أجلس له ؛ لأنه يتأخر .

قال : يكفي إذا عقدت .

فعقدت وخرجت ، وخرج يودعنا ، فقال لي : هٰذا محل السهرة . ورَوَّانا الكرسي حق المقَنْبِسة ـ أي : المطربة ـ

قال لي : هٰذه المطربة .

ما أدري يقول هو ذلك الوقت أنها تأخذ اثني عشر ألف ، أو أربعة عشر ألف ؟ هٰذا واحد قادر علىٰ ذلك ، لٰكن مثلنا نحن هلا كانت عاداتنا سائدة ؟ ثم ذا الحين السَّرَف الكثير ، الواحد منا يعمل الكثير من الطعام ويسرف في نعمة الله ، وبعد يتركه .

اليوم بوبكر مشهور ـ بارك الله فيه ـ تكلم في خطبة الجمعة علىٰ السَّرَف ، وأورد أحاديث كثيرة رواها عن « البخاري » وعن « رياض الصالحين » ورواها عن الإمام مسلم بن الحجاج ، ورواها عن كثير من العلماء . فالسرف طريق لإزالة النعمة وإبدالها بنقمة ـ والعياذ بالله ـ كما حصل في كثير منهم لهٰؤلاء المسرفين ، ليس أنه لم يحصل .

التاريخ ـ كما قلنا لكم ـ إذا قرأتوا السير . . باتشوفون ما يحصل في التاريخ لهٰؤلاء أمثال أهل النقمة ، جاءتهم نقمة ،

Scanned with CamScanner

انتقم الله منهم سبحانه وتعالىٰ بأيسر ما يكون ، ولا تخفىٰ علىٰ أي إنسان هـٰذه الأمور . والإنسان بعد ما يقول الله له : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ . وأنا لكثرة تجاربي في هـٰذه البلاد كثير منهم يمرَضُون ممن له راتب الأربعة الألف أو الثلاثة الألف أو الخمسة الألف أو كما ذلك ، فإذا مرض . . ما حصلوا له معالج! جاء إليَّ يقول : هيا انتبهوا مننا ، دخلوني مستشفىٰ وهاتوا لي معونة . يجيء أقرب واحد إليه ، ويقول : هاتوا لنا ، قرِّبوا لنا ، مسكين حالته ضعيفة .

ما هو مسكين لو اقتصد ، واحد يحصل علىٰ راتب الثلاثة الألف . . هل هـٰذا مسكين ؟ ما هو مسكين . والذي يحصل أربعة ألف . . هل هـٰذا مسكين . ما هو مسكين ، إنما هو أنزل نفسه درجة المسكين الذي يتكلمون عليه أهل الفقه ؛ لأنه صيَّر دخله هـٰذا أنه ما يكفي لنفقته الشهرية ، كما قال صاحب الزبد قال :

فقيرُنا ٱلْعادمُ المسكينُ لَهْ ما يقع الموقعَ دون تكملهْ

ما يقدر يسد نفسه ، محتاج إلىٰ ثلاثة ألف ، فكان يصرف ـ مثلاً ـ أكثر منها ، أو ما يقدر علىٰ إيجاد الثلاثة ألف فيستدين الباقي ، ما شيء ترتيب!

والرجاء ـ يا إخواني ـ دائماً أنكم تدركون هـٰذه الأمور ، وإدراك هـٰذا قد يكون من الصعب علىٰ كل واحد ، إنما طريقته إذا وعىٰ هو أن يقرأ لنسائه ، أن يذكِّر نساءه ، أن يعلِّم نساءه .

وفي كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي ـ وكان الزمان غير

Scanned with CamScanner

زمان اليوم - ذُكِر له أن اثنتين من النساء هٰكذا ، أردن أن يغيرن شيئ من العادات بمظهر فخفخة أو شيء من هٰذا ، قالوا : فجاء إليه الحبيب عبد القادر بن قطبان[1] - أو واحد منهم الصالحين هٰؤلاء - قال له : أنا رأيت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يقول لي : سَلِّم علىٰ علي حبشي وقل له : إن فلانة وفلانة غير راضي عليهن النبي .

هٰذا لما وُجِد الرجل الصالح الذي كانت له صلة بالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . وبطبيعة الحال لسنا محتاجين لرؤيا ، واحد هٰكذا يتبع النساء ، ويتبع العادات السيئة ، يتبع الأمور التي ما تحتها طائل ، والتي ما تعود علىٰ الإنسان بخير ، ولا تعود علىٰ الإنسان بمنفعة .

ذا الحين ، هٰؤلاء يُذكَرون بأي شيء ؟ هٰؤلاء أهل السهرات وأهل المصارف التي يصرفونها فيما لا يقدرون عليه ، هل يُذكَرون بالخير هٰؤلاء ؟ حتىٰ الذكر في الزمان هٰذا ما يُذكَرون فيه إلا بالسفه ، كلهم يتكلمون عليه إذا قالوا : عمل سهرة في مكان الفلاني وصرف عليها كذا وكذا ، هٰذا سفيه ، معاد في ذلك كلام .

كان عندي فيما قبل أربع أيام بَالخيور واحد من أصحابي معروف ، يمكن تعرفونه كلكم بايزوج ولده علىٰ بنت الحريري ، واحد من أصحابي كذلك . شرط عليه الحريري أن يلَقِّي السهرة

---

(١) الحبيب عبد القادر بن أحمد بن محمد بن قطبان السقاف المولود سنة ١٢٥٥ والمتوفى بسيون ١٢ صفر ١٣٣١ .

Scanned with CamScanner

في الفندق ، ما أدري أي من الفنادق ؟

قلنا له : وكم يا بوبكر بايكلف الفندق ؟

قال : يبغىٰ خمسة وأربعين ألف مني ، وخمسة وأربعين ألف منه .

قلنا له : تريد الخير والبركة ، أو تريد أنت الكلام هـٰذا ؟

قال لي : أريد الخير والبركة .

قلت له : قم كلم صاحبك بالتلفون ذا الحين ، وقل له : أنا موجود عند السيد عبد القادر السقاف ، والسيد يقول : هـٰذه الألفة والزواج هـٰذا ما بايكون فيه بركة ، إذا بغيت البركة . . زوِّجوهم علىٰ عادات تقدرون عليها . وهـٰذه الفنادق وتكاليفها لماذا ؟ ما هـٰذا الكلام ؟ هـٰذا سفه ، جعل الله لكم شيءً من البصيرة .

فقال لي : وهو كذلك . قام بوبكر كلمه ، أخذت التلفون وكلمته ، وقلنا له : إن بوبكر بَالخيور قال لي كذا وكذا ، هل هـٰذا صحيح ؟

قال لي : صحيح .

قلنا له : أنت بغيت بنتك تعيش مع زوجها وتكون أم أولاده وماله ، أو لا ؟

قال لي : معاد فيه كلام ، وهل أنا بغيته يردها لي من ثاني يوم ، والا يردها من ثالث يوم ؟

قلنا له : إذا بغيت العِيشة الطيبة . . امش كما ما مشىٰ عليه مَن

Scanned with CamScanner

قبلك ، امش علىٰ الطريق السوي ، هـٰذه الخمسة والأربعين ألف أنتم محتاجين لها في أعمالكم الخاصة . ذا الحين أنتم محتاجين لها وليس الفندق ، يبيت واحد من أهل الفندق يغني لكم . . حتىٰ العَشاء تقوم منه النفس .

اذهب إلىٰ عند صاحبك وقل له : لا نريد الفندق .

قال : كيف ؟

قلنا له : هناك أحواش موجودة ، هناك المساكن موجودة ، هناك الأماكن الأخرىٰ موجودة ، وأشياء تكون في المعقول ، والسفه هـٰذا الذي يجري في غير مجراه ما له حاجة .

قال : إن شاء الله بانشوف الخبر .

قلنا لبوبكر : إذا لَم توافق علىٰ هـٰذا . . إذاً لا تجيء إلىٰ عندي ، إذا لم تسمع كلامي لماذا تجيء إلىٰ عندي ؟

قال لي : قل غيرها .

قلنا : هو هـٰذا ، ما لها غير هـٰذا قط ، هـٰذه هي الكلمة انتبه بنفسك ، وصاحبك كذلك سأقول له هـٰذا الكلام ، إذا ما وافق علىٰ هـٰذا الكلام . . لعاد يجيء عندي .

ماذا أصنع بكم ؟ معاد شيء فائدة منكم .

هـٰذا بالنسبة لناس عندهم شيء من المقدرة ، كلهم ـ ذا الحين نحن وكلكم ـ موظفين ، كلكم راجعين سارحين ضاويين تشتكون من وظائفكم ، تشتكون من الذي استوظفكم ، تشتكون

من الذي استخدمكم ، تشتكون منها أشغالكم ، تشتكون وتعطون فلوسكم النار! تشتكون بها وتعطونها العار ، تشتكون بها وتضيع عليكم فيما لا طائل تحته! عاداتكم ما أحسن منها ولا أليق منها ، ولا أكرم منها ولا أشرف منها .

أما في الفندق تعرضون نساءكم ؟

أيرضىٰ الكريم يعرض زوجته تخرج وعليها اللباس وعليها المظهر ، وعليها الشارة وعليها البشاشة ، وفيها عطرها وفيها ترتيبها يقدمها لخدامين الفندق ؟! يقدمها للقائمين علىٰ الأبواب ، يقدمها أمام السرج القوية المضيئة هٰذه حتىٰ تظهر ما عليهم من زينة! عاد شيء كرامة في الناس ؟ عاد شيء نعرة تأخذ الإنسان ؟

انتبهوا ـ يا إخواني ـ ارجعوا إلىٰ الطريقة التي جئتم منها من البلاد عليها ، زواج تقدرون عليه وتمشون عليه ، وعادة تقدرون عليها وتمشون عليها ، وكل واحد ـ كما يقولون ـ لا يتجاوز حده ، يمشي في الحد المعروف له ، وإذا مشىٰ في الحد المعروف له . . نظر إليه الله سبحانه وتعالىٰ ورضي عنه ، ونظر إليه مَن قَبْله ومن معه ومن عنده من العقلاء ورضوا عنه ، وكانت ألسنة الناس تثني عليه بالكلام الطيب أكثر من ألسنة الناس عليه بالكلام الغير الطيب .

حتىٰ لا يطول المجلس : الله الله ـ يا إخواني ـ هٰذا كلام الحبيب محسن محرِّك .

وكان لكلامه ـ حفظه الله ـ أثر علىٰ القلوب ، فقال له أستاذنا وشيخنا محمد بن أحمد بن عمر الشاطري : يا خير كلام ، كله جميل ومؤثر ، لكن! بانتجرأ عليكم ، أنا بغيتكم تعملون لهم كما قصة بَالخيور ، كل من عنده زواج . تقول له : لا يجيء عندي ولا با اعقد له ، وتعطيهم إنذارْ من قبل .

فقال سيدي وهو يبتسم : لو الفكرة جاءت من قبل ، ولكن! هـٰذا خبركم ، لا حد يجيء عندي ، هكذا أقَرِّره عليكم .

قال الشاطري : المسألة تتطلب إلىٰ عمل .

ثم تكلم حبيبنا وشيخنا الوالد عبد القادر بن سالم الرُّوِش ، وقال : كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر الذي نقله [ابن][1] الشيخ أبو بكر الذي جلس عنده ، قال : من أبطل عادة أضرت بالناس . . لهي أفضل من أن يتصدق عليهم بما تصدق به ؛ لأنه بايقطع جذر العادة الخبيثة التي باتُوقِـع الناس في الإثم والحرام والخروج عن الطريق السوي .

ثم قال أستاذنا الشاطري : هناك الحديث يقول : « إنكم تتهافتون في النار ، وإني لآخذ بحجزكم » هي المسألة تتطلب عمل . أمثال هـٰؤلاء يريدون شيْء عمليْ ؛ لأن إذا ما فيه قوة إرادة . . كل واحد يتأخر ، يتقهقر ، ما يحزم ويقول : هيا أنا سأبدأ ولا أبالي .

---

(١) وهو جامع كلام الحبيب عبد الله : السيد مهدي بن محسن الحامد المتوفي بأجور ترجمته في لوامع النور للمشهور .

والأحسن : شكّلوا لهم لجنة تدرس الموضوع منهم ، من العقلاء ؛ مثل محمد بن علوي ، وكما حسن بن عبد الله ، وعلي بن عبد الله . انظروا ما هي الطريقة .

ثم قال سيدي : هـٰذا عبد القادر الرَّوِش . ماذا عمل الرَّوِش ؟

كان عمي علوي بن عبد الله السقاف يعاتب علىٰ مساري الليل للنساء أثناء الزواج ، وصادف أن حَصَل منها الأشياء المرعبة ، فجاء للرَّوِش قبل زواج بنته ـ وموجودة بنت الروش ـ قال له : بغينا القبضة تكون العصر .

ثم قال حبيبنا وشيخنا عبد القادر الروش : إن عمي علوي ما قصدني ، إنما تكلم وقال : تباعدت الديار ، وفي الديار غير أهلها ، ويخرجن النساء معطرات ، ونحن خائفين وبغينا الحِكَا ـ علىٰ قولهم القبضة ـ تتقدم وتكون عشية . وكان بعدها زواج آل مساوىٰ ـ الله يرضىٰ علىٰ مساوىٰ ـ تقدَّم زواجهم وعملوه علىٰ العادة ، لكنني عملت الحِكَا حق بنتي عشية ، وكنت أول واحد يبدأ ، وكان بيني وبين والدتي خصام إلىٰ يوم العزام وأنا أتلطف بها ، وأقول لها : سيكون لك ثواب ، وسيكون ، وسيكون . .

وقلنا للعَزَّامة : قولي للناس : انتبهوا أن القبضة عشية ، ومَشَّيت ، وأنا عندي واقعة في الأيام هـٰذه ، أنا عندي بنت واقعة في الأيام هـٰذه .

أنا عندي بنت ، وجاءنا إنسان طيب ويرغب فيها ، قلنا : يا خير شور . وشفته ما يبغىٰ شِيْ كُثْر كلام ، قلنا له : ما نبغَىٰ كُثْر كلام .

قال : بألف .

قلنا له : مد يدك . وجِبْنَا الأذن منها ؛ لأنها تحتاج إلىٰ أذن ، فجبنا بالإذن وزوجناه ، وقلنا له : متىٰ تريد تدخل علىٰ زوجتك؟ العقد معك ، وأنا مسافر ، والله معكم . هٰذا الواقع .

قال أستاذنا الشاطري : ما شاء الله! يا خير ، هو كله هٰذا زين جميل .

ثم قال سيدي : هٰذا بغيناه نموذج للإخوان . ذا الحين بغينا الناس كلهم يمشون عليه ، بغيناهم يفكرون ، وكما قال لكم الأخ محمد : ارجعوا إلىٰ عدد من عقلائكم . ونظراً إلىٰ ضيق منازلكم يمكنكم تحصِّلون منازل بها سطوح وفيه أحواش ، وأغلب العمائر لهن سطوح .

ثم قال أستاذنا الشاطري : المنكر العظيم ـ كما ذكرتوا ـ النساء وخروجهن آخر الليل ، وهناك طرب وعاده ، ومباهاة عادهن في الأثواب ، كل واحدة بغت كم ثمن ثوبها ولا يمكن إلا مرة واحدة تلبسه ، كله سفه!

وقال الحبيب عبد القادر الرَّوِش : وهناك عادة أخرىٰ قد لا تفهمونها :

كم من مصور يصور ، وكم من آلة تأخذ الصور ؟ وإن هناك التصوير بآلة الفيديو ، غَلَّق الحياء ؛ لأنها آلة متحركة .

واسترسل أستاذنا الشاطري . . قائلاً : أنا كذلك ألاحظ مسألة

Scanned with CamScanner

اللبس هٰذا! البنات الصغار أَلَّفوهن من صغرهن أن الثوب إلىٰ عند الركبة وهي صغيرة ، فتألف هٰذا ويصير عادة عندها ، وتكبر وترىٰ هٰذا شيءٌ عاديٌ . لا . . هٰذا كذلك يحتاج إلىٰ نظر .

فقال حبيبنا عبد القادر الروش : إنهم عكسوا القضية ، الأولاد يعملون لهم قمصان إلىٰ هنا ـ وإشار إلىٰ كعبيه ـ كما الغربيين ، المرأة الغربية هٰكذا ، والنساء بالعكس .

ثم قال أحد الحاضرين : ومن العادات السيئة أنهم يؤلفون الطفل الصغير عند الوداع علىٰ كلمة : باي باي ، بدل من : مع السلامة ، أو : في أمان الله .

فعلق أستاذنا الشاطري علىٰ هٰذه الملاحظة قائلاً .

قالوا : الأمة الضعيفة الذليلة تتشبه بالأمة القوية . قالوا : حتىٰ أن الفُرُس لما فتحوا العرب بلاد الفُرُس. . صار الفارسي يتمرغ ويجلس في الشمس مدة ؛ لأجل يَسْمَرّ ، يكون بدنه مثل العربي ، لما أن العرب فتحوا بلادهم وتفوقوا عليهم . وذا الحين! تقاليد الأجانب طغت علينا .

ثم قال سيدي ـ حفظه الله ـ : حبذا ما ذكره لكم الأخ محمد أنها تقام لجنة ، اختاروا في الحين أعضاء لهٰذه اللجنة .

وقال لهم سيدي : انتبهوا وأعطوا الأشياء حقها ، ونحن عندكم ونحن بجنبكم ، إنما هٰذا الكلام رتبوه واجتمعوا لهٰذا ، وسوف تثابون عليه وتحفظون إخوانكم من التهافت هٰذا الذي

Scanned with CamScanner

يضرهم « إنكم لتتهافتون في النار » - كما جاء بالحديث الأخ محمد - هـٰذه نار محرقة معاد فيها كلام .

وكثير أنا ما أقول لكم : إن الأمور هـٰذه كلكم يعرفها ، جُرِّبَت أموركم إلا من شذ .

هـٰذا هو الواقع ، إن الإنسان إذا نابته النائبة بمرض أو ما شابه ذلك . . تعب في نفسه ، خصوصاً مع وجود المستشفيات المرهِقة الغالية . والطب - أي العلاج - الكثير يخرج الواحد منها مديون .

أمس واحد جاءنا ، قال لي : مرضت - أو قال : مرضت زوجتي ، أو أختي ، ما أذكر - ثم قال : أدخلتها مستشفىٰ (فقيه) وذا الحين أنا مربوط بالمستشفىٰ بسبعة وعشرين ألف .

قلت له : اقعد واسترح هناك .

هـٰذا كلام! هـٰذا مربوط بسبعة وعشرين ألفاً ، معاد فيه كلام أنه ما يقدر وصعب عليه ؛ لأنه مسكين ما معه إلا هـٰذا الدخل المحدود ، ودخله يذهب في المصاريف . والإنسان ، كما قال الله ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ .

ذا الحين رتبوا لكم وقت ، واتفقوا للجلوس لهـٰذا ، وتناصحوا مع إخوانكم ، وكل من بايزوج . . تعطونه علىٰ قدر حاله . أعرف أنا أن الشقق ضيقة علىٰ الناس ، فمن عنده في بيته سطح فيه سعة . . يكفي ، ما عنده سطوح في بيته إذا اقتضىٰ الأمر أنه يستأجر . . فليستأجر ما يناسب ، فليستأجر ما يقدر عليه .

ثم قال أستاذنا الشاطري : إنما الفنادق هـٰذه ، وأما الفنادق

Scanned with CamScanner

يبعدون عنها . علىٰ كل حال : كونوا مع الحبيب محسن في هٰذه الليلة ، سيروا بسيره .

وكذلك : أرجوكم توعية أهلكم ، البيوت خربت ؛ لأن البيت ما مصباحه إلا الحرمة فقط ، مصباحه الحرمة الواعية ، والحرمة الخربة هٰذه ظلمات بعضها فوق بعض. وعُوْا قليلْ ولو خمس دقائق.

كتب التوعية موجودة ، هٰذا الكتاب العجيب[1] ـ أي : كلام الحبيب محسن بن علوي ـ ، « رياض الصالحين » كل يوم ما يغب عنكم ، كتب السِّيَر هٰذه ، حتىٰ كلام الشيبان الذي مر عليكم كله عِلاق وعِتاب علىٰ العادات السيئة .

كل واحد يخوِّف زوجته . هٰذه حكاية المرأتين ، لما سمعن كلام الحبيب علي . . ذهبن إلىٰ عنده تائبات . مِن عادَة يَرِدْن أن ينقضنها .

وما هي العادة ؟ كل واحد يتخيلها ما هي العادة التي بايلقينها في ذلك الزمان!! لا حلي معهن للفخفخة ، ولا شيء منها المظاهر هٰذه . كلها بسيطة .

فقال الحبيب الرُّوش : والحبيب عبيد الله[2] لما بلغه أن فلان في الخَطْرة ذبح رأسْ . . قال لجماعته : لعاد توَلُّون ، خلوا لحمه له ، هٰذا بايفتح بابْ علىٰ الناس .

---

(١) اسمه تعريف الخلق بسيرة السلف مطبوع .

(٢) عبيد اللاه بن محسن بن علوي السقاف ١٢٦١/ ١٣٢٤ .

Scanned with CamScanner

ذا الحين أربعة دروس وكل كلام الحبيب محسن في العادات ، لكن الليلة من حسن الحظ حضرتوا وتكلمتوا ، إن شاء الله تكون الثمرة طيبة .

هٰذا ما قاله أستاذنا الشاطري لحبيبنا عبد القادر ، فأجابه قائلاً :

وجزاك الله أنت لما نبهتهم علىٰ إقامة اللجنة ، وأنا بغيتها ، معاد في ذلك كلام . وأنا أكثر ما أخاف عليه اليوم معاده المال ، إنما هو العرض . المال أهون ، لكن الأعراض أصبحت مباحة .

أيرضىٰ الإنسان لزوجته تخرج هٰكذا متزينة ؟ حتىٰ السهرات هٰذه حق نصف الليل ، تعبنا نحن منها ووِحِلْنا بأنفسنا .

وأمس يقول لي عطاس (حبشي)[١] : ما تسمع كلامي ، أنا شفنا قلدت الباب كله مره ، ما أدخل عند أحد ولا أذهب عند أحد . قدنا أنا الآن تعبان ، ولكنا إذا تأخرت عن واحد . . بايقولون : جاء عند فلان وخلاَّنا أنا ! ما هو الذي بيني وبين السيد هٰذا ، وتعبنا منها ؟

فقال له أستاذنا الشاطري : أنتم اليوم إلا بركة .

قال : « إذا نحن بركة . . باندعي لهم ، إذا فينا بركة . . باندعي لهم .

---

(١) الحبيب أبو بكر عطاس بن عبد الله بن علوي الحبشي الإمام الكبير ولد بتريم وأقام بمكة المكرمة مدة طويلة وتوفي بها ٢٩/ رجب ١٤١٦ .

Scanned with CamScanner

قال له : (ما يكفيهم الدعاء وحده) .

قال : عليهم يخففون من العادات هٰذه ، يخففونها ويقدّمونها ، ما حاجة للسهر الطويل ، إلىٰ متىٰ يفيقوا ؟

نساؤكم أولاً لَقُّوا لهن شيءْ من الترتيب حتىٰ تعقل المرأة ، وخوِّفوهن . النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم نزلت عليه الآية القرآنية في نسائه ، في وحدة منهن أو اثنتين - ذكروا أهل التفسير عائشة وحفصة رضي الله عنهن - طلبن منه ثياب ، وما هي الثياب الذي بغينهن ؟ فنزلت الآية العظيمة الكبيرة الشأن ، وجاءهن يسألهن واحدة واحدة ، ويقول لها : تَريَّثي في أمرك ، وأخبري أهلك ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هٰذا شفوه ما هو بعيد ، في عصرنا نحن أدركناه . كن النساء السابقات - فيما أدركنا - ونحن صغار لهن ثوب يسمونه الخلعة - قد ذكرته لكم - .

هٰذا الخلعة - هٰذا - يستعيرونه كثير من الناس ، ومَن عندها شيء من الخير . . اشترته - وقيمته : سبعة ريال أو ثمانية ريال . كبيرة كانت الثمانية ريال - والكثير منهن يستعرنه لعروسهن ، تلبسه يوماً أو يومين ثم يرجعونه إلىٰ أهله . وكثير من الحلي يستعرنه لمدة يومين - لمدة أسبوع - ويَرُدِّينه إلىٰ أهله . كم ذا يكون .

Scanned with CamScanner

هـٰذه زينب زوجة الفقيه المقدم ـ أم الفقراء ـ يقولون : إنهم يتصدقون كل يوم بزير تمر فيه ألف وثمان مئة رطل ، كل يوم صدقتها من دار الفقيه ، ولها أخراص من رَشَد .

هـٰذه زينب زوجة الفقيه سيد الطائفة ، معاد أحد أكبر من الفقيه عند العلويين وطريقتهم علىٰ الإطلاق ، شيخ الكل بالإجماع . بل الإمام الحداد قال :

وشيخ أهل طريق الله قاطبةً .

للعلويين ولغيرهم ، كلهم جعله شيخهم ، فعَطُوا الأشياء حقها .

وقال حبيبنا الرُّوِش : وفي المتأخرين الحبيب جعفر العيدروس [1] ، كل يوم يذبح راسْ ، والفرش ما شاء الله !

واستمر الحديث بين سيدي وأستاذنا الشاطري في المشاورة ، بعد ذلك رتب سيدي الفاتحة ، وقال :

الفاتحة أن الله يصلح النيات والمقاصد ، ويجعلها ساعة من ساعات الخير ، ومن ساعات الرحمة ، ومن ساعات القبول .

أرجو الله سبحانه وتعالىٰ يؤيدنا بتأييد من عنده ، يمنحكم ـ إن شاء الله ـ الرضىٰ بعادات أهلكم وسلفكم ويردكم إليها ، ويزيدكم في الخير ، ويزيدكم في الرزق ، ويزيدكم في العقول ،

---

(١) الحبيب الإمام الكبير جعفر بن أحمد العيدروس توفي بتريم سنة ١٣٩٦ ودفن في قبة العيدروس .

Scanned with CamScanner

ويزيدكم في البركة ، ويجعلها كلها في سبيل الفضل ، ويجعلها كلها للمراضي ، ويجعلها كلها في سبيل الله ، ويجعلها كلها في سبيل الإحسان ، ويجعلها كلها ـ إن شاء الله ـ تبقىٰ لكم إلىٰ ذلك اليوم في خير وعلىٰ خير . ويغفر الله للمتقدمين ويرشدنا ببركتهم .

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يعيد علينا بركتهم ، وبركة الحبيب محسن بن علوي ـ هٰذا الداعي الإمام العظيم ـ وبركة مَن قبله ، وبركة مَن بعده ، وبركة معاصريه ممن أدركهم وعاصرهم .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكرمنا وإياكم بتلك البركة ، ويجعلها فينا حافظة من كل هلكة ، ومن كل أذىٰ ومن كل ضر ، ومن كل بغي ومن كل عدوان ، ظاهراً وباطناً . ويمتعنا بهٰؤلاء رجال العلم وبرجال الفضل ، وبرجال الإسناد وبرجال الإرشاد ، وبرجال الدعوة المحمدية .

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا ، وينفعنا بالعلم ، ويجعلنا من حَمَلة العلم ، ويجعلنا وإياكم من رجال العلم ، ويكتبنا في ديوان العلماء ، ويجعل العلم لزيم القلوب ، ولزيم البيوت ولزيم المنازل ، ولزيم الأهل ولزيم الأولاد ، ولزيم ـ إن شاء الله ـ البلد كلها ظاهراً وباطناً .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

Scanned with CamScanner

ثم رفع سيدي يديه بالدعاء ، وقال :

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد .

اللهم بارك لنا في هـٰذه الساعة ، واجعلها من ساعات البركة تعود علىٰ الإخوان - إن شاء الله - بالنفع والانتفاع ، وبالبركة الحسية والمعنوية ، وفي القيام بما دعونا إليه ، وبما دعا إليه هـٰذا الحبيب ، ظاهراً وباطناً . وانفعنا اللهم به ، واجعلنا ممن استَجَبْتَ دعوتَه .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في روحة الجمعة ، التاسع من شهر ذي القعدة ، من عام خمسة وأربع مئة وألف هجرية (٩/ ١١/ ١٤٠٥هـ) الموافق السادس والعشرون من يوليو ، من عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (٢٦/ ٧/ ١٩٨٥م) .

وقد بُدئت الروحة بقراءة في الفقه ـ كالعادة ـ في باب الشركة ، من كتاب « الياقوت النفيس » ومن تقرير أستاذنا الوالد محمد بن أحمد الشاطري .

بعدها قرأ أخونا محمد بن علوي بن عبد الله في كلام الحبيب محسن بن علوي السقاف : « تعريف الخلف بسيرة السلف » .

ثم أنشد الأخ علوي بن عبيديد بن حسن الكاف قصيدة ، مطلعها :

عسىٰ نفحة الرحمٰن تأتي من الربِّ ... نعم البرايا لا بجِدٍّ ولا كَسْبِ

بعد ذلك تكلم سيدي ، وقال :

ما زال بكم الحبيب محسن يتكلم في إبطال العوائد ، وما زال يأخذ بكم إلىٰ البعد عنها . وفي هٰذه الليلة مما سمعتوه وسمعناه عنه أنه يقول : حتىٰ المساجد فإن تنميقها في غير محله وتحسينها في غير محله ، وقد كانوا يؤثرون هٰذا الأثر القديم ، يقولون : كسرة في بطن جائع ، خير من عمارة سبعين جامع يعمروها للمصلين.

وكان الشيوخ ـ رحمهم الله ـ يؤثرون أن الحبيب عبد الرحمٰن

Scanned with CamScanner

ابن سقاف[1] ، وعبد الرحمٰن بن علي بن عبد الله ، والحبيب محمد بن سقاف جد الأخ عبد القادر الرِّوِش[2] . . جاؤوا من رحلة مباركة لهم ، وجاؤوا بمال وعملوا منبر مسجد الجامع حق (سيئون) هٰذا المنبر الموجود من آثار عمارتهم ، وهو لا يزال علىٰ هٰذا الحال ، وعمارة الصفين الزائدة هٰذه ، وجَوَّدوا المنبر خاصة ، وطلبوا من الحبيب علوي بن سقاف أن يكتب تاريخ للمنبر ـ والحبيب علوي بن سقاف[3] : الحبيب محمد أخوه الأكبر ، والحبيب عبد الرحمٰن خاله أخو والدته ؛ لأن أمه بنت الحبيب علي بن عبد الله السقاف[4] ـ فما وسعه إلا الإجابة ، ولكنها كانت علىٰ غير رغبته .

قالوا : كان ذلك اليوم يوم الخميس ، ويوم الخميس مدرس في قبة الحبيب علي بن عبد الله السقاف ، فكان خرجت منه الكلمة هٰذه التي أسلفناها في المذاكرة من قوله : كسرة في بطن جائع ، خير من عمارة سبعين جامع ، يعمروها للمصلين .

وبعد ما خرج من المدرس وانتهىٰ . . تضايق وقال : ربما في عمارة المنبر وفي عمارة الصفين هٰذه فائدة وفضيلة ، تعرضت أنا لهٰذه الكلمة التي تؤثر عمن قبلي بقولي : كسرة في بطن جائع !

---

(١) المتوفى بسيون (١١٧١هـ) .

(٢) وفاته بسيون (١٢٢٢هـ) .

(٣) (١١٧٢ـ ١٢٣٥هـ) .

(٤) (١٠٩٤ـ ١١٨١هـ) .

Scanned with CamScanner

فقدر الله أنه بعد ما خرج من مدرس الخميس وهو في غاية التأثر . . كان واحد من آل فضل ـ اسمه : محمد فضل ـ واقف علىٰ باب داره بايطلع ، فلما رأىٰ الحبيب علوي . . سلَّم عليه من بعيد ، وقال له : انتظرني باسلِّم عليك يا حبيب علوي .

انتظره، وبعد قال له : هيا تفضل ، طِلَعْ بانشرب فنجان قهوة .

قال له : أنا ما أنا رَيِّض في نفسي ، بغيت بارجع بيتي .

قال له : أنا جئت من مَدْرَس السلطان ـ يعني : الحبيب أحمد بن عمر بن سميط[1] في ذلك الزمان ، كان شيخ الوقت ـ .

قال له : ماذا قال الحبيب في المدرس ؟

قال له : مما سمعته اليوم في المدرس أن قال : كسرة في بطن جائع خير من عمارة سبعين جامع .

قال له : أنا باحَلِّفك ولا يكون في خاطرك شيء ، أنا عندي حِشاشة[2] ؟

قال له : باحْلِف لك ولا في خاطري شيء ، إني سمعت هٰذه الكلمة من لسان هٰذا الحبيب مشافهة ، جالس أمامه وهو يتكلم . فقال هٰذه الكلمة ، وحَلَف له .

قال له : ذا الحين باطلع عندك .

وطلع عنده للمجلس ، وسأله عن الدرس : ماذا جرىٰ ، وماذا كان فيه ؟ واستراح الحبيب علوي ، وكتب التاريخ . جاء

---

(١) ولد سنة ١١٨٣ بتريم وتوفي بشبام ١٢٥٨ .

(٢) حشاشة : شك وتشوش .

Scanned with CamScanner

الحبيب محسن ونظمها في قصيدة :

كسرة في بطن جائع خير من سبعين جامع
يعمروها للمصلين . . . .

قصيدة طويلة للحبيب محسن ، وهي فيها إشارة وترغيب بأشياء تدركونها ، كل واحد فَطِن يُدرِك .

وكلكم يدرك ، أولاً : المساجد لا أفضل منها شيء ، ولكن صرف المال في حاجاته التي كانت له والتي لابد منها . . هو أفضل من تنميق المساجد وربما من بناء المسجد . إذا كثر المحتاجون وفي البلد مسجد أو مسجدين أو ثلاثة . . عندنا الفقهاء وأهل الأصول والمحدِّثين يقولون : إن صرف المال في الإنفاق علىٰ هٰؤلاء أهل المسغبة أفضل من بناء المسجد .

هٰذا بالنسبة لبناء المسجد ، أما تنميقه . . فالعلماء الأئمة الثلاثة قائلين بعدم تنميق المسجد ، إلا الإمام الأعظم أبو حنيفة يقول :

إذا نمق الناس بيوتهم . . فالمساجد أولىٰ بالتنميق والتزيين .

والأئمة الثلاثة آخذين بأن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بنىٰ مسجده من جريد النخل ، وكان إذا جاءت المطر . . تتخلل الجريد وتدخل عليهم .

والحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم مما ذكر أهل السير أنه كان يخطب علىٰ المنبر وجاءه الأعرابي ، وقال له : هَلَكَت . . إلىٰ آخر الحديث الذي تسمعونه والذي مر معنا قريباً . فدعا الله ،

فساق لهم سحابة فأمطرت عليهم ، قال : فإذا الماء يتناثر من بين لحيته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

إشارة إلىٰ أن السقف يكفيهم حر الشمس فقط ، أما يحميهم من المطر . . لا ؛ لأنه من خوص ما تحميهم من المطر . ولا مسجد أفضل من مسجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ولا من بناية هٰذا المسجد .

وعندنا السلف ـ كذلك ـ كانوا يحرصون علىٰ عدم التنميق للمساجد .

وموضوع الكلام هو : أن الإنسان إذا وجد عنده الفضل من المال . والزائد من المال . . فيصرفه فيما هو أحق به وأولىٰ به ، وصرفه في غير هٰذا يعتبر تعديْ .

لماذا يعتبر تعديْ ؟

لأنها ـ قالوا ـ مصارف : هٰذا ذو فضل وهٰذا أفضل ، فهل يصرف في ذي الفضل ، أو يصرف في الأفضل ؟ يصرف في الأفضل .

والزمن هٰذا قَلَّت فيه الأفكار حتىٰ في مثل هٰذا ، فالمساعدات في هٰذا الزمن ـ شفوها ـ قَلَّت كثيرْ . وكان من حكمة المتقدمين وأفكار المتقدمين ، حتىٰ النساء لهن نصيب في الفكر ، كانوا يعتنون بالقهوة ، والقهوة يصنعونها من البن ، فيدقون الجفل[1] . وتحمصه المرأة علىٰ عادتها ، وتجلس مع

---

(١) الجفل : أي حب البن .

أولادها وزوجها وأقاربها في الدار . . ويطمئنون . والمجلس فيه مذاكرة لسيرة مَن قبلهم وأخبار من قبلهم ، أو فيه شيء من القراءة .

وكم الجفل هٰذا ؟ معروف : إحدىٰ عشر جفلة ، والإحدىٰ عشر جفلة تأخذ منها واحدة وإلا ثنتين وإلا ثلاث تخبئها لليوم الثاني .

ويذكرون عن الشيخ أحمد باكثير ـ هٰذا الشيخ معروف بالخير والصلاح ، والبركة في الرزق والتيسير ـ وأن بعض السادة جاء إلىٰ عنده باكر بعد صلاة الصبح وقرع عليه الباب ، وفتح له ـ وكان هٰذا السيد خطبت بنته ولا معه ما يجهزها به ، فبات يفكر ليله من الذي سيقرضه ؟ من الذي سيستدين منه ؟ من الذي سيعطيه ؟ وقع في خاطره الشيخ أحمد ، وهو كذلك ، فأصبح ما صَدَّق الليل يخلِّص ؛ لأنه بات يفكر في الليل ، هَبْ إنَّهْ صَلَّىٰ الصبح فقرع الباب علىٰ الشيخ أحمد ـ فرح به الشيخ أحمد ، ولكنه ما هو وقت زيارة في ذلك الوقت! جلس يؤنسه ويأخذ بخاطره .

ثم دخل أحد أولاده أو خادمة عنده ، وقال له : قالوا أهل الدار : هت القهوة التي يبغوها للإفطار حقهم والتي يعتادونها .

فقام وقَدَّر لهم السكر ، وقَدَّر لهم الجفل ، وقَدَّر الزنجبيل وأعطاهم من كل شيء قليلْ . هٰذا سقط في يده السيد ، قال في نفسه : أنا جئت بغيت من الشيخ خمس مئة ، وهٰذا يقَدِّر البُن

Scanned with CamScanner

تقدير ، والزنجبيل بتقدير ، غَلَّقَتْ! ما أقدر أستأنس أطلبه .

بعد ما أرسل لهم القهوة استأذن السيد بالخروج ، فقال له : بغيت إلىٰ أين يا حبيب ؟

قال له : أنا باقوم خلاص .

فقال له : وأنت لماذا جئت ؟ هـٰذا ما هو وقت زيارة ، ما الذي جاء بك في هـٰذا الوقت ؟ ألح عليه حتىٰ قال له : أنا جئت ، بنتي خُطبت أمس وبغيت قِرضة خمس مئة ولا أقدر عليها ، وفكرت أنك أنت باتعطينا إياها ، فإذا بك تزن السكر حق قهوة الصبح والبن والزنجبيل .

قال له : يا حبيب! لو كنت ما أزنه . . ما قدرت أعطيك القرضة ، ما تيسرت القرضة إلا لما كنت أزن السكر والبن ونحو هـٰذه الأشياء .

إشارة إلىٰ الاقتصاد الكامل والترتيب والتدبير ؛ حتىٰ لا يسرف الواحد . ووَضْع المال في غير محله ، يقولون العلماء : إنها نقمة وليست بنعمة . وهي الحاصلة عند كل واحد مننا اليوم ، لا يستغفر الله لها ، ولا يشكر الله لها ، ولا يفكر فيها . تراه يزيد من العشاء من الذي يشتريه من نوع العيش الذي يسمونه (الصامولي) يزيد الزائد فيربطه ويلقيه في القمامة! القمامة الوسخة ، القمامة النجسة ، القمامة التي لا يمكن للإنسان أن يأخذه منها! وهو ما يفكر أن في البلد ـ مثلاً ـ ربما يكون محتاج ، والواقع أن المحتاجين كثير .

Scanned with CamScanner

ولا يفكِّر أنه إذا لم يكن محتاجْ . . كان اللائق به أن لا يأخذ زائدْ ، يَقْصُر حتىٰ علىٰ أولاده ، وإذا قصر عليهم قرص من العيش . . يقسم القرص الثاني فيما بينهم ، خشية أن يزيد فيلقيه في المزبلة ؛ لأنه سهل عليهم أن يلقىٰ في المزبلة . والقرآن ينذر من هٰذا ويشدد النكير في هٰذا ، ويذكر لكم كثيرْ مما وقع بالمتقدمين بسبب هٰذا : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وذكر لكم كثيراً من مثل هٰذه الأشياء التي ما حضرتني الآن ، وإلا . . لسردتها عليكم . فكان ينبغي لكم أن تلفتوا نظركم دائماً إلىٰ مثل هٰذه الأشياء :

السرف : لا ينبغي للإنسان أن يسرف .

الزيادة علىٰ الحاجة : لا ينبغي للإنسان يزيِّد فيها علىٰ الحاجة ، بدلاً من هٰذا العيش أو القرص الذي بايزيِّده . . يعطيه لقريبه ، يعطيه لجاره ، يقول لهم : أنا الليلة باجيب لكم العيش .

ومن تيسير الله أن هٰذا بسيط علىٰ الناس ، يقول لجيرانه : إنني باجيبه لكم . ولا يطرحه زائدْ ، أو لا يقول لهم ، وإلا يتصدق به . لكن كونها زيادة تلقىٰ في مزبلة . . هٰذا ينتظر ما بعدها .

وما هو الذي بعدها ؟

كل واحد يدرك منكم ولا هو غافل ، فعليه أن ينتظر ما بعدها .

Scanned with CamScanner

وشكر النعمة ، قالوا : علىٰ الإنسان أن يبيت مع الله . ما يكفي كلمة : « الحمد لله » إذا تعشىٰ وتهنىٰ ، وشرب شرابه وشاهيه. . ما يكفي كلمة : « الحمد لله » . يكفي بعد الحمد لله أن يذكر أن اليد فيه لله ، وأنه ما هو بجِدِّه ولا بذكائه . كثير من الناس إذا جاء قال : ما هو إلا بفكري ، أبيت أفكر حتىٰ حصَّلت هـٰذا . ما ينفع الفكر ولا التقدير .

كم من واحد أقدر منه علىٰ الفكر ، أقدر منه علىٰ النظر في الأمور ، أقدر منه ؟ ولكنه إذا ضربها يمنة. . رجعت يسرىٰ ، ما هو السبب ؟

السبب ما يخفىٰ : إن الإنسان إذا دخل في عمل من الأعمال بدون نية صالحة ولا مقصد حسن. . ما حصل له شيء .

أنا كثيرٌ ما أذكر لكم عمكم حامد بن علوي البار[1] ، تسمعون به . سألته ذات مرة من المرات ـ وهو متصل بالشيوخ الكبار الذين كانوا في عصره اتصال مباشر وكان ما تنقطع درايته عنهم ـ وكان يقول لي لما سألته : إذا دخلتُ في عمل. . أَجعلُ للشيابة منه شيءْ فيتناثر عليَّ الربح علىٰ ما شئت . وكان يرسل للحبيب علي له ولتلاميذه ؛ لأن الحبيب علي عدد تلاميذه كثير والمظهر كبير والأشياء كبيرة ، فسألته وقلت له : كم آخر مرسل ـ أي : مساعدة مالية ـ أرسلتَه له ؟

قال : آخر مرسل أرسلته له خمسة آلاف .

---

(١) وفاته بجدة أواخر الحجة (١٣٨٢هـ) وميلاده سنة ١٢٩٨ .

Scanned with CamScanner

الحبيب علي له سبعين ـ أو شيء وسبعين ـ سنة من تاريخ وفاته ، وأرسلها له وهو في مرض موته . قال : أنا معاد دريت ، هٰذه الإرسالية درىٰ بها الحبيب علي أو ما درىٰ بها ؟ لكنه أرسل لي ستة أبيات عرفت أنه درىٰ بها ، ودرىٰ بالكتاب حقي والمرسل ، وقال : أنا أدخل بهم علىٰ الله حتىٰ يفتح لي أبواب المواصلة ، فتنفتح لي أبواب المواصلة مع الله .

والإنسان إذا دخل بنية . . حَصَل له ما يريد . كثير من الناس ـ كما ذكرنا ـ يقوم بنشاط وجدٍ واجتهاد وشراكة أو ما أدراك ما ذلك ـ كما سلف في التقرير لدرس هٰذه الليلة .. ولكنه ما حصلت له نية . . ما هناك فائدة . وهو حال الكثير من الناس .

عندكم الشيخ عبد الله العيدروس : جعل نيات في ثلاث صفحات مكتوبة للإنسان : إذا بايحفر بئر ، إذا بايشتري مال ، إذا بايتجر ، إذا بايتزوج ، إذا بايسافر ، إذا بايعمل عمل . نيات كتبها لكم العيدروس . ونيات أبسط منها كتبها أخوه الشيخ علي بن أبي بكر ، يقول : نويت كذا ، نويت كذا ، نويت كذا . . عَرَّب النيات لكم ، وكفاكم هٰذه كلها .

وعندنا نحن المتقدمين هٰؤلاء الذين أدركناهم آخذين علينا أن لا نجلس في مجلس الدرس إلا بنية ، وكان آخره في المدرسة ـ يعني : مدرسة النهضة ـ كلهم هٰؤلاء درسوا فيها أو أكثرهم . كانوا إذا جلسوا يأتون بالنية حق التعليم للحبيب عبد الله الحداد . يرفعون بها التلاميذ أصواتهم : نويت التعلم

والتعليم ، والإفادة والاستفادة . . إلىٰ آخر النية المشهورة التي ما حفظناها إلا من المدرسة .

يدخل الولد في نية عبد الله الحداد الإمام الكبير ، ثم يدخل في نيات مرتَّبة : علىٰ نية أنه يستفيد العلم ، وعلىٰ نية أنه يعمل بالعلم ، وعلىٰ نية أنه يعلِّم بالعلم .

هٰذه ارتفعت كلها ، ولما ارتفعت . . ارتفع عن الناس كلهم الاستفادة بالعلم ، ولكل امرىء ما نوىٰ . فاتت الناس هٰذه النيات ، وفواتها ما نحبه نحن . بغينا كل واحد يريد أن يدخل في شراكة ، يريد أن يدخل في عمل ، يريد أن يدخل في وظيفة . . ينوي نيات من هٰذه النيات التي ذكرناها لكم ، وما قدر عليه . . يعمله . والكثير منهم يدخل ولا يدري عن شيء .

ثم قبل النية أرشدكم الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ المعلم الأكبر ـ إلىٰ الاستخارة ، ركعتي الاستخارة يركعها الإنسان ويقرأ الدعاء المأثور : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك ؛ فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا اقدر ، وأنت علام الغيوب . . » إلىٰ آخر الدعاء المأثور هٰذا . وكان عندنا من عمل الإمام الحداد ، وعمل الإمام الحداد عن عمل مَن قبله ؛ لأن الإمام الحداد مأثورة عنه هٰذه الكلمة ، قال : إذا ذُكِر عمل عن السلف أو شيء عن السلف إلىٰ آخرهم ، عن العيدروس الأكبر . . ما نسأل عنه ، ما نقول : هٰذا العمل ما هو دليله ؟ ولا : ما هو تعليله ؟ ولا : عمن أُخِذ ؟

Scanned with CamScanner

إلىٰ العيدروس الأكبر ، وما بعد العيدروس نسأل عنه .

وعندنا نحن الشيوخ قاطبة إذا قالوا : عَمَل الحداد . . كفاية ، لعاد تسأل عنه .

هٰذا موطد بالكتاب والسنة ، وبالنية الصالحة مربوط . وجزاهم الله خيرٌ ، كتبوه لكم هٰذا وجعلوه الطريقة السهلة .

الله يبارك في عبد القادر بن سالم خرد ، طبعها لكم ووزعها عليكم . وهو كتاب من أجل الكتب ، ومن أجمع الكتب في عمل الإمام الحداد ، وفي عادات الإمام الحداد ، وفي صلوات الإمام الحداد ، وفي أدعية الإمام الحداد ، مرتبة .

والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر جمعها لكم في « المسلك القريب » مرتبة .

وكثير ممن تولىٰ طبع الكتب والإشراف عليها ؛ مثل : الحبيب علوي بن محمد الحداد ، طبع لنا عمل الإمام الحداد وأوراد الإمام الحداد في كتيبات صغيرة سماها : « وسيلة العباد » جمع فيها الأوراد وجمع فيها الأذكار ، وجمع فيها الأدعية التي قالها الإمام الحداد والتي ينبغي حفظها .

فينبغي لكل إنسان أن يقيِّد هٰذا بهٰذا حتىٰ لا تضيع عليكم ؛ لأن الإنسان طالب معاش ، والمعاش إذا ما هو موكول بنية مربوطة مع الله سبحانه وتعالىٰ . . ما استفاده ، حتىٰ أَكْله يربطه بنية ، ماذا قال صاحب كتاب « الزبد » ؟

لكن إذا نوىٰ بأكله القوىٰ لطاعة الله له ما قد نوىٰ

Scanned with CamScanner

أسأل الله أن يكرمني وإياكم ـ إن شاء الله ـ بالدخول تحت غمار أهل النيات الصالحة . والبحث عن النيات الصالحة ، والتلقي لِمَا كان من السلف ، والترقي في الدرجات التي ترَقَّىٰ فيها السلف ، والوصول إلىٰ الطريق التي مشىٰ فيها النهج من السلف وانتهجها الكثير من الخَلَف .

وأسأل الله أن ينفعنا بهـٰذه الدروس ، فهي غرة ـ يا إخواني ـ ما توجد مثلها . وينفعنا بالعلم ، ويجعل العلم وسيلة ، ويجعل العلم ذخيرة ، ويجعل العلم طريقْ للتلقي وطريقْ للترقي ، وحمل للأمانة التي قلدها بنو آدم ، كما قال الله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

الأمانة تأتي في كل شيء : الصلاة أمانة إذا أفسدها ، الزوجة عندك أمانة إذا قصّرت في تربيتها وتعليمها ، الأولاد أمانة ، الأم عندك إذا كبرت وأَسَنَّت ـ أو لم تكبر ولم تُسِن ـ عندك أمانة ، الأب عندك أمانة ، الجار عندك أمانة ، رحمك أمانة ، قريبك أمانة ، وكلهم هـٰؤلاء داخلين في الأمانة .

العمل أمانة : إذا كذبت فيه . . انتزعت منك الأمانة .

إذا غششت فيه . . انتزعت منك الأمانة .

إذا حلفت فيه يمين في غير محلها . . انتزعت منك الأمانة .

إذا خنت وقصرت في الصلاة ـ هـٰذا عندكم في « مجموع » الحبيب عبد الله بن حسين ـ إذا تأخرت عن الصلاة لوقتها ، أو

ما صليتها في المسجد المعروف ، أو ما صليتها مع إخوانك ، أو ما صليتها في جماعة ، أو ما ركعت لها النافلة ، أو ما دعيت بالأدعية النبوية لها . . قالوا : خنت الأمانة .

وخيانتك الأمانة ، كانوا يؤثرون ويقولون : إنك مسؤول عن كل مصلي ممن يقول : « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » إذا قصَّرت في الصلاة أو تأخرت عن الصلاة ؛ لأن من مسؤوليات الصلاة أن تقول : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين .

نسأل الله ـ إن شاء الله ـ أن يأخذ بأيدينا حتىٰ لا نقع في ورطة الخيانة في الأمانة أو في شيء منها ، إن شاء الله . ويكون لنا كما كان لمن قبلنا ، وينفعنا بهـٰؤلاء الإخوان الذين تسمعون أحاديثهم ودروسهم ، ويجعلها مستمرة ، ويمتعهم ويمتعكم بهم . وينفعكم ـ إن شاء الله ـ بالعلم ، وينفعكم بالسيرة ، ويجعلكم متصلين بالسلسلة والشيوخ الذين ارتبطوا بهم ؛ لأنهم أخذوا العلم عن شيوخ .

كان الحبيب محمد بن هادي يقول : « أخذنا العلم عن شيابتنا وأعطيناكم إياه من شيابتنا علىٰ هـٰذا الحال ، معاد زدنا ولا نَقَّصنا » .

وهـٰؤلاء يعطونكم إياه عن شيوخهم الذين ارتبطوا بهم ، وأكرم بهم من شيوخ ، كلهم عرفناهم ـ والحمد لله ـ ورأيناهم بأعيننا ، والكثير منهم قرأنا عليهم . وبغيناكم أنتم قراءتكم علىٰ هـٰؤلاء تربطكم بهم ؛ لأن الإنسان إذا قرأ علىٰ شيخ ، مثلاً : إذا

Scanned with CamScanner

أنتم قرأتم علىٰ مثل الأخ محمد الشاطري ، وعلىٰ مثل الأخ عبد القادر الرُّوِش[1] ، وعلىٰ مثل الأخ عبد الله بن حامد البار ، وعلىٰ مثل الأخ حسن بن سالم ، وعلىٰ مثل الأخ علي بن عبد الله[2] ، علىٰ مثلهم هٰؤلاء . . فكأنما قرأتم على الشيوخ الذين قرأوا عليهم ، وكأنما قرأتم على الشيوخ الذين قرأوا عليهم الشيوخ ، وكأنما قرأتم على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، سلسلة متصلة .

الحبيب عبد الله الحداد يأتي لكم بالبيت العظيم في قصيدته هٰذه المشهورة ، يقول فيه :

يداً بيدٍ حتىٰ مقامِ النبوة .

يعني : أخذنا عنهم حتىٰ وصلنا مقام النبوة وأنتم بأخذكم وانطراحكم سوف تصلون بهم بواسطتهم إلىٰ مقام النبوة .

وأسأل الله أن يقيمكم كما أقام مَن قبلكم ، ويجمعكم بهٰذا المقام ، ويظهر نوره عليكم ، ويجعلكم متصلين بالحبيب . ويمتع - إن شاء الله - لنا ولكم بالإخوان - كما ذكرنا - ، وبالمجالس هٰذه الزينة ، ويجعلها غُرَّة ، ويجعلنا منتفعين بها ، ممن حَفِظ ولا ضَيَّع ، ظاهراً وباطناً .

---

(١) عبد القادر بن سالم الروش السقاف وفاته بـ(سيئون) ١٤١٥/١٢/٥هـ رحمه الله .

(٢) العلامة علي بن عبد الله بن حسين السقاف ولد بسيون سنة ١٣٣٦ وتوفي بجدة ودفن بمكة المكرمة ١٣/ ١/ ١٤٢٣ .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

ثم استدرك سيدي ، وقال :

أنا البارحة ما قدرت أحضر عند باسندوة للدرس ، سألت الشاطري اليوم ، قلت له : ما الذي جرىٰ من حديث في الدرس ؟

قال لي : جرىٰ فيه ذكر اللحية .

هٰذه فوائد كثيرة ؛ يعني : علم كثير . من الناس كثير منهم ما يعرف شيء كراهة في اللحية ، شيء حرام في اللحية ، شيء سُنَّة في اللحية ، شيء فيها كثير من الأشياء ، ما يدري عنها . فُرَص ما تعوَّض .

ثم أمر بإقامة الصلاة .

* * *

Scanned with CamScanner

هذه المجالس تذكركم بمجالس
الفقيه والسقاف والمحضار

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة في الروحة التي عقدت بمنزل السيد علي بن عبد الله السقاف بـ(جدة) مساء الجمعة ، الحادي والعشرون من شهر الحجة ، عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة . الموافق السادس من شهر سبتمبر ، من عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد .

كانت روحة عظيمة ، حضرها الكثير من الآباء والإخوان المقيمين ، والوافدين الذين أدّوْا مناسك الحج لهٰذا العام ، وفي مقدمتهم :

الحبيب علي بن أحمد العطاس ، منصب (حريضة)[1] .

والحبيب أحمد المشهور الحداد[2] .

ومن الآباء : أستاذنا الوالد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري[3] .

وحبيبنا وشيخنا عبد القادر بن سالم الرُّوش .

وكثير من أعيان (تريم) و(سيئون) من يطول حصرهم .

وبُدئت الروحة بقصيدة ، مطلعها :

صوت الغِناءْ يشرح الخاطرْ ... تَـذهَـب بِـهِ كـل أحـزانـي

أنشدها أخونا عبد القادر بن حسين الحبشي . ثم أعقبه أخونا علي بن محمد بن علوي بن شهاب ، أنشد قصيدة الحبيب علي الحبشي ، التي مطلعها :

عَوَّد اللهْ صفانا المار في ذي المنازلْ ... في عوافي من المولىٰ وفي أنسْ كاملْ

(١) المولود بحريضة سنة (١٣٢٧هـ) ، والمتوفى بأبو ظبي يوم الجمعة (٢٣ ذي الحجة ١٤٠٨هـ) .

(٢) توفي بجده ودفن بمكة المكرمة ١٤ رجب ١٤١٦ .

(٣) توفي بجده ودفن بمكة المكرمة ٣ رمضان ١٤٢٢ .

Scanned with CamScanner

ثم أنشد الأخ يحيىٰ بن حسين بن محمد بن أحمد المحضار من (أندونيسيا) قصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي ، التي مطلعها :

يا نفس إن لم تظفري لا تجزعي وإلىٰ موائد جود مولاكِ اهرَعي

ثم أنشد أخونا علوي بن شيخ الحبشي قصيدة الحبيب علي الحبشي :

لكم بشرىٰ الإجابة والقبولِ من المولىٰ بواسطة الرسولِ

وأنشد الأخ علي بن محمد بن علوي بن شهاب :

وقت الصفا عندي عسىٰ لا ٱنقطعْ دائمْ علىٰ مر الجديدينْ

وهكذا توالت أصوات المنشدين ، ومنهم أخدام السقاف .

وبعد ذلك تكلم سيدي بهٰذه الكلمة ، وقال :

تتوالىٰ علينا ليالي السعادة الكبرىٰ ، وهٰذه الليلة المباركة ، وهٰذا العطاء العظيم الذي يتنزل بذكر هٰؤلاء الرجال ، وذكر الأعمال الصالحة ، وذكر السيرة الحسنة ، وذكر المطلوب من كل واحد منا ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ يقول لكل واحد : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

وليس معنىٰ العبادة : الصلاة والصوم وما شاكل ذلك .

العبادة داخلة تحت التربية الحسنة ، تحت السيرة الحسنة ، تحت الامتثال لأمر الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، تحت الانقياد لما كان عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ولما كان عليه أتباعه رضي الله عنهم . كان مَن قبلكم يأتمرون بهٰذا الأمر .

هٰذا الكلام الذي سمعته عن السقاف ، والذي سمعته عن

Scanned with CamScanner

المحضار ، وكثرة الاهتراء بالمحضار ومَن إليه وما يأتي إليه ، وغيره من هٰؤلاء الرجال متقدِّمهم ومتأخرهم . . هٰذا كله إنما هو لَمَّا كانت اليد مع اليد ، مع اليد ، مع اليد . . حتىٰ يد محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . هكذا اتَّصَلوا به ، وهٰذا معنىٰ العبادة المطلوبة والتي لا تزال نذاكر ونذكر فيها ؛ لأن العبادة تأتي علىٰ جمل كثيرة ، وعلىٰ معاني كبيرة واسعة ، وهي : كل ما يدعوك إليه الإسلام :

يدعوك في حق أخيك ، يدعوك في حق جارك ، يدعوك في حق رحمك ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة في الطريق ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة في الجوار ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة في الدار ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة مع أهلك ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة مع أولادك ، يدعوك إلىٰ حسن المعاملة مع سائر هٰؤلاء الناس .

ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ درجات المراتب ، وما أعظمها من مراتب! أن الشيخ محمد بن أبي بكر عَبَّاد ـ شيخ الإمام الكبير الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ـ قالوا : إن شبام جدبت وقحطت واشتد بها القحط ، فجاؤوا إلىٰ هٰذا الإمام الكبير وهو جالس في مسجد الخوقة في بلد (شبام) وقالوا له : أجدبت الناس . وبلغهم أن واحد من أهل حِذْيَهْ أكل رَجُلاً! فقال : وجب الاستسقاء .

ودعاهم إلىٰ الاستسقاء وخرج معهم ، فلما وصل إلىٰ تحت

Scanned with CamScanner

سدة (شبام) . . أخذته حالة الخوف من الله .

ومعناه : أن الله مطلع علىٰ الحال ولا يخفىٰ عليه شيء ، تلك يسميها العلماء حالة المراقبة .

فقرأ هـٰذه الآية : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وخر مغشياً عليه ، وحملوه من تحت السدة إلىٰ بيته ، وبقي ثمانية أيام مريض وتوفي بعدها .

هـٰذه ثمرة ماذا ؟ ثمرة العلم ، ثمرة الدعوة ، ثمرة العمل بالآية هـٰذه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

قالوا : جاء إليه الشيخ محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي ، وزار (حضرموت) واغتبط بالشيخ محمد بن أبي بكر فنظم مديحة فيه ، وهو حري بها وقليل في حقه . يكفيه فخر أن الشيخ السقاف يأتي من (تريم) عانيْ إلىٰ (شبام) ليقرأ علىٰ هـٰذا الشيخ ، وكان يقول له : إذا جئت يا سيد عبد الرحمـٰن . . لا تقف تحت الباب ؛ فإني أخشىٰ أن ينزل عليَّ شيء من السماء ، ولكن اجلس في المسجد [عند] السارية هـٰذه ؛ فإن النافذة حقي تراها ، فإذا رأيتك أنا . . باأخرج بااستقبلك .

مدحه الشيخ محمد بقصيدة غراء عظيمة ، . . يقول في أولها :

كيف لا أملأُ أسماعَ الملأْ   ولمولانا علىٰ الكون الوَلاءْ

Scanned with CamScanner

وبعد قال فيها :

ولـو أن الـدار تـدنـي مُغـرَمًا لتبــوأنــا شبــامــاً منــزلا

بـايعتـاض أي : يتخـذهـا عـوضـاً ـ بهـا عـن (مكـة) التـي شرفها الله وبايقيم حول هٰذا الشيخ ؛ ليقرأ عليه وليدرس عنده ، وليأخذ من تلك النفحات التي تتوالىٰ علىٰ أهل الله ، وعلىٰ رجال الله ، وعلىٰ الذين عملوا بعلم الله وبما دعا إليه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . كان من أمرهم هٰؤلاء كما قلنا ـ في الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

يعتقد كثير من الناس أنها الصلاة ، إذا بيّت قائم . . عَبَد ربه .

وكثير يعتقد أنها الصدقة ، إذا أكثر الصدقة . . عَبَد ربه .

العبادة تأتي في كل منحىً ، وكل واحد مطالب بالعبادات هٰذه كلها : وإذا ظهرت عليه شيء من لوائح العبادة . . ينبغي له أن يستقيم عليه وأن يبقىٰ عليه حتىٰ تثمر له .

هٰذه الثمرات التي سمعتوها في قصيدة الشواف ، والتي سمعتوها في قصيدة للشيخ عبد الرحمٰن بن علي بن أبي بكر السكران ، والتي سمعتوها في قصيدة الحبيب علي التي أنشدها الولد علي ، والتي سمعتوها فيما قبل مما أنشده لكم المنشدون .

هي ثمرات ماذا هٰذه ؟

هل هي ثمرات أسواق ! ثمرات مجالس ملاهي ! ؟

Scanned with CamScanner

هي ثمرات هٰذا العلم اللدني والاصطفائي الذي تولىٰ الله به ـ سبحانه وتعالىٰ عباده ، فقاموا به وأتمروا بأمره ، فأثمر لهم هٰذا . وهٰذا ما ثمرته ؟

﴿ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ .

قال العلماء : تفرِّقون به بين الحق والباطل . وكان الكثير من هٰؤلاء الرجال ، إذا قُدِّم إليه شيء فيه شبهة . . يظهر في إصبعه شيء ، إشارة إلىٰ أنه لا يأكله .

وكان شيخنا في المتأخرين الحبيب محمد بن هادي السقاف ـ رحمه الله ـ وما كان هٰذا الشيخ لوحده ، بل كلهم الشيوخ الذين تسمعون أو تقرؤون عنهم مثله ، قال : إن والدي ذات يوم استدعاني وأعطاني ريال ، وقال لي : اطلع هات به بر من السوق .

قال : فجئت له بالبر من السوق بعد أن اشتريته من عند أحد البائعين للبر . قال : فلما جئت بالكيس . . وضعته أمامه وقلت له : هٰذا البر .

قال : فأخذ يفحقه[1] بيده قليل قليل ويشوفه ، ثم قال لي : من أين جئت به يا ولدي؟ هٰذا ما يصلح لنا البر ، رُدُّه إلىٰ صاحبه .

قال : فرديته ، وقلت لصاحبه : والدي يسلم عليك ، ويقول : ما له حاجة بالبر هٰذا .

---

(١) أي يفحسه بين يديه .

قال له : صدقت ، أنا غفلت ، والدك الحبيب هادي ، وأنتم ما يصلح لكم هٰذا الطعام ، هٰذا أخذته من واحد أعرف معاملته ما هي ريضة .

هٰذه الرعاية الإلٰهية ، هٰذه الإمدادات الإلٰهية ، ثمرة ماذا كانت ؟ ونحن هل قلوبنا تشاهد شيء من مثل هٰذا ؟

يدخل الإنسان عند واحد منهم المخربطين هٰؤلاء فيأخذ ويشتري ، ويقعد ويقوم ولا في الخاطر شيء ، ويأكل ويبيت ويصبح ولا في الخاطر شيء ؛ لأنها كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ .

ما يهتدي إلا صاحب نور البصيرة ، ولا نور للبصيرة إلا بحفظ الجوارح ومراقبة الله ، ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ وكلها هٰذه في سبيل التربية ـ أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قبض ابن عباس ذات يوم وهو في سن الصبا ـ ابن عمه ـ فقال له : « يا غلام : احفظ الله يحفظك » .

يقول لمن هٰذا ؟

هل أحد بَدَا قال لولده ؟

هل أحد بَدَا قال لحرمته ؟

حد بَدَا قال لابنته ؟

حد بَدَا راجع هٰذه الأحاديث ، أحاديث التربية جمعها لنا العلماء ـ رضي الله عنهم ؟ ـ

Scanned with CamScanner

قال له : « يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك » . إلىٰ آخر الحديث المبارك الذي كلكم تحفظونه ، ولكن هل منكم يوماً مّا ذكر لولده شيء منه ؟

عمكم محمد وعمكم هادي لما حفظوا الله . . حفظهم . « احفظ الله يحفظك ، تعرّف إلىٰ الله في الرخاء يعرِفْك في الشدة ، وإذا سألت . . فاسأل الله ، وإذا استعنت . . فاستعن بالله » .

وذات يوم عنده واحد يأكل وهو صبي ، فأخذت يده تطيش في الصحفة ـ أو القصعة ـ فأخذ النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ بيده وقال له : « يا غلام : كل مما يليك » . هٰذا المعلّم .

هل بدا أحد قال لأولاده منها هٰذه التربية ؟

حد بَدَا ذكر لهم شيءْ منها ؟

هٰذه التربية تكاد تكون فُقدت ، وهي موجودة عند كل واحد منكم ولكن الناس مشغولين أو غافلين . وكان ينبغي للإنسان أن لا يترك الفرصة تضيع عليه من جهة تربية ولده أو بنته ، أو زوجته أو أخته ، أو خالته أو عمته ، أو حتىٰ نفسه .

كثير ما ننبّه إلىٰ صلاة الجماعة ، كل واحد داري بنفسه ، مَن يصلي في جماعة ؟ هل يحرص عليها ؟ هل يحرص علىٰ نافلتها ؟

هل يحرص علىٰ الأشياء هٰذه ، أو ما يحرص عليها ؟

وكأنها غفلة مستمرة تمشي مع الإنسان من حيث لا يدري

Scanned with CamScanner

والسبب في ذلك : أن الجليس ما هو جليس صالح ، ما ينبهك لمثل هـٰذا .

وإذا جلس الإنسان . . يجلس علىٰ ماذا ؟ قال : ماذا سمعتوا في الراديو اليوم ؟

ماذا قالت إسرائيل اليوم ؟

ماذا قالت أمريكا عنهم ؟ وبماذا تحدثت ؟

والذهب طلع ، بكم سعره ؟

ما هـٰذه الحالة ؟ حالة للإنسان منها ما يناسبه إذا استعان بالله في أمره ، هـٰذه الأمور ما تأتي إلا في المتأخرات .

وكثير منهم هـٰؤلاء الذين تسمعونهم ، والذين يذكرهم الإمام ، والذين يذكرونهم الأئمة . . ما لهم شأن بهـٰذا . هـٰذا مكفيين به : إن زاد السعر . . هم ناس في أعداد الناس ، وإن نقص . . هم ناس في أعداد الناس ما شيء لهم إلمام بمثل هـٰذه .

ولكنها ـ يا إخواني ـ فُقدت مجالس العلم ، وفقدت مجالس الذكر ، وفقدت مجالس الدعوة التي يتحرك لها القلب والتي يتحرك لها الخاطر ، والتي يتأثر لها العبد ، والتي إذا سمعها . . تأثر بها ، وإذا سمعها من قلب متأثر . . تأثر لأن القلوب هـٰذه كما قال لكم الإمام الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

إن القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها .

وكل واحد داري عن قلبه . نحن قلوبنا لما كانت غير أوعية

Scanned with CamScanner

للعلم . . يمر علينا الحديث ، وتمر علينا الكلمة فنعيها في المجلس ، ثم إذا خرجنا . . كان الأمر كما قال الله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ يُخشىٰ علينا أن تأتينا آخر الآية ـ والعياذ بالله ـ معاذ لنا حاجة بها أن نذكرها .

ولكن ينبغي الانتباه ، ينبغي التعرض ، وخزائن المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مَلأىٰ لكل واحد ، كل واحد يعطيه ربكم ما لا يعطيه للثاني ، كل واحد يتكرم عليه ربكم ما لا يتكرم به علىٰ الأول ؛ كما قال لكم الشيخ العيدروس :

خزائنكْ بالجود لا تنتهي لِكَثْرة عطاياك للرّاغبين

أو : للسائلين .

العطايا لا تزال ، لكن كل واحد له عطية من العطايا ما هي للثاني ، وكل واحد له مدد من الإمدادات ما هو للثاني ، وكل واحد له رعاية من حضرة القدس وحضرة التقديس ما هي للثاني ، وكل واحد له عناية تأتيه إمدادتها تهبط من عالم القدس ما هي للثاني ؛ لأن العطاء لا ينحصر والخزائن ملآنة ، تفيض ولا تَغيض ، وكلها أعدها الله سبحانه وتعالىٰ لهٰذه الأمة المرحومة ، ولمن قَبْلنا ممن اتبعوا رسلهم وآمنوا بمن يأتي بعدهم . ولكنا كنا كما قال لكم القرآن : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يكفي هٰذا الكلام ، ويكفي هٰذا المدح .

وإذا كنا خير أمة . . معاذ نحن محتاجين لمجالس ، محتاجين لتتميم الآية ، محتاجين للتعريف إلىٰ هٰذا العالم الذي خُلقنا

فيه ، والذي كل واحد مننا مسؤول عن هٰذا العالم .

قالوا: حتىٰ في الصلاة ، إذا قال : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين. . وصلت كل رجل وامرأة صالح مصلي . وإذا ما قالها. . قَصَّر علىٰ كل واحد من الذين يصلون؛ أي : ما وصله نصيبه من هٰذا السلام الإلٰهي ما هو سلام نبوي. . هٰذا سلام إلهي. . جرىٰ في الحضرة الإلٰهية مع نبيكم ليلة وصوله إلىٰ مقعد الأنس في مقعد القدس، عندما خاطب مولاه سبحانه وتعالىٰ فردت عليه الحضرة الإلٰهية الأحدية بقوله : « السلام عليك أيها النبي ». ولهٰذا أُمِرنا بتكريرها في الصلاة ، عسىٰ أن ينفتح للقلب في تلك اللحظة باب إلىٰ ذلك العالم ويشاهد ذلك المقعد .

هٰذه الخلافة المحمدية بابها مفتوح . هٰذا الخليفة الكبير ، الخليفة الثاني ، الخليفة الثالث. . بابها مفتوح ، فكيف الدخول إليها ؟ بالصلاة ، هٰذا المفتاح يدخل به الإنسان عليها ، إذا وصل إليها أو قرب منها. . وصلته رعاية أو نفحة من تلك النفحات فعطفت عليه وأدخلته الحضيرة ، فإذا أدخلته الحضيرة. . شاهد : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ .

وقال الإمام الحداد :

وجاهِدْ تشاهِدْ واغنم الوعد بالهدىٰ   هدىً نصه في العنكبوت بآيةِ[1]

---

(١) الآية من سورة العنكبوت ـ والذين جاهدوا .

Scanned with CamScanner

هـٰؤلاء الذين قبلكم ، والذين لا نزال نذكرهم ونذاكر بهم ، قال فيهم الشاعر العربي :

ورثنا المجدَ عن آباءِ صدقٍ . . . .

ولكن لا نريد أن نقول : . . . . . . أسأنا في جوارهم الصنيعا

بغينا الإرث هـٰذا ـ إن شاء الله ـ نأخذ به ونمكّنه حتىٰ لا يضيع ولا يذهب .

وما هو المجد ؟ وما المقصود منه ؟ هـٰذه إلا ثمرات ، يقولون لها : المجد هداية الغاوي ، هداية الضال ، تعليم الجاهل . أن يكون الإنسان معلِّمْ ، ليس بلسانه فقط ، لكن إذا كانت الهيئة هيئة صلاح . . عَلَّم بها وتأثر بها غيره .

إذا كانت السكينة سكينة صلاح . . أَثَّر بها وتأثر بها .

إذا كان السمت سمت صلاح ، حديث ورد عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : « السمت الصالح جزء من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوة » .

أين السمت الصالح ، ما هو طريقة السمت الصالح ؟

ليست بالثياب فقط ، بل هي بالسير حتىٰ يُدرِك أن أحداً لا يعرفه وهو في الطريق ، لا يلتفت يمنة ولا يلتفت يسرة ، ولا يلتفت هـٰكذا ، ولا يلتفت هـٰكذا .

قال حامد بن أبي بكر المحضار ـ قال ـ : كنت أدرس في (مصر) وكنت أقرأ علىٰ واحد من الشيوخ ، فأرسل لي والدي ـ

Scanned with CamScanner

أو أحد من أقاربي - ثياب من الثياب الملونة ، وثيابهم كلهم كانت هيئة شيوخ الأزهر ، ومن كان يسير بسَمْتهم ، هيئة معروفة . وعندنا شيوخنا ، هيئتهم معروفة ، لا تتغير ولا تتبدل : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ .

قال حامد المحضار : بعد ما خرجت وأنا مرتدي الملابس الملونة . . إذا بالشيخ حفنا مقبل من طريق ثانية وأنا مقبل من الطريق الأخرىٰ ، قال : خجلت أن يراني بهٰذه الملابس التي علىٰ غير هيئة الأزهر ، ولا دريت أي طريق آخذه ؟ فإذا بالشيخ مر منكِّسْ رأسه ، ما التفت إليَّ ولا نظر إليَّ! فقلت : الحمد لله الذي نجانا . وأصبحت في اليوم الآخر ولم ألبس هٰذه الثياب .

هٰذا جزء من السمت الصالح . وكانوا أهلكم متصفين بها وأكثر من هٰذا .

هٰكذا كانت سُنَّة العلم ورعاية العلم ، وأهلكم كلهم معلمين ، كلهم دعاة خير .

كثير ما أذكر لكم الحبيب محمد بن سقاف بن محمد السقاف ، معه ولد واحد فقط - قرة العين - جاؤوا إليه بعد المغرب وهو في المسجد ، وقالوا له : ولدك عمر سقط وانكسرت يده .

قال : أما أنا ما أخرج من المسجد حتىٰ أصلي العشاء وأنتهي من أذكاري كلها ، وأَلْهُوا الولد وريضوا عليه حتىٰ أجيء إلىٰ الدار .

Scanned with CamScanner

ولما جاء إلىٰ الدار ، وقبل ما يلتفت إلىٰ الولد وأوجاع الولد . . قال لأهله : تقصير حَصَل عندكم ، ماذا قصرتم في حقوق ربكم ؟

قال : أخذ يسألهم ، يسألهم ويسألهم حتىٰ وصل إلىٰ خادمة عندهم في البيت وجدها ما تعرف الصلاة ، قال لهم : من هاهنا أُصبنا! لا تنزل عقوبة إلا بذنب ، ولا ترتفع إلا بتوبة ، معاد يحتاج .

وكثير من أمثالهم هـٰؤلاء ؛ لأنهم يرون الأمور كلها : إذا أخل واحد منهم بشيء من تلك الأمور . . رأىٰ أنه مستحق لعقوبة .

كانوا شيابتكم إذا جاءتهم الدنيا . . قالوا : ذنب عُجِّلت عقوبته . وأنتم ما تقولون ؟ ستقولون نعمة عُجلت لنا ! !

والدنيا إذا قام بها الإنسان وأحسن القيام ، ووالاها وأحسن الولاية . . كان له فيها أجران وأكثر الناس ربما لا يقومون بحقها !

كثير ما تسمعون عن الحبيب علوي بن محمد (١) وقضيته . في كل مجلس تحتاج تُذكَر قضيته حتىٰ ينتبه الإنسان ؛ لأن الواحد إن جلس علىٰ سيارته . . يرىٰ أنه مَلِك ! طرح يده علىٰ التكية أو طرف الباب حقها ، ورفع الرأس ، يمكن يمر علىٰ واحد حتىٰ من أصدقائه فلا يسلم عليه ؛ لأنه في حالة كبيرة من السعادة في تلك اللحظة ! ويمر علىٰ العاجز ، ويمر علىٰ الشيبة ، ولا يلتفت إلىٰ أحد .

---

(١) الحبيب علوي بن محمد بن عمر السقاف وفاته بسيون (١١٧٠) .

Scanned with CamScanner

أين زكاة السيارة ؟

أين معروف السيارة ؟

أين رعاية النعمة التي أسداها الله إليه ؟ نعمة سيقت إليك ، هل جاءتك بالقوة ؟ أو جاءتك بالهذرمة ؟ أو جاءتك بالوجاهة ؟ أو جاءتك بالمعرفة ؟ أو جاءتك بالنفوذ الكبير ؟

نعمة سيقت إليك من الله سبحانه وتعالىٰ فإن أحسنت الرعاية لها . . بورك لك فيها وزاد الله لك من خيرها ومن بركتها ، وكُتِبَتْ في صحائف أعمالك . وإذا لم يكن كذلك . . كانت علىٰ العكس ، كانت وبالٌ علىٰ الإنسان ، وكانت بلاء علىٰ الإنسان .

وما هي في السيارة ، في كل شيء : ينبغي للإنسان أن يرعىٰ فيه حق الطريق ، يرعىٰ فيه حق العاجز ، يرعىٰ فيه حقوق الرعاية .

هناك حديث ورد في البخاري ـ كلكم تذكرونه ، ولكن لا تتذكرون ـ ذلك الحديث هو : « كان فيمن قبلكم ثلاثة نفر : أبرص ، وأقرع ، وأعمىٰ . أرسل لهم الله ملكاً من الملائكة يختبرهم » .

وهـٰذه الحالة كلكم إذا ذكرتم بلادكم ، وذكرتم أنكم طلعتم منها في شدة شديدة وفي بلاء . . اذكروا حق النعمة .

وقضية هـٰؤلاء ـ كلكم تعرفونها ـ : جاء المَلَك للأول ، وقال له : كيف حالك ؟

Scanned with CamScanner

قال له : أنا في حالة ضعف .

قال له : كيف لو دعوت الله لك فكشف عنك ما بك من مرض ، ووسع الله لك في الرزق ؟

قال له : سأقوم بحق الشكر . دعا له المَلَك .

والثاني ذهب إليه الملك وسأله مثل الأول ، والثالث كذلك .

ثم رجع إليهم - بعد ما اغتنوا - في صورة مريض وعاجز وابن سبيل ، وقال له : أنا ابن سبيل منقطع ، بغيت معونة أصل بها إلىٰ بلدي وأُكفىٰ بها المؤونة .

قال له : أنا ورثت هٰذا المال كابراً عن كابر .

قال له : ربما كنت كماي مريض فعافاك الله ، وفقير فأغناك الله ؟

قال له : رُح في طريقك ، أنا ورثت هٰذا المال كابراً عن كابر .

قال : فدعا عليه المَلَك ؛ لأنه لا يستحق النعمة . كل واحد يزن نفسه بميزانها ، كلنا - شُفُوا - نحن مقصرين كثيرْ . كلنا ضعفاء في هٰذه الأخلاق كثيرْ ، كلنا عاجزين في مثل هٰذه الأشياء كثيرْ .

وجاء المَلَك للثاني ، وقال له مثل الأول : ورثت هٰذا المال كابراً عن كابر . ودعا عليه .

فعاد للاثنين المرض والفقر ، وجاء للثالث ، فقال له : ادخل

إلىٰ عندي . دخل إلىٰ عنده ، قال له : أنا كنت مثلك مريض فشفاني الله ، وقد كنت مثلك فقير فأغناني الله . قل لي ما الذي يوصلك ويكفيك إلىٰ بلادك . . أعطيك إياه .

قال له : أنا المَلَك الذي جئت سابقاً ودعوت لك ودعوت لأخوانك ، بارك الله لك في هٰذا المال ، وجعله نعمة لك . أما أخويك . . فقد دعوت الله عليهم .

وكم من مَلَك يمشي في صورة بشر ، لا يدري عنه الإنسان ؟ إذا دخل إلىٰ عند واحد . . حَرَّكَ له سبحته بدل ما يحرك له دراهمه ودنانيره ، واعتذر له ، وإلا طرده ، وإلا قال له كلمة ما هي طيبة . خرج من عنده ولا درىٰ إلا بالنقمة تأتيه ساعة بعد ساعة ، ونَقْص بعد نَقْص ، وأشياء بعد أشياء حتىٰ ترده إلىٰ منزله السابق وعادته السابقة . والإنسان لا يدري ، ولا يعرف من هٰذه الأشياء ويذكرها ؟ ولكنه يذكرها إذا ذُكِّر بها ، وإذا ذُكِّر بها في المجلس وغيرها من الذكريات ، ولكنه سرعان ما ينسىٰ!

وكثير من مثل هٰذه الأشياء تحصل ـ يا إخواني ـ ينبغي لنا أن نتفقدها .

وهٰذه المجالس ـ شفوها ـ غنائم ، مجالس تذكركم بمجالس السقاف وأولاد السقاف(١) ، والمحضار(٢) وأخوان المحضار ،

---

(١) القطب الكبير المقدم الثاني عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويله .

(٢) الشيخ عمر المحضار ولد بتريم وتوفي بها وهو ساجد في صلاة الظهر يوم الإثنين الثاني من شهر القعدة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة ٨٣٣ .

Scanned with CamScanner

والفقيه ورجاله ، والشيوخ المتأخرين الذين جاؤوكم والذين عرفتموهم .

ووجود هٰذا الحبيب المنصب الكبير ـ علي بن أحمد بن حسن العطاس ـ عندنا نعمة كبيرة جم . نشهد فيه الإمام المجاهد الكبير عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ، الذي خرج من داره وهو كفيف ـ كل يوم نذكره لكم ـ داعي إلىٰ الله ، لا مال ولا حال ولا بصر ، لكن البصيرة يَقِظة ؛ لأن ما عند الله أولىٰ من هٰذا كله .

فاعتاض بماذا ؟

اعتاض بأنه رد الأودية ذيك كلها جنة ، ورَدَّها كلها ديار علم ، ومنازل بركة ومنازل نور ، ومنازل صحة .

وجاء إليكم هٰذا الحبيب قائم هناك بالضيافة ، قائم بالإصلاح ، قائم بالدعوة ، قائم بالنفع ، قائم بالمظهر عن أحمد بن حسن (العطاس) . يأتي إليه الكثير من الآفاق ، ويأتي إليه العلماء ، ويأتي إليه البدوي ، ويأتي إليه البعيد الدار ، ويأتي إليه القاصد . . وبيته مفتوح .

وهٰكذا كان مَن قبلكم ، كلهم كانوا علىٰ مثل هٰذا الحال ، إلا أنهم ما كانوا يتقيدون : يوم الرخاء رخاء ، ويوم الشدة شدة . وأما إقفال الديار . . ما هي من العادة ، ولا من السنة ، ولا من الخير للإنسان .

Scanned with CamScanner

ينبغي للإنسان أن يستقبل الضيف بوجه باسم . ويكفي الضيف أن تضحك في وجهه ، وتقول له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ، يا حَيَّا ويا مرحباً بك ، ويقدم له الموجود .

كان عمكم مصطفىٰ بن عبد الله بن سميط ـ كثير منكم عرفه ـ في بلد (شبام) بلد من بلدان (حضرموت) المعمورة الظاهرة ، كان يستقبل الضيوف علىٰ فقر ـ قد يقدم لهم تمرٌ ، ويقدم لهم شيءٌ من الخبز وقد يقدم لهم كثيرٌ ـ وفي مرة من المرات أتىٰ لهم بقليل من الأرز وهم منهم ثمانية ، قال لهم : كل واحد يأخذ له لقمة ، والباقي : ضحكة من عمكم مصطفىٰ ، وماء بارد ، وأنس وصفاء .

هٰذا الذي يريده الضيف ، يريد أحد يستقبله فقط ، والذي يقدر عليه الإنسان يقدمه له . والتكلف ما هو مطلوب .

والحبيب هٰذا أُذن له في القيام بالضيف والقيام بالخدمة ، وجزاه الله خيرٌ ، ما هو بقليل هٰذا الأمر ، ولا يكفي جزاء هٰذا الحبيب أن تستقبلونه فقط . استقبال هٰذا الحبيب ينبغي أن يكون بالرفادة ، وينبغي أن يكون بالمساعدة .

والحبيب علي بن حسن ـ قد ذكرت لكم في مرة من المرات ـ قال : من معه شيء يجيبه . . وعلي بن أحمد لا اشترىٰ ولا تَمَلَّك ، والحبيب علي بن حسن العطاس قال :

لا تَلَفَّتْ إِلىٰ رِبَّهْ ولا ٱلقىٰ مَسانِيْ ما هو الاَّ لكم يا ناسْ مملوكْ عانِيْ

هٰكذا المظهر النبوي ، وهٰذا المظهر هٰذا إنما هو عادة

Scanned with CamScanner

للحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . كان يستقبل الضيوف ، وكان إذا جاء عنده أحد : إن معه عشاء . . عَشَّاه ، إن ما معه شيء . . قال : مَن يعشّي ضيف رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

والحبيب أحمد بن حسن ، آخر كلمة قالها : الله ، الله في الغريب ، الله ، الله في الغريب . ثلاث مرات قالها ، وختمها بالوفاة علىٰ « لا إلـٰه إلاّ ٱلله » .

هـٰذه المقامات التي ورثوها . ثم مِن وراء هـٰذه ، من وراء هـٰذه . . المقامات ـ يا إخواني ـ النساء التي تربونهن في بيوتكم ، والذين تباعلوهن وتجلسون إليهن : علموهن الصلاة ، علموهن الأخلاق ، علموهن المكارم ، علموهن الديانة ، علموهن العفة ، علموهن المروءة .

وكذلك البنات والأولاد ، اجعلوا دُوركم مدارس .

هـٰذا القرآن يقول لقوم بني إسرائيل : ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ للصلاة . وأنتم اجعلوها مدارس كذلك ، يجعل الواحد خمس دقائق لأهله يباسطهم فيها ويدخل عليهم السرور ، لا يجعل المرأة لحاجته فقط ، أو بنته لمظهر الزينة ؛ ليقولوا : بنت آل فلان اليوم خرجت وعليها من الحلي ، أو من الثياب ، أو من المفاخر ، أو يتحدثن عنها النساء .

ما هو هـٰذا ـ يا إخواني ـ بالمطلوب ، ولا هو هـٰذا بالمقصود .

المقصود : أن الإنسان يعلِّم نساءه : ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ . ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ

Scanned with CamScanner

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية . ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ .

وهٰذه زينب أم الفقراء ، قالوا : خلاخلها من حديد .

وقال الكثير : إنها تصدقت بهن .

وقالوا : إنها كل يوم تتصدق بزير تمر فيه تسع مئة رطل . بماذا تتصدقون أنتم ؟

تصدقوا حتىٰ بالكلمة الطيبة ؛ فإنها صدقة ، والقليل يكفي . وكل إنسان يقدر علىٰ الصدقة . . ينبغي له أن يتصدق .

هٰذه إلا حرمة من النساء لها من الفضائل الكثير ، أما الرجال . . فمسافات طويلة كبيرة جم .

وهٰذا المطلوب - يا إخواني - وهٰكذا بركة المجلس . والمطلوب من كل واحد إذا أراد - مثلاً - أن يتحلىٰ ، أو يعلم ، أو يستفيد من بركة المجلس . ما يكفي من المجلس قوله : حضرنا المجلس ، ما شاء الله ، يا خير كلام!

ما المقصود : يا خير كلام!

المقصود من كل واحد : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ .

كل واحد يعقد علىٰ ما سمع ، وحين ما يخرج . . يقول لزوجته وولده : من اليوم بانصلي الفجر جماعة . دعونا نقرأ قليلْ في « بداية الهداية » ، بانقرأ قليل من كتاب كذا ، وكذا . لأجل يهذبهم .

انظروا إلىٰ هٰذا الحبيب محسن يصيح عليكم ، كلامه كله صياح . كلام الحبيب أحمد بن حسن كذلك ، كلام الشيوخ الذي تسمعونه أيضاً .

لا يترك الإنسان قلبه مظلمْ ؛ لأن القلب ما تنطلق منه الظلمة إلا إذا أعطاه حقه . وحقه : أن يعرف أنه من ذلك العالم الذي لا يصلح له أن يورده مداخل الظلمة . وذلك العالَم مرتفع بنورانيته ، وخُلق النور فيه ليشهد وليأخذ من ذلك العالم التطلعات ، وهٰذا هو معنىٰ قوله : ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ .

إذا حصلتوا قلوبٌ مثل هٰذه القلوب اللماعة . . فقد اختصكم الله بشيء من الرحمة وشيء من البركة .

ولا أطيل عليكم في الحديث ، بغينا الإخوان يتكلمون - الحبيب أحمد المشهور ، والأخ محمد الشاطري ، والأخ عبد القادر الرُّوِش - يتحفونكم بشيء مما عندهم . والمنصب عندكم اسْتَجْلُوا وجهه ، واستجلوا دعواته ، واستجلوا بركاته ، واستجلوا ما يأتي منه ؛ فإن هٰذا الحبيب خليفة أحمد بن حسن . يكفيكم أنكم ما تسمعونه في أحمد بن حسن . . موجود في علي بن أحمد ، وموجود كله في هٰذا الحبيب .

أعطاه الله سلامة البال ، أعطاه الله المحبة للناس كلهم . يأتي القريب والبعيد ، ويأتي إليه الإنسان فيستقبله ويخرج به إلىٰ ضريح الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ، والحبيب أحمد بن حسن بطياليِّه وهيئته ومقامه وإكرامه ، والجزار يذبح ،

Scanned with CamScanner

وأهل الدار في الخدمة ، وهو في الخدمة .

الحاصل : أنها مقامات أقام الله فيها أهلها ، أعطُوها حقها ، وقوموا حسب الإمكان ، لا تقولون : لا نقدر نقوم بمثل هٰذه الأمور ، ولكنكم أعطوا الأشياء حقها ، ولا يقصِّر الواحد منكم في شيء من مثل هٰذه الأمور .

واغتنموا هٰذه الأيام ، شفوها أعياد . كم كنا نؤمل أن نشوف علي بن أحمد بن حسن العطاس ونجلس نحن وإياه ، ونتمتع بمجلسه ؛ لأن نحن عَهْدنا به قديم من (حريضة) وتلك البقاع جاءتكم (حريضة) بكاملها ، وجاءكم (وادي عمد) بكامله ، وجاءتكم (حضرموت) كلها (تريمها) و(سيئوونها) .

جاءتكم (حضرموت) كلها بما فيها من رجالها ومن أوتادها ، كلها مندرجة تحت هٰذه العمامة ـ أي : عمامة الحبيب علي بن أحمد بن حسن العطاس ـ . الله الله في هٰذا الحبيب ، اغتنموا مجالسه ، واغتنموا أيامه ، واغتنموا بقية ما يحصل منه ؛ فإنكم كلكم سوف ترون الحبيب أحمد بن حسن ، وتشهدون الحبيب أحمد . ومن صفت سريرته . . بايشاهده في منامه ، ومن لم تصفو سريرته . . فليتأمل في هٰذا السيد ، وكفىٰ .

والحمد لله رب العالمين . وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

Scanned with CamScanner

احتفال ضم عدداً من العلماء والأعيان وقد تكلم فيه عدد منهم منصب آل العطاس علي بن أحمد بن حسن العطاس وإجازته للحاضرين والحبيب أحمد مشهور الحداد والحبيب عبد القادر بن سالم الروش السقاف والحبيب محمد بن أحمد الشاطري وختامها مسك الختام كلمة الحبيب عبد القادر وهي :

وتكلم سيدي - حفظه الله - بهذه الكلمة القيمة في الروحة التي عقدت بمنزل السيد محسن بن علوي السقاف ، مساء الجمعة الثامن والعشرون من شهر ذي الحجة ، عام خمسة وأربع مئة وألف للهجرة (٢٨/ ١٢/ ١٤٠٥هـ) الموافق : الثالث عشر من شهر سبتمبر ، من عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (١٣/ ٩/ ١٩٨٥م) .

وكان اجتماعاً عظيماً ، حضره الكثير من الآباء والإخوان ، وفي مقدمتهم : الحبيب علي بن أحمد العطاس منصب (حريضة) وغيره .

وبدئت الروحة بقصيدة للحبيب علي بن محمد الحبشي ، التي مطلعها :

يا وارد الأنس والأفراح بالسَّحَرِ   أزحتَ ما بفؤادي من لظى الكدرِ

أنشدها الأخ علوي بن شيخ الحبشي - بعده أنشد الأخ محمد بن سالم خرد قصيدة العدني :

نُصِبَتْ لأهل المناجاه   في حُندس الليل أعلام

ثم أنشد الأخ أبو بكر بن علي المشهور قصيدة الحبيب عبد الله الحداد :

على ريم وادي الرقمتَيْنِ سلامي   وحسبي به في رحلتي ومُقامي

وأنشد أحد الحاضرين قصيدة للحبيب علي الحبشي :

لكم بشرى الإجابة والقبول   من المولى بواسطة الرسول

Scanned with CamScanner

والقىٰ الشاعر أحمد بن علي بافقيه قصيدة مدح فيها منصب (حريضة) علي بن أحمد العطاس ، مطلعها :

عَمَّ جَوُّ السرور بين الناسِ وأنارت محافلُ الجُلّاسِ

بعد ذلك تكلم الحبيب علي بن أحمد بكلمة مختصرة ، وختمها بدعوات جليلة .

ثم تكلم حبيبنا أحمد المشهور ، ثم أستاذنا محمد الشاطري ، ثم حبيبنا الوالد عبد القادر الرَّوش .

ومسك الختام كانت كلمة حبيبنا الوالد عبد القادر بن أحمد السقاف ، حيث قال :

جزىٰ الله الإخوان الكرام خيرٌ ، وجزىٰ الله المنصب خير الجزاء ، وجزىٰ الله الأخ محسن في هٰذا الاجتماع خيرٌ .

اجتماع مبارك ، توالت عليكم خيراته وبركاته .. وهي في الواقع مائدة رسول الله صلّىٰ الله عيه وآله وسلّم ، هي دعوة من هٰذه المائدة .

هٰذا الكلام الذي تكلم به المنصب علىٰ لسان من ؟

والكلام الذي تكلم به الحبيب أحمد في الأدب وفي الأخلاق علىٰ لسان من ؟

والذي تكلم به الحبيب محمد الشاطري علىٰ لسان من ؟

والذي تكلم به الحبيب عبد القادر بن سالم علىٰ لسان من ؟

كله علىٰ لسان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . فهي مجامع مباركة ، لاشك أنها تعود عليكم بالخير .

وكما يقول المتقدمون والمتأخرون : (للحديث بقية) ما تركوا لنا بقية في الكلام ، الكلام الذي ننوي نأتي به أحسنوا فيه ، وأجادوا فيه ، وذكروه بألسن نابعة عن قلوب حية متحركة ، جزاهم الله خيراً .

فرحت أنا كثير وسررت ، وبغينا الإخوان دائم يسمعون مثل هـٰذا الكلام ، وإنما ـ يا إخواني ـ بزيادة ـ كما قلنا : للحديث بقية ـ لتسمعوه .

هـٰؤلاء فتحوا لكم المجال . ذكر لكم الحبيب علي المنصب ـ هـٰذا المبارك ، البقية ، ابن الإمام ، ابن الإمام ، ابن الإمام . سلسلة مباركة كلها ـ ذكر لكم عادات البلاد وعادات أهلكم ، ذكر لكم شيءً عن العوائد ، وطلب منكم ابتعادكم عنها .

وإذا رجعنا إلىٰ الحديث ، وإلىٰ كلام الحبيب محسن بن علوي : « تعريف الخلف بسيرة السلف » ـ يسمونه النائحة الثكلىٰ ، يصيح بمثل هـٰذا الصياح وأكثر ، والليلة كان كلامه عن عادات السلف ، وذِكرْ السلف ، وأكرم وأنعم ـ وإذا أراد الإنسان أن يعرف الفرق فيما بينه وبين مَن قبله ـ متسلسل ذلك الفرق حتىٰ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ رأينا أن الناس مثل الناس ، ولـٰكنهم يختلفون في المقاصد والنيات .

فالسابقون هـٰؤلاء إذا جمع الواحد منهم ما قُدِّر له أن يجمعه من المال . . أنفق منه واقتصد فيه ، ولا أسرف في مشروبه ولا في

Scanned with CamScanner

مأكوله ، ولا في ملبسه ولا في زيه ، ولا في عاداته ، ولا في عادات أهله ، ولا في عادات نسائه .

وفيما يظهر أن نحن علىٰ العكس : إذا حَصَّل الإنسان شيء من المال . . اعتقد أنه حصَّل الكنز الثمين والدفين ، وحصَّل الخبيّه وحصَّل الخير ، واعتَقَد أنه هٰذا كله أتىٰ به بالنشاط ، والذكاء ، والقوة والهمة البارزة الكبيرة! وما أوتيه من هٰذا المال ـ إن كان بمثل هٰذه الصورة ـ إلا بلاء علىٰ الإنسان .

هٰذا الواقع ، ولهٰذا كان السابقون إذا جاء المال . . قالوا : ذنب عُجِّلَت عقوبته !

ومعنىٰ « عجلت عقوبته » : إذا تباهىٰ بالمال . . تباهىٰ به في المنزل ، تباهىٰ به في أهله ، تباهىٰ به في أولاده ، تباهىٰ به في معاملته ، تباهىٰ به في مظهره . . فما معناه هٰذا التباهي ؟

معناه : أنه ذنوب ، ما هو ذنب واحد ، ما في ذلك كلام .

وكان مَن قبلكم متأسين بالسيد الكبير صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . هٰذا حال من عرفتموهم وممن سمعتم عنهم ، يجعل المال هٰذا كله طريقاً لرضاء ربه .

ومعنىٰ (طريقاً لرضاء ربه) : كانوا يقرؤون في كلام الحبيب أحمد بن حسن رحمه الله ـ وهو شاهد لنا في كل شيء ـ قال : إن أحد الصالحين كان في كل عام يكتب وصيته ، فإن تمادىٰ به

العمر إلىٰ العام الثاني . . تصدق بالوصية وأخرجها ، وكتب لنفسه وصية أخرىٰ جديدة .

كل واحد يرىٰ نفسه : هل عنده شيء من هٰذا ؟

وكان الواحد منهم يقاسم الفقراء ويقاسم القرابة ويقاسم الأرحام في ماله ، كما حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ . وذلك اقتداءً بمن ؟ اقتداءً بالحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، يقول : « من مات وعليه دين . . فعلي قضاؤه . ومن مات وله مال . . فَمالُهُ لورثته » .

بغينا تكافؤ في مثل هٰذه الأشياء ، بغينا مقابلة في مثل هٰذه الأشياء ، بغينا نتعاقد علىٰ مثل هٰذه الأشياء . إذا ترونها مناقب حسنة . . حد يأبىٰ منكم المنقبة الحسنة ؟

حد يرضىٰ منكم أن يرجع إلىٰ الوراء ؟

حد يرضىٰ منكم التأخر في مثل هٰذا ؟

كثير ما أذكر لكم أيام الحبيب علي بن محمد الحبشي ، كانت أيام زاهية وطالعها طالع السعود . كان إذا اشتدت الأزمة وتضايق الناس . . يأتون له أهل المال بمالهم ويقولون له : قَسِّمه لفقراء البلاد ، من حيث لا يشعر زيد ولا يشعر عبيد .

وكان والدي يقول : من جملة الناس الذين يتهمونهم بالحرص : الحبيب حسين بن علوي ، وهو من أهل اليسار في

ذلك الوقت . وهو قال : إذا ضاقت علىٰ الناس واشتدت الضائقة أخذ شيءً من المال وقال : يا علي .

قال له : لبيك!

قال له : وَزِّع هـٰذا من حيث لا يدري أحد .

وقال والدي : كانوا يخرجون - يشير إلىٰ عمي عمر بن حامد ، تلميذ الحبيب علي الخاص ، ويستخدمه في داره وفي خاصته ، ومع الحبيب علي خادم اسمه : بلال - قال : إذا اشتدت الضائقة . . يجيبون الأغنياء إلىٰ عند الحبيب علي (شيءً من أموالهم) ، وكان يوزع من آخر الليل .

ويقول الحبيب عمر بن حامد : أخرج أنا وبلال من آخر الليل .

ومرة من المرات واحد أحضر للحبيب علي ثياب براكيل - وهو الثوب الأسود حق أهل (حضرموت) الذي يصبغونه ، وإذا لبسه الرجل أو المرأة . . ظهر سواده في جسمه ، ولكنه عندهم من اللباس الزين - ويربط مع كل بركالة ثلاثة ريال - والثلاثة الريال في ذلك الوقت كثيرة ، ما هي قليلة - ويخرجون يقسِّمونها من آخر الليل إذا هدأت العيون ، ويرمون بها من النوافذ التي فوق الأبواب يسمونها المتقدمين عندنا : عُكْرَة - يلقونها من العكرة إلىٰ الدهليز ، فإذا خرج صاحب المنزل من آخر الليل أو بعد الصبح أو في غيرها من الأوقات . . وجد الخير ، وجد البركالة ووجد مضاف إليها شيءً .

Scanned with CamScanner

بغينا ارتباط - يا إخواني - ليزيدكم الخير والبركة .

من أين جاءكم هٰذا الخير ؟

يعتقد الإنسان أنه فُتِح له بالنشاط الكبير أو بالذكاء! لا أزال أذكِّركم : كلكم طلعتوا بحاجة ماسة من أماكنكم دعتكم للخروج من البلاد ، وإلا . . قال ربكم : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ .

دعت الظروف الشديدة إلىٰ الخروج من البلاد ، فخرجتم من البلاد أَرسالاً أَرسالاً من قبل ثلاثين سنة ، ومن قبل عشرين سنة ، ومن قبل عشر سنين ، حتىٰ جمعتكم هٰذه البلاد المكرمة المشرفة ، ووجدتم فيها البيت الحرام ، ووجدتم فيها قبر سيد الأنام ، ووجدتم فيها المآثر التي أشاد بها القرآن من فوق سبع سماوات . فنَعِمْتم وغنمتم ، ووجدتم بها الرزق ، ووجدتم بها الخير ، ووجدتم بها العمل .

هل هٰذا جاءكم بالنشاط حقكم ؟

هل جاء هٰذا بالذكاء ؟

كم من واحد ذكي ، وكم من واحد نشيط ، وكم من واحد عنده فلسفة ، وكم من واحد عنده يقظة ، وكم من واحد محبوب عندما يتكلم ، وكم من واحد مقرَّب ، وكم من واحد له لسان طلقة ؟ ولكن في ضائقة! ما هو بشيء مِن هٰذا ، إنما جاءتكم الأرزاق من فوق ، من ذلك العالَم الكبير ، بواسطة مقدرة أنكم

تتضايقون في بلادكم فتخرجون ، فيفتح الله لكم باب الرزق .

ماذا عملتوا نحو ربكم بعد أن فتح لكم هٰذا الباب ؟

ماذا قمتم به نحو مولاكم سبحانه وتعالىٰ ؟

ذكرت لكم فيما قبل مدة قليلة ـ ما أدري في شهر أو أقل من شهر ـ كان يتكلم عمنا حسين بن عبد الله الحبشي[1] ـ أخو الحبيب عطاس ـ يخبر عن واحد من السادة آل الحبشي ، لتعرفوا صدق المعاملة مع الله ، قال : عنده شيء من المال ، خرج إليه واحد من مشايخ (تريم) من آل أبي فضل ـ أو الخطباء ـ ناوي هٰذا الشيخ يريد الحج ولا معه شيء إلا نخل ، فجاء إلىٰ عند الحبيب وقال له : بغيت منك أربع مئة أو مئتين ، أريد الحج ، وسأرهن عندك هٰذا المال ـ يعني : بايعطيه إياه كعهدة ، كما يقولون آل (حضرموت) ـ لمدة سنتين ـ .

قال له : يا خير .

أعطاه المطلوب . وأخذه من الحبيب وسافر ذلك الشيخ ورجع ، وفي كل وقت ينتظر الفرج ، ولٰكنَ! ضاقت عليه الأشياء ، ومرت عليه أربع سنين ولا قدر يظهر علىٰ الحبيب ، فأرسل له الحبيب يريده يخرج إلىٰ عنده .

خرج مسكين مستحي ، ويقول في نفسه : بماذا أقابل السيد ؟

---

(١) ميلاده سنة ١٣٠٠ ووفاته ١٣٦٨ .

Scanned with CamScanner

وعدته بعد سنتين أقضيه حقه ـ وجزاه الله خيراً ـ ولكن الأمور ما تيسرت .

لما جاء إلىٰ عنده ودخل عليه . . ابتدأه بالسلام ، ثم قال له : يا حبيب!

قال له : لبيك ، أعتذر إليك ولا قدرت أخرج إليك .

قال له : شفها ، فكت نفسها ! ! (بمعنىٰ أنها فرجت) .

قال له : كيف فكت نفسها ؟

قال له : هي فكت نفسها .

قال له : كيف فكت نفسها يا حبيب ؟

قال له : من أول سنة استلمت الثمر حقها وبعته ، وكتبته لك في الحساب ، ثاني سنة استلمت الثمر وبعته وكتبته لك في الحساب ، ثالث سنة استلمت الثمر وبعته وكتبته لك في الحساب ، رابع سنة سددت ما عليك ، وهـٰذا الخط حقك ، وشل مالك ، وجزاك الله خيراً .

هـٰذه ثمرة إيمان ، وهـٰذا تسمونه : مؤمن ، أو مسلم ، أو محسن هـٰذا الرجل ؟

وهل منكم من يتعشق هـٰذه المكارم ؟

هل منكم من يحب أن يقرُب من هـٰذه الخلال ؟

هل يحب منكم أحد الإحسان ؟

Scanned with CamScanner

ثم بعد هٰذه المسؤولية ـ التي لا نزال نذكركم بها ، وقد ذكرها لكم هٰؤلاء الإخوان ـ كل واحد مسؤول :

مسؤول عن أهل بيته ، مسؤول عن أولاده ، مسؤول بعدها عن أرحامه ، مسؤول بعدها عن جيرانه ، مسؤول بعدها كذلك عن غير جيرانه ، مسؤول بعدها عن أهل بلده .

كل واحد يرجع إلىٰ نفسه ، ما هو الحساب ؟

أي : ماذا صنع لجاره ؟

ماذا عمل للرحم ؟

ماذا عمل للقريب ؟

ماذا عمل للبعيد ؟

وماذا عمل للأمة ؟

ربما يموت إنسان فيَغْلَم به ، وهو قد يكون من بلده أو قريبه أو رحمه ، أو لم يكن من بلده ولا رحمه ، ولكن عليه حق التجهيز له ، عليه الصلاة عليه ، عليه حق الإيصال . هل يتحرك له ؟ كثير نراهم يتخلفون .

وكثير ما أذكر لكم ـ يقدمون علينا الحجاج ـ جزاهم الله خيرً ـ من (حضرموت) ومن غير (حضرموت) ممن نعرفهم من سائر بلداننا ، يثقل علىٰ الواحد أنه يستقدمه ويقول له : يا مرحبا بك ، أهلاً وسهلاً ، تفضل عندنا .

وإذا لقيه صاحبه في الطريق وسأله : ما شفناك . . قال له : والله ما خِلِيْت[1] .

هو هٰذا كلام ؟

ما هٰذا الشعور ؟

يقدر يستجرىء الواحد يقول لبلدياته ـ أو لقريبه أو لرحمه ، أو لابن عمه ، أو لواحد له صلة به ـ يقول له : والله ما خِلِيْت . يصب فوقها يمين ! !

الزيارة ما تتجاوز عليه خمس دقائق ، ولو دعي إلىٰ حفل فيه غناء ، أو فيه أنس مع أصحابه ، أو سمرة في عزبة أو كماها . . لكان حضر من أول الوقت ، خرج من مكتبه أو من عمله وخرج للعزبة أو للسمر ، وقضىٰ أنثر الليل في العزبة ، وخمس دقائق يكرم بها كريمْ عليه ، قريبْ منه ، جارْ له ، رحمْ له ، أو لم يكن شيء من هٰذا كله !

ما حق الإسلام ؟

وما هٰذه الأبُوَّة ؟

وما هٰذه المجورة ؟

وما هٰذه القرابة ؟

ثم ما هٰذه الأخلاق ؟

هل هٰذه دعوة المسلم للمسلم ؟

---

(١) أي أنا مشغول .

هل هـٰذه عادة المسلم مع المسلم ؟

هل هـٰذه العادة سَنَّها لكم نبيكم ؟ أو سنها لكم آباؤكم ؟ أم رَكَّبتوها أنتم لما وجدتوا النعمة ؟

ويخرج الواحد يصلِّح شعره ويصلِّح نفسه ، ويلبس السروال حقه ، والثوب أو القميص حقه ، ويخرج وهو مزيَّن ، هو والمرأة سواء . وإذا وضع يديه علىٰ السيارة . . شاف نفسه كأنه ملك من الملوك ، معاد أحد قدامه ، ولعاد أحد وراءه ، ولعاد أحد يصلح أن يخاطبه أو يكلمه! بل ربما يمر علىٰ شيبة عاجز ما يوصله من هنا إلىٰ هناك ، مسافة دقيقتين!

كثير ما أقول لكم : أين صدقة السيارة ؟ لو حتىٰ توصله بالقرب من الطريق التي يريدها .

حتىٰ السلام لا يوجد عنده ، وربما تَجاهَلَه ، وربما أعرض عنه ، وربما تركه .

متىٰ باتأخذون هـٰذه الأخلاق ؟

ما فائدة هـٰذه المجالس ؟

هـٰذه المجالس إذا لم تكن ثمرتها البركة بالعمل . . لا بورك فيها .

ما معناه . إذا قيل له : حضرت الروحة ؟ قال : تباركنا .

بماذا تباركت ؟ هل عملت بشيء من الأحاديث التي سمعتها؟

أورد لكم الحبيب علي ، وأورد لكم الحبيب أحمد ، وأورد

لكم الأخ عبد القادر الرُّوِش ، والأخ محمد الشاطري أحاديث نبوية كل واحد مسؤول عنها .

أين هي تلك الأخلاق ؟ مما سمعتوه : هٰذا الحديث : « **أحاسنكم إيماناً : أحاسنكم أخلاقاً** » .

هل الأخلاق موجودة ، أو ما هي موجودة ؟

كان السابقون يخرجون يستقبلون الزائر والقادم ، ويأخذون بيده ويأخذون بخاطره . أذكر لكم حكاية ذكرها الإمام الغزالي في « الإحياء » فيها تربية عالية غالية ، قال :

إنه كان واحد كثير الضيافة ، وكثير الدعوة للخلق ، ولكنه عندما يخرج من عنده الإنسان . . يودعه ، ثم إذا ودعه . . صفع له في إسته! تعب منه الناس ، قال لهم واحد : أنا ما بايصفع لي ، سأذهب إليه .

وطلع عنده وأخذ الضيافة ، وجلس عنده ، وكلما قال له : كُلْ مِن هٰذا . . أكل منه ما قدر عليه ، وإذا قال له : كُلْ مِن هٰذا . . أخذ منه ما قدر عليه ، حتىٰ قال له : أكرمك الله ، اكتفيت وشبعت ، جزاك الله خيراً وآواك الله . .

بعد الأكل أتىٰ له بالشراب ، جلس وشرب منه ، وتحادث هو وإياه ، وتنادم هو وإياه ، وبعد قال له الضيف : رخصة ، تأذن لي بالإنصراف ، أو عادنا اجلس ؟

قال له : رخصة .

Scanned with CamScanner

قام يودعه كما عادته ، ولما خرج . . لم يصفع له .

قالوا له : لماذا هٰذا ما صفعت له ؟

هل غَيَّرت عادتك ؟

قال لهم : ما غيرت العادة ، هٰذا ائتمر بالأوامر الشرعية ، ما يستحق الصفع .

كل واحد يرجع منكم ، غير ما هو يستحق الصفع هٰذا . ارجعوا إلىٰ أنفسكم ، يمكن أنتم تحتاجون إلىٰ صفع وأنتم غافلين ؟ هٰذه الأخلاق هي تركة نبيكم : « **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة** » هٰذه الأخلاق الكريمة .

هٰذه الأخلاق الفاضلة ، هٰذه الأخلاق النبوية ، هٰذه التي ينبغي للإنسان أن يتخذها عادة وديدنْ .

قد عرفتم مَن قبلكم وما كانوا عليه ، لماذا ذا الحين تذكرون مَن قبلكم وتتبعون أخبارهم هٰؤلاء الصالحين ؟ لأنهم تأثروا بسيد المرسلين صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم . وما من عمل يسمعه الواحد منهم . . إلا ويكلف نفسه أن يعمل به حتىٰ يصير له عادة .

ذكر لكم الأخ محمد الشاطري كثيرْ من الآداب حتىٰ البسملة والسواك ، فاعملوا بها . وجاء القرآن ـ كما ذكر الحبيب علي المنصب ـ وذكر لكم قصة مريم وجاء بها لكم لتعلموا كيف تثمر النيات الصالحة ـ وتعليم النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم من هٰذه المرأة الصالحة ، فأمَرَنا بذلك التعليم .

Scanned with CamScanner

حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أنها نذرت ما في بطنها محرراً ، ثم كانت القضية أن تلد بنتاً ، وكانت تأمل أن تلد ولداً ، لتجعله خادم للمسجد الأقصىٰ ، فقدر أن يكون المولود أنثىٰ . وبطبيعة الحال لا تصلح الأنثىٰ أن تكون لمسجد يدخله رجال ويخرج منه رجال ، فيفتتنون بها .

سُقِط في يدها ما تأمله . حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ذلك السقوط الذي حصل لها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ معاد تحتاج تقول لربها ، لكن في نفسها حسرة ، فأخذت تحاكي ربها : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ .

ثم قالت : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ . والله يدري . بهـٰذا كله .

ثم قالت : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ .

بعد هـٰذا كله جاءت الكرامة الكبيرة العظيمة ، فجاءها الجواب من ربها ، قال : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

قال لكم النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هـٰذا المعلّم حقنا ـ : « لو أن أحدكم إذا أتىٰ أهله فقال : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، وقُضي بينهما ولد . . لم يضره الشيطان » .

Scanned with CamScanner

هٰذا كلام قطعي ، هٰذا كلام لا يشك فيه مسلم ، ولا يشك فيه حتىٰ غير المسلم ، هٰذا كلام النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم مقطوع به .

فلو كان الإنسان يتعلم ويرتبط بهٰذه الآداب ويأخذها بقوة ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ لكان حَصَل له إن كان الأولاد مباركين .

لماذا كل الأولاد السابقين كانوا ـ مباركين ، وكانت البركة تتسلسل ؟

إذا نظرنا إلىٰ مَن قبلنا من بلدنا ومن أهل بلدنا ، ومن محبينا من أهل هٰذه البلد ، ومن كل بلدة من أهل « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » . . وجدنا أنهم كانوا متأثرين بالدعوة النبوية ، فينشأ الولد كما قال الشاعر :

وينشأُ ناشىءُ الفتيان مِنَّا علىٰ ما كان عَوَّدَه أبوهُ

ينشأ الولد صالح والدار صالح ، والملائكة تتردد علىٰ ذلك الدار والسكينة تنزل في ذلك الدار .

كثيرٌ ما أذكر لكم قصة سعد بن علي ، هٰذا الذي يلجؤون إليه ويطلبون من الله بواسطته الكرامة والشفاعة . قال الشيخ علي بن أبي بكر السكران :

إن هٰذا الولد جاءت به أمه إلىٰ معلامة ، ثم إلىٰ معلامة ، ثم إلىٰ معلامة ؛ لتُعَلِّمه القرآن فقط ، وبعد المعلامة يخدم يسترزق الله ، لكنه ما اهتدىٰ إلىٰ تعلم القرآن .

Scanned with CamScanner

وبعد جاءت به إلىٰ الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف تريد منه دعوة صالحة مقبولة ؛ لأن هـٰؤلاء الذين طهرهم الله عن أرجاس الدنيا الدعوات حقهم مفتوحة لها أبواب السماء ، ليست كما دعواتنا نحن القاصرة . جاءت به إلىٰ الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ، وقالت له : يا حبيب!

قال لها : لبيك .

قالت له : هـٰذا ولدي ، شعرة عيني وقرة قلبي ، بغيته يقرأ القرآن ، وبغيته يسترزق الله ، يدوِّر رزقه .

قال لها : أتريدين تعليمه القرآن ؟

قالت له : نعم .

قال : خليه عندنا في البيت . ذلك البيت محفوظ من الشيطان ، إذا دخل وقت الصلاة . يقومون لها ، ويتأهبون لها بركوعها وسننها وأذكارها . ثم الغفلة والغِيبة وما شاكلها ، والنميمة وفحش القول ، وضياع الوقت في الدنيا وذكرها . . كل ذلك غير موجود في هـٰذا البيت ، وبطبيعة الحال بايكون بيت معمور .

حكىٰ الله لنا عن بيوت سيدنا إبراهيم وسلسلة ذويه ، قال عنهم : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ .

بسبب ماذا هـٰذا ؟ بسبب الحفظ الإلـٰهي ، بسبب الرعاية .

وهـٰذا البيت محفوظ ـ كما ذكرنا ـ كلما نزل نصيب من السكينة

Scanned with CamScanner

المكرمة . . وصل سعدْ قسْمُه منها . ما هناك شك في ذلك ، مثل ما يقسِّمون الأكل ويعطون خَدَّامهم ومحبهم ومن هو في دارهم نصيبٌ من الأكل . . كذلك رحمة المولىٰ التي تتنزل يأخذ منها نصيبه من الخير ومن الرحمة .

تتوالىٰ الرحمات علىٰ البيت ، كلما قرؤوا القرآن فيه . . نزلت الرحمة ، كلما صَلَّوا فيه . . نزلت الرحمة ، كلما قعدوا يقرؤون حديث النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . . نزلت الرحمة ، كلما جلسوا يتدارسون العلم . . نزلت الرحمة . فصار البيت كله بيت رحمة ، بيت هداية ، بيت رعاية .

وبيوت الرعاية والهداية ، السماء لا تزال تنظر إليها ، ومن في السماء لا يزال ينظر إليها . وهي البيوت التي يحفظ الله بها الكون وأهل الكون ، ويرعىٰ بها الكون وأهل الكون ، ويكون لهم حال غير حال الناس الآخرين ، وأمر غير أمر الناس الآخرين ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال في كتابه العزيز ـ كما تقرؤون الكتاب إذا كنتم تتدبرونه ـ : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ .

هٰذا موضع الشاهد ، وحُفِظ الجدار ، واستخدم الله له الخضر ، واستخدم الله له نبي الله موسىٰ ، وأمرهم أن يبنوه من حيث لا يدرون الناس ؛ لأن تحته كنز لهما .

فأراد الله حفظ الكنز إكراماً لناس قد توفوا من قبل سبع مئة

سنة ، أو قبل أربع مئة سنة ؛ لأن أهل التفسير يذكرون أنه الجد السابع ذلك الولي .

ونحن نشعر أن نحن في بركات رجالنا ، ولكن! لا ينبغي لنا أن نكتفي .

إذا جاء الواحد قال ماذا ؟ قال : أنا ولد فلان بن فلان! قال الإمام الحداد في دعوته العظيمة :

وقد تأخر أقوامٌ وما قَصَدوا نيلَ المكارم واستَغْنَوْا بكان أبي

وقال في الأخرىٰ :

ثـــم لا تغتـــر بـــالنســب لا ولا تقنـــع بكـــان أبـــي

كان ينبغي لكل واحد مننا أن يُغَيِّر نفسه ، فيقول : أترك نفسي في الغفلة وأبوي فلان وجدي فلان ، وعادتهم كذا وطريقتهم كذا!!

هٰذا هو المطلوب ، ما هو خلاص يستكفي ، يقول : خلاص أنا قد ورثت النسب ، وأنا ، وأنا .

أقبلوا علىٰ الله فباب المواهب مفتوح ، وباب العطاء لا يزال يُمِد ويُعطي . مطلوب من العبد أن يمد يديه فقط : « ورضي بالحمد شكراً له من خلقه » فإذا حَمِده العبد ـ حَمِد ربه سبحانه وتعالىٰ ـ وسأله الزيادة ، وسأله بقلب حاضر وعمل وقيام بصدق النية . . فإنه لا يخيبه . أما قوله : يا رب ، يا رب ، باللسان فقط . . لا ينفع .

Scanned with CamScanner

قال في « الإحياء » ، هٰذا الكتاب والله أعلم عاد حد يقرأ فيه ، بغيناكم تقرؤونه كلكم . والله يبارك في عبد القادر خرد أتىٰ لنا بالبخبخة وطبعها ، إن شاء الله تجيكم وتوزَّع عليكم . قال العيدروس : بَخٍ بَخٍ لمن قرأ « الإحياء » بخٍ لمن كتب « الإحياء » بخٍ لمن درس « الإحياء » . بَخٍ لمن طالع « الإحياء » . بخٍ لمن حافظ علىٰ « الإحياء » . البخبخة هٰذه العظيمة ـ ماذا قال الإمام الغزالي ؟

ذكر كثيرٌ ، منها : الحكايات هٰذه . ما أدري أنا أخذت منه هٰذه الحكاية التي باجيبها لكم عن الإمام الغزالي[(١)] . و« الإحياء » ـ « إحياء علوم الدين » ـ مليء بالمواعظ والعبر ، وهو حكايته صحيحة للقلوب . والإمام الغزالي أعطاه الله سبحانه وتعالىٰ البركة في الوقت ، قالوا : استفتح كتابته وعمره ستة وثلاثين! وعمره كله خمس وخمسين سنة فقط ، عمر قصير! ولكن الكتب التي كتبها وألَّفها أكثر من سبعين أو ثمانين أو مئة التي كتبها هٰذا الإمام ، وكلها في : ردود وفي بيانات ، وفي حقائق ، وفي كشف قناع عن مرتاب حتىٰ يرجع إلىٰ يقينه ويرجع إلىٰ إسلامه .

---

(١) لعل سيدي أراد أن يذكر قصة الرجل من بني إسرائيل الذي دعا الله أربعين سنة باسمه الأعظم ولم يستجب له . . فشكا حاله إلىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام . . فناجىٰ ربه . . وقال : هٰذا عبد من عبادك سألك أربعين سنة باسمك الأعظم فلم تستجب له . . وأنا عبد لو سألني لأجبته . . فقال له المولىٰ عز وجل : يا موسىٰ . . هٰذا يدعوني وقلبه عند غنمه . . ولو دعاني مرة واحدة وقلبه حاضر . . لأجبته . . انتهىٰ .

Scanned with CamScanner

ونحن اليوم - يا إخواني - هَفَتْ بنا همتنا وضعفت العزيمة، معاد أحد يقرأ. كان مَن قبلنا - منهم هٰؤلاء - إذا استفتح كتاب الله . . ألقىٰ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المجلس كله رحمة تتنزل.

كان الحبيب أحمد يقول : بعض الأصوات حق القرآن تنزل المطر بها .

هل مَن يعرف شي من هٰذا ؟ كان واحد يتكلم ، قال : هٰذا من علم الغيب! قلنا : ما هو من علم الغيب ، يحكيه علم تَلَقَّاه عمن قبله . علم الغيب أمره ثاني ، إنما هٰذا علم تَلَقَّاه عمن قبله .

وكان الواحد منهم من يحفظ « صحيح البخاري » ، وفيهم من يحفظ « مسلم » ، وفيهم من يحفظ « الإرشاد » ، وهم الكثير الكثير . هٰؤلاء إنما كانوا في المتأخرين الذين أدركناهم ، وكان فيهم من يحفظ ما هو أكثر من ذلك ، وكانوا يحفظون التفاسير أكثر وأكثر .

كان الشيوخ يحكون لنا عن الحبيب محسن بن علوي - رحمه الله - يخرج من آخر الليل كل ليلة إلىٰ مسجد طه ، ويقوم في صلاته كأنه وتد ، وكان من أمره أنه يَقرُب من أهل الحزب أهل القرآن الذين يقرؤون من آخر الليل ، وكلما مرت عليهم آية . . ألقىٰ عليهم من علم التفسير الذي يعطيه الله من هٰذا العلم - إشارة إلىٰ الحديث « أو فهماً أوتيه رجل » - .

يعطيه الله من هٰذا العلم ، ويقول لهم : انظروا أقوال المفسرين ، ذَكَروا شيءً من هٰذا ؟

Scanned with CamScanner

يقولون له : ما ذكروا شيءْ!

قال : هاتوا الشيخ محمود . وكان يميل إلىٰ « الكشاف » رحمه الله ، وإذا جابوا له « الكشاف » ولا وجد فيه البغية . .

قال : اسمعوا مما فتح الله به عليَّ : ويلقي عليهم .

من جملتها : قال : إن الحبيب أحمد بن حسن ـ رحمه الله ـ لما طلع (مكة) للتعليم في حجته الأولىٰ . . اتفق بشيخه الحبيب أحمد زيني دحلان ، قال له : من في (حضرموت) من الظاهرين في هـٰذا الوقت ؟

قال له : الحبيب محسن بن علوي أظهر من عرفناه في هـٰذا الوقت .

قال : له شيء من مفاهيم في القرآن ؟

قال : له مفاهيم من القرآن .

قال له : هات دعنا أسمع .

قال في قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ ﴾ .

قال له : ماذا قال الحبيب ؟

قال : هـٰذه الدنيا ، إذا أخذ منها الإنسان قدر الزاد لآخرته وبُلْغَة لآخرته . . حفظه الله من فتنتها . وإذا استفتح فيها وأخذها كلها . . وقع له ما وقع للقوم الذين حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عنهم .

قال له : هـٰذا من مفاهيم أهل الولاية الكبرىٰ ـ وهو كذلك ـ .

بغينا ذا الحين أحد نسأله عن قراءته للقرآن ، ثم عن حضوره لأي كتاب يحضره من كتب التفسير . ثم بعد كتاب التفسير :

Scanned with CamScanner

هل فُتِح عليه بشيء ؟

هل قال شيءْ ؟

هل كتب شيءْ ؟

هل أحضر قلبه عند القراءة ؟

ذا الحين بغينا نتناقل حتىٰ أخبار شيوخنا هٰؤلاء . كم موجود في كلامهم من الذخائر ؟ كم جمعوا لنا من كلامهم ؟ مثل كلام الحبيب أحمد[1] ، جمعوه سبعة أو عشرة من تلاميذه ، جزاهم الله خير الجزاء . ومثل كلام الحبيب علي[2] ، جمعوه أربعة أو خمسة ـ جزاهم الله خيرْ ـ فيه كثير من مفاهيم التأويل ، وفيه كثير من مفاهيم القرآن .

وفي « المشرع » فيه الكثير ، وفي كلام القطب الكبير الإمام عبد الله الحداد أشياء كثيرة وكبيرة جم . أحد اطَّلَع عليها ؟ نريد فقط أحدْ يطَّلع عليها ، بغينا أحد فقط يجعل له وقتْ لمراجعتها .

إذا رجع الإنسان من عمله ولا قدر يحضر الدروس . . هل هناك ولو كتيب طارحه إلىٰ جنبه ، إذا استراح من نومته أو من مجلسه مع أهله ، أو بعد تعبه . . يأخذ له شيءْ من الكتاب هٰذا في القراءة فيه ؟ هٰذه الكتب تكفي :

تلك آثارُنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلىٰ الآثارِ

---

(١) الحبيب أحمد بن حسن العطاس .

(٢) الحبيب علي بن محمد الحبشي .

أو أنه يكتفي بأنه فلان بن فلان ، ورفع الرأس ؟

يمكن سمعتوا كلام الحبيب محسن فيهم هٰؤلاء الذين يرفعون رؤوسهم بالنسب ولا يحققونه بالحسب ، وكثير من أمثالهم هٰؤلاء ؟ وما المطلوب من الإنسان ، ولا المطلوب من هٰذه المجالس ، ولا المطلوب من هٰذه الدعوات التي يطلبنا فيها الإخوان لنجتمع ، ولا المطلوب من الحفلات التي تُعمَل لهٰذا المنصب المبارك الحبيب الطيب ابن الطيب ابن الطيبين . . ما المقصود منها الرز ، ولا المقصود منها اللحم ، ولا المقصود منها الهريس . لكن المقصود : أن يخرج منها الإنسان بفائدة يعقد عليها ، فتكون ذخيرة يضعها في جيبه ، ويقول : من الليلة باحققها .

ذكرت لكم عن الشيخ أحمد باكثير ـ واحد من الصالحين عندنا ـ كان يداين الناس ، وكان علىٰ غاية من الاقتصاد . وذات ليلة من الليالي ذاكر الحبيب علي بن محمد الحبشي في الصدقة ، وكان واحد من الحبايب الفقراء المقلين عنده لباكثير سبع مئة ، كلما ضاقت عليه الظروف المعيشية . . ذهب للشيخ أحمد باكثير وقال له : بغيت قرضة دين .

قال له : خذ . ويكتب عليه .

والشيخ أحمد هٰذا يداين الله ، ما يداين المخلوقين : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ .

دَيْنه حتىٰ بلغت سبع مئة لما بلغت سبع مئة . . كثرت علىٰ واحد ما معه شيء ، ماشي انتظار للفرج مع الحبيب .

لما ذاكر الحبيب علي في الصدقة . . قال : إنها تحركت القلوب كلها في المجلس . فقام هٰذا الشيخ أحمد باكثير واستدعىٰ واحد من إخوانه ومحبيه الذين لهم دربة في مثل هٰذه الأشياء ، وقال له : بغيتك تنادي علىٰ حبيبي فلان .

قال له : لماذا تريده ؟

قال له : عنده لي سبع مئة وباسامحه الليلة ، ما بانسيِّب المذاكرة حق الليلة .

سبع مئة في ذلك الزمان قدِّروها بكم اليوم ؟ هٰذا الكلام قبل ثمانين سنة تقريباً .

قال : إنه ذهب للسيد ، وقال له : حبيب .

قال له : مرحباً .

قال له : لو أتيت لك بسماح من باكثير . . باتعطينا شيء عوين ؟

قال له : الذي تريده حدده باعطيك إياه .

قال له : من أين باتعطينا ؟

قال له : ربك بايفتح لنا بابه ، فك عَلَيَّ من الشيخ أولاً .

قال له : هيا قم أنا وإياك .

Scanned with CamScanner

قام هو وإياه ، ووصل به إلىٰ عند الشيخ أحمد . فقال له : حبيب .

قال له : لبيك!

قال له : أتذكر كم عندك ؟

قال أذكر .

قال له : كم عندك ؟

قال : سبع مئة .

قال له : شفنا سامحتك فيها لله ولرسول الله[1] .

كل واحد منكم يفكر في قلب السيد في تلك اللحظة ، ويفكر في نظر المولىٰ في تلك اللحظة لقلب السيد ، ثم لقلب سيد الوجود صلىٰ الله عليه وآله وسلّم الذي قال لكم الله سبحانه وتعالىٰ عنه : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وبكىٰ السيد من الفرح ، وبعد ما بكىٰ قال له : سامحتك ، بغيت دعوة صالحة .

قام السيد بهٰذا السماح ورجع إلىٰ الدار وبات مع الله .

لاشك ، هٰذا جاءه من أين ؟ هٰذا جاءه من الإيمان الكامل .

كثير من الناس إذا جاء قال : يعرف والدي ، له اعتقاد في والدي! هٰذا له اعتقاد كامل في ربه ، له اعتقاد كامل في نبيه .

هٰذا هو الإيمان الكامل الشامل. دنيا جُعِلت طريق إلىٰ الآخرة :

---

(١) يتكلم سيدي والعبرة في حلقه . . رضج المجلس بقولهم (الله . . الله) .

Scanned with CamScanner

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

إلىٰ آخر الآيات المباركات .

هل أحد منكم تحركه نفسه بشيء من هٰذا ؟

هل أحد منكم يتأثر بشيء من هٰذا ؟ وإلا ابكوا علىٰ أنفسكم .

ذُكِر لنا الموت قبل قليل . واحد منهم هٰؤلاء الحبايب ؟ ـ والله يقول لنبيه السيد الكريم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ . ارجعوا إلىٰ آبائكم ، وارجعوا إلىٰ أجدادكم ، وارجعوا إلىٰ أمهاتكم ، وارجعوا إلىٰ القبور هٰذه كل يوم تنتظر ـ قالوا : كان واحد من جماعتنا كل يوم يعبر علىٰ قبر حقه بعد أن حدد مكانه قريباً من أبيه ، ويقول للقبر : انتبه مني! انتبه مني! لا تجعل الخَزَنة يدخلون عندي .

فسمعه واحد ، فقال له : انتبه من القبر أنت ، وليس هو القبر الذي ينتبه منك!

وهكذا ينبغي ؛ لأن القبر يدخلونه ملائكة الرحمة ، أو ملائكة العذاب .

فكل واحد منكم يسأل الله أن تكون ملائكة الرحمة تدخل عليه في قبره ، وتدخل عليه في داره ، وتدخل عليه في دنياه ، وتدخل عليه في أخراه ، وتدخل عليه في أهله . حتىٰ الأهل والأولاد ،

Scanned with CamScanner

هٰؤلاء حفظهم بمن ؟ ألم تسمعوا الآية حق صاحب الجدار في سورة الكهف ، الذي حفظ الله ماله ؟ كلكم محفوظين بهٰؤلاء الرجال الذين سبقوا إِلىٰ رحمة الله ، يقول الله في القرآن : ﴿ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ حتىٰ الكفاز محفوظين بهم . الله ـ إن شاء الله ـ يجعل لنا اعتباراً ، ويجعل لنا ادكاراً ، ويجعل للمجالس أثراً في القلوب فتتحرك ، وللدعوة أثراً في القلوب فتتحرك ، وللمشاهدات أثراً ـ إن شاء الله ـ في مشاهداتها تأخذ بها .

ويجعل هٰذا المجلس شاهداً لنا لا شاهداً علينا ، ويكرمنا فيه بتوبة صادقة صحيحة . ويجعل تلك التوبة ـ إن شاء الله ـ طريقْ وساعدْ قويْ ـ إن شاء الله ـ نَعبُر به إِلىٰ صلاتنا وقيامها ، وإِلىٰ جماعتنا وقيامها ، وإِلىٰ قرآننا وقيامه ، وإِلىٰ تربية أولادنا والعناية بهم ، وإِلىٰ حفظ نسائنا .

ذكر لكم الحبيب عَلِي العادات السيئة ، تجنبوها ـ يا إخوائي ـ كل واحد يكون عنده حزم .

اليوم الموجود الذي يشاهد : أكثر الرجال . . النساء أعقل منهم . إذا بلغه أن امرأة عمل لها زوجها شيءْ ، وظهرت بمظهر . . طلع إِلىٰ السوق ـ وربما ما معه شيء ـ وأتىٰ بالثوب مثله ، وإِلا أتىٰ بالذهب مثله ؛ ليزيِّن به امرأته ، ليقولون : أما زوجة فلان . . اليوم ظهرت بثوب ما أحد معه كماه قط أبداً! هٰذا

المقصود . وهٰذا ما أدري : يُعتبر أنوثة ، أو يعتبر ذكورة ؟ يعتبر فَقَد التربية وما وعاها ، وفَقَد العلم وما وعاه ، وفَقَد الرجولة وما درىٰ بها ، ومرت عليه الرجولة!

احذروا ـ يا إخواني ـ! الحذر الحذر أن يكون الواحد منكم آلة لما لا يرضي ربه ، آله لما لا يرضي أهله .

كان الإمام الحبيب عبد الله بن حسين يذكر ويقول ، إذا انتبه الإنسان لإرثه من والده في المال والنخل والذبر . . ينتبه لإرثه من العلم ، ينتبه لإرثه في الأخلاق ، . . ولا يكتفي بإرثه من الدنيا فقط! فكثير من الدُّور تصيح من أهلها .

ذكر ابن السبكي ـ رحمه الله ـ قال : كان شيخ من شيوخ (الشام) من كبار العلماء ، وكان له تلاميذ كثيرون ، وكان أولاده ما هداهم الله للعلم ـ قال : قَدَّر الله أن أحد التلاميذ ضاقت به الأرض بما رحبت من ضنك المعيشة ، فاستأذن شيخه في السفر ، وأذن له فسافر ، وتوفي الشيخ وهو في الغَيبة ، ولما جاء واستقبله الناس . . عزم علىٰ زيارة المنزل حق شيخه الذي أنس بالعلم فيه ، وأنس بالمعرفة ، وأنس بالفهم ، وأنس بالقرآن ، وأنس بالذكر فيه .

فجاء إلىٰ المنزل فوجده مغلقْ! ووجد الطين علىٰ القطيفة ، ووجد المنزل عليه شيء من الكآبة ، فبكىٰ . ولما بكىٰ . . أنشد هٰذا البيت قائلاً :

في هٰذه الدار في هٰذا الرواق علىٰ   هٰذي القطيفة كان العز فانقرضا

كل واحد يشوف نفسه :

من هو يقول : أنا ابن فلان . . ينتبه ، من بُنُوَّته .

ومن يقول : أنا جدي فلان ، ومن يقول : أنا خالي فلان أو عمي فلان . . ينتبه من النسب .

وأسأل الله أن يكرمنا وإياكم بالحسب مع النسب ، ويجعلنا وإياكم ممن إلىٰ ربه قَرَب ، وممن إلىٰ نبيه بالعمل الصالح انتسب ، وممن تأثر ـ إن شاء الله ـ بالموعظة وبالقرآن وبالذكر ، وممن تأثر بما سمعه من هـٰذا الكلام الذي أَلْقَوْه هـٰؤلاء السادة الأعلام .

وأسأله أن يجعلنا من الأعلام ، وأسأله أن يجعلنا من الدعاة ، وأسأله أن يجعلنا من الهداة ، وأسأله أن يكتبنا في ديوان أنبيائه ـ صلّىٰ الله عليهم وسلم .

وأسأله المغفرة لوالدينا ، وأسأله أن يرضىٰ عنهم وأن يرضيهم عنا ، وأسأله أن يبلغهم عنا من أخبارنا ما يسرهم ، ولا يبلغهم من أخبارنا ما يسوءُهم .

وأسأله أن يبلغنا كل خير ، ويكتبنا في ديوان أهل الخير ، وأن يجعل بقية العمر مصروفاً فيما يرضي ربنا ، وأن يجعلنا محفوظين إن شاء الله .

وبغينا في هـٰذا المجلس صلة بسلفكم ، وارتباط بهم كلي . وكل واحد يعقد عليها .

بغينا المنصب يجيزكم عن أهله وعن آبائه ، وعن والده خاصة ، وعن الشيوخ الذين ارتبطوا بوالده ، وارتبط بهم .

Scanned with CamScanner

ويختمها بالفاتحة ، ومحسن يجيب العشاء .

فقال حبيبنا علي بن أحمد العطاس : يقولون : « امتثال الأمر خير من سلوك الأدب » .

امتثالاً لأمر حبيبنا وعالمنا وإمامنا ، بقية السلف وخيرة الخلف : للحاضرين علىٰ لسان الوالد :

أجزناكم فيما صحت للوالد من رواية ودراية : في جميع الأذكار ، والصلوات علىٰ النبي المختار ، وقراءة العلم الشريف ، وعلىٰ ما نواه الوالد وما نواه سلفنا الصالح .

فقال الجمع : « قبلنا الإجازة » .

ثم طلب منه حبيبنا عبد القادر أن يلقن الحاضرين الذكر : « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » (٣) مرات .

فقال له : هـٰذه حوالة عليك . ثم أحالها سيدي علىٰ حبيبنا أحمد مشهور الحداد ، فرفع صوته بقوله : « لا إلـٰه إلاَّ ٱلله » ثلاث مرات متتالية . وفي آخر مرة قال بعدها : « محمد رسول الله » صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وبعد أن انتهىٰ منها رددها الحاضرون بعده .

بعد ذلك رتب حبيبنا المنصب علي بن أحمد العطاس الفاتحة ، وقال :

« الفاتحة بالقبول ، وأن الله يغفر الذنوب ، ويستر العيوب ، ويفرج الكروب ، ويطلق العصوب ، ويرحم ويسقي الجروب

Scanned with CamScanner

وجميع الوديان من (عدن) إلىٰ (عمان) وجميع البلاد الحضرمية والبلاد الإسلامية ، برحمة سابغة هنية .

وأن الله يحفظ الحجاج والمسافرين ، ويردنا ويردهم إلىٰ أوطانهم سالمين غانمين .

وأن يرزقنا ويرزقكم صحة في تقوىٰ ، وطول عمر في حسن عمل ، ورزقاً واسعاً لا يعذبنا عليه .

وأن يرزقنا وإياكم الفتوح والمنوح والرسوخ ، وصلاح الجسد والروح ، والتوبة النصوح . ويرزقنا العلم والعمل ، ويحفظنا من الزيغ والزلل .

وأن الله يرزقنا العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة .

ولا يدع لنا ولكم ذنباً إلا غفره ، ولا هماً إلا فرجه ، ولا كرباً إلا كشفه ، ولا مريضاً إلا شفاه ، ولا غريباً إلا وَدَّاه ، ولا سائلاً إلا أعطاه .

والفاتحة أن الله يكون في عون الجميع ، ويصلح شأن الجميع ، ويشفي أمراض الجميع ، ويردنا إلىٰ أوطاننا جميعاً سالمين غانمين ، ظافرين بمطالب الدنيا والدين ، مع الحفظ والسلامة في الأديان والأبدان ، والأحوال والأموال ، والأولاد والذريات ، بجاه خير البريات .

وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم » .

* * *

Scanned with CamScanner

وتكلم سيدي ـ حفظه الله ـ بهٰذه الكلمة القيمة في روحة الجمعة بمنزل السيد طه بن محمد بن طه السقاف بـ(جدة) في اليوم الثامن عشر من شهر صفر ، عام ستة وأربع مئة وألف للهجرة (١٨/٢/١٤٠٦هـ) الموافق اليوم الأول من شهر نوفمبر ، من عام خمسة وثمانين وتسع مئة وألف للميلاد (١/١١/١٩٨٥م) .

وبُدئت الروحة بقراءة في الفقه ، في باب الغصب ، من كتاب « الياقوت النفيس » من تقرير أستاذنا الوالد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري .

وقد حضر الروحة منصب (حريضة) الحبيب علي بن أحمد العطاس .

بعد انتهاء الدرس أنشد السيد محمد خرد قصيدة الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، التي مطلعها :

نَعَم عالَم الأرواح خير من الجسمِ وأعلىٰ ولا يخفىٰ علىٰ كل ذي علمِ

بعدها تكلم سيدي ، وقال :

جاءت مناسبة القصيدة لكل واحد منا ؛ لأن كل واحد عنده رُوحُه . والإمام الحداد تكلم عن العالَمَيْن ، وأطال النَّفَس في عالم الروح ؛ حتىٰ ينتبه الإنسان من نومته أو من غفلته ، أو من كسله أو من تباطيه ؛ لأنه ما شُرِّف ولا كُرِّم ولا عُظِّم ، ولا جاءته الرسالة الكبيرة العظيمة المحمدية هٰذي إلا لتتلاقىٰ مع الروح . لأن الإنسان ما خلق بهيمة ، ولا خلق ليكون ـ مثلاً ـ مثل

Scanned with CamScanner

الحيوانات في أكله ، أو في بهيمته ، أو في سَبُعِيَّتِه ، أو فيما كان عليه الأكثر من الناس .

الفقهاء ـ رحمهم الله ـ كما سمعتوا قرروا لكم باب « الغصب » ، شرحوا لكم باب « الغصب » ومشكلات الغصب وأحوال الغصب . كل ذلك ليرتفع الإنسان عن حضيض البشرية ؛ لأن حضيض البشرية دائماً ـ كما نذكر لكم ـ محبة الأَثَرة والزيادة في كل شيء ، والأخذ من كل شيء ، والتغلب علىٰ كل شيء . وكان الأولىٰ بالإنسان ، وقد جاءته الرسالة العظيمة لتتلاقىٰ مع الروح الكريمة التي يشير إليها القرآن ويقول : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ لا يسوغ لواحد أُعطِي هٰذه النفخة أن يتغافل عنها ، فيهملها ، ولا أن يتباطأ عن العمل الصالح وعنده هٰذه النفخة . والنفخة ما جاءت عفواً كذا! جاءت كما تقرؤون كتاب الله ، أراد لكم الرفعة ؛ لأنكم خُلقتم من حمأ ، والحمأ مسنون عادةً ؛ يعني : تقادم عليه العهد والعهد والعهد حتىٰ تغير .

فلما كان الخَلْق من مثل هٰذا . . رأت الملائكة وذووا الأرواح أنهم أرفع ـ بلا شك ـ لكن قدرة الله أرادت لكم الخير. فشرفتكم بنفخة كريمة ، وشرفتكم بروح عظيمة ، وشرفتكم بقلب سليم . هٰذي ، ينبغي للإنسان أن يثبت معها .

وما معنىٰ الثبات ؟ أن يترك دنياه أو يترك أولاده ، أو يترك أهله ، أو يترك عادته من المرح ؟ لابد له مما يريح ضميره ومما يطمئن إليه ،

Scanned with CamScanner

ولكن إذا قلنا : لابد له من إراحة الضمير ، لابد له من إراحة النفخة ، لابد له من القيام بأمر النفخة ، لابد له من الاهتمام بها حتىٰ يرقىٰ معها . والحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بلغه أن أناساً اشتدوا في العبادة : منهم من ترك النوم بتاتاً وقام الليل كله ، ومنهم من أكثر من الصيام ، ومنهم ومنهم . . فعتب عليهم الحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وشدد في العَتْب ، وقال : « **لٰكني أنا أتقاكم ، وأنا آكل وأشرب ، وآتي النساء** » . والحبيب صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يعطي ناحية البشرية حقها ، إنما من غير إسراف ومن غير إثم . بلغ به الأمر إلىٰ أنه لما كان يؤانس زوجاته ويفرّحهن . . كان ذات ليلة مع السيدة عائشة رضي الله تعالىٰ عنها ـ فأخبرها بحديث أم زرع . وحديث أم زرع[1] في الواقع مثل الحكايات التي يتحاكوا بها البنات والأولاد والصغار فيما بينهم وفيما يحصل لهم . وما أتىٰ به هو لما فيه من حكمة ، إنما هو : ترويح للسيدة عائشة وتأنيس لها . انبسطت واطمأنت وكانت تحكيه ، وفيه مفخرة لها ؛ لأنه قال لها : « **أنا لك كأبي زرع مع أم زرع** » مفخرة ، ومفخرة .

وكل واحد ينبغي له أن يؤانس أهله ، ينبغي له أن يستريح مع أهله ، ينبغي له أن يجعل له شيءً من الصلة مع ولده حتىٰ يأنس به ، وحتىٰ يطمئن إليه ، حتىٰ يكون ولده معه دائماً .

قبل مدة كنا نذكر الأبيات التي قالها عمكم بوبكر بن شهاب ،

---

(١) الحديث في صحيح البخاري حديث طويل .

Scanned with CamScanner

ما أدري أنا والشاطري ، أو مع أحد من الجماعة هٰؤلاء ؟

يقول :

إلىٰ الثمان ابنك ريحانتُكْ   ثم ثمان بعدها خادمُ
ثم عَدُوٌّ أو شريك إذا   وافقتَ والطبع بِذا حاكمُ

فالإنسان إذا أخذ ولده معه ، وإذا جعله حتىٰ مستشاره ـ وإنْ إدراكه ما زال صغيرْ ـ حتىٰ تَرْبىٰ الاستشارة مع الإدراك فينمو الإدراك ، ويعرف أنه شريكه في حياته ويعرف أنه مستخلفه هو .

ذا الحين إذا مات الشخص . . حد يجيء ثاني لتركته ؟ أو يجونه أولاده ، سوىٰ إن كان أولاد بارين أو غير بارين ، قائمين به أو غير قائمين .

لكن في إمكان كل واحد منا أن يجعل أولاده بارين بالتربية الحسنة ، بالحالة الحسنة . هٰذا كتاب « المشرع » الذي يقرؤونه كل يوم ـ أَوْ ما تقرؤون فيه ـ يقول : وُلد بتريم ، وحفظ القرآن العظيم ، وتربىٰ بأبيه .

وفي « شرح العينية » يحكي الحبيب أحمد بن زين ـ رضي الله عنه ـ عند ترجمة الفقيه المقدم ـ أو المهاجر ـ ذكر التربية ؛ لأن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قال في الحديث الصادق والوارد عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

قال الحبيب أحمد : وقال علي بن أبي طالب : أدبني رسول الله فأحسن تأديبي .

Scanned with CamScanner

وقال الحسنان ـ كل واحد قال ـ : أدبني أبي فأحسن تأديبي .

وقال العلي بن الحسين والحسن بن الحسن : أدبني أبي فأحسن تأديبي .

وقال الصادق : أدبني أبي فأحسن تأديبي .

وذكرها الحبيب أحمد بن زين حتىٰ وصل إلىٰ السلسلة كما ذكرنا لكم في ترجمة الفقيه أو في ترجمة المهاجر . وأحسب أنها في ترجمة الفقيه ؛ لأنه شيخ الطائفة علىٰ الإطلاق .

هـٰذا ينبغي للإنسان أن يقف عنده ، ووقوفه عنده كما يكون مدىٰ تربيته لأولاده :

هل يقوِّمهم معه مع الفجر ؟

يقرأ معهم شيءْ من كتاب الله ؟

يقرأ معهم الأوراد الواردة عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بالأحاديث الصحيحة . أو حتىٰ لو لم ترد عن النبي ، إذا جاءت عن علماء فطاحل صادقين ، صالحين . . كانت مأخوذة من ذلك العالم ، هل لهم شيء منها ؟ هل عنده شيء منها أو لا ؟

يشتري لولده ، أو يقول له : اخرج واشتر لك ما بغيته من الثياب ، والفلوس هـٰذه هي!

والحرمة يقول لها : اشتري لك ما تريدينه وهـٰذه هي الفلوس!

لكن السؤال عن الصلاة ، والسؤال عن الأخلاق ، والسؤال عن الكرامة ، والسؤال عن المكارم . . ما فيه سؤال!

Scanned with CamScanner

وأسوأ من هٰذا كله : أنه إذا سلم عليه أحد . . قال له : أهلاً وسهلاً ، من الأخ ؟

قال له : السقاف . سَقَّف علىٰ رأسك الذر! ماذا عملت يا السقاف ؟ أو العيدروس ، أو ابن الشيخ أبو بكر بن سالم ، أو الحداد ، أو العطاس ، إلـ . . ، الـ . . ، الـ . . ، الـ . . هٰؤلاء ناس جاهدوا، هٰؤلاء ناس ما ناموا ، هٰؤلاء ناس واصلوا ، هٰؤلاء ناس ما اكتفوا بتربية أولادهم بل رَبَّوْا مجتمع ، وربوا أجيال ، ما هو جيل ، ورَبَّوا ورَبَّوا نشء كبير حتىٰ تربىٰ النشء الكبير .

لماذا نفتخر بـ(تريم) نحن ؟

إذا ذُكِرَتْ وذُكِر العلم بـ(تريم) وذُكِر الرجال في (تريم) وذكر التاريخ في (تريم) . . رفعنا رؤوسنا بـ(تريم) .

ماذا عملنا لـ(تريم) نحن ؟

هٰؤلاء ، مضوا إلىٰ رحمة الله . بعد ما زينوا المساجد ، وزينوا المعابد ، وزينوا المعاهد ، وزينوا الدُّور . . زانت بهم التُّرَب . يشهد الإنسان في المقبرة المعظمة ـ التي هي مقابرهم ـ (بَشَّار) هٰذه عليها الأنوار ساطعة من كل مكان ، ما ترىٰ علىٰ مسجد وما ترىٰ علىٰ دار ؛ ذاك لأن أجساد كانت طاهرة ، وكانت من حين ولادتها محفوظة وفطامها علىٰ الطهارة حتىٰ انتقلت إلىٰ رحمة الله .

كيف لا يكون بها هٰذا النور ؟

كيف لا يكون فيها هٰذا الخير ؟

Scanned with CamScanner

كيف لا تظهر بهٰذا المظهر ؟

وأهلها هل هم في الطين الآن ؟ ليسوا في الطين! كثير ممن يشاهد، كثير ممن يدرك ـ وما أقلهم ـ يشاهدون لهم قبورٌ واسعة .

كان الحبيب أحمد بن حسن يَذْكُر ـ والدُ الحبيب عَلِي هٰذا ـ ويعني به منصب (حريضة) ـ أنه توفي واحد منهم الرجال ، هٰؤلاء من السادة آل العطاس ـ ما أذكر اسمه ـ وكان الحبيب أحمد بن حسن كفيف البصر ، ولكن القلب مشاهدته أكثر من البصر . قال : فُتِح لي قبره فإذا هو لا يتسع له نظر البصر ، وهو كذلك .

لو كانت العبرة إلا بالأبصار هٰذه ، ولو كانت العبرة إلا بالأسماع هٰذه ، ولو كانت العبرة إلا باللسان هٰذه . . لما ظهر لنا شيء من عالم الغيب الذي يُطْلِع الله عليه من أراد : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ .

هٰؤلاء ممن ارتضىٰ . وكل واحد سمع الكلام ، وكل واحد أدىٰ حق العبادة ، وكل واحد عرف ربه ، معرفة تليق بجلال الله سبحانه وتعالىٰ ، وبعظمة الله سبحانه وتعالىٰ .

وكان الحبيب أحمد يجيب لنا منها شيءٌ هٰذه الآثار . يقولون : أتدرون لم طلب العلماء عدم كشف العورة حتىٰ في الخلاء ؟ ذاك لأن هناك ذوات أخرىٰ ، كما أنه ينبغي للإنسان كذلك أن لا يكون عرضة في عورته لأصحابه ولا لإخوان ولا لمجلسه ، ينبغي له أن يحترم المجلس .

Scanned with CamScanner

قال الحبيب أحمد : ومن وراء احترام المجلس ، مجلسه مع الله ؛ لأن كل واحد جالس مع الله - ذا الحين نحن جالسين مع الله في هـٰذا المجلس - أفيليق به أن يستر عورته عن المخلوقين ويكشفها للخالق ؟

وإذا لاحظنا هـٰذا الكلام . . قلنا : أفيليق لمولىٰ تكرَّم علينا بلسان . . أن تكون موضعٌ للسب ، أن تكون للشتم . والعين أن تكون للمحرمات ، والأذن أن تكون للمحرمات ، ولجسم صحيح لطيف ؟ معاد يحتاج . ينشأ الإنسان نشأة سليمة في الغالب - وكلهم علىٰ هـٰذا الحال إلا القليل - نشأة سليمة صافية كاملة ، في جسم مكون من أشياء لا يقدر يصفها ، الطب عاجز عنها ذا الحين وعن وصفها وعن الدخول فيها . جاؤوا بالمنظار ، وجاؤوا لهم بالأجهزة ولكنهم لا يزالون في إعياء من تكوين الله ومخلوقاته في جسم الإنسان ، البشر هـٰذا! في وصائله وشعره ، وعروقه والتفافها ، وفي الدم الذي يسري في العروق ، وفي الأكل الذي يجري ، وكيف يجري ، وكيف يهتضم ؟ وما الذي يسوغه ؟ وما الذي يأخذ به حتىٰ يمشي من هـٰذا العِرق إلىٰ ذاك العرق ؟ وما الذي يوصله إلىٰ القلب ؟ وكيف يتفرع من القلب ، والقلب ماذا يعمل منه ؟

هـٰذه مكائن ، ما هي مكينة - يعني آلة - أي : آلات كبيرة داخلية . ثم هي لطيفة ، دقيقة الصنع دقيقة العمل ، قائمة بوظائف لا يدرك الإنسان منها إلا عين تبصر ، أو أذن تسمع ، أو

لسان تتكلم أو يد تبطش ، أو رجل تمشي ، أو بطن تأكل . . والجسم كله في وظائف ، هٰذا الذي يدركه منها الإنسان .

هٰذه كلها أليست تستحق الشكر علىٰ كل حال ؟

إذا لحظنا هٰؤلاء الذين يبيتون قائمين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ . ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ . والذين ، والذين ، والذين ، والذين . . من الآيات في هٰذا المُقْرأ وفي غيره من الآيات . . وجدنا أنهم صدقوا .

قبل قليل يقرأ لنا الحبيب آخر سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

كل هٰذا عالة علىٰ أصحاب النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، علَّمهم إياها ، فهل تدركونها ؟

إذا باينام الإنسان . . هل يقرأها ؟

ربما وقع نظره علىٰ ما لا ينبغي له ، ربما سمع ما لا ينبغي له ، ربما أخذت يده ، ربما حتىٰ أكل ما لا يدري ؟ ذا الحين كانوا يتكلمون في التقرير الليلة عن الشبهة والغصب ، وكثير منها الأشياء . ربما يأتي الإنسان ما لا يدري ؟

أقلها : أنه إذا باينام . . يقرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ

Scanned with CamScanner

أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ ، جمعها لنا الإمام الحداد في راتبه العظيم ، ولا ترك منها شيءٌ قط أبداً . راتب محشو بالأدعية المأثورة والأذكار المأثورة ، والتي فُتِح عليه فيها . وحكىٰ لنا هو - وحكايته صحيحة ، ما أعتقد أن أحداً ينكر علىٰ الإمام الحداد ، ويقول : يأتي بالكلام من أين ؟ - قال : هـٰذا الراتب إذا قرىء في بيت . . يحفظ أربعين بيتاً عن الجهات الأربع كلها .

هـٰذا قيام بحق الجار ، خصوصاً في مثل هـٰذه البلدان التي لا يدركون هـٰذه الأشياء أو لا يعرفونها ، إلا القليل منهم الذين جاؤوا من بلادكم ، أو جاؤوا معكم ، أو كانوا يحضرون مع أحد من أهل (حضرموت) أو يدركون شيءٌ ، أو تعلقوا يكلام الحداد ، أو بكلام أحد من السلف . . ربما يدركون هـٰذا .

هل يأتي بها الإنسان ؟

أنا أسألكم : هل تقرؤون الراتب قبل نومكم ، أو لا ؟

ثم بعد راتب الحداد ، هـٰذا الراتب للحبيب عمر العطاس ، كانوا الشيابة يحرصون علينا أن لا ندعه ليلاً ولا نهاراً . وأمس مرت علينا نحن والمنصب عند الأخ محمد الشاطري - أو عند أحد من الإخوان - يقول :

إن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس[1] يقول للحبيب أحمد بن حسن - وكلا الإمامين عظيمين - قال له : شف هـٰذا - أي : راتب الحبيب عمر العطاس - فيه العويزة . ويوصيه به .

---

(١) (١٢٠٥-١٢٧٩هـ) .

ومعنىٰ (العويزة) : السر كله فيه .

وكانوا يذكرون مجربات هٰذا الراتب ، ما يقرؤه الإنسان في شدة . . إلا ويدركه الله بالفرج .

كان الحبيب عبد الله بن محمد بن عقيل يذكره لنا المنصب كثير ، والإخوان كثير منهم يعرفونه ؛ لأنه أخص تلاميذ الحبيب أحمد بن حسن .

قال لنا : كنا في طريقنا للحرمين وركبنا ساعية من السواعي ، وكانت السواعي كلها غير صالحة ، تسير في المكان القريب من البحر ولا تسلم من الأتعاب .

قال : فجاءنا الناخوذة ـ يعني : ربانَ السفينة ـ قال : انظروا هٰذه أمواج أمامكم مقبلة علينا ، باتغطي الساعية ، من له دعوة مستجابة ، أو له كلمة ، أو له قربة مع الله سبحانه وتعالىٰ . . ينتبه بنفسه وينتبه من إخوانه الذين معه في الساعية .

قال بن عقيل : أنا ما معي إلا راتب الحبيب عمر . قال : فابتدأت فيه ، وما ختمته إلا وقد جاءنا الناخوذة ـ ربان السفينة ـ وقال : خلاص الموجة انصرفت إلىٰ الجهة الثانية .

وكان الحبيب أحمد بن حسن ـ حفيد الإمام الكبير الحداد ـ قال : إن نحن كنا في طريقنا إلىٰ الحرمين ـ أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد . والحبيب أحمد إمام كبير ، وكان الشيوخ يحكون عنه ، والقصة موجودة في « المواهب والمنن » : أن أم

Scanned with CamScanner

الولد هٰذا زوجة الحبيب حسن جاءت تشتكي إليه ثقل الحمل .
قال لها : كيف لا يكون ثقيل[1] وفي بطنك عالم تريم ؟ بشَّرها لتطمئن وتصبر عليه .

جاء هٰذا الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله في أيام الإمام الحداد ، وأدرك الإمام الحداد ، وهو من الخمسة الذين ذكروهم قرؤوا عليه الفاتحة .

قال : لما قربت وفاة الإمام الحداد ، قال : أعطاني شال (رادي فيه صوف) كان مع الحبيب عبد الله ، وقال له : هٰذا لك يا أحمد ، احتفظ به .

قال : لما أدركت . . كنت ما أتركه . وقال : كنا في طريقنا إلىٰ الحرمين . هٰذه الحكاية مذكورة في « المواهب والمنن » قال : فأتىٰ إلينا ربان السفينة وقال لنا : هٰذه أمواج أمامنا باتغطي جم من السواعي ، ما هي ساعية واحدة ، انتبهوا من أنفسكم .

قال : أنا معي الرادي حق جدي ، وابتدأت في الراتب . وقبل أن أختمه ، عادنا إلا في أذكاره وأوراده ، وما كان أمر به الإمام الحداد عند ختمه من قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، والمعوذتين . . أخذَتْنا سِنَة ، فإذا أنا أرىٰ الإمام الحداد علىٰ الدقل[2] حق السفينة ! رأيته وهو معتم بالرادي هٰذا . بعد

---

(١) يتكلم سيدي والعبرة بحلقه . . وهٰكذا عادته غالباً عند ذكره الأسلاف . . تعلوا وجهه قشعريرة . . وتخنقه العبرة . .

(٢) أي الصاري الذي ينشر عليه الشراع .

ما انتبهت . . قلت للربان : بشِّر أهل السفينة كلهم بسلامتها .

قال : من أين ؟

قال له : رأيت جدي عبد الله الحداد راكب على الدقل حق السفينة ، وهو معتم بهٰذا الرادي .

بَشَّرهم ، وحصل الفرج مباشرة . إشارة إلى أن هٰذه الأذكار تحفظ ، ويدرك الله بها ، ويرحم الله بها ، ويؤَمِّن الله بها ، ويتكرم الله بواسطتها .

فينبغي لكم ـ بعد نشره ـ أن تقرؤونه أنتم . ذا الحين يطبعونه لنا ، جاهز ـ جزاهم الله خير ـ طبعه الكعكي قبل كم سنوات وأتى إليَّ بكمية كبيرة ، وقال لي : وزعها .

كل من جاء من أهل (مكة) وإلا هٰؤلاء الذين يشتكون من تصاريف الأيام . . قلنا له : هل تقرأ راتب الحداد ؟

قال : لا ما أقرأه!

تقرأ راتب العطاس ؟

قال : لا ما أقرأه!

قلنا له : هٰذا راتب الحداد وهٰذا راتب العطاس ، وهٰذا الورد حق الحداد إذا بغيت صلاح أمرك شف الورد اللطيف كفاية لك بالنهار ، والراتب بالليل كفاية لك . ويصلح الله أمرهم .

بطبيعة الحال : دعوات لمن هي ؟

« أستغفر الله رب البرايا ، أستغفر الله من الخطايا » .

Scanned with CamScanner

واحد يستغفر ربه ، بايقول له ربه : ما بغيت استغفارك ؟

أستغفر الله رب البرايا ، أستغفر الله من الخطايا .

« يا فارج الهمْ يا كاشف الغمْ ، يا من لعبده يغفر ويرحمْ » .

وفي راتب الحبيب عمر : « سبحان الله عز الله ، سبحان الله جل الله » . إلىٰ آخر ما في الراتب .

يقول لمن هٰذه الأذكار ؟

اسألوا أنفسكم عنها أولاً أنتم ، ثم بعد ذلك اسألوا أنفسكم أن تعتنوا بأولادكم وزوجاتكم وبناتكم ؛ حتىٰ لا ينام الواحد إلا علىٰ طهارة ولا ينام إلا علىٰ ذكر ، ولا ينام الواحد إلا وقد ارتبط بالشيابة ارتباط كلي ، وكان معهم وداخل في عهدتهم ، وداخل في العقد الذي عقدوه لهم مَن قبلهم ؛ لأن عقد التوحيد هٰذا هوالذي يتداوله الأئمة من إمام إلىٰ إمام ، إلىٰ إمام إلىٰ إمام ، إلىٰ إمام . . إلىٰ أن يصل إليكم . ومن لا عنده استعداد . . يعطونه إياه من غير أن يدري ، ويدخل الواحد في العقد هٰذا بمجرد قراءته له ، وبمجرد قراءة الفاتحة لهٰؤلاء الأئمة ، ويرتبط بهم ارتباط كلي . وكثير أنا ما أذكر لكم هٰذا البيت من قصيدة الإمام الحداد ـ ينبغي لكل واحد يحفظه ـ يقول فيه بعد ما ذكر رجال الطريق :

فعَنْهم أَخَذْنا كُلَّ علم مقدَّسٍ   يـداً بيـدٍ حتـىٰ مقـامِ النبـوةِ

وفيما مَرَّ عليَّ قبل أسابيع ـ الله يبارك في عبد القادر خرد ، طبع « الديوان » وصوَّره علىٰ الطريقة التي جابوها عن الحبيب

عبد الله بن علي ، فيه مقدمة تأتي كنصف « الديوان » وفيما مر بها ـ قال : سئل الإمام أبو حنيفة فيما بين الشيخين : أيهم كان يفضل ؛ يعني : أيهما أفضل ؟

قال : يكفيني أن أراهم فقط ، وأنتم تطلبون مني أن أقول لكم من أفضلهم ! ! بغيت إلا عيوني تتمتع بالنظر إليهم .

ومذكور في المقدمة ، في صفحة شيء وخمسين أو قبلها ـ ما أذكر إنما هو موجود في المقدمة ـ أنه ذُكِر للإمام الحداد : ما هو الذي بقي معكم من الشيوخ ؟

قال : معنا لَمعة من الذين قبلنا من مشايخنا ، فإن ذاق أحد حلاوة الكلام ، أو رأىٰ أحد استقامة اللسان . . فهو من تلك اللمعة التي حصلت لنا .

وكان الشيخ ابن حجر ـ رحمه الله ـ يذكر عن بعض المفسرين الذين فسروا القرآن . ذكر تفسير الإمام البقاعي ، له تفسير ما اطَّلعنا عليه ، قال : إنه ما صُنِّف مثله في كتب التفاسير ، ولكنه كان لا يعبأ بشيوخ الطريق فرفع الله البركة من تفسيره هٰذا ولا يُقرأ ، ولا ظهر ذلك التفسير ، وإلا . . فهو من أعز التفاسير وأحسنها ؛ لأن هٰؤلاء الشيوخ مرتبطين بالنبي صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم .

شيء طريق غير النبي ؟!

شيء مرجع غير النبي ؟!

حَدْ دَرَكْ غير النبي ؟!

Scanned with CamScanner

شفيعكم في الدنيا ، وشفيعكم في الآخرة ، وطريقكم إلىٰ الله ، وواسطتكم للعمل الصالح ، وواسطتكم للقرآن الذي تقرؤونه . كلام قديم لا يمل سماعه ، صفة من صفات الله سبحانه وتعالىٰ أراد أن يعارضها البشر بكل قواهم فما قدروا ، والقرآن يتحداهم : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ . فأتوا بآية ، ما قدروا ، ولن يقدر أحد .

ثم رأوا أنه : معجز في لفظه ، معجز في قوله ، معجز في حكمه ، معجز في قصصه ، معجز في بيناته ، معجز في آياته ، معجز في شواهده ، معجز في إرساله بواسطة الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . كلام عظيم ، عظيم لا يوصف ولا يقدر الإنسان علىٰ تلاوته لولا أن الله يسره لنا . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .

هـٰؤلاء الصوفية يقولون : لو لم تقرأه اللسان المحمدية . . لما قدر أحد علىٰ قراءته .

ثم إن من خصوصياته : أن الكتب المتقدمة ـ خصوصاً التوراة ، كتاب الأحكام ـ قالوا : ما أحد يقدر يحفظه ، والقرآن سُلسِل لكم كأنه لبن سائغ ، يقرأ الإنسان ما يقرأ منه كأنه لبن ، يقرؤه ويسهل عليه حفظه .

ثم المعجز فيه : أن الآية القصيرة والآية الطويلة والآية المتوسطة . . يرىٰ الإنسان فيهن الكفاية الكافية . فإذا قرأ الإنسان

Scanned with CamScanner

في جزء والضحىٰ من جزء عم : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ . . وجدها سورة مختصرة في آيتين لا تتجاوزها ـ أو آية واحدة ، قالوا : إذا جعل الاستثناء داخل فيها ـ جمعت أحكام العلم الظاهر والباطن .

وإذا قرأ : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ وإذا قرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإذا قرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ . . يجد فيها متسع إذا عنده فهم ، أو إذا فتح باله . ومن لم يفتح باله لشيء من القرآن . . يمر عليه القرآن بلا هداية ولا بركة ، معاد في ذلك كلام ؛ لأن كثيراً من الناس إذا سألته : حضرت المَدْرَس ـ أي : جلسة علم ؟ ـ قال : تباركنا .

تباركت بماذا في المجلس ؟

بقراءة الفاتحة عند ختم المجلس ؟

هل سمعت حديثْ فيه قلت : اليوم سأقبض علىٰ هٰذا الحديث ؟

هل سمعت آية من كتاب الله قرئت في المجلس وقلت في نفسك : اليوم باقبضها وأتمعن فيها ؟

أما سمعت كلمة من كلام العلماء الناصحين واعتبرت بها ؟

كم هٰذه البركة ، وكيف هي التي تدعيها ؟

البركة في ماذا ، ومشهدها في ماذا ، وأولها في ماذا ،

Scanned with CamScanner

وآخرها في ماذا ؟ وتنتهي بها إلىٰ أي مرتبة من مراتب القرب ، من مراتب السر ، من مراتب العلم ، من مراتب الولاية ؟

ماذا تعمل له هٰذه البركة ؟

ما يستفيد منها إلا أنه يدخل في المجلس ويخرج منه وهو علىٰ ذاك الحال .

نعم تعود عليه بركة قراءة الفاتحة ، أو دعوة سمعها من صالح أو ولي ، أو نظرة حصلت له من عالم ، أو شيء من مثل هٰذا . وتعود عليه ، ولكن أكثر الناس ما ينبغي له أن يستكفي إذا جاء . .
قال : تباركنا .

ينبغي أن لا يخرج من المجلس إلا بفائدة من الفوائد . ولا يبقىٰ الإنسان بدون مراجعة لما يستفيده ؛ حتىٰ يثبت . كنا ندرس « التحفة » مع عمي علوي بن عبد الله ـ أبو الأخ محسن هٰذا ـ في الرهن ـ الرهن غير العهدة ـ فلما خرجنا أنا والأخ عبد القادر الرَّوِش ، والأخ عبد القادر بن حامد . . قال لنا عبد القادر بن حامد ـ وهو في ذلك الوقت أنبَهَنا ذهنْ ـ رحمه الله ـ قال عبد القادر بن حامد : عرفتوا المسألة لي كذا وكذا ؟

قلنا له : كيف ؟ قررها إنته ذا الحين .

قال : أنا سألتكم عنها لأن فهمي قاصر فيها .

قلنا : افتحها لنا لأجل نرجع إليها .

فتحها لنا ، ووجدنا فيها شيء من الإشكال . قال : بارجع لعمي علوي .

Scanned with CamScanner

قلنا : غدوة .

قال : لا ، عاد عمي علوي إلا يسير في الطريق .

خرجنا نسير وراء عمي علوي كلنا ، الثلاثة : الروش ، والفقير ، والأخ عبد القادر بن حامد ـ رحمه الله ـ ووجدنا عمكم علوي ماشي في ساقية البلاد .

يا عم علوي!

قال : مرحبا .

قلنا له : اشتبهت علينا مسألة .

قال : أنا تعبان ، غُدْوَهْ تعالوا لي وأنا وإياكم نتناقش فيها ونشوفها ، أما ذا الحين . . لا تسألوني ولا تكلموني ، أنا تعبان ذا الحين .

بقي عبد القادر بن حامد يناقشه فيها ، قال : له : شفنا ما أسمع ، لعاد تتعب نفسك قط ، معك غُدْوَهْ تعال من أول النهار ونحن نجلس نتناقش فيها .

ذا الحين! نحن تمر علينا مسائل كثيرة نسمعها من الأخ محمد الشاطري ـ جزاه الله خيراً ـ يذكرنا بها وقد لا نسمعها ، وقد لا نعرفها . كم يفوت على الإنسان ؟ ومرت علينا وقرأنا ولكنا نسينا ، كله الذي مر علينا نسيناه .

كانوا مَن قبلنا ـ ممن أعطاهم الله العمر الكامل ، وأعطاهم الله الحفظ الكامل ، وأعطاهم الله الذكاء الكامل ـ مرت بهم الأعمار

إلىٰ ثمانين سنة ، إلىٰ تسعين سنة ، إلىٰ أقل إلىٰ أكثر . . العبادة في جهة والتسبيح في جهة ، والقرآن في جهة ، والذكر في جهة والعلم في جهة ، وليس هو إلا في جهة واحدة .

كان والدي ـ كما ذكرت لكم ـ يمر علىٰ عبارة « التحفة » من ذهنه ، وتوفي عن تسع وسبعين سنة ، وكان حفظه لـ« التحفة » إلىٰ السنة التي توفي فيها . إذا سَمِعْنا تَلَكْلَكْتُ في عبارة « التحفة ». . قال : اسمعها مني ، وبعد أَعْلِمْ عليها وأْحدق عليها . فيأتي بها من حفظه .

وكم هٰذا الحفظ ! درسها قبل كم سنة ؟ درسها في شبابه . لكن إذا فكر الإنسان شواغل الدنيا وملاهيها وملذاتها . . ما هناك قوة حفظ قط .

ماذا كان يقول لي الوالد ؟

كان يقول لي وأنا في عنفوان شبابي : إذا باتطلع عند حرمتك . . ضع ثيابك لي هنا ، باتطلع أنت وثيابك . . معاد باتكلمنا . والأوقات للحرمة معدودة ، والملاهي ما شي : لا كان شاهي ، لا كان لهو ، لا كان شيء مَقْعَد . ينام الإنسان مع أهله ، يستريح في ليله ، يستريح في نهاره ، والأشياء مقرَّبة ومعرَّبة ـ أي جاهزة ـ وفوق هٰذا علينا مراقبة . نهار شل ثيابي تقوم القيامة ، لكن نتيجتها ظهرت لنا ذا الحين ؛ إذا تغدَّىٰ . . له قيلولة خفيفة ، ولا شيء معه زام .

كثير ما أذكر لكم أنا أنه علىٰ محبة الناس له وإقبالهم عليه كان

Scanned with CamScanner

ما تعجبه هٰذه الرعونات قط . وكان أخي محمد ـ رحمه الله ـ يمكن يعرفه الأخ الشاطري والإخوان هٰؤلاء ـ كان يشتكي من عيونه ، لكنه يقول لي والدي : شف هٰذا من أكابر الأولياء! ما يسائله عن شيء ، مخلِّيه ـ أي : تاركه ـ هو وتسبيحه وأوراده .

وفي مرة من المرات جاءته ساعة من الساعات الزينة المزركشة في ذلك الوقت ، ولو جاءت لواحد اليوم هٰذا . معاد لها قيمة مع ساعات اليوم ومظهر اليوم . قال لي : أنا هٰذه الساعة ما أحتاج لها ، ولا بدا أخذت ساعة في كيسي ، وأوقاتي مرتبة ، وأنا أنتبه علىٰ وقتي ، وأنام علىٰ وقتي ، وأقوم علىٰ وقتي ، وآكل في وقتي ، وأركع في وقتي ، لكنك أنت نفسك تتشوف .

يقول لي : لأنك المنصب حقنا[1] . لأنه يراني يا صاروم بغيته ، يا شي منها هٰذه المظاهر .

فقال لي : هٰذه الساعة لك ، علِّقها في محضرتك لا تخليها تشغلك ، أما كونك باتشلها وباتظلي كما الناس : كم في الساعة ؟ كم في الوقت ؟ هٰذه باتشوِّش عليك ، لا تأخذها .

قلت له : مرحبا . وكان من خبره : أن نحن وقتنا كله في درس .

ذات مرة من المرات جاء عندنا عمكم عبد الرحمٰن بن شيخ الكاف ـ ثري (حضرموت) ـ وأعطانا عشرة ريال ، وأنا أقرأ عند

---

(١) يتكلم سيدي والابتسامة تعلو وجهه .

Scanned with CamScanner

والدي . اتفقت أنا وأهلي علىٰ أن نشتري بها « سماور » .

كانت السماورات والقطف في هـٰذه القيمة ؛ يعني أن العشرة كبيرة ، باتبني للواحد منزل وخبر وعلم .

أخذنا السماور وبقي مخبأ ، والقراءة يومياً ما تقف في أوقاتها قط ، إلا وقت راحته هو ، ولما كان أول يوم من رجب ـ يجعلونه عيد أهل (حضرموت) ـ أخرجنا السماور هـٰذا وركزناه ، وهو يشوف ـ إنما ضعف نظره آخر الوقت ـ وأخذ يتشوف له ، وأنا أقرأ ، ووضعت الحرمة الماء فيه والجمر . فقال لي : ما هو هـٰذا يا عبد القادر ؟

قلت له : هـٰذا سماور .

من أين أخذتوه ؟

قلت له : عمي عبد الرحمـٰن بن شيخ الكاف أعطانا عشرة ريال ، وقال لي : هـٰذه لك . ونحن وأهل الدار اتفقنا علىٰ أخذ السماور .

قال : ما يحنِّق حقك ، ولا حق لي فيها .

قلنا : خير . والسماور عاملين له منخاش ، وعاملين له حديدته ، وحد ينخشه ، وحد يحط فيه الصخر ، وأنا فرحان به ، وكلما قرأت قليلْ . نفخته ، كلما قرأت[1] أفعل ذلك ، وأضع له

---

(١) هنا غلب سيدي الضحك حتىٰ اختلط كلامه مع ضحكه . . وأخذ الجميع يضحكون وتخلل المجلس شيء من الأنس والانشراح .

Scanned with CamScanner

بعد النفخة فحماً . والنساء في الدار يجهزن الغداء واللحم وأشياء أخرىٰ .

قال : عبد القادر!

قلنا : مرحبا .

قال : أنا لا أحب الشاي ، وأنت إذا بغيت الشاي ، إذا طلعت حرمتك من المطبخ . . تلقيه لك ، أما أنا . . أحب القراءة . شفك لعاد تنفخه ولا تحركه ، إذا طلعت الحرمة . . هـٰذا من شأنها .

قلنا له : مرحبا .

هـٰذه ثمرة الوقت ظهرت أثرها ودرينا بها بعد .

ومقصود الكلام :

هل يسأل الإنسان ولده ؟ هل ينتبه من ولده ؟

وكنا في ذلك الوقت ما ندرك ، إنما حريصين ؛ لأن مِن خلفنا آداب قاسية : علىٰ صلاة الجماعة ، علىٰ الراتبة ، علىٰ القيام بها ، علىٰ الورد ، علىٰ الحفظ ، علىٰ تلاوة القرآن . أنا حفظت القرآن ولكنا ما انتفعت إلا بدرسه . هو يختم المصحف في أسبوع ، ويقول لي : قُصّ علَيّ ، شفنا أُخطِىء . وهو قراءته كأنه ماء ، يسرده ، ما يغلط في شيء قط أبداً وينبهنا إلىٰ كثير من القراءات التي تخرج عن قراءة نافع ؛ لأن قراءة أهل (سيئون قراءة نافع ، والتي يميل إليها هو يخالف فيها أبا عمرو ، أو يخالف فيها الكسائي ، أو يخالف فيها عاصم ، أو يخالف فيه

أحد القراء يميل إليها ، يقول لي : انظر إلىٰ هـٰذه القراءة حجتها كذا ، وهي عندي أقوىٰ من قراءة نافع .

وقد كتبتها هـٰذه كلها ، ولكن! جاء وقت الضعف ، وجاء وقت الشيخوخة ، وجاءنا الوقت هـٰذا ، إنما نحن شكرنا علىٰ ماضينا .

وذكر الأخ محمد[1] ليلة في صلاة المغرب ، وكيف التربية ؟ كانوا في ذلك أدخلوا لعب الكرة عادةْ إلا جديد ، وخَلْق الله تتحدث علىٰ الكرة ، الكرة ، الكرة . وهـٰذا من آفاته أنها ما تنتهي اللعبة ؛ لأن الكرة إذا وصلت إلىٰ هـٰذا الحد . . زدها واحد إلىٰ الحد الثاني ، ويضيع الوقت .

وكانوا الشيابة يأمرونا بالجلوس في الدرس مع طلبة العلم ، والأخ محمد له ركوع طويل ويقرب من أهل الحزب ، وقد يجيء الدور عنده وهو قائم يصلي ، فيقرأ المُقْرأ . يَقْرُب من سارية قريبة من أهل الحزب ، وإذا انتهىٰ من ركوعه . . يجلس معهم يقرأ حتىٰ يدخل وقت العشاء .

وكان يحرص علىٰ تربيتي وأداء الصلوات في مسجد طه جماعة ؛ لأن المهم عنده ما تصح الصلاة إلا في الجماعة الأولىٰ .

---

(١) محمد بن أحمد أخو الحبيب عبد القادر .

Scanned with CamScanner

هٰذه هي التربية التي أنا أسائلكم عنها ، الذي ينبغي للأب المحافظة عليها .

وكانت عقيدة التوحيد ، العقيدة المختصرة ، والعقيدة التي في آخر « النصائح » هٰذه دائماً نقرؤها . ويسمعنها النساء ، وربما يقرأنها معنا حتىٰ تثبت معهن . والعقيدة المختصرة هي : نويت التعلم والتعليم ، والإفادة والاستفادة ، والحث علىٰ كتاب الله . . إلىٰ آخر العقيدة التي نواها الإمام الحداد وعلَّمها ، ما نستفتح إلا بها : قرآن ، أو ذكر ، أو صلاة ، أو عبادة ، أو شيء من الأحاديث .

ونحن نحب من كل واحد منكم ـ يا إخواني ـ أن لا يترك داره خراب ، ولا يترك أولاده بعده يأخذون ذات الشمال ؛ لأن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم كدا قال لكم : « فأقول : أصيحابي ، أصيحابي . . فيقال : سحقاً وبعداً » .

الذي ينبغي لكم : أن لا تتركوا أولادكم .

ذا الحين : من نعم الله عليكم تهيأت الأسباب لكم ، ولا ينبغي لكم أن تجعلونها هي المطلوب والمقصود .

تيسرت لكم أسباب اللقمة ، تيسرت لكم أسباب ؟ تيسرت لكم أسباب المواصلات ، تيسرت لكم أسباب الثلاجات ، تيسرت لكم أسباب المعاش حتىٰ ترَفَّه وارتاح الإنسان مع زوجه وولده . . إنما ينبغي شكر النعمة ، لا ينبغي أن تظلوا هكذا .

Scanned with CamScanner

وكل واحد منكم مسؤول ، والله يقول : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ ما ينبغي لنا نحن نبقىٰ هٰكذا .

الليلة لما ذكر المناسبة الإمام الحداد في قصيدته هٰذه الغراء .

« نعم عالم الأرواح خير من الجسم » .

هٰؤلاء تغذَّوا بالاستقامة .

وهٰذا الكشف الذي يذكرونه عن الحبيب أحمد بن حسن : يعبر وهو كفيف البصر بجوار قرية أو دار ، فيقول : أنا أشم ريح علم .

يقولوا له : هٰذا دار فلان من العلماء .

وهو ما يراه بعينيه هٰذه ، لكن القلب بصير ، القلب الذي تجوهر ، القلب الذي تصفىٰ ، القلب الذي حَصَل له ما حصل .

هٰذه المنقبة كلنا طالبينها ، ولا هي مخصوصة لأحد . كان المنصب قبل أربعة أيام يذكر لنا قصة من أغرب القصص ، وأنا قد أحفظها من كلام الحبيب ، ويذكرونها كثير من الشيوخ :

أن الحبيب عبد الله بن أبي بكر العطاس ـ ولد الحبيب والإمام الكبير أبي بكر . والحبيب أبي بكر شيخ الحبيب علي ، وشيخ الحبيب أحمد ـ كان في (جاوة) ، وحصل له أنه كوشف بقرب وفاته ، فأمر كاتب يكتب عنده ، قال له : اكتب لابني حسين في (حريضة) وقل له : إن والدك توفي في اليوم الفلاني .

قال له : ما أحد يكتب قبل الوفاة! إذا حصلت الوفاة سأكتب .

قال له : أنا أعرف أننا باموت في اليوم الفلاني .

فكتب الكتاب وأرسله ، ووصل الكتاب إلىٰ (حريضة) وجاء حسين إلىٰ عند الحبيب أحمد بن حسن - زوج عمته ، والحبيب أحمد بن حسن منصبهم وشيخهم - جاء بايخبره بالوفاة . لما جاء. . قال له : حَصَّلت كتاب من فلان فيه إعلان بوفاة والدي - رحمه الله - .

الحبيب أحمد كَشْفه حاضر بحاضر ، وأين (جاوة) منه ؟ قليل حرك رأسه وقال : حسين!

قال له : لبيك .

قال له : أبوك ما مات .

قال له : ما أحد يكذب في الموت!

قال له : أبوك يا ولدي ما مات .

قال له : ما جرت أن أحد كذب ، وقال : فلان مات ، وما مات .

قال له : يا ولدي أبوك ما مات ، وأنا أزيدك : أبوك بايخرج إلىٰ (حريضة) وبايقيم في (حريضة) وباتحركه نفسه أنه يجيء إلىٰ (سيوون) ويجلس عند الأخ علي الحبشي ، وباينتقل منها إلىٰ (تريم) وبايتزوج في (تريم) وبايولد له .

Scanned with CamScanner

قال له : بغينا عدم الموت ، فإذا بك تجيب لنا أعمار أخرىٰ طويلة!

قال له : أبوك ما مات ، لكنكم أنتم ما بغيتوا كلام عمكم أحمد ، اذهب إلىٰ عند عمك علي جبشي ، الذي يقوله لكم الأخ علي كلامي وكلامه واحد .

خرج إلىٰ عند الحبيب علي في هيلولة العلم ومظهر العلم ، وجمال العلم ، وجلال العلم ، وجد الحبيب في دروسه وفي روحة العلم ، وفي مظهر ما قدر يكلمه . لما نام . . رأىٰ الحبيب علي يقول له : الذي قاله لك الأخ أحمد هو هو .

فلما أصبح . . قال : باسلِّم علىٰ الحبيب علي ـ طلعوا به إلىٰ غرفة الحبيب وسلم عليه . فقال له : ما الذي جاء بك يا حسين ؟

ثقل عليه أن يقول للحبيب علي .

قال له : شيء رؤيا حصلت لك ؟

قال له : نعم! حصلت لي .

قال : الذي قاله لك الأخ أحمد صحيح هـٰذا هو ، وانتهىٰ الكلام .

والإمام الحداد ذكر في قصيدته التي أولها ـ كما ذكرت لكم ـ :

سلامٌ علىٰ إخواننا والأحبةِ سلام كأنفاس الصَّبا في اللطافةِ

Scanned with CamScanner

لما ذكر رجال العلم وشيوخه ، وكان يقول : لي أكثر من مئة شيخ ، يقول :

فعنهم أخذنا كلَّ علم مقدَّسٍ يـداً بيـدٍ حتىٰ مقـامِ النبـوة

لأن الواحد إذا أخذ عن حد من الرجال . . فكأنما أخذ عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، معاد يحتاج .

هـٰذا الشيخ علي بن عبد الرحيم بن قاضي ، لما قال له الحبيب العيدروس : أنا رأيت النبي البارحة وقال لي : عاد غُدْوَة من رمضان . . قال له : أنت رأيته في النوم ونحن رأيناه يقظة ؟ !

قال له : كيف رأيته يقظة ؟

قال له : كيف رأيته يقظة ؟ يعني ما هو صالح للرؤيا يقظة !

قال له : ورد في الحديث الصحيح مسلسلاً عن الثقة فلان ، عن الثقة فلان ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أنه قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » . قال له : صدقت ثبت الشهر فأفطروا .

ذا الحين نحن بغينا الانتساب والارتباط إلىٰ أولئك الرجال بسلسلة الإجازات ، والأخ علي بن أحمد ـ المنصب ـ والحبيب الزين يسأل عن إجازات أبوه ويكتبها ، ويبحث عنها لأجل حفظها . وكل واحد منكم له من آبائكم إجازة من فلان ، له اتصال بفلان ، ابحثوا عنها واربطوها ، كل واحد يربطها دائماً أنا أقول لكم : ناس يقرؤون الفاتحة علىٰ أحد من الشيوخ .

Scanned with CamScanner

هٰذا الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط ـ أبو عمكم عمر الإمام الكبير ، كلاهما إماماان ـ خرج إلىٰ (حضرموت) لزيارة (حضرموت) ولزيارة الحبيب علي ، ولزيارة الحبيب أحمد ، وحضر الدرس عنده . قال له : هيا قم يا أحمد بن بو بكر بانصلي في المسجد .

خرجوا بايصلون ، قال له : ادخل صل بنا .

قال له : أنا أتقدم عليك يا حبيب! أنا جئت عاني لك . قال له : ما أقدر أتقدم .

قال له : أما أنت تريد تقرأ الفاتحة علىٰ عمك أحمد ؟ اقرأها في الصلاة ، خَلِّنا أسمعها .

هٰؤلاء يحتاج تربطون أنفسكم بهم ، حتىٰ إذا نابتكم نائبة . . يقول الواحد : معي لها فلان . أنا معي لها فلان من أهل الشفاعة الكبرىٰ ، من أهل الدَّرَك ، من أهل الرعاية . والأرواح جنود مجندة والأرواح تتصل ولا تختلف ، وتشاهد وتعاين ، لكن هٰذه تريد لها بصيرة مشاهِدة ـ كما قلنا لكم ـ تريد لها بصيرة مدرِكة ، تريد لها يقظة فيها انتباه ، تريد لها رعاية فيها شيء من الاهتمام ومن الأخذ .

كلهم هٰؤلاء أخذوا واحد عن واحد ، وسند عن سند ، فاربطوا إسنادكم بإسنادهم ، اربطوا أنفسكم بهم .

كل واحد يقول : شيخي فلان ، أخذت عن فلان ، اتصلت

Scanned with CamScanner

بفلان ، فلان اتصل بفلان ، فلان اتصل بفلان ، فلان اتصل بفلان ، فلان اتصل بفلان.. حتىٰ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

إذا قال واحد : شيخي النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.. ما كذب كان الحبيب أحمد المحضار كثير ما يقول للحبيب علي في مكاتباته ، يكتب له ويقول له : من جليسِ الله أحمد المحضار .

قال له ولده حامد : ما معنىٰ جليسِ الله ؟

قال له : معناه أنني أظل أنا والقرآن ، جليسُ الله .

وهٰؤلاء الذين يظلون هم واللهو ، هم والغفلة ، هم والتلفزيون، هم والبلاء.. جلساء مَن؟ قرينُه مَن ، الواحد (منهم)؟

لابأس ، ابتلي الزمان بمثل هٰذه الأشياء ، وقيل وقال ، ولكن! القال والقيل يكون في شيء فيه استفادة .

إذا سألت الواحد : ماذا عملت البارحة ؟ قال : كنت أشاهد القصة أو المسلسل علىٰ شاشة التلفزيون!

وما هي هٰذه القصة ؟ حرمتين يتعالقن - أي : يتشاجرن - ورجلين يتعالقان - أي : يتشاجران - من الممثلين المصريين . هٰذا يقول له كذا ، وذاك يقول كذا . وينتهي بهم العمر كله ، وأكثر الليل يمر وهم بغوا ختم العلاق الذي بينهم والنزاع الذي بين المصريين الممثلين هٰؤلاء ، وكذلك الشجار بين الرجل

Scanned with CamScanner

والمرأة ، فلا تنتهي الحلقة إلا بميعاد ليلة ثانية أو ثالثة أو حتىٰ شهر ؛ لتشغل الناس عن أعز أوقاتهم لصرفها فيما يرضي الله ورسوله أو يعود عليهم بالنفع في دنياهم وأخراهم .

وإذا انتهت الليلة الثانية . . بماذا انتهت ؟ انتهت أنهم سَدُّوا ولا فيها ما يفيد ، وأشياء مثل هٰذه .

الإنسان علىٰ نفسه بصيرة . لابأس يشاهد التلفزيون ، معاد شَكَينا منها الأشياء هٰذه ، إنما شَكَينا من ضياع وقت الرجل حتىٰ يضيع هو ، هٰذا المشكو منه .

وأسأل الله أن ينفعنا وإياكم بهٰؤلاء الرجال .

وخَتَمها المنصب حبيبنا علي بالفاتحة التالية ، وقال :

الفاتحة أن الله يرزقنا الفتوح والمنوح ، والرسوخ والتوبة النصوح . ويرزقنا العلم والعمل ، ويحفظنا من الزيغ والزلل .

وأن الله يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، ويجعل هَوَانَا تبعاً لما جاء به محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

وأن الله يحفظنا من كل ضر ، وعذاب القبر .

وأن الله يغفر الذنوب ، ويستر العيوب ، ويفرج الكروب ، ويطلق العصوب ، ويعطينا كل مطلوب ، ويعجل بالرحمة السابغة الهنية المريَّة ويسقي بيحان والتلول ، وجميع الوديان ، من (عدن) إلىٰ (عمان) في هٰذه الثمان ، مصحوبة باللطف

Scanned with CamScanner

والعافية ، واليُمن والأمان ، واللطف والعافية .

ويردنا إلىٰ الأوطان سالمين غانمين ، ظافرين بمطالب الدنيا والدين ، مع الحفظ والسلامة في الأديان والأبدان ، والأحوال والأموال ، والأولاد والذريات .

ويقضي حاجات الجميع ، ويشفي أمراض الجميع ، ويبلِّغ آمال الجميع .

وعلىٰ ما نواه النبي والسلف الصالح الجميع ، وإلىٰ حضرة النبي محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم .

الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله .

بعون الله وحوله وقوته وتوفيقه ، ثم برعاية من شيخي ووالدي وسيدي المربي الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف تم الانتهاء من كتابة هٰذا المجلد الأخير من مجموع بعض من كلام نقيب السادة الأشراف الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف ، وذلك في يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الأول لعام ١٤١٦ (٢٠/ ٣/ ١٤١٦هـ) من هجرة المصطفىٰ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم . الموافق (١٦) أغسطس ، لعام (١٩٩٥) ميلادية .

وذلك في (جدة) ـ (المملكة العربية السعودية) .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

هذه الصيغة المباركة لرؤية الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لخليفة الأسلاف سيدي الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف طلبها منه بعض الصالحين في المدينة المنورة :

اللهم يا رب محمد وآل محمد اجمع بيني

وبين محمد في القريب يا مجيب

اللهم إنه بابك الأعظم وصراطك الأقوم

ولا طريق إلا من الباب ولا دخول إلا بواسطته

يا وهاب أدخلني عليك من هذا الباب

وشرّفني بكشف الحجاب

اللهم لا تحرمني من رؤيته ولا من النظر إلى وجهه

ولا من الدخول في بركته ولا من التماس رعايته

اجعلني اللهم دائماً تحت نظره واجعلني

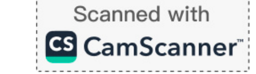
منه قريب يا مجيب يا مجيب

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ

عبد الوهاب - المدينة المنورة





الدُّرُّ الفاخر

من كلام الحبيب عبد القادر

بعض كلمات قيمة جامعة نافعة عن المدينة المنورة والحج

جمعها وكتبها

طٰه بن حسن السقاف

من مذاكرات وكلمات خاله الإمام خليفة الأسلاف
عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف
حفظه الله ومتع به في خير وعافية ، آمين

Scanned with CamScanner

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمته حفظه الله بالمدينة المنورة عن أخلاق المصطفى وشفقته ورحمته صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم

شريط (١)

هٰذه الحفلات التي تعقد ، لأجله صلى الله عليه وآله وسلم ، كل واحد يعرف ويدرك أنها إنما أقيمت بدوافع المحبة ، ودوافع المحبة شأنها التكريم ؛ لأن الإنسان لا يكرِّم إلا من يحبه ، وإلا من يعظمه ، وإلا من يقدره ، ويقولون العلماء : إن مثل هٰذه إنما تسمى ٱستدعاءات ، ومعنى الاستدعاءات كأنها طلب حضور من أقيمت لأجله هٰذه الحفلات .

والاستدعاءات ، يقولون : إنها تأتي ضمناً ، وتأتي ظاهراً ، وتأتي حقيقة ، ففي ضمنها ما يذكر في القرآن من قول الله سبحانه وتعالىٰ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ يسألونك ؛ لأن الجواب يأتي (قل لهم) ، فكأن السؤال منهم إنما هو ٱستدعاء للجواب .

والاستدعاء الذي يأتي للجواب ـ إنما هو لا شك ـ يأتي من قلب ، وقلب الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله ذلك القلب المتصل بالرفرف والعالم الأعلىٰ يأتيه الجواب من هناك مباشرة .

وقد يكون ٱستدعاءٌ ما له جواب ؛ مثال ذلك : يقولون أهل

Scanned with CamScanner

العلم : قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ، لم يقل لنبيه : (قل لهم إني قريب) ؛ ولـٰكنه أرشدنا سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أنه هو قريب منا ، لا نحتاج إلىٰ واسطة ، ولا نحتاج إلىٰ أحد غيره ، وإن كانت الواسطة هو السيد الكريم ، السيد الكبير صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فهو الواسطة في كل شيء ، لـٰكن هـٰذا - قالوا - زيادة تكريم للأمة ، من كرامة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله .

والاستدعاءات - لاشك - كما ذكرنا أنها تستدعي حضور من أُقيمت الحفلة لأجله ، والحبيب صلى الله عليه وآله وسلم أبر الناس بالحضور ، وأحقهم بالإسراع ، وأكرمهم ، وأكثرهم في مثل هـٰذه الأشياء ؛ لأنه - كما تسمعون وكما تقرؤون - فيما يرويه عنه أصحابه رضي الله عنهم ورواة الحديث : (كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعته الأرملة . . حضر ، وإذا دعاه المسكين . . حضر ، بل حتىٰ إذا دعاه اليهودي . . حضر ، وإذا دعاه النصراني . . حضر) ، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله ، فكيف لا يحضر في مثل هـٰذه الحفلات؟! وكيف لا يكرم من أكرموه؟! وإن كان كله كرامة ، وكرامتنا لا تكون شيء بالنسبة لما وهبه الله من إكرام ومن إعظام ؛ لـٰكن شأنه صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله : التقدير .

قالوا : من تقديره : أنه كان يبتدىء السلام ، ومن تقديره : أنه يبتدىء المصافحة ، ومن تقديره : أنه كثير الابتسامات ، ومن تقديره : أنه يكرم الناس بالثناء عليهم والدعاء لهم ، ومن

Scanned with CamScanner

تقديره : أنه لا يأخذ يده من المصافح حتىٰ يدعها المصافح ، ومن تقديره عليه السلام : أنه لا ينصرف عن المصافح والقائم له والمسلم عليه حتىٰ يكون الثاني هو المنصرف .

كل ذلك عرَّفنا أنه صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله يعطي كل ذي حق حقه ، ويكرم من لا له حق ، ويعطي من ليس له حق ، ونحن جينا لمثل هٰذه الحفلة إنما هي من أجله صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله .

وفضله صلوات الله وسلامه عليه كثير ، ورعايته كبيرة ، وكرمه كثير ، وتعلق الأمة به كبير ، قال الصوفية : إن تعلقه صلى الله عليه وآله وسلم بالأمة أكثر من تعلق الأمة به عليه الصلاة والسلام ، وذاك من رعاية المولىٰ سبحانه وتعالىٰ لهٰذه الأمة .

كان شفيقاً عليهم ، كان من شفقته صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما أُوذي وآشتد عليه الأذىٰ . . كان يتسامح عنهم ، وكان يعفو عنهم ، وكان يصفح عنهم ، وكان يؤمل وهو العارف حقيقة بما أطلعه الله عليه وما أعطاه ، أعطاه من ماذا ؟ أعطاه من علم الفراسة ، أعطاه من علم النفس الذي يسمونه المتأخرين ، أعطاه من علم الغيب ، أعطاه من علم الكشف ، أعطاه من علم الاطلاع ما كَفَاهُ به أن يعرف الناسَ ويعرف ما جبلوا عليه ، فكان من شأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما كان . . كان شفيقاً ، وكان رحيماً ، وكان يعرف الناس كما ذكرنا .

كان يكرم من يصلحه المال بالمال ، وكان يكرم من يصلحه

Scanned with CamScanner

الخُلُق بالخُلُق ، وكان يكرم من تصلحه السماحة بالسماحة ، وكان يكرم من يرضيه الإيناس بالإيناس ، وهٰكذا كان شأنه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وفي جميع أحواله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان ينزل نفسه منزلة الناس ؛ فكان يمشي خلف الناس إكراماً لهٰذه الأمة ويقول من الإكرام : « خَلُّوا ظهري للملائكة الروحانيين » ، وإنما كان ذلك.. ليحوط الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ لأنه الرَّاعي ، والرَّاعي شأنه أنه يحوط ، والرَّاعي شأنه أنه يأخذ في الآخر حتىٰ لا يشذّ عنه أحد ، حتىٰ لا يميل عنه أحد ، حتىٰ لا يبقىٰ أحد .

وهٰذه كانت صفاته صلوات الله وسلامه عليه ؛ عرفها الناس كلهم ، وذكرها لنا أهل السير كلهم ، وما أنكرها أحد قط .

ونحن في مثل هٰذه الحضرة جينا كما ذكرنا لنتمتع ، ولنسمع ، ولنذوق ، ولنشاهد ، وليجتلي المجتلي ، فربما ذو بصيرة منيرة يدرك ببصيرته ما لا يدركه الآخر بنظره ، أو يشاهد بقلبه ما لا يشاهده الآخَر بعينه ؛ فإن الناس لهم أعين ولهم قلوب ، وكم من قلب يتحرك ، وكم من عين تتحرك وكِلا هٰؤلاء يحصل لهم التأثير والإدراك .

فرب عين دمعت من ذكر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتلجلج فيها المدمع لمحمد بن عبد الله ، ورب أذن سمعت فذكرت من صفاته ما يذكره أهل السير من أخباره عليه

الصلاة والسلام ، فتحركت تلك الأذن وأرسلت إلى القلب من حركتها ما يدفع قلبه الغافل فَيُنَبِّهه فَيَتَنَبَّه ، ويُذَكِّره فَيَتَذَكَّر ، ويحركه فيتحرك .

والقلوب أوعية إذا سمعت صفات محمد ، وشمائل محمد ، ووصلت إليها تلك .. كان الوعاء في تلك اللحظة ، يأخذ فيمتلي ، وإذا امتلأ الوعاء .. امتلأ القلب بمحمد ، وامتلأ القلب بمحمد ، وإذا امتلأ القلب بمحمد .. تكهرب الجسم كله ، فصارت الأعضاء التي تأخذ به للغفلة أصبحت تسير به إلى اليقظة ، وأصبحت تحركه للحضور بعد أن كانت لا تدرك ، وبعد أن كانت لا تعرف ، وبعد أن كانت لا تشعر .

ذكر لنا أهل الحديث في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالوا : إنه قيل له : إن أخته وزوجها أسلما ، فجاء إليهم ؛ ليأخذهم بقوته وغضبه ، فيردهم عن إسلامهم ، ولما قرع عليهم الباب وشج أحدهما . . دخل وقال لهما : ماذا الإسلام؟ قالا له : أتريد أن تسمع ؟ كَلَّمَهُ زوجها . فقال : نعم . فقرأ عليه آيات من سورة (طه) ، كانت أذنه تلك لا تعي ، ولكنها لما سمعت القرآن . . وعته ، ولما وعته . . حركت القلب ، فلما حركت القلب . . تحرك للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لهم : وأين نبيكم ، وأين محمد؟ قالوا : في دار الأرقم .

فَسَارَ به إلىٰ دار الأرقم ، فقرع الباب ، فلما قرع الباب . . قام بعض الصحابة ونظر من صائر الباب ، فإذا هو عمر بن الخطاب ،

Scanned with CamScanner

كثير البطش ، وكثير الأيد ، وكثير القوة ، والرجل الذي يسرع إليه الغضب فلا يقاوم ، فرجع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ نبيِّهِ ورسولِه ، قال له : بالباب عمر!! قال له : أفتح له ـ ثم قام عليه الصلاة والسلام ـ ففتح له ، وما يدري ، وربما أنه كان يدري بحقيقة الأمر ، وإن كان لا يذكر أنه لا يدري ، فتح له ، ولما فتح له . . أخبرنا ـ هو ـ عمر قال : قبض بعضدي قبضة خفت أن يفلت عليَّ العضد ، تلك قوة رسول الله التي لا تقاوم ، وذاك نور النبوة وبرهانها الأقوىٰ ، ثم قال له : ما جاء بك يا ٱبن الخطاب؟ بكىٰ عمر ، وقال : جيت لأسلم ، أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنـك رسول الله . ففرح المسلمون وكبروا .

ذاك هو ما ذكرته لكم من أن : رُبَّ أُذنٍ كانت غير واعية ، فكانت صاغية ، فسمعت من صفات محمد ، فأرسلتها إلى القلب الغافل فتنبه ؛ لأنه هو الذي نبّه القلوب ، وهو الذي حركها ، هو الذي حداها ، هو الذي دعاها ، هو الذي أيقظها وكانت في سباتها ، كانت في نومها ، كانت في غفلتها .

جمع الناس على التآلف وعلى التراحم في مدة قريبة ، وألف بينهم ، وهم كانوا كما ذكر القرآن : ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ .

(العرجون) : أغصان النخل التي تثمر وتيبس ، وتعوَجُ وتعرج . فجمعهم عليه الصلاة والسلام فردهم سَمَاح[1] وردهم

---

(١) سَمَاح : على استقامة .

Scanned with CamScanner

متآلفين ، ذكر لنا ذلك في القرآن ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا ﴾ .

ونحن حضرنا في هٰذه الحضرة بهٰذا التآلف ، بتلك الأخوة ، بتلك الدعوة ، بتلك الكلمة ، بمحمد بن عبد الله ، بالرعاية الكبرىٰ ، بالعناية العظمىٰ ، بالهداية التي كانت الدعوة تسير من أطباق السماوات ، وآفاق الأجواء ، وطباق الأرض حتىٰ وصلتكم بواسطة آبائكم وأمهاتكم ، فاحمدوا الله تعالىٰ أن كنتم من أمته ، واحمدوا الله أنكم إذا سمعتم بحفلة من حفلاته . . حضرتم ، وتحركت قلوبكم ، وصليتم عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

هو شهيدكم ؛ لمَّا نزلت عليه هٰذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ . . بكىٰ عليه الصلاة والسلام ، ذكر لنا العلماء أهل التفسير أنه بكىٰ عليه الصلاة والسلام رعايةً وشفقة بأمته المحمودة الحامدة ، والصوفية ـ وهم : الذين يأخذون القول من سَبْره وغوره من عالم العُلُوّ ـ قالوا : إنما بكىٰ فرحاً ؛ لأنه هو الشهيد يشهد لهم بالتوحيد ، وشهادته صلى الله عليه وآله وسلم لا تُرَدُّ ، وهو العدل في كل أمره .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ .

قال الصوفية : يشهد لهم بالتوحيد ، ويشهد لهم بالرسالة . . .

Scanned with CamScanner

وما وراء ذلك ، فالمغفرة أشمل ، والكرامة أعم وأعظم .

وعلى المسلم أن يكرم نفسه بأن كان من أتباع محمد ، فإذا ذكر محمداً ، وصلى علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام ، أو قال : لا إلـٰه إلا الله . . ينبغي له أن يصون لسانَهُ عمَّا يدنسها ، وعمَّا يغيرها ، وعمَّا يلوثها ، وعما تتمجمج به من أعراض الناس ، أو ممَّا لا ينبغي من سباب أو من فسوق .

وعليه أن يرعىٰ قلبه فيجعل قبلته محمداً عليه الصلاة والسلام ، وإذا جعل قبلته محمداً . . كانت المشاهدة واقعة ، فلا يلتفت بقلب كان مشهده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كان راعيه محمد بن عبد الله ، كان هاديه محمد بن عبد الله ، ولا يتركه للعمىٰ حتىٰ يتنزل عليه ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ، ولـٰكن تعمى القلوب التي في الصدور .

أيقظوا قلوبكم ـ يا إخواني ـ بمحبة اتِّباعه ، لا بمحبته فقط ، بمحبة الرعاية التي رعاكم بها ، وأكرموها وخذوا بها ؛ فإنكم خلقتم لمقام أسمىٰ ، ولعالم أقدس ، ولحال معظم ، ولرعاية كبرىٰ ، ولسعادة عظمىٰ ، جاءتكم رسالة محمد ، وجاءكم محمد هادياً برسالة كلها رحمة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

أعطوا هـٰذه الرحمة حقها ، فإني أذكر كثيراً أن شيوخنا الذين عرفناهم ، والذين قرأنا عليهم ، والذين قرؤوا على من قبلهم ، كان الواحد من كرامة نفسه عليه ، ومن كرامة دينه عليه ، ومن

Scanned with CamScanner

كرامة اتّباعه لمحمد ، كان لا يلتفت بعينه يمنة ولا يسرة ، وكان لا يحرك يده إلا فيما يرضي ، ولا يمشي برجله إلا فيما يرضي ، وكان لا يسمع كلمة تلجلجت بها لسان أحد أولاده أو تلامذته فيها ما لا يرضي محمد .

قال أهل السير رحمهم الله : إنه صلى الله عليه وآله وسلم خرج ذات يوم ليصلح بين يهود ، فأتعبوه وأكثروا له الجدل والجدال ، فقال لهم : يا إخوان القردة . قال له أحدهم : يا محمد ؛ ما عهدناك سَبَّاباً . قالوا : فارفضّ عرقاً ، وتصبب العرق من وجهه ورأسه ويده ، لمَّا قال له اليهودي ما قال ، والقرآن يخبرنا بذلك أنهم إخوان القردة ، وإنهم لا ينكرون ذلك ؛ ولكن لسانه تأبىٰ أن تأتي بشيء من مثل هٰذه الكلمات التي تشق علىٰ من كانت فيه ؛ إكراماً للسانه صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان الشيوخ ـ كما ذكرنا ـ لا يتكلم الواحد منهم إلا فيما يعنيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يدنس لسانه ، ولا ينظر بعينه ، ولا يحرك قلبه ، حتىٰ كان الواحد منهم كبريتاً أحمر ، وصل إلىٰ درجة القرب ، ودرجة القرب هي درجة المشاهدة ؛ ذاك لأن الإنسان إذا جعل الوجهة محمداً ، وقابل القلب بالمشهد . انفتح القلب ، فشاهد محمداً ، ومحمد يقول لكم عنه القرآن : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ ؛ هو : محمد صلى الله عليه وسلم .

Scanned with CamScanner

فهل ٱنطفأ ذلك النور ؟ حاشا وكلا ، وهل ٱختفى ذلك النور ؟ لا ، لا يزال ذلك النور ملء الظهور ، وفوق الظهور ، فإذا قابله الواحد بقلبه . . شاهده .

ومن هنا كان الكثير من هٰؤلاء إدا حضر الواحد منهم مجلساً من مجالس الذكر ، أو من هٰذه الحفلات ، أو من مجالس العلم . . كان يشهد نبيه عِياناً ؛ ذاك لأن نبيكم صلوات الله وسلامه عليه دلَّنا علىٰ ذلك ، فقال في حديثه الصحيح الوارد : « ما ٱجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم الرحمة ، وغشيتهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » فهل هٰذا تأتَّىٰ بدون محمد ، هٰذه أبوها كلها مخمد؟!

الملائكة لا تحضر إلا بمحمد ، السكينة لا تنزل إلا بمحمد ، الرحمة طريقها محمد ، فكل مجلس يعقد ويجتمع فيه أهل لا إلـٰه إلا الله ـ وفي مثل هٰذه الحفلات ـ لا شك أن نبيكم يحضره صلى الله عليه وآله وسلم .

فإذا ٱتجه إليه الإنسان بحضور . . أدركه بحضورآخر ، وكان الحضور ممَّن عليهم الأمور تدور ، وكانت تلك فيها غاية السرور ، وفيها يدرك القلب في ذلك الوقت البعث والنشور .

وما معنى البعث بعث القيامة ! ولٰكنه البعث من غفلته ، ونشوره من رقدته ؛ لأن القلب غافل ـ لا يزال ـ إذا لم يذكر الله ، إذا لم يذكر رسول الله ، إذا لم يتحرك لذكر الله : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ .

Scanned with CamScanner

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يملأ قلوبنا بذكره وذكر رسوله ، وأن يجعلنا معه ، وأن يجعلنا عنده ، وأن يُشْهِدَنا الجمال الأسنىٰ ، والجمال الأقدس ، وأن يرينا وجه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم ؛ لا تحرمنا خير ما عندك لشر ما عندنا .

اللهم ؛ إن لنا مقاصداً حسنة وإن قصرت عنها أعمالنا ، ولنا تعلق بنبيك كبير وإن قصَّرنا في الاِتّباع له .

ونسألك اللهم بكمال قدسيتك ، وبما أعطيته ، وبما شرفته ، وبما خلعت عليه . . إلا ما أشهدتنا جماله ، وأشهدتنا نوره صلى الله عليه وآله وسلم ، وأشهدتنا قدسه ، وأقعدتنا مقعده ، ورفعتنا من حضيضنا ومن شهواتنا ، وأخذت بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك ؛ فإنك إن لم تأخذ باليد . . من يأخذ باليد ؟! وإن لم ترحم . . من يرحم ؟! وإن لم تتدارك . . من يتدارك ؟!

حاشاك أن تهمل أقواماً أو تتركهم وهم جاؤوا لأجل نبيك ، قصدوك لنبيك ، شهدوا تلك الحفلة كلهم راجين قربه وشفاعته ، وراجين الاجتماع به .

اللهم ؛ صفِّ عقدة القلب عن أدناسه ، وٱرفع عنه الغفلة حتىٰ يدرك ، وٱجعله يحضر مع أهل الحضور ، وٱذكره يا مذكور في الملأ المشهور ، وكن به يا مولانا حفياً ، وكن له يا مولانا ولياً ، فأنت ولي من لا ولي له ، وأنت ولي أهل لا إلـٰه إلا الله ،

وولي الضعفاء ، وولي المرضىٰ ، وولي العاجزين ، وولي الغافلين ، وولي التائهين .

وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين[1] .

* * *

---

(١) بتاريخ الأحد ١٤٢٣/٨/٧ هـ قرأت هٰذه الكلمة علىٰ سيدي عبد القادر حفظه الله وقد قرئت عليه عدة مرات سابقاً

شريط ١ حفلات السيد محمد صالح المحضار .

Scanned with CamScanner

في ليلة الإِسراء والمعراج في المدينة المنورة

الحمد لله ، ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجزي عنا نبينا وشفيعنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الجزاء ، وأن يكرمنا بالقرب منه ، وأولادنا ، وإخواننا ، وأصحابنا ، ومن حضر معنا ، ومن أحبنا ووالانا في الله .

وبعد :

فإنا لا نزال في نِعَمٍ كما ذكرنا في مجلس قبل ساعتين في مثل هـٰذه الاحتفالات المباركة ، من نعمة إلىٰ نعمة .

هـٰذا الحفل أُقيم من أجل هـٰذه الليلة المباركة ، هـٰذه الليلة الشريفة ، هـٰذه الليلة المعظمة ، هـٰذه الليلة التي أشاد القرآن بها قبل أن يشيد بها غيره ، وذكرها سيد ولد عدنان ، وفصَّل بعض ما حصل له فيها من الرحمـٰن تكرمة له وزيادة في شرفه ، وإيضاحاً بأنه خير خلق الله على الإطلاق ، وأنه الحبيب الذي حُمدت سجاياه ، أدناه مولاه ، وقرَّبه مولاه ، وأرسل إليه جبريل فأسرىٰ به أولاً إلى المسجد الأقصى المبارك ، وكان في ذلك المسجد أن جمع الله له الأنبياء والمرسلين كلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لأنهم كلهم يعرفون أنهم نواب عن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، وخلفاء بالنيابة عنه ، ولم

Scanned with CamScanner

يكن لهم في شبح الدنيا أن رأوه بأبصارهم ، أما بصائرهم . . فهي معلقة به ومتصلة به عليه الصلاة والسلام ، فكان من قدر الله أن كرَّمهم بأن جمعهم به ليلة إسرائه ، وجعل له ولهم حفلة تقديس ، فيها يشاهدونه .

فدخل عليهم ومعه جبريل الأمين يخدمه في تلك الليلة ، ويتولىٰ أمره وعنايته ورعايته ، ويسير معه حيثما سار ركبه ، وحيث ما يَمَّم به حظه .

ولمّا وصل إلى المسجد ووجد المسجد غاصّاً بهـٰؤلاء . . سأل جبريل - قال الصوفية رحمهم الله : وكان سؤاله عليه الصلاة والسلام إقامة لظاهر الأمر ، وإلا . . فقد طوى الله في قلبه كما ذكرنا . وأشار أهل العلم الباطن وكثير من أهل العلم الظاهر أنه عرَّفه أمر كل شيء .

ولما دخل . . عرف أن هـٰؤلاء نوابه ، وأنهم أنبياء ورسل نابوا عنه فيما قبله وقبل بعثته ؛ لأن بعثته كانت خاتمة ، وكانت بعثته آخر الأمر ؛ لتأخذ ما معها وما قبلها فيندرج كل شيء في بعثته عليه الصلاة والسلام ، وتدخل الأمم السابقة في شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم ، ويأتي إليه كل شيء ؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم جعله الله من نوره ، ونائباً عنه ، وخليفة له ، وقائماً في هـٰذه الأكوان كلها مقام التنفيذ لأمره والرغبة في قضاء ربه وفي حكم ربه سبحانه وتعالىٰ - وهو أعلم بالأنبياء والمرسلين ؛ ولـٰكنه سأل عنهم جبريل . فقال له : هـٰؤلاء الأنبياء والمرسلون

Scanned with CamScanner

جاؤوا ليسلموا عليك ، ولتصلي بهم ؛ لأنك إمامهم ، وإنك مقتداهم ، وإنك سيدهم ، وإنك السيد الذي ينتظر العالَم ليلة إسرائك ؛ لما يكون في الإسراء والمعراج من مزايا تتسم بها هٰذه الأمم وهٰذه الرسل ، فدخل وأخذ بيده جبريل حتىٰ أوصله إلىٰ محراب المسجد ، فصلىٰ بهم إيذاناً إلىٰ أنه أبوهم وسيدهم ، وأنه المقتدىٰ الذي جعله الله سبحانه وتعالىٰ في براياه قديماً وحديثاً .

وبعد الصلاة أُعرج به عليه الصلاة والسلام كما سمعتم ممَّا رواه السيد جعفر البرزنجي رحمه الله في هٰذه القصة التي كتبها وحبَّرها ، أُسري به من سماء إلىٰ سماء ، ومن عَمَاء إلىٰ عَمَاء ، ومن فضاء إلى فضاء ، ومن لاهوت إلىٰ لاهوت ، حتىٰ وصل إلىٰ حضرة الإطلاق ، وما إن وصل إلىٰ حضرة الإطلاق . . إلا وقد تأخر جبريل عنها في مدة طويلة ، وكان تأخره عنها أنه سأله بأن يصعد معه ، فقال : لا ، ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ، فوقف جبريل حيث أنتهىٰ به المقام ، ولٰكن الحبيب عليه الصلاة والسلام كان مقامه المعلوم حضرة الإطلاق ، ولم يكن له في الأكوان كلها مقام معلوم ، بل كان مقامه متسعاً في الأكوان كلها ، حتىٰ وصل به حظه وسعدُه إلىٰ تلك الحضرة العظيمة ، فرأىٰ ربه ـ كما سمعتم ـ وعلىٰ أصح الأقوال عِياناً ، وشاهده كفاحاً وخاطبه وسلم عليه .

قال العلماء عليهم الرحمة : إن هٰذه الليلة الشريفة إنها في

Scanned with CamScanner

حقه عليه الصلاة والسلام : أفضل الليالي ، وفي حق الأمة أفضل الليالي هي : ليلة ولادته عليه الصلاة والسلام ؛ لانبثاق الأنوار في ليلة الميلاد ؛ ولِمَا حصل له عليه الصلاة والسلام في هٰذه الليلة كانت أفضل مما سواها في حقه .

ثم قالوا أيضاً : وكان نصيب الأمة من هٰذه الليلة كبير بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن جميع ما خلفه تركة من وسائل الرسالة ، ومن دعوى الرسالة ، ومن أوامر الرسالة ، كله تركة لهٰذه الأمة ، لا تزال هٰذه الأمة في هٰذه التركة ، ولا تزال هٰذه التركة باقية ببقاء ملك الله ، لا تنفد ولا تقف عند حد ولا تُعد ، ولا يأتي عليها حسبان أحد ، بل هي باقية ببقاء الله ، وكتب الله لها البقاء ؛ فقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ .

وسيد أهل الرسالة هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فكانت باقية ، وكانت آثار هٰذه التركة تظهر في أشياء ، أول الأشياء أن الله سبحانه وتعالىٰ لَمّا أَسرَى بِنَبيِّهِ أَسرى بِهِ في جُنْحِ الليل ؛ ذلك لأن الليل وقت مناجاة الحبيب مع حبيبه ، ووقت مناجاة العشيق مع عشيقه ، وٱجتماع المحب مع حبيبه .

وأيضاً كان وقت ولادته عليه الصلاة والسلام في آخر الليل ، فكأن إسراءه ومعراجه وولادته ورشحات القرب من الله لا تكون إلا حيث ٱجتمع رسول الله ونبي الله وحبيب الله مع مولاه سبحانه وتعالىٰ ، كل ذلك جعلها لنا من التركة ، وأخبرنا في كتابه

Scanned with CamScanner

العزيز ؛ لأن الليل - قالوا - وقت خلو المحب بحبيبه ؛ قال لنا المولىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ .

ذلك وقت ٱجتماع محمد بمولاه ، ووقت قيامه ، ووقت ولادته ، ووقت إسرائه ، ووقت معراجه ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ .

ذلك لأن العبد يكون مع مولاه في تلك اللحظة حيث لا تخطر خواطر البشرية ، ولا رعوناتها في قلبه في تلك اللحظة ، نبهنا علىٰ ذلك هو عليه الصلاة والسلام فقال : « ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر » ، فليستقلل أو يستكثر الإنسان من الكنوز إذا أراد كنوز البر .

ثم ذكروا لنا أن هٰذا المعراج ، وأن هٰذه الليلة لا تزال خيراتها تعود ، ولا تزال بركاتها تسري ، ولا تزال إمداداتها تفيض ، ولا تزال هواطل مطرها تمطر في هٰذه الليلة ، كلما أعيدت . . عاد الخير فيها ، وعادت الرحمة فيها ، وعادت البركة فيها .

ونحن إذا حضرنا . . فإنما نحتفل بها فيما وقع لأبينا ونبينا وسيدنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ، وما وقع له عليه الصلاةَ والسلام تركَةُ لكم تركة ، وقع فيها : أَنْ أدناه ربه وأعطاه الصلاة - كما سمعتموه - كانت خمسين صلاة ، وكان قد كتب في الأزل أنها تعود إلىٰ خمس ، وذكر أنه عليه الصلاة والسلام كلما خرج من حضرة القدس ووصل إلى السماء . . قال له موسىٰ : ٱرجع

Scanned with CamScanner

إلىٰ ربك ـ قال الصوفية : وهو أعلم بأمته ـ فقال له موسىٰ : ٱرجع إلىٰ ربك فٱسأله التخفيف ؛ لأن أمتك لا تطيق ذلك ، وهم أضعف أجساداً ، فإن أمتي ما أطاقت شيئاً من ذلك . قال العلماء : إنه عليه الصلاة والسلام أعرف بأمة موسىٰ من أمته ، ولا يكون موسىٰ أعرف بأمة مُحَمَّد من محمد ؛ ولٰكنه عليه الصلاة والسلام شأنه إقامة الظاهر ، وشأنه يعطي كل شيء حقه ، فكان موسىٰ كلما تجلت عليه الأنوار الأحدية في المراتب الصمدية ، ورآها علىٰ جبين خير البرية . . تمتع بها ونظر إليها فقال له : ٱرجع . فرجع عليه الصلاة والسلام .

عرفتم من شمائله عليه الصلاة والسلام إذا سلم علىٰ أحد أو صافح أحد . . أبقىٰ يده في يده حتىٰ يكون الثاني هو الذي يأخذ يده من يد سيد الأنام ، فكيف بموسىٰ ؟! عامله بمثل ذلك .

وحكىٰ لنا أحد الشعراء في قوله ـ كما حكاه البرزنجي هٰذا المعنىٰ ـ :

وإنما السر في موسىٰ يردِّده ليجتلي حسن ليلىٰ حين يشهدُهُ
يبدو سناها علىٰ وجه الحبيب فيا لله دَرُّ رسولٍ حين أشهدَهُ

كل واحد يريد أن يأخذ ، ويريد أن يتمنىٰ ؛ ولٰكن القابلية تختلف ، وموسىٰ عليه السلام كانت له قابلية في مثل ذلك ، فكان إذا نظر إلىٰ سيد الأكوان . . ٱجتلىٰ من تلك الأنوار ، وإذا قال له : ٱرجع إلىٰ ربك فٱسأله التخفيف . . رجع إلىٰ ربه فسأله التخفيف ، حتىٰ قال له ربه : يا محمد ؛ هن خمس ، ولهنَّ

Scanned with CamScanner

ثواب الخمسين ؛ كرامة له أُعْطِيتها هٰذه الأمة .

فلله الحمد علىٰ ما وهب ، ولله الحمد علىٰ ما أعطىٰ ، ولله الحمد علىٰ ما تفضل ، ولله الحمد علىٰ ما أسدىٰ ، ولله الحمد علىٰ ما أكرم ، ولله الحمد علىٰ ما وهب من جوده ؛ أتانا بهٰذه الصلاة ، وأتانا بهٰذه الفريضة ، وجعل فيها لنا الكمال ، وجعل فيها لنا معراجاً نعرج به ، يصل به العبد إلىٰ حضرة قدس مولاه .

فنسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يوصلنا إلىٰ ذلك المقام الأقدس ، وأن يجعل نفوسنا تبعاً لما جاء به الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ لا يفوتنا ذلك الخير الأنفس .

ونسأله سبحانه أن يُشهدنا في هٰذه الليلة ما أشهده صالحي هٰذه الأمة ، وأن يطلعنا من كنوزها علىٰ ما أطلع رجالنا من أهل الخيرية ، وأن يرينا ببصائرنا حتىٰ تنفُذ إلىٰ أبصارنا ، فنشهد العجب ، ونشهد العجاب ، ونكون فيمن قد عرج إلىٰ حضرة ربه ، ووصل منها ، فشهد ببصيرته ما أُوتيه هٰذا السيد الكبير ، وما كان يتنزل عليه ، وما كان يعود علىٰ هٰذه الليالي ، وعلىٰ هٰذه العائدات بالخير .

ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يغفر ذنوبنا ، ونسأله أن يستر عيوبنا ، ونسأله أن يكشف كروبنا ، ونسأله أن يصفِّي مشروبنا .

ونسأله أن يخلع علينا في هٰذا المجلس من خِلَعِ الولاية خلعة سناء ، وخلعة بهاء ، وخلعة خير ، وخلعة رحمة ، وخلعة بركة ، يظهر سناها وجمالها على القلوب ، فيظهر من شعاعها

Scanned with CamScanner

على الوجوه ، وخلعة جلال نقهر بها أعداءَنا والمعاندين والمخالفين ، وخلعة بركة نقوم بها في ميزان العمل إذا قام أهل العمل في ميادين العمل ، وخلعة ولاية نُكْتَبُ بها عند الله من المقبولين ، ونُحْسَبُ بها من الصالحين ، وندخل بها في عداد المقربين ، ونشهد بها مراقي سيد الأولين والآخرين ، ونجتمع معه في هٰذه الدار وفي الدار الأخرىٰ بعد حين .

ونسأله أن يكون ربيعنا في دنيانا ، وشفيعنا في برازخنا ، وأخرانا ، وملتقانا به تحت اللواء وعلى الحوض ، حتىٰ نشرب من يده شربة صافية .

ونسأله في هٰذه الزيارة أن يجعلها زيارات يقضي فيها لكل ذي أملٍ أمله ، ولكل راغب رغبته ، ولكل طالب طَلِبته ، ولكل ذي أمر يطلبه أن يسهل أمره ، وأن يقضي الحوائج ، وأن يجعل المطالب علوية ، وأن يبارك لنا في هٰذه الساعة ، وفي هٰذه الليلة بركة تظهر علينا اليوم وفيما بعد ؛ نقوم بها مع من قام ، ونُذْكَرُ بها مع من ذكر ، يدور فيها علينا الأمر حيث يدور ، ويظهر بها علينا النور في الغيبة والحضور ، بجاه بدر البدور صلى الله عليه وآله وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

(الفاتحة)

* * *

Scanned with CamScanner

في ذكرىٰ ليلة الميلاد النبوي بالمدينة المنورة

في هـٰذه المجالس نظرات ونفحات وبركات تتردد ، وما أعظم ما يتنزل فيها! وما أكرم ما يأتي فيها! وما أوسع ما يعطي المولىٰ من يحضرها ويدرك أهليها!

ذلك لأنها حياة نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ساعات فرح ذكرىٰ ميلاده ، قراءة شمائله ، ذكرىٰ ما حصل في تلك الليلة ، ذكرىٰ أيام كانت زاهية لآمنة ولمن كان مع آمنة عليها السلام ، لا يزال القلب يستشعر ، ولا تزال الروح تحن .

إذا ذكرت هـٰذه الشمائل . . ٱستشعر القلب أنه في محلٍّ غير محل الأرض ، وٱستشعرت الروح وحنَّت إلىٰ عالمها الأصلي ، وما جاء القلب وما جاءت الروح إلا لمحمد ، فالولادة التي حصلت في هـٰذه الأرض للسيد الكبير صلوات الله وسلامه عليه حصلت للقلوب ، وحصلت للأرواح ، منها ٱنبعثت الرحمات ، منها جاءت البركات ، منها تنزلت السكينة ، فيها جاءت الأمور تتوالىٰ بواسطة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، فيها حُفظت السماء من السَّرَقَة الذين يسترقون السمع ، فيها كانت النجوم حصل لها الإذن بأن ترسل شهبها لكل مارد عنيد .

ذلك كله كرامة لأجل هـٰذا السيد ، كانت السماوات يوم

Scanned with CamScanner

ذاك ، وكانت الرسالة يوم ذاك ، ولٰكن كان الرجم ، وكانت الشياطين يسترقون السمع ، وكان لهم في ذلك الوقت تردُّد ، وكان لهم جِيئة وذهاباً حتىٰ جاءت الولادة الكبرىٰ ، وحتىٰ أشرقت الأرض بنور ربها ، وحتىٰ أضاءت العوالم ، وحتى ٱستوى القريب والبعيد ساعة الوضع ، فرأت آمنة ، ورأت الشَّفَّاء ، ورأىٰ من حضر تلك الساعة التي وَلَدت فيها آمنة رأىٰ بُصْرَىٰ ، وما أبعد بُصْرَى من مكة! رأىٰ فارس ، وما أبعد فارس من مكة! ورأىٰ غيرها ، وما أبعدها! لٰكنها تقاربت الأرض كلها كرامة لهٰذا السيد العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، ونسأله الكرامة .

كما ذكرنا : نحن في عيد في هٰذه اللحظة ، نحن في فرح في هٰذه اللحظة ، نحن في طمأنينة في هٰذه اللحظة .

قال الإمام الحداد :

نحـــن فـــي رَوح وراحــــه وحبـــور وٱســتـــراحـــه
نعمـــة الإســلام أعلـــىٰ نعمـــةٍ حَلَّـتْ بســاحـــه

معاد[1] في ذلك كلام ، هٰذه الساعات التي يُذكَر فيها أب الروح يتحرك فيها الروح الذي يُذكَر فيها موصل القلب بسلوكه ، يتحرك إذا حضر ، لاشك أنها تحضر القلوب وتتحرك ، والتنزل يستشعره الإنسان ، وٱستشعار الإنسان علىٰ قدر الاستعداد والمحبة ، والمحبة تتفاوت ، وأكثر ما يأتي قالب المحبة لمن

---

(١) مَعاد : ما عاد .

ظهر عليه نور الأحبة ، ولا يظهر نور الأحبة إلا للمتبع الكامل .

والحبيب عليه الصلاة والسلام جاءنا بصفات وأخلاق كلكم تسمعونها ، وكلكم تَعُونها ، وربما حصل لكم نسيان إذا خرجتم إلىٰ عالم دنياكم ؛ لٰكن إذا سمعتموها . . رأيتم فيها من العجب ما يبهر وما يغرب وما يُقنِع وما يأتي بما ليس في حسابٍ ؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالىٰ حَلاَّه بأنواع الكرامات ، وخصَّه بأعظم العطيات ، وآتاه ما لم يؤت غيره ، لا من الملائكة ، ولا من أهل النبوة ، ولا من أهل الرسالات ، خصَّه بأشياء كثيرة ، من تلك الأشياء : هٰذا الدين العظيم هٰذا الدين الذي تدينون به ، ولا تزالون في رحمته ، ولا تزالون في بركته ، ولا تزالون في دائرته .

فإذا قال الإنسان : لا إلٰه إلا الله . . يشعر بأنه ٱرتبط قلبه بعالَم الأفق الأعلىٰ ، وكان قاب قوسين أو أدنىٰ ، وَحَّدَ ربه علىٰ لسان نبيه ، ثم أسمعه ذلك التوحيد بالشهادة ، بالرسالة للسيد الكبير صلوات الله وسلامه عليه ، علىٰ هٰذا يكون مقدار المحبة ، علىٰ هٰذا يكون القرب من الأحبة ، علىٰ هٰذا يكون التوجه ويكون التقارب ويكون ظهور النور ، علىٰ هٰذا يندرج القلب وما فيه من الأحشاء ، علىٰ محبة الحبيب ، وهي تتفاوت .

فمن كانت محبته ملء قلبه . . كان قلبه مليئاً بالنور ، كان قلبه دائماً في حضور ، كان قلبه دائماً مع النبي الشكور ، كان قلبه دائماً مع من عليهم الأمور تدور .

Scanned with CamScanner

ومن كان ساعة بساعة . . كان ساعة بساعة .

ومن ٱستغرقت الدنيا قلبه . . فاته نعيم الأبد ، فاتته السعادة ، فاتتة البركة ، فاتته الحياة .

أتحفنا أبو جميل بقصيدة أحسبها للشيخ السودي : من أهل الذوق ، من أهل العرفان ، من أهل العلم ، من أهل المراحل التي طواها بقلبه وبروحه حتى ٱنطوت له ، فَوَصَلَ إلىٰ عالم الفتوح ، وإلى الأمر حتىٰ شاهد ما عليه من الأمور يلوح ؛ ذلك لأنه ترك هـٰذه الدنيا جانباً .

ولاشك ـ كما ذكرنا ـ أن الاتصال بالعالم الأعلىٰ علىٰ مقدار المحبـة ، وعلـىٰ مقـدار السلـوك والاتبـاع للحبيـب الكبيـر صلوات الله وسلامه عليه ، يستشعر الإنسان سواءٌ كان واحداً في المجلس أو غير واحد أو أكثر ، يستشعر أنه مع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه حاضر عنده ، فكانت عنده من لوعة المحبة ما تتقد به أنوارها ، لو قيل له : قم إلى الجنة . . لقال أنا في جنة ، إِستَشْعَرَ أن محمداً أمامه ، من ٱستشعر أنه مع محمد ، من ٱستشعر أنه عند محمد ، من ٱستشعر أنه دائماً لا يزال يلوح له خيال محمد . . فذاك في نعيم ، ذاك في جنة ، ذاك في نعيم ، ذاك في حضور .

هـٰؤلاء ؛ كما لا نزال نذكر لكم الآية التي هي من أعظم آيات أوصاف أهل الجنة ـ والجنة جاءت لهـٰذا الحبيب ، وجاء بها هـٰذا الحبيب ـ ذكر القرآن لنا أوصاف أهلها في كثير من آياته ؛ ولـٰكن

Scanned with CamScanner

قوله تعالىٰ حينما يقول لنا : ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

ما هو النعيم ؟ أهو نعيم دنيا ؟ أهو نعيم ترف ؟ أهو نعيم أكل ؟ أهو نعيم ملاذ ؟ أهو نعيم شهوة ؟ أهو نعيم شيء مما يتغذىٰ به أهل الشهوات فيملؤون به بطونهم ؟

لا ، إنما هو نعيم القرب من محمد ، والاتباع لمحمد ، والحضور مع محمد ، والمقعد مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم الذين قال الكثير منهم : إن كان أهل الجنة علىٰ ما نحن فيه . . إنهم لفي عيش طيب .

* * *

كلمة أخرىٰ للحبيب عبد القادر بالمدينة المنورة

لسان طاهرة خُلِقت للقرآن وخُلِق القرآن لها ، ولسان لا تزال تتهذرم فيما لا ينبغي ، لا تزال تلقي القول علىٰ عَوَاهِنِه ، لا تزال لا تتحفظ ، تُفْحِشْ في قولها ، وتفحش في فعلها ، وتفحش في عملها ، وتفحش في تجارتها ، تلك لسان لا تصلح للقرآن ، ولا يصلح لها القرآن ، ولا يتأثر لها القلب ، ولا يتأثر لها الباطن ؛ لأن القرآن كما حكىٰ لكم صاحبه ـ وهو ربه ورب المخلوقات كلها ومولاها ـ فقال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

فمن طهر لسانه ، وطهر عينه ، وطهر يده ، وطهر رجله ، وطهر بطنه ، وطهر فرجه . . فذلك الذي أُوتي القرآن وعمل به ، وذلك الذي جاءه رسول الله برسالته ، وذلك الذي ناداه ربه من فوق سبع سماوات بآيات كتابه .

ومن لا يزال لا يهتم بأمره ، ولا يهتم بصلاته ، ولا يهتم بشيء من نافلته ، ولا يهتم بأبيه ، ولا يهتم بأمه ، ولا يهتم بقريبه . . فأنَّىٰ له أن يتأثر بالقرآن ، وأنَّىٰ للقرآن أن يحل في بطنه ، أو يدخل إلىٰ قلبه ؛ ذلك لأن قلبه مليء بغير ما يصلحه القرآن ، مليء بالظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج لسانه ـ كما ذكر القرآن إذا أخرج يده . . لم يكد يراها ـ وإذا أخرج

Scanned with CamScanner

لسانه . . لم يكد يسمعها أو يحفظها ؛ لأن هٰذا القرآن أمانة الله في أعناقكم ، وهٰذا الدين أمانة الله في أعناقكم ، ورسول الله أمانة الله في أعناقكم ، ومبلغو كتابه أمانة الله في أعناقكم ، فمن حفظ الأمانة . . فقد أدَّىٰ ما عليه ، وقام بالأمر ، ومن لم يحفظ الأمانة . . فأنَّىٰ له أن يسمع ، وأنَّىٰ له أن يعقل ، وأنَّىٰ له أن يتعقل .

فتعقلوا يا إخواني ؛ فإنما هي رحمات يدركها من يدركها ، وخيرات يشاهدها من يشاهدها ، وتعرفات تُمطر لا يزال المولىٰ يتعرف بها عليكم فَتَعَرُّفُهُ بها عليكم بأن ترجعوا إلىٰ دينكم حقيقة ، وأن ترجعوا إلىٰ كتابكم حقيقة ، وإلىٰ صلاتكم حقيقة ، وإلىٰ والدكم وإلىٰ والدتكم بالبرِّ حقيقة ، وإلىٰ رحمكم حقيقة ، وإلىٰ جاركم حقيقة ، وإلىٰ أنفسكم ؛ لأن العمر كله أمانة ، والقلب أمانة ، والجسم أمانة ، والروح أمانة ، وما خلق الله من النفخة وأعطاكم أمانة ، فمن كرَّمها . . فقد كرَّم مولاه ، ومن لم يكرمها . . فلم يكرم مولاه ، ومن أهان ما أعظم الله عليه من نعمة . . فقد أُبعِد عن رحمة الله ؛ نعوذ بالله من ذٰلك .

لا نزال نحضر مثل هٰذه المجالس ، ونستشعر وندرك فيها ، ولٰكنا إذا قمنا . . كل واحد منكم أدرىٰ بنفسه ، وأنا أيضاً أدرىٰ بنفسي مثلكم ، إذا بات في غفلة . . فقد نسي ما حصل وكأنما على القلب غطاء لم يدركه شيء من التعرف الإلٰهي ، وهٰذا تَعَرُّفُ مضمون لا مظنون ، كان الواسطة فيه محمد صلى الله عليه

وآله وسلم ، هو الرحمة ، يقول المولىٰ سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

حفظ العين من الرحمة ، حفظ السمع من الرحمة ، حفظ اللسان من الرحمة ، حفظ القلب من الرحمة ، حفظ الجسم حتىٰ من الأمراض الظاهرة من الرحمة ، فإذا أهملها الإنسان . . فقد أهمل الرحمة ، وإذا لم يحفظها . . فقد أهمل الرحمة ، والرحمة ـ كما دعاكم إليها ـ إذا أراد الإنسان أن يستجمع الخير كله . . فعليه بظاهر الدين والقيام به :

أُمر بالصلاة فليصلِّها في جماعة .

أمر ببر الوالدين فلْيَبَرَّهم .

أمر بالقيام بحقوق زوجه فليقم به ، ومن حقوقه : تعليم الزوجة ، ومن حقوقه : القيام بحق الأولاد وتعليمهم والاهتمام بهم .

أمر بالقيام بحق الرحم ، واجبٌ عليه أن لا يهمل رحمه ، يقول لكم حبيبكم ونبيكم عليه الصلاة والسلام في حق الرحم : « بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام » حتى السلام يكفي هـٰذا لمن لم يقدر ، ومن كان يقدر . . أمرنا بالبلاَل لهم بالمواساة بالعطية ، بالرحمة ، بالبركة ، بالمال ، بالخير ، بالثناء ، بالقرب ، بالجوار ، بالإحسان ، بالخير الكثير ، بالاحتمال حتىٰ يكون ذا رحمة ، وحتىٰ تغشاه رحمة السماء ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أورد حديثاً كان الشيوخ يسمونه حديث الرحمة ، من لدن تابعي

هـٰذه الأمة ، أول ما يعلِّمونه أولادهم ، ذلك الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمـٰن ، ٱرحموا من في الأرض . . يرحمكم من في السماء » .

وهـٰذا الحديث أحفظ سنده لـٰكنه ربما يطول عليكم ، هـٰذا يسمونه حديث الأوليَّة ، وحديث الرحمة ، وذكر الحاكم في « المستدرك » ذكر حديثاً أيضاً ـ والحاكم هـٰذا حافظٌ جاء كتابه علىٰ شرط الشيخين : البخاري ومسلم ، وإن يكن فيه بعضه علىٰ غير شرطهم ، قال في ذلك الحديث ، فيما يرويه عن نبيكم عليه الصلاة والسلام ـ : « إنَّ لله ملكاً موكلاً بـ(يا أرحم الراحمين) فمن قالها ثلاث مرات . . قال له الملك : قد ٱستجيب لك فاطلب ما شئت » ، صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ونحن غرَّتنا نفوسنا وأبعدتنا شهواتنا ، فنسينا هـٰذا الحديث وإن أتينا بـ(يا أرحم الراحمين) . . أتينا بها من غير ٱستشعار .

قال الحاكم ـ بعد أن أورد هـٰذا الحديث ـ : هل أخلف الله وعده ؟ هل نقض عهده ؟ ثم قال : لا ؛ لـٰكنه ٱشترط علينا أن نستجيب ، فلم نستجب ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، فسَّر العلماء لنا هـٰذه الحياة ، وقال الصوفية : هي حياة الأبد ، حياة الروح ؛ لأن الروح تبقىٰ كما حكى العلماء ، بل أجسام تبقىٰ : أجسام الأنبياء ، أجسام الشهداء ، أجسام العلماء ، أجسام حفظة القرآن ، لا تزال باقية في قبورها ، لا تأكلها الأرض

Scanned with CamScanner

ولا تقدر عليها ، هٰؤلاء كلهم أجسامهم باقية ؛ قال لنا الله في كتابه العزيز : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

الله يحيينا وإياكم الحياة الأبدية ، ويَعمُرنا بذكر خير البرية صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم ، ويحيينا وإياكم علىٰ محبته ، ويميتنا علىٰ محبته ، ويبعثنا علىٰ محبته ، ويحشرنا في زمرته وتحت لوائه ، ويسقينا من حوضه الشريف شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً ، ويرزقنا شفاعته ، ويجمعنا معه في الجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

وفي المدينة المنورة ، في أيامها ولياليها الزاهرة وٱحتفالاتها الفاخرة ، هٰذه إحدىٰ كلماته في إحدى الحفلات التي يقيمها السيد محمد بن صالح المحضار في ذكرى الإسراء والمعراج :

كانت ليلتكم مباركة ، ٱنتشىٰ فيها الروح ، وغدا في عالمه يسرح ويروح ، ولاشك أن النفحات فيها حصلت ، والتعرفات الإلـٰهية فيها نزلت ، وعلى البركات ٱشتملت ؛ ذلك لأنها في ذكر محمد ، وسيرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما كان لمحمد . . فشأنه أن يحرك الروح ؛ لأنه هو الحادي الأول ، والمعلم الأول ، والشيخ الأول ، وذو الرسالة الأول ، وهدىٰ الله به الأَوَّل ، وهدىٰ به ما بعد الأَوَّل صلوات الله وسلامه عليه .

وفي بلده يطيب كل شيء ، وبذكره يتنزل كل شيء ؛ ذلك لأنه عليه الصلاة والسلام هو الطريق للتعرف من السماء ، والطريق لنزول الماء المعنوي الذي به الحياة الدائمة ؛ لأن الحياة الدائمة إنما تكون لصاحب القبر الأعطر صلى الله عليه وآله وسلم ، وبواسطته .

أما حياة الجسم ، أما الستين السنة ، أما السبعين السنة ، أما الغذاء الصوري . . هـٰذا كله يتلاشىٰ ؛ لـٰكن الغذا المعنوي الذي يقوىٰ به كاهل الجسم حتىٰ يصير خفيفاً منطلقاً في فضاء اللاهوت ، وعند ٱنطلاقه في ذلك الفضاء يتصل بذلك العالم ، والرسالة كلها ما جاءت إلا للاتصال بذلك العالم .

Scanned with CamScanner

جاء هو المعلم عليه الصلاة والسلام داعياً إلىٰ ذلك العالم ؛ لينشل الإنسانية والبشرية من حظوظها ومن شهواتها ، فدعاها إلى الله باللسان ، ودعاها إلى الله بالخُلُق ، ودعاها إلى الله بالعلم ، ودعاها إلى الله بالرحمة ، ودعاها إلى الله بالمحبة .

جمع الله له الكمالات فكان مغناطيساً جذاباً ، وبتلك الجاذبية ٱنجذب له كل ما في العالم العلوي قبل العالم السفلي ، فصارت السماوات تتعشقه ، وصارت الملائكة تتعشقه .

قال العلماء عليهم الرحمة : إن الملائكة الذين كانت لهم صلة بخدمته عليه الصلاة والسلام في مواقف ذكرها القرآن وذكرها لنا سيد ولد عدنان ، منها : أن علىٰ هٰذه البلد المدينة المنورة حراساً كرامة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن وراء تلك الكرامة أن الله سبحانه وتعالىٰ لما أراد أن يشرف الملائكة وقد نالهم قسط من الشرف كما ذكر القرآن . . أرسلهم يوم بدر لخدمة هٰذا السيد الكبير ، ولرعاية هٰذه الأمة ؛ لكي تدرك أن هٰذا السيد هو مخدوم السماوات قبل أن تكون الأَرَضون خادمة له ، بلغ من ذلك أنه عليه الصلاة والسلام ليلة سرىٰ من مكة المكرمة إلى الغار حصل له ما حصل لَمّا كانت الأرض تعرفه ، وكانت تتعشقه .

جاء سراقة بن مالك يمشي وراءه وهو يعدو علىٰ فرس قوي ، ويعتقد أن بيده القوة وأن محمداً حمامة سيقبضها بيده ويرسلها هدية لقريش ، وما درىٰ أن السماوات وما فوقها خدمة لهٰذا

السيد ، ولمَّا قرب منه . . ساخت قوائم فرسه ، فضعف وصغر وما أدرك من كبريائه أنه رجع إلى الذرة وكان أحقر منها ، فصاح بصوته : يا محمد ـ وهو الذي يعدو وراء محمد ، ويعتقد أنه أدركه بفرس قوي ـ قال له : يا محمد ؛ أنقذني . . ولا أخبر أحداً بأنك في هـٰذا الوادي . فدعا له عليه الصلاة والسلام ، فأخرجت الأرض قوائم فرسه ورجع شارداً بنفسه ؛ لأنه لو أخبر قريش . . لحصل له غير ذلك .

[وقبل قصة سراقة كان دخوله الغار] : ثم لما دخل إلى الغار هـٰذا السيد الكبير . . جاءت الحمام فأرادت أن تتقرب ، ومن أخبرها بأن هـٰذا محمد ؟ فباضت علىٰ فم الغار ؛ لتوهم الأعداء أنْ ليس في الغار أحد ، ثم جاء العنكبوت الضعيف وأراد أن يدلي بدلوه فبنىٰ علىٰ سياج الغار ببنائه الضعيف ؛ ليعرف الناس أن ليس في الغار أحد .

كل ذلك لمن ؟ وبمن ؟ ومن أخبر هـٰذا العنكبوت ؟ ومن أخبر هـٰذا الحمام ؟

كل ذلك إنما كان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، السيد الذي خضع له كل شيء ، وعرف قدره كل شيء ، وسلم عليه حجر ربما اعتقد البعض أنه لا يدرك ، ولو كان لا يدرك . . لَمَا سلم علىٰ محمد ، وأظلَّه شجر واخضرَّ منه ، وفي نظر الناس أنه جماد لا يدرك ، ولو لم يدرك . . لما اخضر من ساعة حلَّ فيها محمد عليه الصلاة والسلام .

Scanned with CamScanner

إذا كان هٰذا حاله مع حمام ، ومع عنكبوت ، ومع أرض ، ومع شجر ، ومع غمام يظله .

أدركنا أن القيادة في السماوات والأرض هي بيده عليه الصلاة والسلام ، لمَّا أدركنا ذلك . . أدركنا أن الملائكة تريد أن تتشرف فجعل لها نسبة من رسالته ، كما قال العلماء رسالة تشريف ، قالوا - ولو لم يقل العلماء . . أتانا القرآن - : بأنه مرسل إلى الخلائق ، والخلائق : كل ما سوى الله ، ومحمد أرسله مولاه إلىٰ كل ما سواه ، فكان من تلك الدعوة أَنْ نال الملائكة منها نصيب من ذلك الشرف ، فكانت تتمنىٰ الملائكة التي لم تدرك ولم تنظر ؛ لِمَا عرفتْ أنه لا يوجد مع ٱسم الجلالة غير ٱسم محمد ، وأَنْ لا شرف يكتب علىٰ ساق لوح أو كرسيّ أو عرشٍ غير ٱسم محمد عليه الصلاة والسلام ، كيف لا تتحرك ، وكيف لا تتمنىٰ ، وكيف لا تدرك أن في نظرها له أو في إدراكها له لسعادة كبيرة؟!

كان من شرف ذلك أن أسري به عليه الصلاة والسلام ومولاه عنده - حاضر عندنا فضلاً عند نبيه - عند محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، لمَّا كان بهٰذه المزية . . أسري به ، فكان أول تشريف لأهل الرسالة ؛ لأنهم نُوَّاب عنه في الحقيقة ، فدخل إلى المسجد فوجد المسجد غاصاً بالرسل والأنبياء ، فسأل جبريل - وهو أعلم - إلا أنه أراد أن يضع كل شيء في محله ، وقد طوى الله علم الأولين والآخرين في صدره ، فكان ينثر ما شاء ،

Scanned with CamScanner

ويكتم ما شاء ، ويتكلم بما شاء .

إذا أراد الإنسان أن يعرف أن الله طوىٰ علم الأولين والآخرين من غير نظر إلى القرآن . حدثنا في رسالته عن بني إسرائيل وأحوالهم :

حدثنا أن واحداً من بني إسرائيل عَبَدَ اللهَ تعالىٰ خمس مئة سنة ، ولما وقف بين يدي مولاه . . قال له ربه : « أتريد أن تدخل الجنة بعملك أو تريد أن تدخلها برحمتي؟ » . . . إلىٰ آخر الحديث .

من أخبر محمداً بهٰذا الحديث ؟ أجاء موسىٰ ، أو رجعت إليه بنو إسرائيل ؟! لا ، إنما هو علم مطوي في صدره عليه الصلاة والسلام .

ثم ذكر لنا أيضاً من أخبار بني إسرائيل : « أن رجلاً قتل تسعاً وتسعين نفساً » . . . إلىٰ آخر الحديث ، فمن أخبره ؟ لو لم يكن العلم مطوياً في صدره .

ثم أخبرنا أيضاً في قصة أخرىٰ يريد أن نعرف أحوال المتقدمين أخبرنا : أن ثلاثة من بني إسرائيل دخلوا غاراً ، فآنطبقت عليهم الصخرة ، ولمَّا آنطبقت عليهم الصخرة . . عرفوا أن لا مُنْجي إلا الله ، آرتفع كل شيء : من حدس وخيال وكلام وجدال ، ولم يبق منهم إلا الموت ، أو إدراك إلٰهي ، فقال لهم واحد منهم : آدعوا الله بأحب أعمالكم . . لعله أن يفرج عنكم .

Scanned with CamScanner

فقام الأول ، فقال : اللهم ؛ إنه كان لي أبوان كبيران شيخان ، وكنت لا أغبق قبلهما أحداً ، فجئتهما ذات ليلة ، فوجدتهما قد ناما ، فبتُّ قائماً فوقهما والقدح في يدي والصبية يتضاغَون من الجوع حتىٰ طلع الفجر ، اللَّهم ؛ إن كنت فعلت ذلك ٱبتغاء وجهك . . فٱفرج عنا ما نحن فيه . فٱنفرجت عنهم الصخرة شيئاً .

ثم قام الثاني ، وقال : اللهم ؛ إنها كانت لي ٱبنة عم وكنت أحبُّها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فراودتها في نفسها فٱمتنعت ، حتىٰ أَلجأَتْهَا حاجة شديدة فجاءتني ، فطلبتني ، فقلت لها : لا أعطيك حتىٰ تمكنيني من نفسك . فرضيت ، فلما قعدتُ بين رجليها . . قالت : يا عبد الله ؛ لا تفض الخاتم إلا بحقه . فقمت من فوقها خوفاً . اللهم ؛ إن كنت فعلت ذلك ٱبتغاء وجهك . . فٱفرج عنا .

وقام الثالث ، وقال : اللَّهم ؛ إنه كان لي أجير ، فلمَّا ٱنقضى النهار . . ذهب ولم يأخذ أجره ، فَثَمَّرْتُهُ حتىٰ بلغ ما بين الجبلَين ، ثم أتاني فقال لي : يا عبد الله ؛ أعطني أجري . فقلت : هو ما ترىٰ بين الجبلين فخذه . فقال : لا تهزأ بي . فقلت : لا أهزأ بك . فأخذه ومضىٰ . اللهم ؛ إن كنت فعلت ذلك ٱبتغاء وجهك . . فٱفرج عنا ما نحن فيه . فٱنفرجت الصخرة ، وخرجوا يمشون .

أخبرنا بذلك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

وكما قلنا : طوى الله العلوم في صدره فكان يتحدث عن ما شاء ، وعن ما أُذِن له ، ويترك ما شاء ممَّا لم يُؤذَن له ، وقد ورد في حديثه عن مثل هٰذه الأخبار المغيَّبة .

ثم إذا رجعنا إلىٰ حالنا الحاضر في علمه عليه الصلاة والسلام . . وجدناه أخبرنا في أحاديث متواترة وردت عنه عليه الصلاة والسلام ؛ وجاء في حديث طويل : « كيف بكم إذا وقع كذا » قالوا : أو كائن ذلك ؟ قال : « نعم ؛ وأشد منه » .

أخبرنا أن النساء يَكُنَّ كاسيات عاريات ، وهو المُشَاهَدُ اليوم كأنه يشهد هٰذه أمامه حينما يتكلم .

وأخبرنا بأن الناس في آخر الزمان يأخذون بمراكبهم من الحديد فيضعونها علىٰ أبواب المساجد ، وهي الموجودة اليوم . وكم أخبرنا هٰذا السيد ! !

رجعنا من الحديث إلى المحبة الكاملة التي تحركت بها القلوب ، وقلنا : إنها ليلة مباركة حصل فيها فتوح ومنوح .

ذكر العلماء أن المحبة لها درجات : منها غالب ، ومنها مصاحب ، ومنها جاذب .

فالأُولَيَيْنِ : هي الجاذبة .

والغالبة : تأخذ بالإنسان ، تغلب الإنسان وتأخذه من حالته إلىٰ عالَم آخر ، فتقف به علىٰ مورد من موارد الصفاء يأخذ به ، فيتصفىٰ ، وإذا حصل له الصفاء وتصفىٰ . . كان روحانياً وكان

مَلَكاً ، والتشبيه بالملائكة إلا لأن من صفاتهم أن لهم أحوال لا تتغير : من عبادة ربهم ومن خدمتهم لربهم ، وإذاً فخصوص البشر يقول العلماء : إنها أفضل من خصوص الملائكة .

فإذا لاحظنا أن سيد الأولين والآخرين والناس والملائكة أجمعين هو نبيكم صلوات الله وسلامه عليه . . وقف بنا القول عن غيره من مَلَك ومن مخلوق .

وإذا لاحظنا أن أتباعه شرفهم الله وقربهم وخصوصاً العلماء وخصوصاً الأولياء الذين يقول المولىٰ فيهم : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ . . . إلىٰ آخر الآية .

ويقول فيهم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

والآية الأولىٰ : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

إذاً فالكفار محفوظون بأولياء أمة محمد ، فإذا كان الكفار محفوظون بأولياء أمة محمد . . فما بال المسلمين فضلاً عن الأولياء ؟!

وما حال المسلم نحو وليه ؟ والولي : هو الذي يتولاه الله سبحانه وتعالىٰ .

ثم يحذرنا المولىٰ سبحانه وتعالىٰ مِنْ عِدَاء هـٰؤلاء الأولياء

Scanned with CamScanner

ومن التعرض لهم ، ويعرفنا حال الولاية وطريق الولاية ، فيقول في الحديث القدسي الذي يخبرنا عنه حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه ، فإذا أحببته . . كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . إلىٰ أن قال : « وإن سألني . . أعطيته ، وإن آستعاذ بي . . أعذته » .

ثم يخبرنا في الحديث الثاني ، في آخر رواية أخرىٰ وردت في الصحاح يقول : « من عادى لي ولياً . . فقد آذنته بالحرب » ، ومن يقدر علىٰ مؤاذنة المولىٰ بالحرب ؟! أيقدر عليها بشر ضعيف لو أصيب بأدنىٰ شيء . . لصاح وتأوَّه بأنَّات كبيرة ثقيلة ؟! فكيف له بحربِ مِنْ مَلِكِ الملوك ؟! أيقدر أحد علىٰ ذلك العداء؟ لا ؛ ولـٰكنه مَنْ جَهِل قدر الولاية . . فحسبه أن يناله ما ينال ، وحسبه إذا تعرض للولي أن يصير له عداء مع مولاه ، ومن كان له عداء مع مولاه . . مقته ولعنه وطرده من ديوان الولاية ، ومن مقته مولاه . . أَلَهُ رب غيره يرجع إليه ، ومولىً سواه يلجأ إليه ؟!

ما مع العبد إلا ربه ولا مع العبد ، إلا سيده .

هـٰذا الرب الكريم رحمنا ، وعَرَّفنا ، وأَدْرَكَنا بالرعاية ، وتلك الرعاية : هي رسالة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن وراء تلك الرعاية أن هـٰذه الأمة مرحومة في كل لحظة ، وفي كل وقت ، وفي كل ساعة ، وفي كل صلاة ، وفي كل شيء .

Scanned with CamScanner

أخبرنا عن حُسن تلك الرعاية : أن المسلم إذا أصبح وكان سليماً وأصبح سليماً . . . كان عليه أن يتصدق شكراً لله تعالىٰ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « يصبح علىٰ كل سُلامىٰ من الناس صدقة » ، قالوا : والسُّلامىٰ : المفصل ، وفي كل إنسان ثلاث مئة وستون سُلامىٰ - يعني : مفصل - فكأنه إذا أصبح وهو سليم . . عليه أن يتصدق بثلاث مئة وستين صدقة ، وربما لا يقدر ، فجاءت الرحمة فقال : « ويجزىء عن ذلك كلِّه ركعتان يركعهما من صلاة الضحىٰ » تُغَطِّي ثلاث مئة وستين ، أيترك هـٰذا عاقل أو يتخلىٰ عنه عاقل ؟! لا ينبغي للإنسان أن يتركها ، وقد أصبح سليماً يبيت آمناً في داره ، وادعاً مع أهله ، عنده قوته وأنسه وصفاه ، ويصبح سليماً .

ثم يقول صلوات الله وسلامه عليه في هـٰذه الصلوات : « مَثَل الصلوات الخمس كمَثَل نهر جارٍ بباب أحدكم ؛ يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقي ذلك من درنه شيئاً » ؟ قالوا : لا . وكذلك الأمر لو لم يقولوا : (لا) . كل واحد يعرف الجواب بالبديهة أن من كان يغتسل في يومه خمس مرات . . لا يبقى فيه شيء . فقال : « كذلك مَثَل الصلوات الخمس » .

ثم عَرَّفنَاهَا بما هو أعلىٰ وأغلىٰ ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما » ، فإذا صلى العشاء الإنسان . . كانت كفارة لما بينها وبين المغرب ، وإذا صلى المغرب . . كانت كفارة لما بينها وبين العصر ، وإذا صلى

Scanned with CamScanner

العصر . . كانت كفارة لما بينها وبين الظهر ، وإذا صلى الظهر . . كانت كفارة لما بينها وبين الصبح ، وإذا صلى الصبح . . كانت كفارة لما بينها وبين العشاء .

معناه : أن الإنسان يظل وما عليه شيء من الذنوب ، ويبيت وليس عليه شيء من الذنوب إذا قام بالصلاة ، ثم هٰذا كلام حق جاء به من لا ينطق عن الهوىٰ ، إن هو إلا وحي يوحىٰ صلى الله عليه وآله وسلم .

ونستودعكم الله ، ونرجو الله القبول .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

Scanned with CamScanner

كلمة أخرى للحبيب حفظه الله بالمدينة المنورة

أولعت القلوب بمحبة هٰذا الحبيب المحبوب ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو كان للبشربة شيء أقوىٰ من القلوب ، أو أرقىٰ من القلوب . . لولعت بمحمد ؛ ذاك لأنه رب الإحسان ، ومنه الإحسان ، وأتانا بالإحسان ، ودعانا إلى الإحسان ، وعَرَّفنا طريق الإحسان ، وعَرَّفنا ميزان الإحسان ، وأتانا بالهدىٰ والفرقان ، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله .

الحمد لله علىٰ هٰذه النعمة ، والحمد لله علىٰ أَنْ كُنَّا من أمته ، والحمد لله علىٰ أَنْ ربطنا الله سبحانه وتعالىٰ به وحبَّبه إلىٰ قلوبنا ، فلا يُذكَر إلا وتتحرك الشفتان بالصلاة والسلام عليه ، ولا يتحرك المرء ولا يريد أن يقرأ أو يريد أن يستفتح إلا وصلىٰ عليه ، عليه الصلاة والسلام ؛ ذاك لأنهم عرفوا أَنْ لا طريق إلى الحضرة الأحدية ، ولا إلى المآثر ، ولا إلى المنائر ، ولا إلى المناير ، ولا إلىٰ المفاخر ، ولا إلى شيء من المظاهر العلوية . . إلا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبواسطة محمد ، وبدعوة محمد ، وبسيرة محمد ، وبأخبار محمد ، وبأخلاق محمد ، وبقرآن محمد ، وبعِلم محمد ، وبهداية محمد ، فهو قمر الوجود ، وهو الشمس التي تضيء لأهل الآفاق ، وتضيء لأهل

السماء في سمائها ، وللآفاق في آفاقها ، ولأهل الأكوان العلوية ، ولأهل الأكوان السفلية .

ولما خلق الله ـ مما عرفنا ومما لم نعرف ـ . . فَضَّله الله علىٰ غيره ، وأحبه الله علىٰ غيره ، واصطفاه علىٰ غيره ، وآتاه ما لم يؤت غيره ، وشرح صدره وعرَّف الناس شيئاً من قدره صلوات الله وسلامه عليه .

وكفانا أنه ما وصل إلىٰ حضرة من حضرات الذكر ، أو إلى المراتب العُليا ، أو إلى الأشياء التي دعي لها إلىٰ سماطها ، فجلس علىٰ ذلك السماط . . إلا وذَكَرَنا في تلك الحضرة .

وأعظم ذكر كان لنا في أعظم حضرة ، عند أعظم مذكور ، وعند أكبر مشهور . . لما دعاه مولاه ليلة الإسراء وليلة المعراج ، فعُرج به وأُسري به عليه الصلاة والسلام ، وعرج به ، ووصل إلىٰ حضرة مولاه ؛ إلىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ ، إلى الرتبة التي لا تنال ، إلى الرتبة التي لا يعرفها بشر ، إلى الرتبة التي لا يقدر أن يصفها واصف ، إلى المظهر الذي يُحَيِّر ، إلى المظهر النوراني ، إلى المظهر الذي يحرق ، إلى المظهر الذي يغرق ، إلى المظهر الذي لا يقدر أحد أن يناله أو يراه أو يتكلم فيه .

أُعطي صلوات الله وسلامه عليه الوصول إلىٰ تلك الحضرة ؛ لأنه نور خلق من ذلك النور ، وإلا . . فأنَّىٰ يبقىٰ بشر ـ أن يُحرَق أو لا يحرق ـ إذا وصل إلىٰ تلك الحضرة .

ما البشرية ؟ وما هي البشرية حتىٰ تتسع لسرادقات الأنوار

Scanned with CamScanner

القوية ؟ لو زادت الأنوار علىٰ ولي من أولياء الله . . لأخذته حالة من حالات الاصطلام ، فذهبت بعقله ، وذهبت بحسِّه ؛ لـٰكن هـٰذا الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم أُسري به ، وأخذ يُزَج به في الأنوار ، من نور إلىٰ نور ، ومن قمر إلىٰ قمر ، ومن مهد إلىٰ مهد ، ومن علو إلىٰ علو ، حتىٰ وقف جبريل عند حدِّه ، ووقف كل مخلوقٍ عند حده ، وأَنَّىٰ لمخلوق أن يطأ ما وطئه محمد بقدمه ، أو يصل إلىٰ رتبة وصلها محمد بعلمه أو بمحبته أو بدعوته أو بقربه أو بمحبته مولاه .

وصل ذلك الحبيب ، ولما وصل . . قال لجبريل : « اَرقَ » . فقال له : لو زدت قيد أنملة . . لأحرقني السناء . وجبريل روح من الأرواح ، لا بشر ولا شيء من الألوان التي تأتي على الأرض، فتذهب عند هـٰذه الأنوار ، لـٰكن هـٰذه الأنوار ما تطاق، ولما كان الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم مخلوقاً من ذلك النور . . زُجَّ به في تلك الأنوار ، وأخذت تزيد به جمالاً علىٰ جماله ، وبهجة علىٰ بهجته ، ونوراً علىٰ نوره ، وسناء علىٰ سنائه ، وقرباً علىٰ قربه ، ومحبة علىٰ محبته ، حتىٰ وصل إلىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ ، وهو هادىء البال ، لا يتحرك له بال ، ولا يخفق له قلب، ولا يتأثر له دمع ولا شيء مما يعتري البشرية .

ولما وصل إلىٰ تلك الحضرة إلى المولىٰ سبحانه وتعالىٰ . . يرسل عليه في قلبه هـٰذه التحية : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله .

Scanned with CamScanner

فإذا الحضرة الإلٰهية تناديه وتقول له : السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته .

ما هٰذه التحية ؟ ولمن هٰذه التحية ؟ وعلىٰ لسان من هٰذه التحية ؟ ومن يصلي هٰذه التحية ؟ ومن يتلقىٰ هٰذه التحية ؟ ومن يقال له ؟ ومن هٰذا القائل ؟

هٰذا القائل رب الوجود ، ورب الأكوان ، وخالق الأكوان ، والذي أوجد ، والذي أعدم ، والذي قدَّر ، والذي أقدر ، والذي قال هو بنفسه : سبحان ربي الأعلىٰ! وقال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ؛ سبح نفسه بنفسه ؛ لأنه يعرف أن البشرية لا تدري ما هو التسبيح ، ولا ما حقيقة التسبيح ، ولا ما معنى التسبيح ، ولا ما مقدار التسبيح ، ولا كيف وزنه الرجيح ، فأخذ يسبح نفسه ؛ يعلمنا حتىٰ نسبحه بتسبيحه ، وحتىٰ نَذْكُره بذكره ، وحتىٰ يكون لنا شيء ، ولٰكن المسبِّح هو ينادي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، حينما يقول : السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته .

ثم ينظر إلىٰ قلبه ، فيلتفت فيه فيجد فيه هٰذه الأمة ، فيقول : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين .

أعطوا هٰذه النعمة حقها يا أهل لا إلٰه إلا الله ؛ فإنكم بواسطته أُكرمتم ، ولولا الواسطة.. لذهب الموسوط ، ولولا الواسطة.. لذهب كل شيء ، لٰكن بالواسطة تصلح كثير من الأمور .

Scanned with CamScanner

الآن كثير من الناس ، إذا جيت إلىٰ شيء من أهل المظاهر ، بغيت لك حاجة من أهل المظاهر.. قالوا : هات لك واسطة يدخل بك .

هٰذا واسطتكم العظيم : محمد بن عبد الله ، هٰذا الرسول الكريم ، هٰذا البشر الذي أُعطي وصف البشرية وليس ببشر في الحقيقة :

محمـــد بشـــر لا كـــالبشـــر　　بـل هـو يـاقـوتـة بيـن الحجر

وهو أعلىٰ وأغلى ؛ ينظر المولىٰ إلىٰ قلبه فيرى الأمة في قلبه ، يريد أن يرفعها ، وأن يأخذ بها إلى السعادة ، يريد أن يقدسها ، يريد أن يقربها ، يريد لها الهداية ، يريد لها الرفعة ، يريد لها المظهر ، يريد لها العلو ، يريد لها أن ترقىٰ على الأمم ، وقد فُضلت علىٰ سائر الأمم ببركته صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ ، جاءت الخيرية هٰذه بواسطة هٰذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فوجد المولىٰ قلبه شغوفاً بهٰذه الأمة ، فناداكم بالسلام : السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين .

أفيسوغ من واحد أُعطي الكرامة في حضرة لم يصل إليها جبريل ولا موسىٰ ولا إبراهيم ولا عيسىٰ ولا أحد من الأنبياء ولا من غيرهم من الروحانيين ، ذُكرتم في هٰذه الحضرة ، وفي ذلك الملأ ، وفي ذلك الموضع ، هل يسوغ للإنسان أن يدوس كرامته بغفلة ، أو بشائبة ، أو بِعَرَض من الدنيا زائل ، أو بكذب

أو بشهوة ، أو بشيء من الملاهي والمظاهر التي لا تليق بواحد يُنَادىٰ به في عالم علوي؟! فيقول : ما لي حاجة بهٰذا العالم ، أنا بغيت أنا والبهائم سوىٰ إذا شاف البهائم.. تتبع النساء قال : عُدُّونَا واحد منهن ؟!

أين أنت من هٰذا الفضل ؟ أين أنت من هٰذا الكتاب العزيز ؟! أين أنت من هٰذا الرسول العظيم ؟! أين أنت من هٰذا المظهر ؟ أنت أهل ؟! قال الشاعر :

قَدْ هَيَّؤُوكَ لِأمرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعىٰ مَعَ ٱلْهَمَلِ

هيَّأ نحن ربنا بتهيئات ، أعطى نحن أولاً الرسالة الكريمة وجعل لها مقابل نفخة الروح تتلقىٰ العلم الأزلي ، والعلم الأبدي ، وتتلقى المظهر المحمدي ، وتتلقى الدعوة المحمدية ، فإذا الإنسان الغافل يقول : أنا ما لي روح ، أنا لي نفس بهيمية سبعية شيطانية .

إذا جاء وقت الصلاة.. تصاغر وتثاقل وترك الصلاة ، إذا جاء وقت الصوم.. عاث في الصوم ، ولا درىٰ بصيامه ولا بنفسه ، إذا جاء إلى السوق.. سهل أن يحلف بواحد ، يناديه في العالم الأعلىٰ ، يناديه ربه في العالم الأعلىٰ ، فيدوس الكرامة ، فيحلف كذب بمولاه سبحانه وتعالىٰ ، وهو المطلع علىٰ خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، كيف يسوغ هٰذا؟!

أمس في مجلس من المجالس ذكرنا أن واحداً من أتباع الشيوخ كان يميل إليه الشيخ ويحبه ، فقالوا له تلاميذه : نراك

Scanned with CamScanner

ميل إلى هـٰذا ؟ فقال لهم : فيه زائد عليكم . فقالوا : ما فيه
ائد علينا؟ فتركهم مدة ثم أعطىٰ كل واحد طائراً ، وقال له :
ذبحه حيث لا يراك أحد وأتني به مذبوحاً . فأتوا التلاميذ
طيورهم مذبوحة إلا هـٰذا التلميذ . فقال له : وأنت يا ولدي لِمَ
مْ تذبح مثل إخوانك وتأتني بطيرك ؟ فقال له : شرطت عليّ
شرطاً ثقيلاً ، فقلت لي : اذبحه حيث لا يراك أحد . وأنا كل
ما دخلت خلوة وجدت الله فيها ، فلو قلت لي : إلا الله..
لذبحته .

الآن ما يستحي الواحد من ربه يحلف في سوقه ، أو في طريقه ، أو في مكتبه يمين كاذبة والعياذ بالله ، يعرف بنص الحديث أنه ملعون ولا يبالي باللعنة ، ولا يبالي بعاقبة اللعنة ، ولا يبالي بما يتنزل ، ولا يبالي بما يعقبه ، ولا يبالي بما يأتي عليه ، ولا يبالي بما يحصل له ، يقضي حاجته بيمين يعتقد أنها باتنجيه ، وما هي بمنجية ، ولا هي بمباركة له في ماله ، ولا هي بمباركة له في عمله ، ولا هي بمباركة في شيء من أموره ، ما البركة إلا حيث ما يمشي الإنسان في الطريق القويم : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ ، يمشي علىٰ هـٰذا الصراط : ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ ، ثم ختم الآية بقوله : ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ .

لمن تصير الأمور ؟ تصير الأمور له سبحانه وتعالىٰ ، فكيف يحلف الإنسان ؟! أين الفكر ؟! أين العقل ؟! أين الإدراك ؟! أين

Scanned with CamScanner

السمو إلى المعالي ؟! أين السمو إلىٰ لا إلـٰه إلا الله ؟! أين حقيقتها ؟! أين مظهرها ؟! أين معناها ؟!

لا معبود في الوجود إلا الله ، لا مقصود في الوجود ، لا مشهود في الوجود ، لا موجود في الوجود.. إلا الواحد الأحد .

أتحلف يمين كاذبة بموجود يشهدك ، يطلع عليك ، لا يخفى عليه شيء من أمرك؟! يسمعك حينما تحلف ، يراك في كل شيء ، في المجلس الأعلىٰ والأسفل ، والداخل والخارج ، والحركة السرية والحركة العلنية ، ما شيء يخفىٰ عليه من أمرك ، كيف تحلف به ؟! تسمح لك نفسك تحلف به ؟!

ولو جاء الإنسان ليكذب على مَلِك ، أو على وزير ، أو علىٰ مسؤول كبير من أهل المظاهر.. خاف ، لأي شيء يخاف ؟ ورائي أسئلة كثيرة ، ورائي مراقبين وجواسيس .

وهـٰؤلاء رقيب وعتيد ما هم ملائكة يراقبونك؟ ويحصون عليك كل شيء ، موجودين معك كل وقت ، تنكر أن لك كاتبين يكتبان كل شيء ؟! يكتبان ما تقول ، يكتبان ما تعمل : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ٱقرأ عيوبك بنفسك ، يعطونك كتابك : كتاب أهل اليمين باليمين ، وكتاب أهل الشمال ؛ لبؤسهم وشقائهم لا يتناوله إلا بشماله ، ويمينه تكف عنه والعياذ بالله ، وتكون له أول حسرة ،

Scanned with CamScanner

م هي أول ندامة ، ثم أول خزي يقرأ كتابه ، ويبسبس بكتابه ، يقراه ، ثم بعد هٰذا الكتاب لو أراد أن يخفي شيء . . جاءت اليد تكلمت ، وجاءت الرِّجل وتكلمت ، وجاءت البطن وتكلمت ، جاء الفرج وتكلم ، ولا فيه شيء مخفي أبداً : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . . . إلىٰ آخر الآيات ، وفيها الوعيد الشديد ، نعوذ بالله من ذلك .

من أنطق هٰذه اللسان ؟ من حرك هٰذه اللسان ؟

تعرفون أن كثيراً ممن خلق الله خلقه أخرس لا يقدر أن يتكلم ، وواحد خلقه ذو نطق قدر أن يتكلم ، من كفَّ لسان هٰذا ، وأطلق لسان هٰذا؟ وآه سبب أنقباض هٰذه ، واه سبب أنطلاق هٰذه ، ما يدري الإنسان علوم سرية ومكشوفة وباطنة وجلية تتناوب العبد ، والعبد لا يزال في غفلته سادر في نومته ؛ كأنما ما نبهه قرآن ، ولا نبهه وعد ، ولا نبهه وعيد ، حتىٰ إذا جاء وقت الثقل ، حتىٰ إذا جاء وقت العجز ، حتىٰ إذا جاء وقت الشيخوخة . . بكىٰ علىٰ ماضيه في وقت لا ينفعه البكاء ، ولا تنفعه الندامة .

Scanned with CamScanner

ٱرجعوا يا إخواني إلىٰ ربكم .

وحتى لا يطول الوقت وبغينا الحبيب جعفر يتكلم . قل يا جعفر المحضار .

* * *

Scanned with CamScanner

من كلمات الخال عبد القادر

في عرفات في الحج في جلسات المحضار وقد حضرها عدد من العلماء منهم الحبيب محمد أحمد الشاطري والحبيب محمد عبد الله الهدار

الحمد لله ، والحمد لله علىٰ هـٰذه النعمة التي أنعم بها ، هـٰذه الحفلات هي تتحدث عن نفسها ، كل واحد ، يسأل واحد منكم قلبه ، ماذا بقلبه في هـٰذه الليلة ؟ وماذا أتىٰ به ؟ ولمن كانت هـٰذه الدعوة ؟

يقول المولىٰ سبحانه وتعالىٰ في مثل هـٰذا الكلام : ﴿ فَإِذَا اَطْمَأْنَنتُمْ﴾ .

إذا حصلت الطمأنينة للإنسان في مجلس . . فليعلم أنه من رياض الجنة ؛ كما يقول نبيكم صلوات الله وسلامه عليه : « إذا مررتم برياض الجنة . . فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : حِلَق الذكر » .

الطمأنينة ـ قال العلماء ـ : دلالة علىٰ تنزل السكينة ، دلالة علىٰ حضور الملائكة ، دلالة علىٰ حضور الروحانيات الطاهرة ، دلالة علىٰ أن هـٰذا المجلس نظر الله إليه من فوق سماواته سبحانه وتعالىٰ .

فلله الحمد ، إنما ينبغي لكل واحد ـ كما نذكر دائماً ـ

Scanned with CamScanner

إذاحضر مجلس من مثل هٰذه المجالس أن يغتنم الفرصة ، فليسأل الله في هٰذا المجلس ، وإذا تحرك القلب . . فليرفع يديه إلىٰ ربه ، وأول سؤال يسأله أن يتوب عليه من غفلته التي جنىٰ فيها علىٰ نفسه ، ثم يعاهد نفسه أنه لا يتخلف عن هٰذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

سمعتم هٰذه الشمائل الكريمة ، سمعتم هٰذه الأخلاق المحمدية ، سمعتم هٰذه السيرة العطرة ، سمعتم هٰذا المقام الكبير العظيم الذي لا يصل وصف المُدّاح إليه بشيء ولا بقلامة ظفر ولا بشيء ، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ .

فكل ما قيل فيه صلوات الله وسلامه عليه . . فهو قليل وقليل وقليل وقليل . . . إلىٰ أن ينقطع النفس ، وهو قليل بعد ما أثنىٰ عليه الله ، بعد ما جلله الله بالثناء العظيم ، بعد ما أكرمه الله سبحانه وتعالىٰ بالمحبة ، بعد ما خلقه من نوره ، بعد ما خصه بالرسالة ، بعد أن خصه بأن ربط ٱسمه إلى ٱسم مولاه سبحانه وتعالىٰ ، بعد ، وبعد ، وبعد أن أعطاه الله كل شيء .

أين يكون المدح ؟ أين يصل مدح المادح ؟ وأين يصل كلام المتكلم ؟ وأين يصل لسان المثني عليه ؟ لا تصل إلاّ إلىٰ مقام يتقرب العبد إلىٰ مولاه وإلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، وفيها معنىٰ الدلالة القلبية على المحبة ، وهي أصل من الأصول التي كانت في كل المخلوقات كما قال العلماء ، وفي

Scanned with CamScanner

البشر أكثر وأكثر ، وفي من ٱرتبط بلا إلـٰه إلا الله أكثر وأكثر ، إنما المحبة المطلوبة التي تأتي بعد مدحه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتأتي بعد رفع الصوت بالصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه : أن يربط نفسه الإنسان بالعمل مع الحبيب صلى الله عليه وسلم ، يربط نفسه بما جاء به ، يربط نفسه بصلاته ، يربط نفسه بعمله ، يربط نفسه بما جاء به ، يربط نفسه بفعله ، يربط نفسه بحفظ جوارحه ، يربط نفسه بأن يطلب من نفسه ويرغمها أن تقوم المقام المحمود في كل شيء ؛ فإن مقامه صلوات الله عليه وسلامه ، هو المقام المحمود ، وهو الذي يشير إليه القرآن في الدنيا ، ويشير إليه في الجنة ، ويشير إليه في الحشر ، ويشير إليه في الشفاعة ، ويشير إليه في مواقفه صلى الله عليه وسلم .

فإذا أعطىٰ العبد حقه من الاتباع ، وأعطىٰ نفسه حقها من الأدب الكامل ، وأعطىٰ نفسه حقها من الإسلام ؛ بأن أسلم وجهه ، وأسلم يديه ، وأسلم رجليه ، وأسلم عينيه ، وأسلم أنفه ، وأسلم كل شيء من النعم التي وهبها له المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وربطها بمحمد ، وربطها بما كان عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وربطها بعمل محمد ، وربطها برسالة محمد ، وربطها بما كان ينبغي أن يربطها به .

هـٰذا الرسول الذي يشير إليه المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ بمن الأسوة ؟ بمن ينبغي أن يقتدي الإنسان ؟ ممن يأخذ الإنسان مهما كان الإنسان وعلىٰ

Scanned with CamScanner

أي حال ؟ فكيف إذا كان مسلم ؟! فكيف إذا اَرتبط بالتوحيد ؟ ؟! فكيف إذا قال : أنا من أمة محمد ؟! أنا من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أنا من حزب محمد ، أنا من شيعة محمد ؟ ؟! ماذا ينبغي له ؟

ينبغي له أن يعطي هـٰذا الرباط حقه ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ أمركم بالمرابطة في آيات كثيرة من القرآن ، وما معنى المرابطة . . إلا أن يكون الإنسان تبعاً لما جاء به الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، وهـٰذه الرتبة هي التي عرفها أهل المعرفة ، وأهل المعرفة : هم الذين يغوصون في الحقائق بعد منتهىٰ ما اَطلعوا عليه من العلم ، فإذا وصلوا إلىٰ درجة المعرفة . . عرفوا الله حق قدره ، ومن عرف الله حق قدره . . عرف نفسه ، ومعنىٰ عرف نفسه . . عرفها بالعجز ، عرف نفسه بالتقصير ، عرف نفسه بالضعف ، عرف نفسه بجميع ما كانت النفس تدعوه إليه ؛ لأن النفس كما قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ، أعطاها الحالين ، وأعطاها الدعوة النبوية والرسالة المحمدية ؛ لتأخذ بنفسه في طريق التقوىٰ حتىٰ لا يفجر ، حتىٰ لا يغوىٰ ، حتىٰ لا يبعد ، حتىٰ لا يضيع ، حتىٰ لا يأخذ في مَهامِهْ ، لا يدري أين تأخذ به ، لا يدري أين تسلك به ، لا يدري عاقبتها ، كثيرٌ من الناس لا يدري أصيب بمصائب ـ والعياذ بالله ـ ولا يدري آه أسبابها تلك المصائب ، والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَمَآ

Scanned with CamScanner

أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ؛ لذا قال صلى الله عليه وسلم : « حاسبوا النفوس قبل أن تحاسَبوا ، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا ، وٱعلموا أن كل ٱمرىء على ما قَدَّم قادم ، وعلىٰ ما خلَّف نادم » .

وما معنى المحاسبة ؟

قال العلماء رحمهم الله : إنه ينبغي للإنسان أن يكون مثل التاجر ، إذا دخل عليه الليل . . أخذ دفتره معه إلىٰ بيته ، وأخذ يحاسب ويراجع ما في الدفتر ونحن هٰكذا ينبغي للإنسان أن يحاسب نفسه ، ويقول : ماذا عملت هٰذا اليوم ؟ ليذكر الله ، أو ليتوب ، وليستغفر ، أو ليرجع ، أو ليئوب ، أو ليقلع ، أو ليأخذ في طريق الخير وفي طريق الرضا ، فكل واحد منا مسؤول كما قال لكم الشارع ، صلوات الله وسلامه عليه مسؤول عن ماذا ، ذكر لكم الشارع صلى الله عليه وآله وسلم ، إن الإنسان مسؤول عن صحته ، مسؤول عن شبابه ، مسؤول عن ماله ، مسؤول عن جاهه ، مسؤول عمَّا خلفه ، مسؤول عن كل ما عمله في هٰذه الدنيا ، وكل ٱمرىء كما حكى الله سبحانه وتعالىٰ ، كل واحد يدري بنفسه ، ويدري بعمله ، فلا تغفلون يا إخواني .

ثم لا تفوتكم أمثال هٰذه المجالس ، وهٰذه الفرص ؛ فإن هٰذه الفرص كل قلب يرتاح ، وكل قلب منكم إذا ٱرتاح في مثل هٰذا المجلس . . فليشعر أنه جاءته ريح ، إن الارتياح هٰذا جاءته ريح ، هبت عليه من العوالي ، جاءته ريح ، هبت عليه من

المكان الطيب ، جاءته منازله من الله سبحانه وتعالىٰ ، جاءه تعرُّف من الله سبحانه وتعالىٰ ، فلا يدرك التعرف علىٰ نفسه ، حتىٰ إذا قام . . يقول : حضرنا مجلس يا خير مجلس ، سمعنا كلام يا خير كلام . ما يكفي هٰذا ، الذي يكفي أن يأخذ بذيل المجلس وذيل الكلام ؟! هٰذا -حتىٰ يرتبط به ، وحتىٰ يعقد علىٰ نفسه أنه لا يتأخر بعد هٰذه الليلة ؛ فإنها فرص لهٰذه الأمة ، رحمة من الله سبحانه وتعالىٰ ؛ أرسلها لكم بواسطة هٰذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، هٰذا الارتباط العظيم ، آه جاء معه ، آه الداعي إليه ، آه الذي جمعنا نحن علىٰ هٰذا المجلس ، وسمعنا دعوة ، ووصلتنا دعوة ، وجاءنا الخبر لدعوة ، فانهال الناس ، ووصلوا لهٰذه الدعوة ، لهٰذا المجلس ، هي دعوة وليمة زواج ؟ هي دعوة عرس ؟ هي دعوة ختان ؟ هي دعوة موت ؟ هي دعوة آه ؟ لا ، هي دعوة محمدية ، ثم هي دعوة ربانية ، ثم هي دعوة قلبية ، اتصل القلب في مثل هٰذه اللحظة بالعالم الأعلىٰ ، وكل واحد منكم يربط اتصاله بهٰذا العالم الأعلىٰ ، ويقول : كيف هٰذا ؟ أين أنا من العالم الأعلىٰ ؟ يعقد له مع الله توبة أنه يبيت علىٰ طهارة من الغفلة ، علىٰ طهارة مما مضىٰ ، علىٰ ندم مما فعل ، علىٰ ندم مما كان ، علىٰ توبة صادقة مما جرىٰ عليه ، ثم ينام علىٰ تلك التوبة ، ويسأل الله أن يقبلها ، فإذا قبلها المولى . . بورك له في ذلك ، وظهر عليه أثر نور التوبة ، وهي أول مقام يقومه العبد في طريقه إلى الله سبحانه

Scanned with CamScanner

وتعالىٰ ، ويسلك به في طريقه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ .

ثم تأتي بعد هٰذه التوبة منازلات إلٰهية ، تأتي فتوحات إلٰهية ، تأتي رحمة قلبية إذا قبلها الله ، لو أراد أن يعمل في غفلته ، أو أراد أن يعمل ما كان يعمله يصرفه الله عن ذلك العمل ، ويباعد بينه وبين ذلك العمل حتىٰ يطمئن القلب إلىٰ صدق التوبة ، يطمئن القلب إلىٰ صدق العمل ، يطمئن القلب إلى القرب من الله سبحانه وتعالىٰ .

ثم يأتي من بعد مقام التوبة مقام ثاني ؛ لأنها عشرة مقامات يسميها العلماء : مقامات الإيمان :

أولها التوبة، يأتي بعدها الصدق ، يأتي بعدها الخوف من الله، يأتي بعدها الرجاء ، يأتي بعدها بقية المقامات ؛ وهي : الصبر ، والزهد ، والتوكل ، والرضا ، والحب في الله ، والشكر .

وقد ذكرها الإمام الغزالي ، والإمام الحداد ، وآخرها مقام الرضا ، ذكره لكم ربكم سبحانه وتعالىٰ في كتابه في آيات : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، ما بايتركهم للشيطان ؛ لأنه قال : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ ، ثم قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ .

وقد شفنا منهم الكثير ، كان الواحد منهم ما تُذْكر الدنيا في مجلسه ، كان الواحد منهم ما يمر عليه الوقت في غير طاعة ، كان الواحد منهم يسأل عن عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

Scanned with CamScanner

فيعمل به ، ولا يضع قدمه إلا حيث يضع قدمه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يمشي إلا حيث يمشي محمد بن عبد الله .

كثير ما نذكر ما يذكره لنا أهل الحديث ؛ يقولون : إن أحد العلماء الماضيين ترك أكل البطيخ ، وهو من لذائذ هـٰذه الدنيا ، فسئل : ألا تحب البطيخ ؟ فقال : أحبه . ألا تدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكله ؟ فقال : بلىٰ أدري أنه أكله ؛ ولـٰكني لا أدري علىٰ أي حالة أكله ، فلا آكله حتىٰ أعرف الحالة التي أكله عليها صلى الله عليه وآله وسلم .

هـٰذا مقام كبير ، هـٰذا حال عظيم ، ثم هو سهل ، ما شي بعيد على الإنسان الذي دخل تحت : لا إلـٰه إلا الله ، دائرة التوحيد التي أحاطت به من كل جانب ، ولا تركت عليه شيء إلا إذا كانت نفسه تسوقه وتريد به أن يخرج من فجوة منها ، أو يغفل ، أو يلهو فيها ، أو يلعب فيها ، أو تكون له ـ والعياذ بالله ـ أشياء تخالف الشريعة ، وفتح أذنه للشيطان دخل عليه الشيطان وأغواه ، وكانت توبته توبة نكث كما يقولون العلماء ، ولكن ينبغي للإنسان كما ذكرنا أن لا ينكث ، وأن لا يغفل ، وأن يكون رجوعه كما ذكرنا .

هـٰذا مجلس ما هو رخيص ، جاكم هـٰذه الليلة هـٰذه الساعة ، جاءتكم مباركة من ساعات العافية ، من ساعات الرضا ، من ساعات الرحمة ، من ساعات التعرفات ، من

Scanned with CamScanner

ساعات التجليات ، من ساعات المشاهدات ، من ساعات العطف من المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

كم من واحد جالس في المجلس بجسمه والقلب في ذلك العالم الأعلىٰ ؛ لأنه وجد منفذ ينفذ فيه إلى العالم الأعلىٰ ، فأخذ يتتبع ذلك المنفذ ، ويغدو ويروح ، ويدخل فيه ، ويزداد في الدخول .

وكلنا ـ يا إخواني ـ وكلكم راغبون ، وما دعتكم إلىٰ هـٰذه إلا الرغبة ، فينبغي لكم أن لا تغفلوا في هـٰذه الساعة عن التوبة .

بغينا أحد الإخوان الأخ محمد الهدار ، بعد الأخ الشاطري يجدد لكم التوبة ، حتىٰ تتجدد لكم التوبة إن شاء الله ، ثم كل واحد إذا قام من المجلس . . يعقد علىٰ خنصره بتلك التوبة ، وعلىٰ بنصره ، ويعقد عليها بخاتمه ، فيطبع الله عليها خاتم القبول ، وتقومون من المجلس بوجوه أخرىٰ ، وقلوب أخرىٰ ، وأحوال أخرىٰ ، يظهر عليكم سرها تلك الأحوال ، تظهر كما لا يخفاكم هـٰذا الذي لا نزال نكرره لكم : « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل (بعد أداء الفرائض) حتىٰ أحبه ، فإذا أحببته . . كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به » .

هل ربكم يدخل في الإنسان حتىٰ يكون سمع له ، أو بصر له ؟! لا ، ولـٰكنه يعطيه قوة إلـٰهية ربانية يسمع بها البعيد .

قبل أمس كنا في مجلس ، فذكرنا قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسارية ، سيدنا عمر يخطب في منبر المدينة في منبر

Scanned with CamScanner

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان سارية في أرض بعيدة بخراسان خاف عليه أن يُغلب مسافة بعيدة ، مسافة طويلة للسماع ، مسافة طويلة للنظر ، الآن الإنسان لو مشىٰ ما ورا الجدار هـٰذا خلف الحائط بنظره بكذا بكذا مرة من نظره . . لتعب وأعيىٰ ، هـٰذا سيدنا عمر ، شاف سارية وعمر بالمدينة ، وسارية بنَهاوَنْد بخراسان، ثم من وراء هـٰذا النظر جبال ، وأكمات ، وعقبات ، وٱلتواء ، وٱنعطاف في الطريق ، كلها هـٰذه أصبحت هباء أمام عين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أترون أنه ما عنده عين كما عيوننا ، أترون أنه ما عنده أذن كما أذننا ، عنده هـٰذا كله ؛ لـٰكنه بصدق القرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءته الوراثة ، فأعطاه الله من تلك الوراثة وتلك القربة عين قوية تشاهد ، وأعطاه الله من تلك القربة سمع قوي يسمع به ، وأعطاه الله من تلك القربة لسان يتكلم بصوت هادىء ، فإذا سارية يسمعه ، فينفلت سارية إلى الجبل ، ويتأخر حتىٰ يصل إلى الجبل ، وسألوه ، قال : سمعت صوت عمر بن الخطاب في أذني يقول لي : يا سارية ؛ الجبل ؛ يا سارية ؛ الجبل ، يا سارية ؛ الجبل .

هـٰذا ما هو مخصوص بعمر ، كل واحد منكم له هـٰذا المطلب ، له هـٰذه الرتبة ، ما هي مخصوصة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد رأينا كثيراً كما ذكرت لكم من هـٰؤلاء الرجال الذين لهم

صوت خفي ولٰكنه يخرق الجبال ، فينفذ إلىٰ ما وراها ، ويخرق البحار ، وينفذ إلىٰ ما وراها ، ويخرق الحجب ، فينفذ إلىٰ ما وراها ويخرق الهواء .

الآن تستغربون من البرق والراديو وما شاكلها من الأشياء التي ظهرت للمتأخرين ويستعملونها ، الآن أهل التجارة يحرك زر فإذا الزر هٰذا قد يظهر مكتوب في المكان الثاني .

هٰذا عندكم ملموس ومعروف ، خذوها عبرة ، السابقين والأولياء عندهم مثل هٰذا ، وأحسن من هٰذا ، ٱتصالات بالعوالم الأخرىٰ ، ثم إنها جاءت لكثير من أمثال عمر ، جاءت لكثير ممن مشىٰ علىٰ منهاج عمر ، جاءت لكثير منهم .

قبل أمس نذكر حكاية لواحد من أولياء تريم في حضرموت ، كان من أهل الحرث (ٱسمه حسين باحبلين) ، من أهل الزراعة ، حلف واحد بالطلاق من زوجته إذا ما حج هٰذه السنة ، وتقاربت به الأيام ، وضاق عليه الوقت ، حتىٰ عرف أنه لا يقدر على الذهاب للحج ، ولا يقدر للوصول إلىٰ مكة ، لا بركوب الجمل ، ولا بالمشي على الرِّجلين ، ولا بركوب الحمار ، ولا بركوب الخيل ، فجاء يسأل العلماء ويقول : زوجتي عزيزة عليّ ، ولا أريد أن أخرجها من داري ، وقد أغواني الشيطان ، وحلفت ولا عاد لي طريقة إلا بكم منكم أنتم .

فأشار عليه واحد من العلماء علىٰ رجل من الفلاحين ، وقال له : هٰذا شفه يحج كل سنة ، جاء إلىٰ هـذا الرجل الفلاح ٱسمه

باحبلين ، يزرع ؛ شغله الزراعة ؛ عامل ، قال : أنا زوجتي حلفت عليها بالطلاق إذا ما حجيت هٰذه السنة ، والآن بغيت باحج معك . قال له : اسأل العلماء عن زوجتك ومسألتك ، جيت تسألنا لأه؟ قال : قالوا لي العلماء : إنك تحج كل عام ، لمّا كلف عليه.. قال له : يوم التاسع ، يوم عرفة تعال إلىٰ عندي .

ولما كان يوم عرفة يوم التاسع.. جاء إلىٰ عنده ، وجلس عنده ، وهٰذا في زرعه وحرثه ، كل ساعة : هيا يا شيخ حسين ، وهٰذا يقول له : خلنا في شغلي وحرثي ، فجلس ، ويقول : هيا يا شيخ حسين ، الوقت يضيق علينا . وهو يقول له : خلنا في شغلي وحراثتي حتىٰ إذا حضر وقت الظهر.. قال : هيا إلى المسجد .

ذهب هو وإياه إلى المسجد ، وٱغتسلوا ، وقال له : أحرم ركعتين الإحرام بالحج ، ثم قال له : أحرم بالحج . وحط يده علىٰ عيونه ، فإذا هو في عرفة ، فقال له : ٱبحث علىٰ جماعتك ؛ لأجل يشهدون أنك حجيت هٰذه السنة.. شفوها هٰكذا تكون لهم .

والقرآن أخبر نحن في قصة سليمان : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ .

آه القوة هٰذه الهائلة ؟ شيء من الآلات هٰذه الموجودة التي تجرف الأشياء وتسويها الآن وتسحبها أو طائرات ؟ لا هٰذا كله

Scanned with CamScanner

من العلم ، ومن القرب من الله سبحانه وتعالىٰ ، هٰذا عنده علم وقرب من الله ، طوىٰ له الأشياء ، وأعطاه ذلك .

وهٰذا حقيق معكم يحكيه لنا نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه يقول : « زويت لي الأرض كلها ، فأُريت مشرقها ومغربها » .

ويقول لنا : « إن واحداً من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين ، وسأل عالماً من علماء بني إسرائيل عن التوبة ، فقال له : ما لك توبة . فقتله وكمل المئة ، ثم سأل عالماً آخر : هل لي من توبة ؟ فقال له : نعم ، ومن يحول بينك وبين الله » ؟! .

وأنتم ما حد يحول بينكم وبين الله ، صاحب الكبائر ، وصاحب الصغائر إذا تاب إلىٰ ربه . . قبله ، وذكر في الحديث : « أنّ العالِم هٰذا قال له : ٱذهب إلى المكان الفلاني ، فإن فيه قوماً صالحين يعبدون ربهم ، فاعبد ربك معهم . فبينما هو سائر في طريقه . . توفاه الله تعالىٰ ، فٱختصمت ملائكة الرحمة لأخذه ، وملائكة العذاب لأخذه ، ملائكة الرحمة تقول : جاء تائب إلىٰ ربه ، نحن أحق به . وملائكة العذاب : تقول : ما عمل خيراً قط ، نحن أحق به . فٱختصموا ، فأرسل الله إليهم ملكاً في صورة إنسان ؛ ليحكم بينهم ، فقال لهم : قيسوا ما بين الأرضين فإلىٰ أيتها أقرب ، فأيها كانت أقرب فلتأخذه الملائكة » . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله أوحىٰ إلىٰ أرض الخير أن تقاربي ، وإلىٰ أرض الشر أن تباعدي ،

Scanned with CamScanner

فتقاربت هٰذه الأرض » .

هٰذا في بني إسرائيل ، أنتم أمة محمد ، أنتم أمة الحبيب الكريم ، أنتم أمة النبي الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم ، أنتم أمة الرسول الكريم ، أنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أعطوا هٰذه الرحمة حقها يخاطبكم ربكم يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، أيش هٰذا الشرف الكبير ، آه هٰذه العظمة الكبيرة ، يصلي عليكم هو وملائكته ؛ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، جاءكم بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ يقول لكم في نبيكم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم ؛ صلِّ وسلم عليه ، أكثروا من الصلاة عليه ؛ فإن صلاتكم رحمة ، وصلاته سبحانه وتعالىٰ لكم رحمة ، أنتم في وادي الرحمة ، أنتم تعيشون في الرحمة ، أنتم تمشون في الرخمة ، أنتم بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم في الرحمة ، فأعطوا الرحمة حقها يا إخواني ، سلك الله بنا وبكم تلك الطريق .

ويقوم يتكلم فيكم الأخ محمد الشاطري ، ثم يتكلم الهدار ؛ يتكلم قليلاً ، ويجدد لكم التوبة ، ويلقنكم الذكر .

* * *

Scanned with CamScanner

في جبل عرفات

الحمد لله ، الحمد لله علىٰ هـٰذه النعمة ، والحمد لله الذي جاد علينا بالوصول إلىٰ هـٰذه الأماكن المشرفة ؛ كما قال السيد العجيمي ، والحمد لله الذي جمعنا وإياكم في موطن كان جَمَع فيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كل واحد منكم يدرك أنه مدعو في هـٰذه الحفلة ، مدعو إلىٰ هـٰذا الجبل ، ومن هـٰذا الداعي ؟ ثم ما هي الدعوة ؟ أهي وليمة ضيافة ؟ أهي وليمة اجتماع ؟ أو دائرة سياسية ؟ أو ، أو ؟ ما هي الدعوة ؟

هي دعوة ربانية إلـٰهية ينادي بها القرآن من فوق سبع سماوات ، يخاطبنا بها من المنبر الأعلىٰ من منبر لا يقدر يصفه واصف ، من منبر لا يصل إليه واصل ، يقول ربكم لإبراهيم ـ وهو نائب عن نبيكم محمد عليهما الصلاة والسلام ـ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ . . . إلىٰ آخر الآيات .

هـٰذه الدعوة وصلتكم من ربكم بأمره لإبراهيم ، يأمر إبراهيم ، ويأمر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤذن بالحج ، وأن يدعوكم إلى الحج ، وأن يدعوكم إلىٰ هـٰذه البقاع التي شرفها الله سبحانه وتعالىٰ ، كل واحد منكم يدرك ـ كما

Scanned with CamScanner

ذكرت لكم - أنها دعوة سماوية ، جاءت من رب الأرباب ، جاءت من الإلـٰه الذي خلقكم ؛ لتربحوا عليه لا ليربح عليكم ، جاءت من المولىٰ الذي دعاكم بلسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم هو يخبركم بأن الله يقول له : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكفىٰ ، فقد أدركتم أنكم دُعيتم للرحمة ، وأرسل إليكم هـٰذا الرسول الكريم للرحمة ، والمواقف كلها مواقف رحمة ، والدعوة كلها دعوة رحمة ، والضيافة فيها ضيافة رحمة ، والقِرَى فيها قِرىٰ رحمة ، وٱجتماع نبي الرحمة ، كما قال العجيمي يقول المولىٰ لكم : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ .

أترون أن الله أرسله لأصحابه فقط ، لا . مُتِّعوا أصحابه بالنظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومتعنا - نحن أيضاً - بكمال الانتماء إليه ، والاتباع ، وبالدعوة التي جاء بها إلينا صلوات الله وسلامه عليه ، ثم ٱختلف الناس في محبته عليه الصلاة والسلام ، فكثير منهم دعته المحبة إلىٰ أن يتصور صورة محمد ، وصفة محمد ، وقرآن محمد ، وشمائل محمد ، وأخلاق محمد ، وآداب محمد ، وهيئة محمد ، حتىٰ يستشعره كأنه حاضر ، وهو ملء القلب ، وملء السمع والبصر ، فإذا أغمض عينه علىٰ مثل هـٰذا الاستشعار فإنَّما أغمضها لينفتح قلبه لمحمد ، ومن أغمض عينه مع هـٰذا الاستشعار ، ومع هـٰذا الفكر وٱستشعر أن هـٰذه الصفات جاء بها هـٰذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ لنتخذها نحن ونتأسَّىٰ بها ونقتدي بها حتىٰ يكون لنا نصيب من

الخلافة على ٱختلاف القرب ؛ فمن كانت عنده صفة الرحمة . . كان خليفة لمحمد في الرحمة ، ومن كانت عنده صفة العلم . . كان خليفة لمحمد في العلم ، ومن كانت عنده صفة الصبر . . كان خليفة لمحمد في الصبر . . وهـٰكذا إلىٰ جميع أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنتم تقرؤونها في كتب السير ، وتقرؤونها أعظم وأعظم في كتاب الله عز وجل حينما يقول له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وحينما يقول له : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ .

وحينما يقول له : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

وحينما يقول له : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ .

وحينما يقول له : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢] .

هـٰذه الآيات التي تقرؤونها إذا تدبرها الإنسان وقرأها وٱستشعر أنه مسؤول عن تلك الأخلاق ، هي أخلاق نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو في الحقيقة أبوه ، وهو في الحقيقة والده : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ قال ٱبن عباس : (وفي قراءة : وهو أب لهم) .

أنتم مسؤولون عن ٱتّباعه ، مسؤولون عن أخلاقه ، مسؤولون عن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم .

Scanned with CamScanner

لنرجع إلىٰ مُفتتَح الكلام حتىٰ نعود إليه ، ذكرنا أولاً أنكم مدعوون ، وأنكم جيتم لدعوة كريمة عظيمة ، لو دعاكم أحد لمناسبة وليمة زواج ، أو دعاكم لمناسبة وليمة ختان ، أو دعاكم لمناسبة وليمة قدوم من السفر ، أو دعاكم لمناسبة حياة ، أو أفراح ، أو موت ، أو غير ذلك . . لَشَمَّرتمُ ذيل السير إليه إجابة للدعوة وٱمتثالاً لها ؛ ولِمَا تقتضيه الأخلاقِ الكريمة أن يحضر المدعو عند داعيه .

هـٰذه الدعوة جاءت لنا من المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، وكلنا نعرف أن الدعوة جاءت كما ذكرنا لضيافة كريمة ، أدناها المغفرة ، وأعلاها ٱنفتاح القلب حتىٰ يتهيأ لتلقي العلم الغيبي ، والعلم اللدني الذي يأتي فيه قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ ، هـٰذاك أدناها المغفرة ، وهـٰذا أعلاها تلقي العلم اللدني ، وبين تلك المراتب أيضاً مرتبة عظمىٰ ، وهي مرتبة القرب من الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه هو الداعي .

كان الشيوخ رحمهم الله إذا حضروا أمثال هـٰذه المجالس . . جاؤوا كأنما دعاهم الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا جاؤوا . . جاؤوا مستشعرين أن الداعي محمد صلوات الله وسلامه عليه ، جاؤوا مستشعرين أن الداعي محمد ، والقاسم محمد ،

Scanned with CamScanner

والمُمِدّ محمد ، والمعطي محمد ، والداعي هو محمد عليه الصلاة والسلام ، فإذا ٱستشعر الواحد ذلك . . ٱنفتح قلبه .

قال سيدي الوالد رحمه الله : إن أحد الصلحاء الذين ٱنفتحت قلوبهم وذهب عنها العمىٰ ـ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ ـ كان يحضر قراءة قصة المولد عند شيخنا الحبيب علي بن محمد الحبشي [1] ، وكان يشاهد بعيني بصيرته ، فتتخيل له ذات الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشاهدها في المجلس ، وعندما يخرج إذا قابله أحد المارين والمسلِّمين الذين يلقونه ويصافحونه ، إذا قال له من أين جيت يا سيدي ؟ يقول له : جيت من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، جيت من عند رسول الله . قال له : وأين رسول الله ؟ قال : دعانا له الأخ علي بن محمد الحبشي ، وحضرنا ، وحضر عليه الصلاة والسلام ، جينا نحن من أجله .

هـٰذا منتهى الاستشعار ، وأنتم مدعوون كما قلت لكم ، دعاكم هـٰذا الحبيب لمولده ، فحضرتم لأجله عليه الصلاة والسلام ، وما حضرتم لأجل لقمة تأكلونها ، أو بثوب تلبسونه ، أو بماء تشربونه ، أو بٱجتماع تتعارفون فيه ، إنما هي لخِلَع ربانية تنزل علىٰ أهليها ، على التائبين ، على الصادقين ، على العاكفين ، على الطائفين ، على الذين لهم ٱتصال بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، تكون لهم هـٰذه الدعوة ، وكلنا كما

---

(١) (١٢٥٩/ ١٣٣٣) بسيؤون .

Scanned with CamScanner

ذكرنا ، كل واحد منكم إذا صفّى السريرة وهو في هٰذا المجلس ، وخلا بنفسه حتىٰ أخرج منها أدرانه ، كما قال لكم مولاكم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ ، إذا هجر الإنسان الرجز ، وتاب توبة صادقة ، وبنىٰ أمره مع الله علىٰ أنه حينما يخرج من هٰذا الوادي الأفيح يخرج ويسلم كل ذي حق حقه ، ويستسلم لكل من اغتابه ، ويسامح كل من آذاه ، ويتسامح مع أهل : (لا إلٰه إلا الله) علىٰ قدر الحقوق ، وعلىٰ قدر التقصيرات ، وعلىٰ قدر المواصلات والاتصالات التي كان يجريها ، وعلىٰ قدر العطايا ، وعلىٰ قدر الأمور إن كانت سيئة .

وأما إن كانت حسنة . . فهي خير ، وهي نعمة ، وهي بركة ، وهي رعاية ، ولا يأتي ذو الحسنة إلىٰ مثل هٰذا المجلس إلا وتنسكب عليه الرحمة والرحمات في هٰذا المجلس ، وفي هٰذا الوادي ، وفي المكان سحبها ماطرة في كل وقت ، وفي كل ساعة ، وفي كل لحظة ، وفي كل آن ، والدعوات مستجابة ، سمعتم عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وهو سيدكم وأبوكم ـ قال : « من حج ولم يرفث ولم يفسق . . رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

هٰذا الناطق الصادق صلى الله عليه وسلم .

والرفث والفسق هو ماذا؟ كل واحد يعرفه ، لا يغتاب : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ .

Scanned with CamScanner

لا ينمُّ عليه ، لا يحتقره ، لا يؤذيه ، لا يتكلم عليه ، لا يتكلم في عرضه ، ثم من بعد هٰذا ينبغي له كما ذكرنا أن يكون طاهر القلب يدعو ربه بحضور .

* * *

Scanned with CamScanner

الدُّرُّ الفاخر

من كلام الحبيب عبد القادر

وزياراته لرسول الله صلَّى ٱلله عليه وآله وسلَّم

وهٰذا بعض مما كتبه طه بن حسن السقاف من كلام خاله الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف حفظه الله في خير وعافية

Scanned with CamScanner

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هٰذه كلمة لسيدي الخال العلامة الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف حفظه الله تعالىٰ قالها في داري بالمدينة المنورة تاريخ ٢٧ الحجة سنة ١٣٨٤ بطلب من ولده طه بن حسن السقاف وسجلت في شريط ثم كتبت

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

يا ما أحلىٰ مناسبة الكلام في هٰذه البلدة الغراء ، طيبة مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ويا ما أسعدنا باللقاء فيها ، ويا ما أسعدنا بالاجتماع فيها ، كنا نتمنىٰ من الدهر أن تسنح لنا فيه فرصة نقضي فيها لباناتنا حول القبر المعطر ، وحول الشباك الأعظم ؛ لنقف حول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ونطرح أثقال ذنوبنا عليه ، ونعرض حاجاتنا عليه ؛ ليقدمها إلىٰ ربه ؛ ليشفع لنا ، وأنه هو الشفيع ، كما قال أبو الحسن البكري :

ما أرسلَ الرحمٰنُ أو يرسلُ ... من رحمةٍ تصعدُ أو تنزلُ

في ملكوتِ الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشملُ

إلاَّ وطه المصطفىٰ عبده ... نبيه مختاره المرسلُ

واسطةٌ فيها وأصل لها ... يعلم هٰذا كل من يعقلُ

فَلُذْ بِهِ في كل ما ترتجي فإنَّه المقصدُ والمأملُ
وعُذ بِهِ من كل ما تختشي فإنه المَلْجَأُ والمعقلُ
وحُطَّ أحمال الرجا عنده فهو شفيعٌ دائماً يُقْبَلُ
ونَادِهِ إنْ أزمةٌ أنشبت أظفارها وٱستحكم المُعضِلُ
يا أكرم الخلق على ربه وخيرَ من فيهم به يُسأَلُ
قد مسَّني الكرب وكم مرةٍ فرَّجتَ كرباً بعضهُ يُذهِل
فبالذي خصَّك بين الورىٰ برتبة عنها العُلا تنزل
عَجِّل بإذهاب الذي أشتكي وإنْ توقفتَ فمن أسألُ
ولَنْ ترى أعجزَ مني فما لِشِدةٍ أقوىٰ ولا أحمل
وحيلتي ضاقت وصبري انقضىٰ ولست أدري ما الذي أفعل
وأنتَ بابُ الله أيُّ ٱمرىءٍ أتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحَتْ زهر الروابي نسمةٌ شَمْألْ
والآل والأصحاب ما غَرَّدَتْ ساجعة أُمْلُودُها مُخضِلُ
مُسَلِّماً ما فاح نشر الصَّبا فضاع منه النَدُّ والصندَلُ

قَدِمنا عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقدَّمْنَا إليه الحاجات ، وهو الكفيل بقضائها ، والشفيع لها ، والذي نَضْمَن فيما بعد إن شاء الله أن نبلغ جميع غاياتنا وجميع حاجاتنا الدينية والدنيوية ، وأن ندرك من بعدها كل أمنية ، وأن يتجلىٰ لنا لنجتمع به مع التأهب لذلك كما كان يتجلىٰ لأهلنا فيجتمعون به صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه قد وقع لأهلنا وآبائنا الميامين أنهم سمعوا صوته صلى الله عليه وآله وسلم ، وجلسوا معه صلى الله عليه وآله

Scanned with CamScanner

وسلم ، وسمعوا منه الخطاب ، وسمعوا منه الرد ؛ فإنهم كانوا يقولون : إن سيدنا الإمام علي بن علوي خالع قسم[1] رضي الله عنه ، كان إذا سلم في صلاته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. يسمع الرد من الحضرة الشريفة ، يقول له : وعليك السلام يا شيخ ؛ ولذلك قال الإمام الحداد[2] رضي الله عنه :

رَدَّ ٱلرسولُ عليه مِثْلَ سَلامِهِ   يا شيخ فٱعجبْ لِلفَخَارِ ٱلأجمعِ

وقالوا أيضاً : إن سيدنا علوي ٱبن الفقيه المقدم لما حجَّ وزار.. وقف تجاه القبر الشريف ، ثم زَيَّقَ ؛ أي : وضع رأسه في جيبه ، ثم قال بعد أن رفعه : في هٰذه الساعة أُريتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقلت له : ما منزلتنا عندكم يا جد ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : في العين . ثم قال لي : وأنا ما منزلتي عندكم يا علوي ؟ فقلت له : على الرأس . فقال الصديق : ما أنصفت جدك يا علوي ؛ يضعك في العين ، وتضعه على الرأس؟! فقلت له : ما وجدت إلا هٰذا . فقال : عليك شكرانية للفقراء مئة دينار . قال : ولم يكن عنده شيء ، ثم إنه لما ٱنصرف من المواجهة الشريفة.. جاء إليه واحد ، وأعطاه مئة دينار ، فقال لبعض خدمه : خذها ، وفرقها على أهل الحضرة . ففرقها .

قالوا : وكذلك الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد

---

(١) المتوفى بتريم سنة ٥٢٩ .

(٢) ١٠٤٤/ ١١٣٢ بتريم .

رضي الله عنه لما وصل إلى الحضرة الشريفة في زيارته وبعد حجه (حجته عام ١٠٧٩) . . أنشأ قصيدته التي ذكر فيها أنه صلى الله عليه وآله وسلم ردَّ عليه السلام حيث قال فيها :

وقفنا وسلمنا علىٰ خير مرسلٍ وخير نبيٍ ماله من مُناظِرِ
فَرَدَّ علينا وهو حَيٌّ وحاضرٌ فَشُرِّفَ من حيٍ كريمٍ وحاضِرِ

ثم قالوا : إنها وقعت له واقعة ـ وهو بالمدينة المنورة ـ تدل علىٰ قربه ، وتدل علىٰ سماع كلامه للحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعته ، وقربه منه ، وذلك أنه نزل ضيفاً على الشيخ حسين بن محمد بافضل في مكة المكرمة ، ثم لما زار المدينة المنورة . . سار معه الشيخ حسين فأصابته علة ومرض مرضاً أُحتُضِرَ فيه ، فقيل للإمام الحداد : إن الشيخ حسين محتَضَر ، فقال : أجمعوا له من أعماركم ، وسنشفع نقدمها إلى الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ليشفع . فجمعوا له من أعمارهم حتىٰ بلغ المجموع سنتين ، فقال : أكتبوها في ورقة . فكتبوها في ورقة ، فخرج بها تجاه الشباك المعظم ، وأخذته حالة بعد أن سلَّم علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم لما سُرِّيَ عنه . . قال شُفِّعنا ، وألقى الورقة في الشباك ، ثم رجع إلى البيت ، ووجد الشيخ حسين قد بدأت العافية تدب فيه شيئاً فشيئاً حتىٰ شفاه الله تعالىٰ ، ثم عاد بعد ذلك إلىٰ مكة ، قال الإمام الحداد : أحسبوا ذلك فإنها سنتان جاءت له مما أستوهبناه من أعماركم ، فلما مضت السنتان . . قالوا : إن الشيخ حسين توفي بعد ذلك الوقت في مكة .

Scanned with CamScanner

ومثل ذلك : ما وقع للحبيب حامد بن عمر ؛ إمام مسجد باعلوي بتريم ، قالوا : إنه لما وصل المدينة المنورة ، ووصل إلى الحضرة العظيمة الشريفة . . وجد المسجد النبوي ملآن بالزوار ، وغاص بالناس ، فجلس في أخرياته ، فلما جلس في أخرياته . . إذا واحد من جيران الشباك قام يتخطى الناس ويسأل ، ويقول : أفيكم حامد بن عمر ؟ أفيكم حامد بن عمر ؟ يكررها ، حتىٰ أتىٰ إلىٰ آخر المسجد ، فقال له الحبيب حامد : نعم ، أنا حامد بن عمر . فقال له : إن جدك المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم يقول لك : تقدم إلىٰ تحت الشباك ، فأنت أحق بالسبق من غيرك . فقام وتخطى الناس حتىٰ وقف تجاه الشباك المبارك .

وفي ذلك يقول الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب[1] : إن الحبيب حامد بن عمر كانت حالته أعظم من حالة الشيخ الرفاعي ؛ لأنَّ الشيخ الرفاعي طلب من الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم لما وصل لزيارته في حالة المواجهة أن يَمُدَّ له عليه السلام يده ليقبلها ، فقبلها أمام الحاضرين ، وذلك حين قال :

في حالة البعد روحي كنتُ أُرسِلُها ... تُقَبِّلُ التربَ عني وهي نائبتي
وهـٰذه دولة الأشباح قد حَضَرَتْ ... فامْدُدْ يمينَكَ كَيْ تَحْظَىٰ بها شفتي

فمدَّ له صلى الله عليه وآله وسلم يده الشريفة من الشباك ، وأخذ يقبلها علىٰ مرأىٰ من الناس ومسمع ، لـٰكنه كان ذلك بعد الطلب .

---

(١) بتريم ١٣٠٣/ ١٣٨٦ .

أما الحبيب حامد بن عمر . . فإنه كان مطلوباً ، هٰكذا قال الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب .

ففرقٌ بين الخاطب والمخطوب ، والطالب والمطلوب ، وبين المحب والمحبوب .

ومثل ذلك : ما يحكىٰ عن الشيخ منصور بن يوسف البديري[1] ، قال : إني ما ٱجتمعت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . . إلا ويكثر ذكر أحمد بن عمر بن سميط [وفاته سنة ١٢٥٨ بشبام حضرموت] .

ثم كنت أسأل عنه ، فقيل لي : إنه في حضرموت . فقلت : ما عمله ؟ فقالوا : إنه كان عمله نشر الدعوة المحمدية ، وتعليم الجاهل ، وهٰذه ـ أي : الدعوة المحمدية ـ هي أعظم قربة يتقرب بها العبد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومثل ذلك : ما وقع لشيخنا من المتأخرين الحبيب علي بن محمد الحبشي[2] ؛ فإنه قال : إني لما سمعت بعض مزايا من كان من المتقدمين علىٰ هٰذا الحال . . خرجتُ بوجهة قوية ، ونية عظيمة علىٰ أن يقبلني النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما فِيَّ ، ولما وقفتُ تجاه الشباك المبارك . . تشخص لي عمود من نور ، ظهرت فيه صورته صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لي :

---

(١) المذكور من أهل المدينة المنورة من كبار الأولياء الصالحين كثير الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) ١٢٥٩/ ١٣٣٣ بسيئون .

Scanned with CamScanner

أما ترضىٰ يا علي أن تكون أعمالك وأعمال أصحابك مقبولة عند الله تعالىٰ ؟ فقلت : بلىٰ يا رسول الله . وتأخرت من هيبته صلى الله عليه وآله وسلم .

هٰكذا كان مقياس القرب من الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، وهٰكذا كان تفاوت المحبوبين عنده ، والمحبين له صلى الله عليه وآله وسلم .

ونحن جينا إلىٰ هٰذه الحضرة الشريفة بعد أمدٍ بعيد ، وأمل من الله سبحانه وتعالىٰ أن يوصلنا إليها ، ثم إذا وصلنا إليها ، ووقفنا تجاهها نرجو من الله سبحانه وتعالىٰ أن يحنن روحه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم علينا ، وأن يشفعه فينا وفي قضاء حاجاتنا ، وفي رد المَيل الذي حصل علينا ، ويردنا إلىٰ طريقة أهلنا ؛ فإنه حصل منا تأخير في الأعمال كثير ، وحصل منا نقص في الحركات كثير ، وحصل منا إهمال في تربية أبنائنا وحفظ نسائنا كثير ، ونرجو منه سبحانه وتعالىٰ بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم أن يعود نصاب الأشياء إلىٰ حالها ؛ فإن العلويين من آبائنا في حضرموت وفي غيرها كانوا علىٰ سَنَنٍ ـ أي طريق ـ المتابعة له صلى الله عليه وآله وسلم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتىٰ قال الإمام الحداد في وصفهم :

ومشوا علىٰ قصد السبيل إلى العلا ... قدماً على قدمٍ بجدٍ أوزعِ

كان الواحد منهم لا يتأخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا في

Scanned with CamScanner

إقدامه ، ولا في إحجامه ، ولا في عاداته ، ولا في عباداته ، حتىٰ بلغوا غاية من القرب منه صلى الله عليه وآله وسلم أن صار الواحد منهم يجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم أنَّىٰ شاء ؟ وكيف شاء ؟ وفي أي وقت شاء ؟ وكان يأخذ الحديث منه صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ، ويسمع صوته صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يغيب عن مجالسهم أياً كانت ؛ ولا يغيب عن محاضرهم أياً كانت ؛ ولذلك كانت تعلوها الطمأنينة ، وتعلوها السكينة ، ويعلوها الخشوع ، ويعلوها السكون ، وهٰذا مما نرجو من المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أن يَمُنَّ به علينا ، ويردنا إلىٰ ما كان عليه آباؤنا الميامين الذين تأخرنا عنهم شوطاً بعيداً ، والله الموفق والعنو .

٢٧ الحجة ١٣٨٤ هـ المدينة المنورة

قال هٰذه الكلمة بطلب من طه بن حسن في داره بالمدينة المنورة وسجلت في شريط للحفظ وذكرى زيارته المدينة ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٤ . قرأتها علىٰ سيدي حفظه الله مرات كثيرة ومنها يوم السبت ٦/ ٨/ ١٤٢٣ هـ

* * *

Scanned with CamScanner

وهٰذه كلمة الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف حفظه الله في تريم في محضرة الحبايب آل عبد الله بن شيخ العيدروس يوم ١٠ ربيع الثاني ١٤١٢هـ

في الضيافة التي أقامها الأخ الفاضل محمد مستور بن عبد الله بن شيخ بن عيدروس العيدروس ، وحضرها عدد من العلماء والمناصب والأعيان من تريم وعينات وسيؤون وغيرها ، وقد ألقىٰ طٰه بن حسن السقاف قصيدة بمناسبة زيارات الحبيب عبد القادر في حضرموت وأولها :

طاب الزمان وقد عادت ليالينا في حضرموت لقد نلنا أمانينا

وقد تكلم سيدي حفظه الله بهٰذه الكلمة القيمة الجامعة قال فيها :

هٰذه المجالس هي خير المجالس التي لا يوجد لها مثيل ، طفنا في الشام ، وطفنا في مصر ، وطفنا في الحرمين الشريفين علىٰ فضلها عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعند العلماء ، وطفنا في عوالم كثيرة جم ، كما مجالس أهلنا ما وجدنا ، كما عاداتهم ما وجدنا ، وكما طريقتهم ما وجدنا .

لما وصلت الحرمين الشريفين في الحجة الأولى [عام ١٣٧٣ هـ] . كتبت للحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب ، وقلت له : أنا طفنا في الحرم ، وزرنا علماء مكة وأولياءَها ، وزرنا علماء المدينة عليها وعلىٰ رسولها التحية ، وزرنا أولياءها ،

كما كم ما وجدنا ، وكما مجالس تريم ما وجدنا ، وكما مجالس سيؤون ما وجدنا ، وكما شيوخنا ما وجدنا ، وكما رجالنا ما وجدنا ، نعمة عظيمة سِيقَتْ لهٰذا الوادي المبارك ببركة البضعة النبوية العلوية ، مشوا فيها على القدم المحمدي ، وكان كثير التردد إليهم أكثر من غيرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم روحه طوَّافة في هٰذه المساجد ، وفي هٰذا البلد ، وفي هٰذه الدور . كان الشيخ عبد الرحمٰن الخطيب في كتابه « التراجم » للعلويين « الجوهر الشفاف في مناقب الأشراف » .

قال : إن الشيخ عمر المحضار سافر إلى الحرمين الشريفين وهو شاب ، لم يطرَّ شاربه ، وكان في مكة المُكرمة الظاهر من علمائها والبارز فيها الشيخ طاهر التكريتي من علمائها وأوليائها ، كان الناس يهرعون إليه للزيارة ، فكان فيمن هرع إليه الشيخ عمر المحضار ، وهو شاب لم يطر شاربه ، قال : فلمحه الشيخ التكريتي ، فأخذته الأنوار ، وٱبتهج به ، وأخذ يطالع في المحضار من علىٰ بُعد حتىٰ غلبه الصبر ، وٱستدعاه ، وقال له : مَن أنت ؟ فقال له : أنا والدي عبد الرحمٰن بن محمد السقاف . قال له : أين والدك ؟ قال له : في تريم . فنظر إلى التلاميذ وأهل المجلس ، وقال لهم : ٱشهدوا أن والد هٰذا إذا حضر مع الأولياء كلهم يكون كالأسد وهم كالضأن .

والشيخ عمر المحضار في ذلك الوقت في أول شبابه لٰكنه جمع الله له الأنوار من كل مكان ، أنوار العبادة ، والطهارة ،

Scanned with CamScanner

والنسبة المباركة إلىٰ عبد الرحمـٰن بن محمد السقاف عظيم الشأن .

وهـٰكذا الرجال العلويون الشيخ أبو بكر بن سالم لما ٱنتقل من تريم إلىٰ عينات . . بقي يتردد إلىٰ تريم ، ويجيء إلىٰ مجلس الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس ، ويجلس في ناحية من نواحي المجلس ، ويقوم الحبيب عبد الله بن شيخ إليه ، ويكلف عليه ويأخذه إلى الصدر ، ويجلسه في صدر المجلس ، فإذا أراد أن يقوم . . يطلب من الشيخ أبي بكر أن يرتب (الفاتحة) كما هي عادة هـٰذه البلاد المباركة ، يقول له الشيخ : أبو بكر لا . . جيت قاصد لعبد الله بن شيخ ، ويمتنع الشيخ أبو بكر من ترتيب (الفاتحة) حتى يرتبها الحبيب عبد الله بن شيخ ، ويختم المجلس .

وكانت كما ذكرنا مجالس عليها النور ، وشيوخ ما عرفنا مثلهم ، خاتمتهم الحبيب الذي عرفتوه : حبيبنا علوي بن عبد الله بن شهاب ؛ إمام جمع الله له القلوب كلها ، كأنما هي تحت يده ، يتصرف فيها وفي أهلها بما شاء وكيف شاء ، والشيوخ الذين أدركناهم . كنت في تريم ، وجيت لزيارة الحبيب عبد الله بن شيخ الأخير الذي عرفتوه ، ولما جيت . . وجدته جالس في المسجد ، ولا عنده سراج ، لما سلمت عليه . . قال لي من أنت ؟ قلت له : أنا عبد القادر بن أحمد ، ولدكم . فقال : والله العظيم إن والدك أحمد بن عبد الرحمـٰن مَرَّ عليَّ هـٰذه الساعة

Scanned with CamScanner

في المسجد . شفوا القلوب النويرة النظيفة التي تشاهد ، والبلاد هٰذه بالخصوص ملآنة ، ما من شارع من شوارعها إلا وهو مطوق بالنور ، وما من مسجد إلا وعليه آثار من الخير والبركة :

وفي دارِ الحديثِ لَطيفُ معنى إلىٰ بُسُطٍ لها أصبو وآوي
لَعَلِّي أن أمسَّ بِحُرِّ وجهي مكاناً مسَّه قدم النواوي

وصاحب « المشرع » أتىٰ بهٰذه البيتين عن شيخ بن عبد الله وقال فيها :

وفي مسجدْ بني علوي سِرٌّ . . . .
لعلي أن أمسَّ بحُرِّ وجهي مكاناً مسه قدم الفقيه

والفقيه مَنْ هو ؟ هو سيد الطائفة ، الإمام الحداد حصر الولاية فيه ، وقال : الأولياء كلهم من بعده .

وقال في قصيدته التي يمتدح بها الفقيه :

وشيخ أهل طريق الله قاطبة بلا دفاعٍ ولا طعنٍ لِطَعَّانِ

كلهم الأولياء يأتون من بعد الفقيه ؛ شيخنا ، وشيخ الطائفة العلوية ، وشيخ الطائفة الحضرمية ، وشيخ الطوائف في العالم كله .

كان رضي الله عنه جاءته الخرقة المباركة بواسطة الشيخ عبد الرحمٰن المقعد بواسطة الشيخ عبد الله الصالح أرسلها الشيخ شعيب أبو مدين ، وهي طريقة الفقراء ، وهي أعظم الطرائق على الإطلاق ، وأوسعها مدرك ، وأوسعها مدىً ،

Scanned with CamScanner

وأكبرها همة ، تعلق بها العلويون وهم متصلون بالنور المحمدي ؛ بالنور النبوي ، فأشار إليهم بهٰذه الخرقة المباركة ، فسلكوا فيها ، وكان لهم شأن ، وكان لهم مظهر ، وكان ما يظهر واحد منهم إلا ويكون له الشرف على العالم كله .

جاء الشيخ أحمد المساوى وكان له مظهر ، وقبله والده الشيخ أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس وكان له مظهر كبير ؛ عزم على السفر للزيارة والحج ، وٱستأذن من أمه وأذنت له ، وطلع ، لما أراد أن يدخل مكة . . وجد واحداً آخذ الرعاية فيها ، جلس تحت مكة ، وأقام ، وخيَّم .

جاء الشيخ عبد الله بن أحمد باكثير ـ تلميذ والده العيدروس ـ والشيخ عبد الله خُصَّ بخصوصية من العيدروس ، العيدروس قال : من كتب « الإحياء » . . أضمن له على الله بالجنة ، من كتب « الإحياء » وجَلَّده . أضمن له على الله بالجنة ضمانة ما فيها شك ، كتبه الشيخ عبد الله بن أحمد باكثير ، وجلَّده ، وجعله في خرائط ، وجاء إلىٰ عند العيدروس قال له : لك زائد على الضمانة آه بغيت . قال له : بغيتك توَرِّيني الجنة . قال له : إذا باتشوف الجنة لا تبيت في تريم ، ولا تجلس في تريم باوَرِّيك إياها ، ولٰكنك ٱرحل من تريم ، ووَرَّاه العيدروس الجنة ، وبعد ما شافها رحل من تريم ، وسافر إلىٰ مكة ، وكانت مكة محط الأولياء يترددون إليها من شرق البلاد ومن غربها ، وكان يخرج يزورهم ويتلقاهم مع من يتلقونهم ، ثم جلس في الدار معاد

Scanned with CamScanner

يخرج . قالوا له : لآه ما تخرج ؟ مكة مجمع العلماء والأولياء والصوفية والرجال الأراكين؟ قال لهم : ملانا العيدروس ، معادنا محتاج من ولي ، ولا محتاج من صالح ، سِرِّي معي ، والسر من العيدروس الأكبر .

رجعنا إلىٰ ذكر العدني لما أقام خارج مكة . . راح شريف مكة السلطان أبو نمي إلى الشيخ عبد الله باكثير ، وقال له : هٰذا ولد شيخك ، ٱخرج إليه وقل له : مكة مفتوحة للعالم كله ، ما يقدرون يعارضونك بالطبول ، ٱدخل إلىٰ مكة بتجلتك وٱحترامك .

خرج إليه الشيخ باكثير وقال له : حبيب جيت أنا من عند والي مكة الشريف أبو البركات أبو نمي . قال له : آه ، قال لك؟ قال : قال : تفضل ٱدخل مكة ، مكة مفتوحة إن كنت تنتظر الطبول . . فمكة كل يوم في صبيحة كل يوم ومساه كذا كذا ولي وكذا كذا عالم يدخلون ما نقدر نضرب الطبول لأحد . قال له : أنا ما بغيت طبول ، ولا بغيت شيء . قال له : إلا آه بغيت؟ قال له : صاحبها نائم ، نائم تحت المحناطة ، رح يا باكثير كلمه خله يخرج ، أنا ما أدخل مكة تحت راعي غير أهلي . قال له : فين هو ؟ قال له : تحت المحناطة ، في المكان الفلاني .

طلع الشيخ عبد الله ، ولما أقبل على الشيخ . . إذا هو واحد معه ثوب ساتر عورته ، ومعه شملة مضطجع عليها ويجلس عليها ، ولما أقبل باكثير . . قام ، وقال : أنا ما أقعد في بلاد يقول فيها أبوي وجدي : خل البلاد له .

رجع باكثير والشيخ هٰذا قام من محله ، رجع باكثير إلىٰ عند العدني ، وقال له ، قبل أن يكلمه : شرد ولد المنظفة . قال له : شرد ولد المنظفة . . العدني إمام ما تسمو همته يدخل تحت رعاية حد غير رجاله وغير أهله وكباره وأراكينه .

قال أحمد المساوى :

أنا المساوى أحمد وجدي أحمدا　　أنـا المسـاوى أبـن الـرسـول
أسْمَعْ منادي الحق في وقت الندا　　ومـا أشتهـى القـائـل يقـول

دخل العدني إلىٰ مكة وكان له شأن فيها ، ورجع إلىٰ حضرموت ، وأقام بها مدة ، ثم عزم على الرحيل مرة أخرىٰ ، وجاء يستأذن من والدته ، مَنْ هي والدته ؟ والدته عائشة بنت الشيخ عمر المحضار ، ضحكت في وجهه لما قال لها : بغيت الحج . قال لها : لماذا ضحكت ؟ قالت : لأنني أرىٰ أنك لا تلقاني بعد هٰذا اليوم ـ بيدهم لوح المحو والإثبات يطالعون ما أراد الله لهم ـ قال لها : لاه؟ قالت : ما أراك تلقاني بعد اليوم .

وسافر إلى الحج ، ورجع ودخل عدن ، وأقام بعدن ، فرحوا به أهلها وآستقطبوه أهلها ، وقالوا له : ما بغيناك تخرج من عندنا وكان يأبىٰ عليهم ؛ لأن تريم ما بها عِوض ولا بها بديل ، وبقوا يراجعونه وهو يأبىٰ حتىٰ مات صاحب الحمرا عمر بن عبد الرحمٰن السقاف ، قالوا له : الناس بايعزونك في تلميذ والذك ، جلس للتعزية ، وبعدها توفيت أمه ، وجلس في عدن ، وأقام في عدن ، وظهرت الولايات ، وبنوا له البنايات ، وظهرت

أنواره ، وأسراره ، وأخباره ، والفتوحات الغيبية ، وأخذ يتكلم عن عالم الغيب ؛ شيء في شعر وشيء في كلام ، وكان من أمره أن الشريف أبو نمي والي مكة عزم علىٰ عدن وعلى اليمن باياخذها ، وأرسل للملك ، والملك هٰذا هو الذي بنىٰ مسجد الجامع بتريم ، ٱسمه عامر بن عبد الوهاب .

كان العدني إذا غضب عليه يقول :

يا سادتي وأهلي كونوا علىٰ عامر .

يقول عامر : ما أقدر ، ما لي طاقة . رجع العدني يقول له : آه بغيت يا عامر؟ يقول : أبغي رضاك . يقول :

يا سادتي وأهلي كونوا مع عامر

وجلس في عدن ، وأقام بها ، وشيَّد ، وكان له المظهر الكبير ، مشهورة أخباره وأعلامه وكراماته .

رجالكم العلويون كلهم هٰكذا ؛ جاء الشيخ صاحب الشبيكة عبد الله بن محمد ، جاء للحج وأقام في مكة ، وكان فيها الشيخ أحمد بن حجر ، جاء إلىٰ عنده الشيخ ٱبن حجر ، ففرح به السيد ، وأخذ بخاطره ، وقال له : بغيناك تحضر الروحة الليلة عندنا والسمر . فقال له ٱبن حجر : سمعاً وطاعة . فقال لهم السيد : هاتوا العود وٱضربوا عليه عند الشيخ ـ والشيخ ٱبن حجر يحرم العود والسماع ، وله كتاب سماه : « كف الرعاع عن محرمات السماع » ـ فحضر الشيخ ٱبن حجر ومعه تلميذه الشيخ

Scanned with CamScanner

عبد العزيز الزمزمي ، فكان الزمزمي يستحث الشيخ أحمد ويؤشر إليه بعينه ، والشيخ موطّي رأسه ، وضربوا العود ، وأنشأ قصيدة ، وأتوا بالقصيدة .

ثم قال السيد للشيخ ابن حجر : عسىٰ عجبك سمرنا ؟ ثم قال عبد العزيز الزمزمي للشيخ ابن حجر بعد ما خرج : يا شيخ ما عرفت تقول له : العود ما يصلح ، شف العود ما ينبغي؟ قال له ابن حجر لما ضربوا العود . . شفت الكائنات تدور بدورانه .

هٰكذا العلويون ، وهٰكذا السر ، وأهل السر ، وهٰكذا المظاهر والمراتب العلية وأهلها .

وكما ذكرنا أقام العدني بعدن ، وقدر الله أن يكون لعدن مقام عظيم وشأن كبير بواسطة أبي بكر بن عبد الله العيدروس عظيم الشأن ، وأخبار العيدروس تسمعونها كلكم ، وتريم كلها معاد تحتاج ، عالة عليها العالم كله ، والحرمين الشريفين منورة بشرفها ، وفضلها معروف ، ولٰكن حق العلويين شيء ثاني ما له حكم ولا له تبعية لشيء ثاني قط أبداً ، تبعيته جاءت من فوق ، الرسالة جاءت بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

كان الحبيب أحمد بن حسن العطاس يخبر عن شيخه السيد أحمد زيني دحلان ، قال : كان يسألنا عن العلويين ، ويستخبرنا عنهم ، وعن الطريقة ، فينثر له من أخبارهم وعلومهم وأعمالهم ومساجدهم .

قال : وكان ذات ليلة من الليالي تأخر علينا في المقام ؛ لأنه يصلي صلاة الفجر إمام في مقام الشافعي ، قال الحبيب أحمد بن حسن : وإلىٰ جنبي واحد من آل شطا ، قلت له : إن الشيخ أحمد ما بايخرج لصلاة الفجر اليوم ، قال : لآه ، ما بايخرج؟ قلت له : أرىٰ فيه ثقلة قوية جاءته من شرق من تريم من حضرموت ، وهو متعلق بالعلويين ، فتأخر الوقت ، وجاء واحد من تلاميذه ، وقال لهم : الشيخ يقول : صلوا ، ما بايخرج .

ولما ما خرج يصلي ، بعد الإشراق وبعد دروسهم . ساروا إلىٰ عنده ؛ قال له الحبيب أحمد بن حسن : كيف حالك يا شيخ أحمد ؟ كيف أصبحت ؟ شفت شيء وصل إليك من شرق من حضرموت ؟ قال له : جاءتنا ثقلة كبيرة ما قدرت أحملها .

وكتب رسالة ، موجودة الرسالة عندنا في فضل حضرموت ، وفضل تريم ، ورعاية تريم .

* * *

ومن دعواته الجامعة في الليالي الشريفة المباركة ، في أواخر شهر رمضان المبارك ، وذلك بالحرم النبوي الشريف في قراءة « البخاري » ، الذي يتولىٰ ترتيبها السيد محمد بن صالح المحضار بالمدينة المنورة

اللهم ؛ صل وسلم علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آل سيدنا محمد ؛ مفتاح باب رحمة الله ، عدد ما في علم الله ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله .

اللهم ؛ ٱفتح لنا به أبواب رضاك ، وٱفتح لنا به أبواب عطاك ، وٱفتح لنا به أبواب القرب منك ، وأبواب القرب منه ، وأبواب الشفاعة ، وأبواب الدخول في الرضا .

اللهم ؛ إنا قد حضرنا إلىٰ ساحته ، وإلىٰ مسجده المبارك وروضته ، وهـٰذه كلها وفود الإسلام طائعة جاءت إليه - صلوات الله وسلامه عليه - وإليك اللهم ؛ فٱغفر لنا سوالف الإجرام ، وٱمح عنا الأوزار ، وٱختم لنا هـٰذا الشهر بخير فإنا لا ندري بماذا يختم .

اللهم ؛ إنه قد مضىٰ علينا أكثره ، ولم يبق علينا إلا آخره .

اللهم ؛ أعده علينا بالخير ، وأعده علينا بالبركة ، وأظهر علينا أنواره ، وأظهر علينا أسراره ، وأظهر علينا بركة الصيام ، وأظهر علينا بركة القرآن ، وأظهر علينا بركة هـٰذه الروضة

المباركة ، وأظهر علينا بركة هٰذا الجوار الشريف ، فإنا قاعدون أمامه ، جالسون عنده صلى الله عليه وآله وسلم ؛ نتشفع به إليك ، ونأتي بواسطته إن شاء الله إلىٰ بابك .

اللهم ؛ آغفر لنا بواسطته ، وآرحمنا بواسطته ، وأذقنا برد عفوك بواسطته ، ولا تحوجنا إلى الخلق بواسطته .

اللهم ؛ وآجعلنا ممن أقام هٰذا الدين ، وممن عمره ، وممن دعا إليه ، وممن قام بخدمة نبيك ، وممن قام بدعوته ، وممن قام بسنته ، وممن قام بقراءة كتابك .

اللهم ؛ إنا في ساحة مباركة ، وفي روضة مباركة ، لا يخفىٰ عليك أمرنا ، جينا إليك قاصدين أن تغفر لنا أوزارنا ، وأن تكرمنا في هٰذه الساعة الشريفة بقضاء حاجاتنا ، وأن ترحم ضعيفاً دعاك .

اللهم ؛ آرحم ضعيفاً دعاك .

اللهم ؛ أنت ربه لا رب له سواك ، ولا ملجأ إلا إياك ، قَصَدك وأنت حسبه ، فلا ترده خائباً .

اللهم ؛ أكرمنا ؛ فإنه بلغنا عن نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنك قلت : « كل عمل آبن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » . اللهم ؛ إنا صمنا طائعين ، علىٰ تقصيرنا ، وعلىٰ غفلتنا ، وعلىٰ نومنا ، وعلىٰ ضعفنا ، ولٰكنك أنت أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ تقبل هٰذا الصيام ، وجازنا فيه بصلاح قلوبنا ، وجازنا فيه بصلاح أولادنا ، وجازنا فيه بصلاح أهلينا ، وجازنا فيه بصلاح بلاد الإسلام أجمع وصلاح المسلمين .

اللهم ؛ لا تخرجنا من هٰذا المسجد ، ولا من هٰذه الساحة ، ولا من هٰذه الروضة ، ولا من هٰذا المكان الطاهر الذي تردد فيه جبريل ، وحفت فيه ملائكة الرحمة ، وتردد فيه أنبياؤك وعبادك ورسلك . . نسألك أن لا تخرجنا إلا وقد غفرت ، إلا وقد سترت ، إلا وقد جبرت ، إلا وقد أكرمت ، إلا وقد رضيت ، إلا وقد رحمت ، إلا وقد تجاوزت ، إلا وقد أسبلت ، إلا وقد نظرت إلىٰ ضعفنا وإلىٰ بشريتنا هٰذه الضعيفة ، فصححت قوانا ، وأدركتنا بسواعد الإيمان ، وأدخلتنا دائرة الإحسان .

اللهم ؛ اجعلنا من أهل الإحسان .

اللهم ؛ اكتبنا في دائرة الإحسان ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

اللهم ؛ وآباؤنا وأمهاتنا وجيرانهم في قبورهم مرتهنون بأعمالهم لا يبرحون ، ولا يظعنون ، ولا يسافرون ، مقيمون في قبورهم ، أدخل اللهم عليهم فيها روحاً وريحاناً ، وبُلَّ ثراهم بواسع الرحمة ؛ فإن الرحمة إذا عمت وشملت . . غفرت للقريب مع البعيد ، أدخلنا في تلك الرحمة ، فإنك قلت : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ .

Scanned with CamScanner

ها نحن ندعوك ، ها نحن نسألك ، ها نحن رافعون أكف الضراعة إليك ، ها نحن مبتهلون إليك ، ها نحن عاجزون عن دفع الضر عن أنفسنا ، ها نحن لا نملك من أمرنا شيئاً .

أنت ربنا ، أنت خالقنا ، أنت سيدنا ، أنت مولانا ، أنت باعثنا ، أنت نصيرنا ومن إليه مصيرنا ، وهٰذا رسولك يسمع كلامنا ، ولا يخفىٰ عليه مجلسنا .

اللهم ؛ شفعه فينا ، اللهم ؛ أكرمنا بالشفاعة ؛ اللهم أكرمنا بالشفاعة ؛ اللهم أكرمنا بالشفاعة ، وكما أوصلتنا إلىٰ روضته . . فأدخلنا في رياض الجنة معه ، وٱجعلنا ممن جلس مجلسه ، وممن قعد مقعده ، وممن سمع كلامه .

اللهم ؛ وٱحفظنا من الزمان وفتنه ومن بلائه ، وأطفىء نيران الفتن في جميع أقطار الإسلام ، وأهلك الكفرة اللئام ، وٱجعل كيدهم في نحورهم ، وبأسهم بينهم ، وٱصرفهم عنا وٱصرفنا عنهم .

اللهم ؛ ومن أراد بالإسلام سوءاً . . فرد سوءه في نحره ، وكيده عائداً عليه .

اللهم ؛ ٱرحم هٰذه الأمة ، اللهم ؛ ٱكشف هٰذه الغمة .

اللهم ؛ ٱجعل الدائرة إن شاء الله دائرة رحمة ، لا نخلوا منها ، ولا نخرج منها .

ها نحن نرفع أيدينا إليك ونحن صيام ، ونحن نقرأ حديث

رسولك ، ونقرأ كتابك ، وندعوك ، وأنت تعرف وتنظر إلينا ونحن في مجلسنا هٰذا ، وإن كنا مقصرين ، وإن كنا مذنبين ، وإن كنا مخطئين . . فأنت رب المذنبين ، إلىٰ من يلجأ أهل الذنوب يا مولاي ؟! إلىٰ من يلجأ أهل التقصير يا رب ؟! إلى من يلجأ أهل الغفلة يا رب ؟!

أَلَهُم ربٌّ غيرك ؟ لا . أَلَهُم مولىً سواك ؟! لا . أَلَهُم مرجع سواك ؟! لا .

اللهم ؛ اكشف عنا ضرنا (٣) .

اللهم ؛ إنا نسألك في هذا المجلس المبارك ، في هٰذا المسجد الشريف المبارك إلا ما شفيت مرضانا ومرضى المسلمين ، وأعطيتنا سؤلنا ، وقضيت حوائجنا ، وأكرمتنا بالرضا .

اللهم ؛ ارض عنا (٣) ، وعن والدينا .

اللهم ؛ اجعلها ليلة مباركة ، أعتقنا فيها من النار ، وأعتق دوائر أهل الإسلام علىٰ ما فيهم ، وأهل التقصير علىٰ ما فيهم ، وهب مسيئهم لمحسنهم ، ومقصرهم لكاملهم .

لا تعاملنا بذنوبنا ، لا تنظر إلينا بما نحن فيه .

اللهم ؛ أنت أهل العفو ، وأنت أهل المغفرة ، وأنت أهل الجميل ، وأنت أهل الإحسان ، وأنت أهل الرحمة . . فعامل عبادك برحمتك .

اللهم ؛ لا تعاملنا إلا بما أنت أهله ظاهراً وباطناً ، ارحم

ضعف الضعيف ، وشكاية الشاكي ، وعجز العاجز ، وغفلة الغافل ، وتقصير المقصر ، ومعصية العاصي ، وردنا إلىٰ نبيك وإلى السيرة الكاملة المثلىٰ .

اللهم ؛ ردنا إليك مرداً جميلاً ، وأحسن المنقلب ، واجعلها ساعة قبول لا نخرج منها إلا إلىٰ توبة ورعاية ، واجعل لنا نوراً من أمامنا ، ونوراً من خلفنا ، ونوراً عن أيماننا ، ونوراً عن شمائلنا ؛ نتقي به من ظلمات الجهل والغفلة والعصيان ، يا أرحم الراحمين(٣) .

* * *

Scanned with CamScanner

ومن دعواته الجامعة في الحرم النبوي الشريف قريباً من الروضة في مجلس قراءة « البخاري » عند المحضار

اللهم ؛ إن هٰؤلاء جاؤوا إليك خائفين من ذنوبهم ، وجلين من أعمالهم ، وجلين من تقصيرهم ، جاؤوا إليك ففتحت لهم مسجد نبيك وروضته ﷺ .

اللهم ؛ أقبلنا علىٰ ما فينا .

اللهم ؛ لا تردنا ونحن ندعوك .

اللهم ؛ إنا نتشفع إليك بأعظم شفيع عندك ، وأكرم مشرف لديك . . أكرمنا اللهم في هٰذه الساعة بنزول السكينة ، وأكرمنا بالرحمة ، وأكرمنا بصلاح القلوب ، وأكرمنا بقبول رمضان ، وأكرمنا بالعتق من النيران ، وأكرمنا بما تُكرِم به من أحببت وتوليت من عبادك الصالحين ، وحزبك المفلحين .

اللهم ؛ لا تردنا ونحن رافعين أكفنا إليك ، ولا تحرمنا النظر إلىٰ وجهك ، ولا إلىٰ وجه نبيك .

اللهم ؛ إنا في داره جينا زائرين ، وفي سعة رحمتك راجين ، وقد تكرمت علينا ويسرت لنا الوصول إلىٰ هٰذه الدار ، إلىٰ هٰذه الروضة التي هي من الجنة .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ كما أوصلتنا إليها . . فأوصلنا إلىٰ أبواب الجنة ، وأدخلنا آمنين ، وٱجعلنا مع رسولك نسير تحت اللواء الأكبر مطمئنين ، لا نخاف هولْ ، ولا نخاف عطشْ ، ولا نخاف نارْ ، ولا نخاف شيءْ .

اللهم ؛ وٱعقد علينا في هٰذه الليلة الشريفة بعَقْد الإيمان الكامل ، والصدق الكامل ، والرعاية التامة ، والولاية الخالصة .

اللهم ؛ إنا نسألك وأنت أعظم مسؤول لا ترد من دعاك .

اللهم ؛ جينا إليك علىٰ تقصيرنا ، وعلىٰ غفلتنا ، وعلىٰ ضياع قلوبنا ، راجين منك أن ترد علىٰ قلوبنا ما فقدت ، وعلىٰ أبصارنا ما فقدت ، وعلىٰ أسماعنا ما فقدت ، وترد علينا ما فقدنا ، مما كان مع شيوخ كانوا أبراراً ، سائرين على الطريق آناء الليل وأطراف النهار ، قائمين لك مصلين .

اللهم ، ٱستجب لنا بواسطتهم ، وٱرحمنا ببركتهم ، ولا تخيبنا .

اللهم ؛ وهٰذه الليلة من أعظم الليالي ، ليالي العتق من النيران ؛ ٱكتبنا من المعتوقين ، ولا تردنا إلى الوراء ، وأقبل علىٰ مقبلنا بما أقبل ، وعلىٰ مدبرنا بواسع الرحمة ، ورحمتك سبقت الغضب ، ورحمتك وسعت كل شيء ، وقد قلت لنا في كتابك العزيز : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ آجعلنا ممن كتبت لهم الرحمة ، وأيدتهم بالحكمة ، وممن جعلت قلوبهم مصابيح الظلمة .

آهدنا إلى سواء الطريق ، وآرحمنا في ضعفنا ، وآرحمنا في غفلتنا ، وآرحمنا في عجزنا .

إلىٰ من نسأل إذا لم تتكرم بالإجابة ؟! إلىٰ من نرجع إذا لم تعطنا الآمال ؟! إلىٰ من نمد اليد إن لم تقبلنا ؟! إلىٰ من نرفع الصوت إن لم تسمعنا ؟!

اللهم ؛ إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا .

اللهم ؛ لا تردنا ونحن ندعوك ، ولا تخيبنا ونحن نؤمل .

اللهم ؛ وهٰذا المسجد المبارك المعظم مسجد نبيك وروضته التي هي من الجنة ، كما أوصلتنا إليها . . أوصلنا إلى الجنة بدون تعب وبدون أذى .

اللهم ؛ آرحمنا في ضعفنا ، وآرحمنا في عجزنا .

اللهم ؛ تداركنا برحمتك ، ربنا إننا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا . . لنكونن من الخاسرين .

اللهم ؛ إنا نتشفع إليك بسيد الشفعاء وأكرمهم ؛ يا حبيبنا يا رسول الله ، يا سيد المرسلين ، يا خاتم النبيين ، يا حامل اللواء علىٰ جميع الأمم كلها . . نسألك اللهم بجاهه إلا ما شفعته فينا .

نسألك اللهم بجاهه إلا ما قبلت صيامنا وقبلت قليل قيامنا .

Scanned with CamScanner

نسألك اللهم بجاهه إلا ما كتبتنا من أهل القرآن .

نسألك اللهم بجاهه إلا ما فتحت علينا في القرآن .

نسألك اللهم بجاهه إلا ما نورت قلوبنا بأنوار القرآن .

نسألك اللهم بجاهه إلا ما أوصلتنا إلىٰ ما أوصلت إليه الكُمَّل من هـٰذه الأمة بدون تعب وبمحض مِنَّة ظاهراً وباطناً .

اللهم ؛ ٱرحمنا في جهلنا فإنا جهلنا ، وٱرحمنا في عجزنا فإنا عجزنا ، وٱرحمنا حينما ٱستولت علينا نفوسنا فقد ضعنا ، وٱرحمنا حينما كنا نميل إلى الفانيات وقد عجزنا ولم نقدر على الرجوع إلا برحمتك ، ورحمتك سبقت غضبك ، اللهم ٱرحمنا .

اللهم ؛ إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار(٣) .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

زيارة أخرىٰ للحبيب حفظه الله

وقد كتبت هٰذه الصيغة من شريط تسجيل وتاريخها ١٨/٤/١٤٠٦ وقد سجلتها كاملة وكان الشريط واضحاً كما أنه توجد تسجيلات أخرىٰ وبعضها قديم

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا نبي الله .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا محمد .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا أحمد .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا أبا القاسم .

الصلاة والسلام عليك يا أبا الزهراء .

الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

الصلاة والسلام عليك يا سيد الأنبياء والمرسلين .

الصلاة والسلام عليك يا صفوة الله .

الصلاة والسلام عليك يا روح الله .

Scanned with CamScanner

الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

الصلاة والسلام عليك يا طٰه .

الصلاة والسلام عليك يا ياسين .

الصلاة والسلام عليك يا بشير .

الصلاة والسلام عليك يا نذير .

الصلاة والسلام عليك يا ماحي .

الصلاة والسلام عليك يا مُزَّمل .

الصلاة والسلام عليك يا مُدَّثر .

الصلاة والسلام عليك يا سلطان الأنبياء والمرسلين .

الصلاة والسلام [عليك] يا رحمة الله .

الصلاة والسلام [عليك] يا صفوة خلق الله .

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا هادي .

الصلاة والسلام عليك يا من أرسلك الله رحمة للعالمين .

الصلاة والسلام عليك يا من أرسلك الله بالهدىٰ .

الصلاة والسلام عليك وعلىٰ مَنْ قَبْلَك من الأنبياء والمرسلين .

الصلاة والسلام عليك وعلىٰ آل بيتك الطيبين الطاهرين .

الصلاة والسلام عليك وعلىٰ أصحابك أجمعين .

Scanned with CamScanner

الصلاة والسلام عليك وعلىٰ أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين .

اللهم ؛ إنك قلت في كتابك الكريم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ .

اللهم ؛ إنا جينا إليه منكسرين أذلاء فقراء محتاجين طامعين لا نملك من أمرنا شيئاً ، وقد جينا إلىٰ رسولك ونحن نعلم ونتحقق أنه يسمع سلامنا ويسمع كلامنا ويسمع دعواتنا ويسمع ما نقول ، وقد وقفنا في ساحة أنت شرَّفْتَها ، وأنت كرمتها ، وأنت عَظَّمْتَها ، وأعطيتها ما لم تعط غيرها .

اللهم ؛ هٰذه ساحة الرحمة ، وهٰذه ساحة الإجابة ، وهٰذه ساحة البركة ، هٰذه ساحتك ، هٰذه ساحة رسولك ، حاشاك أن تردنا ، حاشاك أن تخيبنا ، حاشاك أن لا تعطينا آمالنا ، حاشاك أن لا تكرمنا بالقبول في هٰذه الساحة .

اللهم ؛ إن لنا طمعاً فيك أن تُسْمِعَ رسولكَ سلامنا ونسمعَ ردَّه .

اللهم ؛ إن لنا أملاً فيك أن لا تردنا خائبين ، كيف ونحن نستشفع بسيد المرسلين الذي أعطيته مقاليد الشفاعة ، ومقاليد الحكم ، ومقاليد الأمر ؟!

اللهم ؛ إنا في هٰذه الساحة ملتمسين رحمتك ، ملتمسين

Scanned with CamScanner

عطاءك ، ملتمسين كرامتك ، مستشفعين برسولك صلى الله عليه وآله وسلم ، واقفين ببابه ، وهو أعظم باب للدخول إلىٰ حضرتك ، وللوصول إلىٰ كرامتك ، وللوصول إلىٰ هٰذا الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم ؛ ضاق الخناق (٣ مرات) ، وكثرت منا الذنوب والأوزار ، وجينا لائذين إلىٰ شفيع لا ترد شفاعته ، إلىٰ ساحة رسولك ، إلىٰ باب مفتوحٍ لمن وصل إليه ، إلىٰ باب مقبولٍ من وقف عنده ، إلىٰ ساحة مُكرَّمة ، أعظم ساحة عندك ، تردد إليها جبريل ، وترددت إليها الملائكة ، وتردد إليها الأنبياء والمرسلون ، وتردد إليها الصالحون ، كلهم جاؤوا ملتمسين من هٰذا الحبيب ، ولأجل هٰذا الحبيب ، وقد جينا طالبين لعفوك ، طالبين لرحمتك ، طالبين لفضلك ، ولنا آمال ، ولنا نيات ، ولنا مقاصد ، ألجمتنا الذنوب عن أن نتكلم بها ، وأوقفتنا حيارىٰ غفلتنا ، ولٰكنا وقفنا علىٰ باب لا ترد من وقف به ، وجينا إلىٰ شفيع لا ترد من وقف به ، وجينا إلى شفيع لا ترد من ٱستشفع به ، أعطيته الرحمة وقلت لنا في وصفه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

اللهم ؛ بحقه ، وبشفقته علينا ، وبكرامته عندك .. إلا ما جعلت لنا رحمة تصل إلىٰ قلوبنا فتحيا بعد الغفلة ، وإلىٰ أرواحنا فنستمد من هٰذا الحبيب ومن قرآنه ومن حديثه ومن علمه

ومن سيرته ومن هديه ، وإِلىٰ ظاهرنا فتشع علينا الأنوار ، وإِلىٰ باطننا فنعبدك حقاً صِرفاً ونكون مع نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا ويوم القيامة وفي الجنة .

أكرمنا اللهم اليوم بالرحمة ، والشفاعة ، والقبول ، والإِقبال ، وأعط كل هٰؤلاء ما يريدون ؛ فقد وقفوا بالباب ، وإِن لم يعثروا علىٰ دعاء مقبول فٱقبلهم علىٰ ما فيهم ، وأكرمهم ، وأكرمنا ، وأَعِنْهُم ، وأَعِنَّا ، وٱرحمهم ، وٱرحمنا .

يا ألله ، يا ألله ، يا ألله ؛ جاءك عبادك العاصون ، وجاءك عبادك الغافلون ، وجاءك عبادك اللاهون ، ووقفوا بالباب ، وقد قلت لنا : إِنه بابك ، وقد جينا إِليه فاقبلنا ، وٱفتح لنا الباب .

يا فتاح ؛ ٱفتح لنا الباب(٣) ، ولا تغلقه عنا ، وٱرحمنا .

اللهم ؛ ومَن وراءنا من أزواجنا ، وأولادنا ، وبناتنا ، وأهلينا ، سوف يسألون عن الزيارة ، وعن الكرامة ، وعن مددها ، ماذا نقول لهم إِذا لم نظفر بالقبول ؟ إِذا لم تظهر علينا آثار الإِنابة ؟ إِذا لم تظهر علينا آثار الإِجابة ؟ إِذا لم تظهر علينا آثار القبول ؟ إِذا لم نستشعر القبول منك ؟

يا ألله(٣) ، يا رباه(٣) ، يا غاية رغبتاه ، ٱقبلنا علىٰ ما فينا ، ٱقبلنا علىٰ ما فينا ، ٱقبلنا علىٰ ضعفنا ، وٱحفظنا من بعد هٰذه الزيارة ، وأكرمنا بقبول الزيارة ، وٱجعل أثرها بالصدق معك ، وبالصدق مع نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالصدق مع : (لا إِلٰه إِلا الله) ، وبالصدق مع أهل : (لا إِلٰه إِلا الله) .

Scanned with CamScanner

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٣) .

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ ، اللهم ؛ اَستجب لنا (٣) .

اللهم ؛ وآباؤُنا وأمهاتنا وجيرانهم في قبورهم نسألك بتلك الرحمة أن ترحمهم واَفسح لهم في قبورهم ، ونوِّرها لهم ، ووسعها لهم ، واَجعلها محفوظة من أن يدخل فيها ما لا ينفعهم أو ما يضرهم ، أكرمنا الله بالمغفرة لهم ، ووسع لهم في قبورهم ، واَفسح لهم فيها ، وجاف الأرض عن جنوبهم ، بسر أسرار (الفاتحة) .

وبعد قراءة (الفاتحة) كرر سيدي البيت الأول ٣ مرات

إن قيـلَ زُرتُـم بِـمَ رَجَعتُـمْ يا سيد الرسل ما نقولُ (٣)

ثم قال :

قـولـوا رجعنـا بكـل خيـرٍ واَجتمـع الفـرع والأصولْ

ثم سلم علىٰ سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

السلام عليك يا سيدي أبا بكر .

السلام عليك يا خليفة رسول الله .

السلام عليك يا أول من آمن .

السلام عليك يا أول من صدَّق .

السلام عليك يا من أكرمه الله بالهجرة مع رسول الله .

السلام عليك يا من أشاد به القرآن بقوله : ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ كما أكرمته بهٰذه المراتب الكبيرة التي أعطيته إياها ومنحته إياها . . نسألك اللهم بجاهه إلا ما أكرمتنا بهٰذه المراتب ، وجعلتنا من أهل المراتب ، وجعلت رضاك علينا ، وعلىٰ أهلينا ، وعلىٰ أولادنا ، وآبائنا ، وأمهاتنا ، وأمواتنا ، وشفعته فينا ، بسر أسرار (الفاتحة) .

ثم سلم علىٰ سيدنا عمر رضي الله عنه :

السلام عليك يا أمير المؤمنين .

السلام عليك يا سيدنا عمر .

السلام عليك يا من ٱستجاب الله فيه دعوة رسوله .

السلام عليك يا صاحب رسول الله .

السلام عليك يا من زهد .

السلام عليك يا من أقام العدل .

السلام عليكِ يا من أثنىٰ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

السلام عليك يا من خصه الله بالقرب من هٰذا الحبيب .

اللهم ؛ بما خصصته من قرب ، وبما أكرمته من محبة ، وبما أعطيته من الجوار وٱلقُربَة من هٰذا الحبيب ، وبما أعطيته مِنْ علوم القرآن وما منحته من إيمان كامل وصدق ، وبما منحته من علوم القرآن . . نسألك الإيمان الكامل ، ونسألك الصدق معه ، ونسألك الصدق مع رسولك ، ونسألك الصدق مع أوليائك ،

Scanned with CamScanner

ونسألك أن تشفعه فينا ، بسر أسرار (الفاتحة) .

ثم سلم علىٰ سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

السلامُ عليكِ يا فاطمة .

السلام عليكِ وعلىٰ أمك خديجة .

السلام عليكِ وعلىٰ زوجك علي .

السلام عليكِ وعلى الحسنين .

السلام عليكِ وعلى الذرية المباركة .

السلام عليك وعلىٰ من شرفكم الله به أبوكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم ؛ وبما شرفتهم ، وبما أعطيتهم ، وبما منحتهم ، وبما أكرمتهم ، وبما ملأت به قلوبهم من الرحمة ، فقد وقفنا علىٰ باب هٰذه الأم الحنون . . نسألك رحمتك ، ونسألك فضلك ، ونسألك عطفك ، ونسألك عفوك ، ونسألك رضاك ، ونسألك شرح الصدر ، ونسألك الهداية ، ونسألك الصلاح لنا ، ولأولادنا ، ولبناتنا ، وأزواجنا ، ولأهلنا ، ولأصحابنا .

Scanned with CamScanner

حنن اللهم روحها علينا ، وعليهم ، وأجعل صلتنا بها مستمرة إلىٰ يوم الدين ، واجعلها معنا تتردد علينا في منازلنا وبيوتنا ، وأكرمنا اللهم يا رب بواسطتها ، وبواسطة أبيها ، وبواسطة أمها ، وزوجها ، وولديها ، وبما أعطيتهم ، أكرمنا اللهم بالإيمان الكامل ، وشرح الصدر ، والشفاء العاجل لأمراضنا ، وبلوغ الأمنيات ، وصلاح الأولاد والذريات ، والأحوال والحالات ، والتيسير إن شاء الله لجميع الأمور ؛ ظاهرها وباطنها ، بسر أسرار (الفاتحة) .

ثم قال : هـٰذه (الفاتحة) بعد الصلاة : أن الله يكرمنا بالمغفرة ، وأن الله يمطر علىٰ قلوبنا من أسرارهم وأنوارهم وبركاتهم وما أعطاهم الله ، ويجعلنا داخلين فيهم إن شاء الله ، وأن الله يعرفنا حقائق الصلاة وأسرار الصلاة ، ويجعل لنا فيما بيننا وبينهم صلة مستمرة في عالمها ظاهراً وباطناً . (الفاتحة) .

وكان سيدي حفظه الله في زياراته لسيدنا المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم يأتي بأبيات سبدنا الإمام الحداد :

أَلاَ يـا رسـولَ اللهِ إنَّـا قَـرابـةٌ ... وذُرِّيَّةٌ جئناك للشَّوق والحُبِّ

وقفنا علىٰ أَعتابِ فضلِكَ سيدي ... لتقبيلِ تُرْبٍ حَبَّذا لِكَ من تُرْبِ

وقمنا تُجاهَ الوجهِ وجهٍ مباركٍ ... علينا به نُسقى الغمام لدى الجَدْبِ

أتينـاك زوَّاراً نـروم شفـاعـةً ... إلى الله في مَحْوِ الإساءةِ والذنْبِ

وفودٌ وزوارٌ وأضيافُ حَضرَةٍ ... مُكَرَّمةٍ مُستَوطَنِ الجُودِ والخِصْبِ

فِي النفسِ حاجاتٌ وثَمَّ مَطالبٌ نُؤَمِّل أن تُقضىٰ بجاهِك يا مُحْبِي

شَفَّعْ رسولَ الله في كلِّ حاجةٍ لنا ومهمٍّ في المعاش وفي القلبِ

إِنَّ صلاحَ الدِّينِ والقلبِ سيدي هو الغَرَضُ الأقصىٰ فيا سَيِّدي قُمْ بي

ويأتي بعض الأوقات بقصيدة الشيخ عمر بامخرمة :

إِليكَ إِليكَ القصدُ يا ٱللّٰهُ يا أَحَدْ إِليكَ إِليكَ الوفدُ يا ٱللّٰهُ يا صَمَدْ

وهي طويلة يأتي بها كلها .

وكذلك أبيات الشيخ أبي الحسن البكري :

ما أرسلَ الرحمٰنُ أو يُرسلُ مِنْ رحمةٍ تصعدُ أو تَنْزِلُ[1]

وغير ذلك من التوسلات .

ودائماً يبدأ الزيارة أو يأتي في أثنائها بهٰذه الآيتين :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴾ .

❊ ❊ ❊

(١) سبقت القصيدة صفحة ٦٥١ .

Scanned with CamScanner

وهٰذه زيارته لسيدنا حمزة رضي الله عنه في شهر رجب ١٤٠٦ هـ

السلام عليك يا أبا عُمارة .

السلام عليك يا سيدنا حمزة .

السلام عليكم يا شهداء أحد .

السلام عليكم يا أخيار .

السلام عليكم يا أحباب الله .

السلام عليكم يا شهداء أحد .

السلام عليكم يا شهداء الله .

(الفاتحة) أن الله يحضر لنا أرواحهم في هٰذه الساعة الشريفة ، وأن الله يتكرم علينا بقبول الزيارة وتعجيل البشارة وظهور آثارها إن شاء الله فينا وفي أولادنا وأهلينا وأصحابنا أجمعين ، ويعطي كل سائل سؤله علىٰ ما يُرضي الله ورسوله ، ويجعلنا من صالحي هٰذه الأمة ، ويحفظنا بحفظه لأهل الصلاح ، ولأهل الولاية ، ولأهل التقوىٰ ، ويجعلنا داخلين [معهم] في كل حال ظاهراً وباطناً ، ويغمرنا بأنوار أُحُد ، وشهداء أُحُد ، ومن مات بأُحُد ، ومن ٱستُشْهِد بأُحُد ، ومن ظهرت عليه آثار الولاية والصلاح بأُحُد .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكرمنا بالقبول .

Scanned with CamScanner

يا أبا عمارة ؛ نحن ضيوفك جينا إليك . . فاْشفع لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واْشفع لنا عند مولاك سبحانه وتعالىٰ ؛ يعطينا آمالنا ، ويقضي حاجاتنا ، ويتولانا ، ويجعلها زيارة مقبولة ، وفيها البشارة ، والإشارة ، والخير ، والبركة ، والنور ، حساً ومعنىً ، أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكرمنا بذلك ، ويجعل لأولادنا نَصيبٌ ، ولإخواننا نَصيبٌ ، ولمن له صلة بنا نَصيبٌ ، ولأصحابنا نَصيبٌ ، ويجعلنا محروسين دائماً ، ويجعلنا محفوظين دائماً ، ويتكرم الله سبحانه وتعالىٰ على الإسلام ، وعلىٰ أهل (لا إلـٰه إلا الله) بالحفظ ، والرعاية ، ودفع الشر ، والبلوىٰ ظاهراً وباطناً ، في خير ولطف وعافية ، بسر أسرار (الفاتحة) ، و(يٓس) .

وبعد قراءة (الفاتحة) وسورة (يٓس) قال سيدي حفظه الله :

سبحان المفرج عن كل محزون ، سبحان المنفس عن كل مديون ، يا حي يا قيوم ، يا حي يا قيوم ؛ فرج الهموم ، واْقض الديون ، واْجعلنا وهـٰؤلاء ممن يقول للشيء : كن . . فيكون .

اللهم ؛ إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا ، وأنفسنا ، وأهلنا ، وأولادنا ، وأموالنا ، وكل شيء أعطيتنا .

اللهم ؛ اْجعلنا وإياهم في كنفك ، وأمانك ، وجوارك ، وعياذك من كل شيطان مريد ، وجبار عنيد ، وذي عين ، وذي بغي ، ومن شر كل ذي شر ، إنك علىٰ كل شيء قدير .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ جمّلنا وإياهم بالعافية والسلامة ، وحققنا بالتقوىٰ والاستقامة ، وأعذنا من موجبات الندامة في الحال والمآل ، إنك سميع الدعاء .

اللهم ؛ ٱغفر لنا ، ولوالدينا ، ولأولادنا ، ومشايخنا ، وإخواننا في الدين ، وأصحابنا ، ولمن أحبنا فيك ، ولمن أحسن إلينا ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، يا رب العالمين .

وصل اللهم بجلالك وجمالك علىٰ عبدك ورسولك ؛ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، وٱرزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً ، في عافية وسلامة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

أسال الله الكريم بجاه سيدنا حمزة خاصة ، وبجاه بقية الشهداء ، وبجاه هـٰذا الجبل والساحات المعظمة إلا ما أكرمنا الله بقبول الزيارة ، وأعطاكم كلكم سؤلكم ومأمولكم ، وبلغكم آمالكم في أنفسكم ، وأهلكم ، وأولادكم ، وأموالكم ، وجميع ما خَوَّلَكُم من نعمة ، ويجعلها كلها في سبيله ، وله ، ومنه ، وإليه في جميع الأمور ظاهرها وباطنها ، ويجعلنا ربنا شاكرين ، ويجعلنا ذاكرين ، ويجعلنا مقربين ، ويجعلنا محبوبين ، ويجعلنا موهوبين ، وأفض علينا ما أفضته علىٰ قلب الكامل ممن أعطيتهم من أهل الصدق ، ومن أهل التمكين ، ومن عبادك الصالحين ، وزدنا اللهم وإياهم من الخير ، وٱجعلنا أهلاً للخير ، وٱجعلنا من أهل الخير ، وعاملنا معاملة أهل الخير ،

Scanned with CamScanner

وٱحفظنا من الغير ، وٱحفظنا يا ربنا من الذل ، وأن نَذِلَّ ، أو نَزِلَّ ، أو نُزِلَّ ، أو يأخذ بنا الشيطان إلىٰ طريق لا ترضاها ، في خير ولطف وعافية ، وعاملنا باللطف في جميع أمورنا .

يا سيدنا حمزة ؛ جينا قاصدين ، جينا زائرين ، جينا إليكم طالبين ، جينا متوسلين ، المدد إن شاء الله أعينونا ، وقربونا ، ودلونا ، وكونوا معنا ، وخذوا بيدنا إن شاء الله ، وٱجعلوا لنا تحبناً منكم خاصاً إن شاء الله ، وكلموا لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلح الله به ديننا ودنيانا ، وقلوبنا ، وأحوالنا ، وأولادنا ، وأهلنا أجمعين ، ظاهراً وباطناً .

اللهم ؛ أنعم علينا بما أنعمت على الكامل ، وأفض علينا ما أفضته على الكامل ، وٱجعلنا لنا صلة ، وإذا عاملت أحداً من أهل الإحسان بالإحسان . . فأدخلنا في دائرته ، وإذا ذكرت أهل الإساءة . . فباعد بيننا وبينهم ، وحُلْ بيننا وبين الشيطان وجنوده وأعوان الشيطان ، ظاهراً وباطناً . بسر أسرار (الفاتحة) .

وبعد (الفاتحة) **قال سيدي** : أسأل الله القبول والإقبال .

﴿ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

* * *

Scanned with CamScanner

زيارة سيدنا علي العريضي رضي الله عنه رجب ١٤٠٦ هـ

﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

التحياتُ المباركاتُ ، الصلواتُ الطيباتُ لله ، السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته ، السلامُ علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

يا حي ، يا حي ، يا حي .

السلام عليك يا سيدنا علي .

السلام عليك ، وعلىٰ والدك جعفر الصادق .

السلام عليك ، وعلىٰ جدك محمد الباقر .

السلام عليك ، وعلىٰ زين العابدين .

السلام عليك ، وعلىٰ فاطمة .

السلام عليك ، وعلىٰ سيدنا علي بن أبي طالب .

السلام عليك ، وعلىٰ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

Scanned with CamScanner

السلام عليكم ، وعلىٰ أولادكم الميامين ، خصوصاً سيدنا محمد بن علي ، وسيدنا النقيب عيسىٰ ، وسيدنا أحمد بن عيسىٰ ، وسيدنا عبيد الله بن أحمد ، وبصري ، وجديد ، وأبو السلسلة المباركة صاحب ظفار ، والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي وأبنه علوي ، ومن يليهم من الرجال الأكارم .

نسأل الله تعالىٰ أن يُحْضِرَ أرواحهم في هٰذه الساعة المباركة الشريفة ، تجتمع الأرواح بالأرواح ، وتتفق الأشباح بالأشباح ، حتىٰ يكون المدد الكامل ، وتتعطفون علينا ، وتتحننون علينا ، وينالنا منكم نصيب كامل ، وأولادَنا ، وإخوانَنا ، نصيب كامل نسعد به في الدنيا ، ونسعد به في الآخرة ، ونكون به مقربين دائماً عند مولانا ، وعندكم ، وعند نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعند شيوخنا ، وعند أهلنا الأكارم ، ويفتح الله علينا إن شاء الله فتحاً كاملاً ، ونكون به إن شاء الله سعداء ، ويكون فتحاً مطلقاً ، ويكون إن شاء الله ، فتحاً علىٰ ما أعطاه الله أهلنا ، وعلىٰ ما كان تيسر لهم ، وعلىٰ ما عندهم ، وفيهم .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يتكرم علينا بذلك ، بمحض الفضل والجود والكرم .

(الفاتحة) ، ونهدي ثوابها إلىٰ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلىٰ أرواح آله وأصحابه خيار الخيار ، وإلىٰ روح سيدتنا خديجة الكبرىٰ ، وإلىٰ روح سيدتنا فاطمة الزهراء ، وعلي بن أبي طالب ، والحسنين الكريمين ، والحسن بن الحسن

Scanned with CamScanner

المثنىٰ ، وسيدنا علي زين العابدين علي بن الحسين ، ومِن بعدهم إلىٰ جعفر الصادق ، وإخوانهم أجمعين ، ومِن بعدهم علي العريضي ، وإخوانه موسى الكاظم ، وأولاد سيدنا جعفر الصادق ، ومِن بعدهم إلىٰ علي العريضي وسيدنا الإمام المهاجر وأولاده ، ثم سيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي ، وأولاده الأعلام ، وشيوخه ، وذريته المباركة ، وزوجته زينب أم الفقراء ، ووالدها أحمد ، وعمه علوي ، وبقية السلسلة الطيبة الطاهرة المباركة التي هي في تريم وحضرموت الطيبة الطاهرة ، وغيرها .

أسأل الله ببركتهم وبجاههم إلا ما تَعَطَّف علينا في هٰذه الساعة الشريفة ، ورحمنا ، ويتكرم علينا بالرضا ، يتكرم علينا بالقبول ، يتكرم علينا بالعطاء ، يتكرم علينا بقبول الزيارة ، يتكرم علينا بما نؤَمِّل وفوق ما نؤمل .

اللهم ؛ أعط هٰؤلاء وأولادهم وإخوانهم مقاصدهم ومطالبهم كلها أجمعين ، وٱجعلها كلها سلسلة مستمرة بهٰذا النسب العالي ، وٱجعل الدعوات مرفوعة ، والكلمات مسموعة ، بصدق اللجاء والافتقار إليك يا مولانا في جميع أمورنا ظاهرها وباطنها ، وٱرحمنا من أجل هٰؤلاء ، وٱنشر رحمتك الخاصة ورحمتك العامة علينا ، وعلىٰ أولادنا ، وعلىٰ أهلينا وإخواننا وتلامذتنا ، وعلىٰ خاصتنا ، وعلىٰ أمواتنا أجمعين .

أنظر إلينا يا رب بعين العطف ، وٱنظر إلينا بعين الفضل ، وٱنظر إلينا بعين الرحمة ، وٱنظر إلينا بعين الخير ، وٱنظر إلينا

Scanned with CamScanner

يا رب نظرة صدق ، ونظرة ود ، ونظرة ولاية نكون بها من السعداء ، وأسعدنا سعادة أسعدتَ بها مَن قبلنا نكون بها من خِيارِ الخِيار ، ولا تصرفنا من هٰذا الموقف إلا وقد جمعتَ أرواحنا بروح سيدنا علي العريضي ، والصادق ، وآبائه ، وذريته .

اللهم ؛ إلا ما جمعتنا بهم ، وجمعتنا بأرواحهم ، وأريتنا فضيلتهم .

اللهم ؛ وما تكرمت به علىٰ من قبلنا ممن زار وقبلتَ زيارته .

أسألك اللهم الكرامة لنا ، وعلىٰ من أعطيته نسألك اللهم العطا ، وعلىٰ من واصلته نسألك اللهم المواصلة ، وعلىٰ من فاتحته بخير نسألك اللهم المفاتحة دائماً ، وعلىٰ من رضيت عنه نسألك اللهم الرضا دائماً ، ونسألك الرضا عن والدينا ، ونسألك الرضا عن أمهاتنا ، ونسألك الرضا عن أقاربنا ، ونسألك الرضا عن أصحابنا ، ونسألك الرضا عن جيراننا .

ويسر أمورنا ظاهرها وباطنها ، وأقبلنا علىٰ ما فينا ، وإن كنا مقصرين ، وإن كنا مخطئين ، وأحفظنا من بعد هٰذا اليوم ، وأجعلنا اللهم تائبين بصدق ، وأجعلنا مقبولين ، وأجعلنا مهديين حقاً ، هداية ظاهرة وباطنة ، في خير ولطف وعافية ، وأجمعنا مع أرواح آبائنا ، وأهلنا ، وسلفنا حتىٰ نطمئن ، ولا تردنا من هٰذه الزيارة إلا وقد أعطيتنا السول ، وأعطيتنا المأمول ، وكفيتنا كل مهم ، وجمعتنا بما نحب ، ظاهراً وباطناً ، في خير ولطف وعافية .

Scanned with CamScanner

عَجِّلِ اللهم لنا ولهم بقضاء حاجاتهم ، عجل اللهم لهم بتيسير أمورهم ، عجل اللهم لهم بالرضا الكامل ، عجل اللهم لهم بالقبول .

وأصلح العباد والبلاد والواد ، وٱحفظها من أهل الشرور ، وأهل الضر ، والفتن ، وأهل الفتن ، وأهل الوباء ، والأمراض الحسية والمعنوية ، وٱجعلنا مع أهل المعية ، بسر أسرار (الفاتحة) .

وبعد قراءة (الفاتحة) وسورة (يس) المباركة قال سيدي حفظه الله :

سبحان المفرج عن كل محزون ، سبحان المنفس عن كل مديون ، يا حي يا قيوم ، فرج الهموم ، وٱقض الديون ، وٱجعلنا وهٰؤلاء ممن يقول للشيء : كن فيكون .

اللهم ؛ إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا ، وأنفسنا ، وأهلنا ، وأموالنا ، وأولادنا ، وكل شيء أعطيتنا .

اللهم ؛ ٱجعلنا وإياهم في كنفك ، وأمانك ، وجوارك ، وعياذك من كل شيطان مريد ، وجبار عنيد ، وذي عين ، وذي بغي ، ومن شر كل ذي شر ، إنك علىٰ كل شيء قدير .

اللهم ؛ جملنا وإياهم بالعافية ، والسلامة ، وحققنا بالتقوىٰ والاستقامة ، وأعذنا من موجبات الندامة ، في الحال والمآل ، إنك سميع الدعاء .

Scanned with CamScanner

اللهم ٱغفر لنا ، ولوالدينا ، ولأولادنا ، ولمشايخنا ، وإخواننا في الدين ، وأصحابنا ، ولمن أحبنا فيك ، ولمن أحسن إلينا ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، يا رب العالمين .

وصلِّ اللهم بجلالك وجمالك علىٰ عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم ، وٱرزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً ، في عافية وسلامة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ ولا تصرفنا من هٰذا الموقف إلا وقد ٱستجبت دعواتنا ، وقبلت زيارتنا ، وأظهرت أنوارها علينا ، وعلىٰ أولادنا ، وأهلينا ، وإخواننا ، وأصحابنا ، وتلاميذنا ، وكل من له صلة بنا ، وٱجعلها اللهم مائدة مبسوطة ينالها القريب ، وينالها البعيد ، نُمَد منها إن شاء الله ؛ فإن خيرك عظيم ، ومددك عظيم ، أعظم الله لنا العطية في هٰذه الساعة ، وأكرمنا في هٰذه الساعة ، وأكرمنا في هٰذه الساحة ، وأكرمنا في هٰذه المنازل .

إن شاء الله سيدنا علي العريضي ورجاله وأجداده وشيوخه وأولاده يتكرمون علينا في هٰذه الليلة بالتقاء الأرواح بالأرواح ، والعلم بالعلم ، والمدد بالمدد ، في خير وعافية ، في كل حين ، ظاهراً وباطناً ، وٱجعل الصلة متصلة بهم ظاهراً وباطناً .

اللهم ؛ لا تصرفنا من هٰذا المكان إلا وقد أعطيتنا آمالنا ، ويسرت أمورنا ، وتكرمت علىٰ طه بن حسن بأولاد ذكور ،

ويسرت لنا ولهٰؤلاء مقاصيدنا ومطالبينا ، وكل من له طلب أو مقصد .

اللهم ؛ إن مددك عظيم ، وكرمك جسيم ؛ فإنك تعطي ولا تبالي . . أكرمنا اللهم في هٰذه الليلة ، وفي هٰذه الزيارة ، وفي هٰذه الساعة بالعطاء الجم ، في خير ولطف وعافية ، بسر أسرار (الفاتحة) .

وبعد (الفاتحة) : أدركوا وأمدوا ، وكونوا معنا يا عباد الله ؛ أسألوا الله الفرج يا عباد الله ، الدرك يا عباد الله ، الدرك يا عباد الله .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

من زيارات الحبيب عبد القادر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا محمد .

الصلاة والسلام عليك يا أحمد .

الصلاة والسلام عليك يا أبا القاسم .

الصلاة والسلام عليك يا نور الله الأكبر .

الصلاة والسلام عليك يا نور النور .

الصلاة والسلام عليك يا وجهتي حيث وَجَّهتُ .

الصلاة والسلام عليك يا رحمة الله الكبرىٰ .

الصلاة والسلام عليك يا سر هوية الذات .

الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله رحمة للعالمين .

الصلاة والسلام عليك يا أبا الزهراء .

الصلاة والسلام عليك يا حبيبنا .

Scanned with CamScanner

الصلاة والسلام عليك يا طبيبنا .

الصلاة والسلام عليك يا أبانا .

الصلاة والسلام عليك يا بشير .

الصلاة والسلام عليك يا نذير .

الصلاة والسلام عليك أيها السراج المنير .

الصلاة والسلام عليك يا رؤوف .

الصلاة والسلام عليك يا رحيم .

الصلاة والسلام عليك يا طٰه .

الصلاة والسلام عليك يا يٓس .

الصلاة والسلام عليك يا مُزَّمِّل .

الصلاة والسلام عليك يا مُدَّثر .

الصلاة والسلام عليك يا شفيع .

الصلاة والسلام عليك يا سيد الأنبياء والمرسلين .

الصلاة والسلام عليك يا أفضل الخلق أجمعين .

الصلاة والسلام عليك يا قائد الغر المحجلين إلىٰ جنات النعيم .

الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

الصلاة والسلام عليك يا صفوة الله .

الصلاة والسلام عليك يا أكرم خلق الله .

Scanned with CamScanner

الصلاة والسلام عليك يا رسول الرحمة .

الصلاة والسلام عليك يا سيد الأولين والآخِرين .

الصلاة والسلام عليك يا سيد الأنبياء والمرسلين .

الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله رحمة للعالمين .

أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأشهد أنك محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أنك قد بلغتَ الرسالة ، وأديتَ الأمانة ، ونصحتَ الأمة ، وكشفتَ الغمة ، وأقمتَ الحجة ، وأوضحتَ المحجة ، ودعوتَ إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدتَ ربك حتىٰ أتاك اليقين .

أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أنك رسول الله ، وأنك أفضل الخلق أجمعين ، وأنك بالمؤمنين رؤوف رحيم ، والرحمة المهداة من رب العالمين .

الحمد لله الذي ٱستنقذنا بك من الشرك والضلالة : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ، وأحْيِنا اللهم علىٰ محبته وٱتباعه ، في خير ولطف وعافية ، وٱحشرنا في زمرته ، وتحت لوائِه ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وأوردنا حوضه المورود ، وٱسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ اْجْزِ عنا نبيك ورسولك سيدَنا محمداً أفضل وأكمل ما جزيت نبياً عن أمته .

اللهم ؛ آته الوسيلة والفضيلة ، والشرف والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، يا أرحم الراحمين .

رب ؛ اغفر لي ولوالدي .

السلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، منا ، ومن والدينا ، ومن أولادنا ، ومن أزواجنا ، ومن إخواننا ، ومن أصحابنا ، ومن قراباتنا ، ومن جيراننا ، ومن أودع عندنا السلام عليك .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

إن الله سبحانه وتعالىٰ يقول في كتابه الحكيم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ .

اللهم ؛ إنا جينا إليه امتثالاً لأمرك ، نحمل ذنوباً لا نقدر علىٰ حملها ، اللهم ؛ فاغفرها لنا ، واستر اللهم عيوبنا ، واكشف كروبنا ، وصَفِّ مشروبَنا ، وأعطنا آمالَنا ، وأصلح أولادنا ، وأزواجنا ، ومن أحبنا ، ومن أحببناه ، ومن أحاطت به شفقة قلوبنا ، وأصلح ديننا ، وأصلح دنيانا ، وأصلح بلادنا خاصة ، وبلاد المسلمين عامة .

اللهم ؛ لا تردنا من هـٰذا الموقف خائبين ، ولا من هـٰذه

Scanned with CamScanner

لساحة غير مقبولين ، ولا من عند نبيك غير مقبولين ، وأعطنا يا رب من أفضل ما تعطيه أحداً من الزائرين .

تَكَرَّمِ اللهم علينا بالقرب من نبيك المختار ، وهَتْكِ السِّتار حتىٰ نقعد معه في مقعد صدق في جنات تجري من تحتها الأنهار .

اللهم ؛ ٱرفع الحجب بيننا وبينه ، وٱطوِ مسافة البعد بيننا وبينه ، وٱجعلنا معه في كل حال ، وٱجعل علينا حراسة بواسطته في جميع الأحوال لا يقدر علينا ظالم أو مخالف في كل حال .

اللهم ؛ إنا وقفنا وجينا ، وما لنا إلا الرجاء وحسن الظن فيك ، وفي رحمتك العظيمة ، وهـٰذا باب رحمتك ، وهو الطريق الموصل إليك ، وإلىٰ رضاك وقد ٱستشفعنا به ، وحاشاك أن تردنا ، وحاشاك أن لا تقبلنا ، وحاشاك أن تخيبنا ، وحاشاك أن تطردنا ، ولا شفيع لنا غيره ، والواسطة العظمىٰ هو نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإنه لا أقرب إليك منه ، ولا أحب إليك منه ، ولا رسول له مكانة عندك مثله ، فأعطنا اللهم بواسطته جميع الآمال ، واثبتنا في ديوان الرجال ، الذين ما ألهتهم الدنيا بحال .

اللهم ؛ وأولادنا ، وأهلنا ، وإخواننا ، ممن لم يقدروا على الوصول إلىٰ هـٰذه الساحة ، فنسألك اللهم بجاه نبيك سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تقسم لهم بنصيب وافر يَصِلهم إلىٰ ديارهم ، وإلىٰ قلوبهم ، وإلىٰ منازلهم ، يُقسَم فيه قريبهم ، وبعيدهم .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ وآباؤنا ، وأمهاتنا ، وإخواننا ، وجيرانهم من أهل القبور من أهل : (لا إلـٰه إلا الله) سبقوا إلىٰ رحمتك في قبورهم لا يظعنون ، ولا يبرحون ، ولا ينفكون ، فأَدْخِلِ اللهم عليهم الرَّوح والريحان ، والبِشارة والأمان ، والفسحة والرضوان .

اللهم ؛ آنِسهم في قبورهم ، وٱرفع عنهم الوحشة التي يلاقونها ، وبلغهم من أخبارنا ما يسرهم ، وشفع فيهم نبيك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

يا قديم الإحسان ، يا كريم ، يا حنان يا منان .

اللهم ؛ ولنا مطالب كَمُنَت في صدورنا ، ومطالب طلبها لنا آباؤنا وشيوخنا ، ومطالب لا تحضرنا الآن وليست خافية عليك ، وهـٰذا باب قبول المطالب ، فأعطنا المطالب كلها ، يا كريم يا رحيم .

اللهم ؛ وبلادنا ، وبلاد المسلمين حَلَّ بها ما لا يخفىٰ عليك ، فعجل بالفرج ، وٱكشف ما حل بها من بلايا وفتن ، ولا كاشف لذلك سواك .

وٱحفظنا بحفظك ، وٱلطف بنا بلطفك ، وأصلح أمة محمد وٱرحم أمة محمد ، ووفق أمة محمد ، وٱستر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم ؛ فرجك القريب (٣) .

اللهم ؛ سترك الجميل .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ عوائدك الحسنة .

يا قديم الإحسان ؛ إحسانك القديم ، يا دائم المعروف ؛ معروفك الدائم .

اللهم ؛ اغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، وانصرنا علىٰ أنفسنا ، وانصرنا علىٰ شياطيننا ، ولا تخرجنا من موقفنا هٰذا إلا وقد أكرمتنا ورحمتنا ، وأعتقتنا علىٰ أنفسنا ، وقربتنا ، وجمعت بيننا وبين هٰذا الحبيب ، ونظرت إلينا ونحن عنده .

اللهم ؛ وقفنا ببابه وهو بابك الأعظم ، ولجأنا إلىٰ أعتابه ، ونزلنا بساحته رافعين أكف الضراعة ، باسطين أيدينا ، سائلين منك أن لا تردنا ولا تخيبنا ، راجين منك أن تقبلنا علىٰ ما فينا ، طالبين منك أن ترحم ذلنا وعجزنا وقلة حيلتنا .

اللهم ؛ ارحم ضعيفاً دعاك ، وسائلاً وقف ببابك ورجاك ، وذا فاقة ما له إلا أنت ، ومضطراً نزل ببابك ، وذا حاجة ما له سواك .

إلىٰ مَنْ تكلنا يا مولانا ، وإلىٰ من أرفع شكواي يا إلٰهي ؟! إلىٰ مخلوق مثلي يَتَجَهَّمُني ، أو ضعيف لا يملكُ من أمره شيئاً ؟! ها أنا ذا واقف ببابك ، مستشفع بأجلِّ أحبابك ، في ساحته التي أنت شرفتها وكرَّمتها به ، وجعلتها أعظم ساحة ، تردد إليها جبريل ، وترددت إليها الملائكة الكرام ، وترددت إليها الأرواح

Scanned with CamScanner

الطاهرة ، ولا تزال تتردد إليها رحماتك وتجلياتك .

فكم من عبد وقف فيها فأصابته الرحمة ، فَخَلَعْتَ عليه بُرْدَ الهداية ، فرجع إلىٰ أهله مغموراً بأنوارها ، مَكْسُوّاً بجمالها !

وكم من عبد وقف في هٰذه الساحة ، فرفع يده إليك ، فأعطيته آماله ، وكم من شخص قام أمام المواجهة ، فصادف ٱنسياب العطاء ، فكان سبباً لولايته .

اللهم ؛ هٰذه ساحات الإجابة ، وهٰذه أماكن الولاية ، وقفنا فيها مع من وقف ، وسألنا فيها مع من سأل ، وطلبنا فيها مع من طلب ، فلا تردنا اللهم صِفْرَ الأيدي ، ولا تخيبنا ، ولا تحرمنا .

اللهم ؛ أكرمنا فإنا في منازل الكرامة ، ها نحن جينا إليك ولنا آمال لا يصلح بَثُّها إلا عندك ، ولا عرضها إلا عليك ، وأطماع لا تكون إلا إليك ، فنسألك بك ، وبكرمك ، وبرحمتك الخاصة . . إلاَّ ما نظرت إلينا ، فألبستنا خلعة الولاية ، وأدخلتنا دائرة الرعاية ، وأعطيتنا آمالنا .

اللهم ؛ ٱنظر إلينا نظر رحمة تصلح بها أمورنا الخاصة فينا ، وفي أولادنا ، وإخواننا ، وأهلينا ، وأقاربنا ، وٱبسط بساط مائدتك الخاصة حتىٰ تشملنا بخيراتها ، ونذوق ثمراتها ، وبساط مائدتك العامة ، فلا نخرج من دائرة الرحمة أبداً .

يا ألله يا ألله ، يا رباه يا رباه ، يا غاية رغبتاه ؛ ٱنظر إلىٰ ضعفي ، وإلىٰ عجزي ، وإلىٰ عدم مقدرتي ، غَرَّنِي حِلمُكَ ،

Scanned with CamScanner

فسامحني ، وأطعمني كرمك ، فارحمني ، وجَمَحَتْ بي نفسي فارحمني .

يا الله يا الله ؛ ها أنا ذا في باب الرحمة ، ملتمساً الرحمة ، واقفاً عند نبي الرحمة ، مستشفعاً به في رفع الكربة ، وفي قضاء المهمة ، حاشاك تردني وأنا مستشفع بنبيك ، واقف ببابه ، متمسك بأعتابه ، سائل أن تغفر لي ذنبي ، وأن تمحو زلتي ، وأن تفرج كربتي ، وأن تقبل توبتي ، وأن تحقق أوبتي ، وأن تنبهني من غفلتي ، وأن تكرمني بما أكرمت به الكامل من هٰذه الأمة ، بجاه نبي الرحمة وسيد الأمة ، وكاشف الغمة ، ومن تبعه من الأئمة .

اللهم ؛ لا تجعله آخر العهد من هٰذا الحبيب ، وأعدني إليه قريب ، يا قريب يا مجيب .

لـم أَزَلْ بِـالبـاب واقـفْ ... فـاْرحَمَـنْ ربـي وقـوفـي

وبـوادي الفضـل عـاكـفْ ... فـأَدِمْ ربـي عكـوفـي

ولحُسـنِ الظـنِّ لازِمْ ... فَهْـوَ خِلِّـي وحليفـي

إِليكَ وَجَّهْتُ وَجهي وانتهى سَيْرِيْ ... وَلَمْ أُرَجِّ لِكَشْفِ البُؤْسِ وَالضَّيرِ

سِواكَ يا ربِّ يا فتاحُ بِالخَيرِ

اللهم ؛ افتح لنا أبواب عطاك ورضاك ، وأظهر لنا البشارة لهٰذه الزيارة ، فإنك أعطيت أقواماً بدون سابقة عمل ، ولا يَتَخَطَّاكَ كَرَمُ كريم ، ولا سؤال سائل ، يا كريم يا رحيم .

اللهم ؛ وما يتنزل في هٰذه البقعة الشريفة العظيمة من إمدادات وعطايا ومنح كبيرة علىٰ قدر المعطي والواسطة .

ٱقسم اللهم لنا حيثما كنا ، وأينما كنا ، وٱجعلنا في الحرز المكين من الذنوب والخطايا ، وٱجعلنا في الحصن الحصين من جميع البلايا .

اللهم ؛ لا تُخْرِجْنا من هٰذا الجمع ولا من هٰذه البقعة الطاهرة إلا وقد أعطيتنا الآمال ، وكتبتنا في ديوان الكُمَّلِ من الرجال ، وكتبتنا يا رب فيمن كتبته من أهل المقامات العوال ، والأحوال التي ما وراها أحوال .

ثبتنا اللهم بذلك ، وٱحفظنا يا رب من أن ينالنا بواسطتها تعب أو عناء ، ٱجعلها سهلةً سَلِسَة في لطف وعافية ، وٱجعلنا قائمين بالأوامر منتهين عن النواهي .

(الفاتحة) إلىٰ حضرة سيد المرسلين ، صلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ومن في حضرته أجمعين من النبيين والمرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين ، لاسيما من حوله سيدنا أبي بكر الصديق ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي ، وأمنا فاطمة الزهراء ، وأمنا خديجة الكبرىٰ ، وأمنا عائشة الرضا ، وجميع أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وحاضري حضرته أجمعين من جميع النبيين والمرسلين ؛ وجميع عباد الله الصالحين ، ولاسيما الآباء والأمهات ، والأجداد والجدات ، والبنين والبنات ، والأخوال والخالات ، والأعمام والعمات ،

Scanned with CamScanner

والقرابات وأهل المودات ، وجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، على نية أن الله سبحانه وتعالىٰ يرضىٰ عنا وعن جميع المسلمين ، رضاً لا يَسْخَط بعده أبداً ، ويُرضي عنا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، ويُرضي عنا مشايخنا ، ويرضي عنا كل من له حق علينا .

ويغفر لنا ذنوبنا كلها ما تقدم وما تأخر ، ويبدل السيئات حسنات ، ويتحمل عَنَّا التبعات ، ويغفر لنا ما مضىٰ وما هو آت ، ويرزقنا العمل بالباقيات الصالحات ، ويجعل هٰذه الزيارة من أبرك الزيارات ، ويجعل هٰذه الساعة من أبرك الساعات ، ويُمِدّنا فيها من الأسرار والأنوار ، والدرجات العُلىٰ في هٰذه الدار ، وتلك الدار ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر .

اللهم ؛ وكما أوقفتنا على الآثار . . أوقفنا على الأنوار والأسرار ، وشفع فينا حبيبنا محمداً المختار في قضاء الحاجات كلها الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية .

ونسأل الله أن يبارك في أموالنا ، وأولادنا ، وأزواجنا ، وإخواننا ، وأحبابنا ، وأصحابنا ، كلهم ، يبارك فيهم ولا يضرهم ، ويوفقنا وإياهم لطاعته ، ويرزقهم بِرَّنا ، ويرزقنا بِرَّهم ، ويعيننا وإياهم علىٰ ما يريده منا ، ويوفقنا وإياهم لما يرضىٰ به عنا .

ويجعلنا وأزواجنا ، وأولادنا ، وصغارنا ، وكبارنا ،

Scanned with CamScanner

وذكرنا ، وأنثانا ، من عباده المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، الذين أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

ومن أوصانا وٱستوصانا بالدعاء من الأهل ، والأولاد ، والأزواج ، والإخوان ، والأحباب ، والأصحاب ، والحاضرين ، والغائبين ، الأحياء والميتين : أن الله لا يَدَعْ لنا ولهم ذنباً إلاّ غفره ، ولا هماً إلا فرَّجه ، ولا ديناً إلا قضاه ، ولا مريضاً إلا شفاه ، ولا بعيداً إلا قربه ، ولا مقطوعاً إلا وصله ، ولا عَزَباً إلا زَوَّجَهُ ، ولا جاهلاً إلا علَّمه ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة له فيها رضاً ولنا فيها صلاح إلا قضاها ويسرها ، في خير ولطف وعافية .

وما منَّ الله به علىٰ سلفنا العارفين في هـٰذه المواطن الشريفة ، وفي حضرة حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الخيرات ، والبركات ، والسعادات ، والأنوار ، والفتوحات ، والمنوحات ، وجميع الخيرات والبركات في زياراتهم لحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أن الله سبحانه وتعالىٰ يمنُّ علينا ، وعلىٰ أولادنا ، وعلى أهلينا ، وأحبابنا ، وأصحابنا بذلك ، ويجعلنا أهلاً لذلك .

Scanned with CamScanner

ويجعل فينا وفيهم كمال الاستعداد ، وكمال القابلية لجميع
ما خص الله به خيار البرية ، من الأحوال والمقامات العلية ،
والأسرار والأنوار الحسية والمعنوية .

وأن الله يطوي مسافات البعد بيننا وبين حبيبه المصطفىٰ ،
ويجمع بيننا وبينه في هٰذه الدار وفي تلك الدار ، جهرةً وخفا .

ولا يحرمنا خير ما عنده لشر ما عندنا ، ولا يصرفنا عن هٰذا
المكان الشريف . . إلا وذنوبنا مغفورة ، وعيوبنا مستورة ،
وحاجاتنا مقضية .

وأن الله يرزقنا وإياكم وإياهم صحة في تقوىٰ ، وطول عمر
في حسن عمل ، ورزقاً واسعاً لا يعذبنا عليه ، ويزيل عنا وعنهم
جميع الآلام والسقام ، الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية ،
ويجعلنا عبيد إحسان لا عبيد ٱمتحان .

ويمنُّ علينا بالرضا وجزيل العطاء ، ويشمل به جملة
الحاضرين والغائبين ، وجميع المسلمين الأحياء والميتين ،
ويَهَبُ لنا ولهم - في خير ولطف وعافية - ما وهبه لأنبيائه وأوليائه
وأصفيائه والصالحين من عباده .

ويهدينا ويهديهم بما هدىٰ به أنبياءَهُ وأولياءَهُ وأصفياءَهُ
والصالحين من عباده .

ويتقبل منا ومن جميع الزائرين والوافدين إلىٰ مدينة سيد
المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم جميع الزيارات ، ويعجل لنا

Scanned with CamScanner

ولهم بالبشارات ، ويجعلها زيارات مقبولة ، وسعياً مشكوراً ، وتجارة لن تبور ، نجني ثمراتها في هٰذه الدار ، وفي دار القرار ، بعد طول الأعمار ، في جنات تجري من تحتها الأنهار ، من غير سابقة عذاب ، ولا توبيخ ولا عتاب ، ولا حساب ولا عقاب ، لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة ، بمحض الجود والفضل والكرم .

وأن الله يصلح أمة سيدنا محمد ، ويرحم أمة سيدنا محمد ، ويجعلنا من خيار أمة سيدنا محمد وسابقيهم .

وأن الله يُصلح الإمام والأمة ، والراعي والرعية ، ويُؤلِّف بين قلوبهم في الخير ، ويدفع شر بعضهم عن بعض ، ويُطفىءُ نيران الفتن ما ظهر منها وما بطن ، والحجاج والمسافرين ، والغزاة والمجاهدين من المسلمين في البر والبحر والجو أجمعين ، والزائرين لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يُصْحِبهم السلامة والعافية ، ويردهم إلىٰ أوطانهم بعد قضاء أوطارهم ، سالمين غانمين ، ظافرين بخيرات الدنيا والدين .

ويجعل لنا حظاً وافراً ، ونصيباً كاملاً بما قسمه ويقسمه للحجاج والمعتمرين ، والزائرين لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وأن الله يمن بالفرج العاجل ، واللطف الشامل ، والحفظ الكامل للحرمين الشريفين ، وما تعلق بهما وبلاد المسلمين عامة ، والشام ، واليمن ، وحضرموت ، وأهلها ، وتريم

Scanned with CamScanner

وأهلها ، وجميع الأماكن الإسلامية خاصة ، والمسلمين عامة .

أن الله يرفع ما نزل بنا وبهم من الأذىٰ ، والبلاء ، والفتن ، والمحن ، من الشيوعية ، ومن اليهود ، وغيرهم ، ومن ساعدهم ، ومن عاونهم أن الله يقطعهم ، ويقلعهم ، ويمنعهم ، ويردعهم عن جميع المسلمين ، بما شاء ، وكيف شاء .

ويُحَوِّلُ حالنا وحال المسلمين إلىٰ أحسن حال ، ويعافينا من أحوال أهل الضلال ، وفعل الجهال .

ويصلح من في صلاحه صلاح المسلمين ، ويجعلنا منهم ، ويهلك من في هلاكه صلاح المسلمين ، ويختار لنا وللمسلمين ما فيه الخيرة الصالحة في جميع الأمور .

ويدبرنا وإياهم بأحسن تدبير ، ويلطف بنا وإياهم فيما جرت به المقادير ، ويجعل لنا وللمسلمين من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويرزقنا من حيث لا نحتسب ، ويتقبل منا أعمالنا ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

(الفاتحة ويٓس) علىٰ هٰذه النيات ، وعلىٰ ما نواه حبيبنا محمد وعلىٰ ما نواه السلف ، وعلىٰ كل نية صالحة جامعة لخيرات الدنيا والآخرة وحسن الخاتمة ، بعد طول العمر في طاعة الله ، والسهالة والجمالة في كل حال ، وسعادة الدارين ، وقرة عين سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلَّم .

* * *

Scanned with CamScanner

السلام علىٰ سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما

السلام عليك يا سيدي يا أبا بكر .

السلام عليك يا خليفة رسول الله .

السلام عليك يا أول من صَدَّق .

السلام عليك يا من خَالَلَ رسول الله .

السلام عليك يا من أقام سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم ؛ كما أعطيته التأييد الكامل ، والمحبة الكاملة فأعطنا ذلك بمحض فضلك وجودك ، ومَنِّك ، بسر أسرار (الفاتحة) .

السلام عليك يا سيدي عمر .

السلام عليك يا أمير المؤمنين .

السلام عليك يا من وافق رَبَّهُ في كتابه العظيم .

السلام عليك يا من أقام العدل وسنة رسول الله .

السلام عليك يا سيدي عمر ورحمة الله وبركاته .

اللهم ؛ كما أعطيته التأييد والتصديق والمحبة الكاملة ، والعدل والزهد في الدنيا . . فأعطنا ذلك بمحض فضلك ومنِّك وجودك ، بسر أسرار (الفاتحة) .

* * *

Scanned with CamScanner

السلام على سيدتنا فاطمة رضي الله عنها

السلام عليكِ يا سيدتنا فاطمة .

السلام عليكِ وعلىٰ أُمِّكِ خديجة .

السلام عليكِ وعلىٰ أبيكِ سيد المرسلين .

السلام عليكِ وعلىٰ سَيّدِنا علي بن أبي طالب .

السلام عليكِ وعلىٰ وَلَدَيكِ الحسن والحسين .

السلام عليكم أهل البيت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

اللهم ؛ كما طهرتهم فطهرنا ، وكما أذهبت عنهم الرجس فأذهبه عنا ، وكما أعطيتهم الكرامة ، وأعطيتهم العزة فأعطنا ، وشفع أمنا فاطمة فينا ، وفي بناتنا ، وأولادنا ، وأهلينا ، وإخواننا ، وأصحابنا ، ومحبينا ، وشفع أمنا خديجة فينا ، وٱجعل لنا حناناً ومحبة في قلبها ، وٱجعل ذلك الحنان يندرج معه قوة الإيمان ، وتندرج معه الألطاف الإلـٰهية حتىٰ لا نحتاج إلىٰ مساعد ولا معين ، ٱجعل اللهم الإعانة منك ، فبك نستعين ، وبك نستهدي ، وبك نستكفي ، وبك نستنصر ، وبك نسترحم يا أرحم الراحمين . ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ .

اللهم ؛ ٱقسم لنا من هـٰذه المودة ، وٱجعلها دَيْدَنَنَا في كل ما نفعل ونقول ، ظاهراً وباطناً ، وٱجعلنا اللهم من المحبين والمحبوبين عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته .

Scanned with CamScanner

وٱحفظنا اللهم من سوء الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسوء الأدب مع أهل بيته ، وٱغفر لنا الذنوب صغيرها وكبيرها ، وٱجعل حسناتنا حسنات من أحببت .

اللهم ٱجعل لنا وداً في قلب هـٰذه الأم وأمها ، وٱجعل لنا قربة منهما ، ومكانة عندهما ، وٱجعل لنا ولأولادنا منهما حناناً يدرجون علينا في بيوتنا ، وفي منازلنا ، وفي قلوبنا ، وفي أهلينا ، وفي إخواننا ، وأَشْرِبْنا يا رب أثراً من ودها يظهر علينا في حركاتنا وفي سكناتنا في خير ولطف وعافية ، بسر أسرار (الفاتحة) .

* * *

Scanned with CamScanner

من دعواته في الروضة الشريفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهم ؛ صل وسلِّم علىٰ سيدنا محمد مفتاح باب رحمة الله ، عدد ما في علم الله ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله ، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه .

اللهم ؛ إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك وحبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسَلَّم وعبادك الصالحون ، ونستعيذك من شر ما ٱستعاذك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسَلَّم وعبادك الصالحون .

اللهم ؛ وما يتنزل في هٰذه الروضة الشريفة من خير إلا وقَسَمتَ لنا منه ، وإلا ما جعلتَ لصلاتنا قبولاً عندك ، ولدعواتنا قبولاً عندك ، ولأذكارنا قبولاً عندك .

اللهم ؛ ٱجعلنا فيها من المقبولين ، وٱجعلنا يا رب من المأذون لنا في المغفرة ، والمأذون لنا في جميع أمورنا ، وفي صلاح ظاهرنا ، وصلاح باطننا ، وصلاح أولادنا .

اللهم ؛ لا تخرجنا من هٰذا الجمع إلا وقد أعطيتنا الآمال ، وأَثْبَتَّنَا في ديوان الكمل من الرجال ، وكتبتنا يا رب فيمن كَتَبْتَهُ من

Scanned with CamScanner

أهل المقامات العوال والأحوال التي ما وراءها أحوال ، أثبتنا اللهم كذلك ، وٱحفظنا يا رب من أن ينالنا بواسطتها تعب أو عناء ، ٱجعلها سهلة سَلِسة ، وٱجعلنا قائمين بالأوامر وممتثلين لها ، وٱجعلنا منتهين عن النواهي ، وٱحفظنا يا رب فيما بقي من أعمارنا ، وبارك لنا فيها حتىٰ يقع يومنا كسبعين يوماً ، وعامنا كسبعين عاماً ، وتحصل لنا البركة ، ونَلْقَىٰ فيها ما لَقِيَهُ مَنْ قبلنا .

اللهم ، إن خزائنك ملأىٰ بالعطاء ، وإنها فياضة ، وإنك لا تزال تسكبها علىٰ ذوي الخير ، ولا تزال تعطيها .

اللهم ؛ أعطنا كما أعطيتهم ، وٱمنحنا كما منحتهم ، وهب لنا علماً يصحبه النفع ، وعملاً يصحبه القبول ، وٱجعلنا عندك محبوبين بسرِّ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ .

وٱجعل لنا وجاهة في الأعمال وفي الأحوال بسرِّ قولك : ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ .

اللهم ؛ ٱجعلنا من المقربين ، وٱجعلنا من المحبوبين ، وبلغنا يا رب ما بلغته الكامل ، وٱجعل البصيرة تشاهد ، وٱجعل القلب يدرك ، وٱجعل السمع يسمع ، وٱجعل البصر يبصر ، وٱجعل جوارحنا كلها ناطقة بذكرك وشكرك وحمدك ، وٱجعل جميع ما خَوَّلْتَهُ لنا من نعمك وأَبَحْتَهُ لنا يا رب من فضلك ومن عطائك مصحوباً بالعافية ، في خير ولطف ، مصحوباً بالعمل الصالح .

اللهم ؛ أَصْحِبْنا التقوىٰ ، وٱجعلها خير زاد ، وأَلْبِسْنا من

خِلَعِها ما أَلْبَسْتَه الكمل ممن قبلنا من الأجداد ، وهب لنا ما وهبته لهم ، ولا تحرمنا أذواقهم ولا تحرمنا عطاءهم ، وبلغنا إلىٰ مراتب أهل الشهود ومقام المراقبة ، يا معبود ، يا حي يا مقصود ، يا موجود في كل الوجود .

أَشْهِدنا ذلك بواسطة زين الوجود حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعه من الركع السجود .

وٱجعلنا من أسعد الناس في هٰذا اليوم ، وٱقسم لوالدينا وأولادنا وإخواننا وجيراننا وأصحابنا بالسعادة ، وٱجعلها سعادة أبدية لا شقاء بعدها ، ولا نكث بعدها ، ولا غفلة بعدها ، ولا معصية بعدها ، ولا ذِلَّةَ بعدها ، وٱجعلنا يا رب ممن أعززتَهُ بعزك ، وقد قلت في كتابك : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

اللهم ؛ ٱجعلنا من كُمَّل المؤمنين الذين أعطيتَهُم العزة وصالوا بها في هٰذا الكون علىٰ من عصاك ، وعلىٰ من خالفك ، وعلىٰ من لم يأخذ بدعوة نبيك صلى الله عليه وآله وسلَّم .

اللهم ؛ ٱجعل لنا تلك العزة ، وأَصْحِبنا إياها مع العافية والقبول دائماً وٱجعل دعواتنا مرفوعة ، وكلماتنا مسموعة ، وقلوبنا مجموعة ، وٱجعلنا يا رب بصدق اللَّجاء إليك فيمن تبع سيدنا محمد ، وأدخلنا في شفاعته ، وٱجمعنا به في هٰذه الدار ؛ وٱجمعنا به في البرزخ ، وٱجعله ربيعنا وشفيعنا ، وٱجمعنا به علىٰ الحوض ، وقبل الحوض ، ويوم الورود حتىٰ نشرب من ذلك الحوض من يده الشريفة شربة هنيئة ، وٱجعله يقابلنا بوجه

Scanned with CamScanner

باسم ، واحفظنا يا رب من الظلم ، وأهل الظلم ، ومن أهل المظالم ، وكن لنا ولياً ، وبنا حفياً ، والحمد لله رب العالمين .

(الفاتحة) أن الله يكرمنا جميعاً بالقبول ، ويجعلنا وإياكم ممن إليه قَرُبَ ، ويصلح لنا أمر الظاهر والباطن ، ويبلغنا الآمال ، ويجعلها عُلوية ، ويحفظنا من المطالب السُّفلية ، ويُيَسِّر لنا أمور الدنيا ، ولا يُقِيمُنا فيها علىٰ شدة ولا علىٰ أذية ، ولا علىٰ عُسْرَة .

ويجعلنا وإياكم من المحبوبين عنده ، والمطلوبين عنده ، والموهوبين عنده ، ويجعل للزيارة أثر يظهر في القلب فيمتلىء بالنور ، ويظهر في الروحِ فيتغذىٰ ويظهر في الجسم فَيَقْوَىٰ . .

ويُلْبسنا خِلعة من خِلَعِهِ صلى الله عليه وآله وسلم يظهر علينا بها سناها وبهاها وجمالها وجلالها ، يكون فيها كمال الاتصال به ، وكمال الحفظ والرعاية من الدنيا وفتنها وأسوائها وزخارفها وبلاياها وأذاياها ، نكون في وقاية تلك الخلعة ، لا يصلها دنس الدنيا ، ولا يصلنا عار الدنيا ، ويجعلنا بها قائمين ، ولأمرها ممتثلين ، ومعها طائعين ، قائمين في المحراب كما من قام ، مطيعين كما من أطاع ، صادقين كما من صَدَق ، في خير ولطف وعافية .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

زيارة أحد وسيد الشهداء

السلام عليك يا سيدَنا حمزة .

السلام عليك يا عم رسول الله .

السلام عليك يا أسدَ الله وأسدَ رسوله .

السلام عليك يا سيد الشهداء .

السلام عليك يا مصعب بن عُمَير .

السلام عليك يا عبد الله بن جَحْش .

السلام عليكم يا شهداء أحُد .

السلام عليكم يا شهداء .

السلام عليكم يا سعداء .

السلام عليكم يا أنصار دين الله .

السلام عليكم يا من جاهدتم في الله حق جهاده .

نشهد أنكم قُتِلْتُم على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجزاكم الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خير الجزاء .

نشهد أنكم حزب الله ، وأنكم من المقربين الفائزين .

نشهد أنكم أحياء عند ربكم ترزقون .

أتيناكم يا أهل أُحُد قاصدين ، وبحقكم عارفين ، وبزيارتكم إلى الله متقرِّبين .

Scanned with CamScanner

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ، أنتم لنا فَرَط ، ونحن بكم لاحقون .

اللهم ؛ إن هٰذا جبل أُحُد جبل من جبال الجنة ، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أُحُد جبل يحبنا ونحبه » ، اللهم ؛ إنا نحبه كما يحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، اللهم ؛ اجعلنا من المحبين المحبوبين .

السلام عليكم وعلىٰ شهداء بدر .

السلام عليكم وعلىٰ أصحاب رسول الله أجمعين .

السلام عليكم وعلىٰ آل رسول الله الطيبين الطاهرين .

السلام عليكم ، وعلى الشهداء ، والعلماء ، والأولياء ، والصالحين .

السلام عليكم ، وعلىٰ آبائنا ، وأمهاتنا ، وذوي الحقوق علينا .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، يرحم الله المتقدمين والمتأخرين .

السلام عليكم يا أبرار .

السلام عليكم يا من واسيتم رسول الله ، ونصرتموه ، وقمتم معه ، وسعدتم بالقرب منه ، وبالإسلام .

Scanned with CamScanner

اللهم ؛ كما أسعدتهم بالقرب من سيد الأنام.. فأسعدنا بالقرب منه .

اللهم ؛ وكما جمعتهم علىٰ دائرة الإسلام ، وثَبَّتَّ قلوبهم عليه مع الإيمان. . فاجمعنا علىٰ تلك الدوائر ، وثَبِّتْ قلوبنا عليها ، وارفعنا إلىٰ أعلىٰ درجات الإحسان ، وشفع فينا نبيك صلى الله عليه وسلم ، وشفع فينا حمزة ، وشفع فينا أهل أحد ، وشفع فينا أصحاب رسول الله ومن جاهدوا مع رسول الله ، وشفع فينا الشهداء الأبرار ، وشفع فينا الرجال الأخيار .

يا حبيبنا حمزة ؛ جئنا قاصدين للشفاعة وللضراعة ، وللسلام عليكم حتىٰ تدخلوا بنا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فيتولىٰ قضاء حاجاتنا ، وتطهير قلوبنا وصلاحها ، ويبعدنا عن الرذائل والرزايا ، ويقيمنا في مقام العمل بما أتىٰ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم والرسوخ علىٰ ذلك ، والقيام به ، والقيام بالشعائر الكبيرة ، والقيام بما كان عليه رجال القيام ، ممن اهتم بذلك الأمر وقام به حتىٰ ظهرت له كواشف الأمور مَجْلِيَّة أمام قلبه ، فشاهدها عِياناً .

اللهم ؛ كما كشفت لهم عن الحجاب ، ورفعت النقاب فاكشف لنا عن الحجاب ، وأزل النقاب ، واجعلنا مع الأحباب ، وأدخلنا دائرة الوهب ، يا وهاب ، يا وهاب ، يا وهاب .

وقفنا علىٰ هٰذه الأعتاب وأنت الكريم الرحيم المجيب ، فأجب دعواتنا ، واسمع أصواتنا ، واقض حاجاتنا ، وشفع حمزة

Scanned with CamScanner

فينا ، وشفع أهل أُحُدٍ فينا ، وتولنا بولاك ، وٱرحمنا يا رب فإنا ضعاف في عقولنا ، وفي أخلاقنا ، وفي يقيننا .

قوِّ اللهم ظاهرنا وباطننا قوة العارفين أهل اليقين ، مع اللطف والعافية ، وٱجعل تلك القوة سارية في أولادنا ، وفي أهلنا ، وفي إِخواننا ، وفي أصحابنا ، وأَمِتْنا علىٰ ذلك .

ووسع لنا في الفتح المطلق ، وٱجعل العلوم الربانية نشاهدها كما نقرأ في الكتب الظاهرة الكسبية .

ووفر حظنا من اليقين الكامل ومن العبودية المحضة ومن الاستغناء عن الناس .

وأقمنا في مقام العبودية حتىٰ نصل إِلىٰ أعلىٰ درجات مقام العبودية ظاهراً وباطناً ، وبلِّغنا ما بلَّغتَهُ الكامل من هـٰذه الأمة ، وٱكشف عنا كل مدلهمة وغمَّة ، وٱرحمنا برحمتك يا راحم الضعيف ، ويا غياث اللهيف .

يا خير من رحم ؛ ٱرحمنا ، يا أكرم من أعطىٰ ؛ أكرمنا ، يا خير من جاد ؛ جُدْ علينا ، وٱكتبنا يا رب في ديوان حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي ديوان أهل السعادة ، وٱجعلنا مسعودين ، وأظهر علينا آثار السعادة ، علينا ، وعلىٰ أولادنا ، وأهلينا أجمعين ، بسر أسرار (الفاتحة) .

(الفاتحة) أن الله لا يصرفنا من هـٰذا الموقف ، إِلا وقد قضىٰ لكل ذي حاجة حاجته ، وأن الله يشفي مريضنا ، ويعافي مبتلانا ،

Scanned with CamScanner

ويوسع علينا في أرزاقنا ، ومن له طلب أو حاجة أو مهمة . . ربنا يقضيها بأسرع وقت بلا تعب ولا عناء ، مع البركة فيها ، واللطف مع البركة في الأولاد ، مع الرعاية يا راعي ؛ مع الهداية يا هادي ؛ آهدِنا كما هديت مَنْ قبلنا ، وآرْعَنا كما رعيت مَن قبلنا ، وعاملنا بلطفك فإنا ضعفاء ، وأدخلنا يا رب مع الأحباب ، وآجعلنا منهم ، وأورثنا مقاماتهم ، وآرفع عنا الحجاب ، وآكشف عنا النقاب ، وآجعلنا يا رب من هٰؤلاء الذين عَنَيْتَهم وقصدتهم وجعلتهم من الأحباب ، من الذين قالوا : ربنا الله ثم آستقاموا .

اللهم ؛ آرزقنا الاستقامة الكاملة ، واجعلنا ممن يُفرِّق بين الإقامة والاستقامة ، وبلغنا يا رب ؛ ما بلغته أهل السلامة ، وآجعلنا في هٰذه الدار في سلامة إلىٰ أن ندخل دار المُقامة ، في خير ولطف وعافية .

وآقسم لأولادنا ، وأهلينا ، وإخواننا ، وأصحابنا ، وجيراننا ، ومن تعلق بنا ، ومن أحسن معنا ، ومن والانا ، ومن واسانا ، ومن طلب أن ندعو له ، وكل من له مقصد .

اللهم ؛ إلا ما آتيتَهمُ مقاصدهم ، وفرّجْتَ عن كل ذي كربة كربته ، وعن كل ذي شدة شدته ، وعن كل ذي مهمة مهمته ، وعن كل ذي حاجة حاجته ، آقضها اللهم علىٰ أحسن الوجوه ، وآكفنا وإياهم شر الظلمة والظلم وأهل الظلم ، وشر البلاء وأهل البلاء ، وشر الامتحان وأهل الامتحان ، وشر من لا نُطِيقُ شره

Scanned with CamScanner

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (٣) .

اللهم ؛ أكفنا ، وأكف هـٰؤلاء ما أهمنا وما أهمهم ، وأرحمنا وأرحمهم ، فأنت أهل الرحمة وغيرُك لا يَقْدِر عليها إلا من أعطيتَهُ نصيباً منها ، وأنت أهل الكرامة وغيرك لا يقدر على الكرامة إلا إن أعطيته نصيباً منها ، أنظر إلينا عند حمزة ، وعند شهداء أُحُد الذين أسعَدْتَهم بالشهادة ، وأسعدتهم بالقرب من خير الوجود .

أجعلنا يا رب ؛ بالغي الخيرات ، بالغي المسرات ، بالغي الكرامات ، ظاهراً وباطناً ، وأقسم لغائبنا ما تقسم به لحاضرنا .

اللهم ؛ أطو عنا الحجاب ، وأطو عنا المسافات التي بيننا وبين نبيك ، وأجعلنا معه بلا مسافة ولا عناء ولا شدة ، وأحفظنا يا رب من الضلال والحرمان والطرد والمقت يا كريم يا رحيم ، وأحفظ لنا الوقت وبارك لنا فيه ، وأعمرنا يا رب بما عمرت به أهل الخير ، وأغمرنا بالنور مع حفظ القلب باطناً وظاهراً .

(الفاتحة) .

❊ ❊ ❊

Scanned with CamScanner

محتوى الكتاب

المجموعة الثالثة

من كلام الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف

المجموعة الرابعة

من كلام الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الدّر الفاخر

من كلام الحبيب عبد القادر مما كتبه طه بن حسن السقاف

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

قصيدة الحبيب محمد بن عبد الله العيدروس في الحبيب عبد القادر:

تمام الحج أن تقف المطايا ... على باب الكرام أولي المزايا
فتأتيهم خفافاً مسرعات ... وترجع مثقلات بالعطايا
أيا من ضاق من غصص الليالي ... ولم يظفر بزاد للمنايا
تعال معي لنذهب حيث تلقى ... منالك كذا أنا ألقى منايا
نحط رحالنا في سفح قوم ... كرام هم ملاذ للبرايا
ثمال لليتامى والأيامى ... ومدخر يحلون القضايا
أباة الضيم يحمون الموالي ... وإن ولوا وينسون الخطايا
يغيثون اللهيف وينصرون الضعيف ودأبهم كشف البلايا
ومن يعطى دعاءً مستجاباً ... تذل له الشدائد بلا سرايا
فهاك أمينهم حامي حماهم ... ومن نصبوه كهفاً في الرزايا
بقية ماجدين وخير خبءٍ ... خبوه والخبايا في الزوايا
هدوه ثم أهدوه هداةً ... فيا نعم الهداة مع الهدايا
إمام في العلوم أبو علي ... وخريت بما تخفي الطوايا
أعبد القادر السقاف يا ابن الكرام المطعمين أجب ندايا
فلي ود قديم فاذكروه ... وعهد من بقيات البقايا
وأوصاكم بنا من خلفوكم ... وأنتم خير من حفظ الوصايا
ولي في الركب أولاد صغار ... وأحبابٌ بلا راعٍ رعايا
أتيناكم بهم صفر الأيادي ... نُخبّط مثل عشواء العشايا
وفيهم مبتلىً قد كان يحدو ... إلى العلياء ضداً للدنايا
فأصبح في عقال ليس يدري ... بما يجري طريحاً في الزوايا
وقد شمت الأعادي بنا فملوا ... فرقوا شاركونا في الشكايا

أتيناكم بهم وكفى بأنّا أتيناكم علاجاً للبلايا

فقوموا واكشفوا ما ليس إلا له أنتم وزيدوا في العطايا

وقولوا: (أنتم منا ومعنا هنا وهناك في يوم العرايا)

وهيا عجّلوا بقرى مسيري ومُنّوا بالمنى قبل المنايا

فقد أنحلن جسمي سيئاتي وهدّ ضياع أوقاتي قُوايا

أغيثوا وارحموا عبداً ضعيفاً قضى الأيام يكتسب الخطايا

فظاهره عيوب فوق سُقمٍ وأسقم منه ما تُخفي النوايا

إلينا نظرة من عين عطفٍ بها تحيون ما تحت الحنايا

وكم في النفس حاجات فقولوا: (قضيناها) فتقضى في القضايا

وصلى ربّنا في كل حين وسلّم في المساء وفي الغدايا

على طه وآلٍ ثم صحبٍ وأتباعٍ هُداةٍ للبرايا.

والحمد لله رب العالمين.